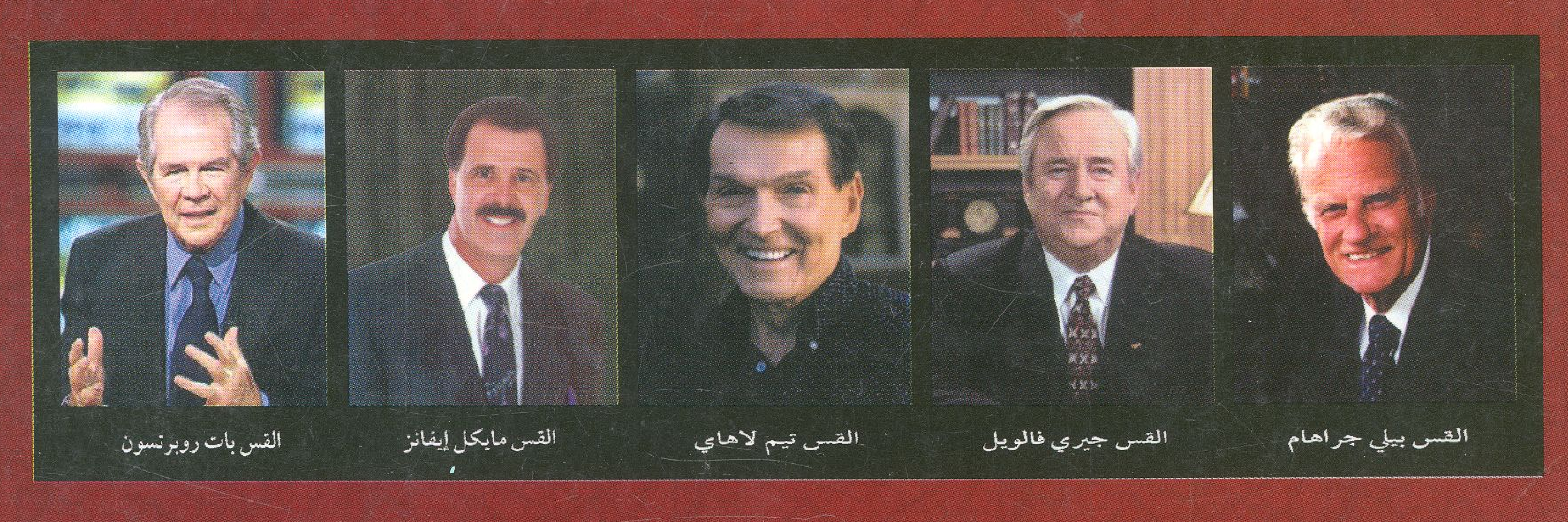
البروفيسور: مختار بن بركة

«المسيحية هي الحل»!!

إنجيليون في البيت الأبيض

La Droite Chrétienne Américaine



ترجمة وتقديم

أحمد الشيخ



«المسيحية هي الحل»!!

إنجيليون في البيت الأبيض

الطبعة الأولى
آيار / مايو ٢٠٠٨م ــ جمادى الأول ١٤٢٩هـ

هذه ترجمة كاملة لكتاب

la droite chrétienne américaine
les évangeliques à la maison-blanche?

تأليف : Mokhtar Ben Barka
الناشر : privat
تاريخ النشر : 2006

صدر هذا الكتاب بالتعاون مع المركز الوطني للكتاب ـ وزارة الثقافة الفرنسية
«ouvrage publié avec le soutien du centre national
du livre_ ministère francais chargè de la culture »



الناشر : المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية
المدير المسئول : أحمد الشيخ
العنوان : مصر ـ القاهرة ـ شارع منشية التحرير
رقم ١٢٧ مساكن حلمية الزيتون
البريد الإلكتروني : ahmed53eg@ yahoo.fr E-mail-elsheikhahmed 11@hotmail.com
تليفون وفاكس : ٢٢٤١٦٧٦٩ (٢٠٢٠٠+) محمول : ٠١٢٢٣١٢١١٢ (٠٠٢)

«المسيحية هي الحل»!!

إنجيليون في البيت الأبيض

La Droite Chrétienne Américaine

البروفيسور: مختار بن بركة

ترجمة وتقديم

أحمد الشيخ



تقديم المترجم

عرف العالم «المسألة الشرقية»، في القرن التاسع عشر، كتعبير عن مجمل المشاكل الناشئة عن ضعف الإمبراطورية العثمانية. وقبل هذا التاريخ، وبعده، عرف العالم «المسألة اليهودية»، كتعبير يلخص أزمة الطوائف اليهودية المقيمة في المجتمعات الأوروبية. ولم تقف «المسائل» عند المثالين السابقين، بل توالت وتنوعت وأخذت أشكالاً جديدة وأسماءً أخرى للتعبير عن تلك الأزمات المحورية التي تمسك بخناق أكثر من طرف دولي، وتهدد الأمن والسلم العالميين، وتفرض على الجميع ضرورة التحرك والعمل والبحث عن حلول.

إذا تساءلنا اليوم: ما هي المسألة التي تمسك بخناق العالم، والتي تحتاج، أكثر من غيرها، إلى حل حاسم وسريع، قبل أن تفضي إلى كوارث جديدة؟ ربما يجيب البعض بأنها «المسألة الإرهابية»، وربما يراها البعض الآخر «المسألة البيئية» ، وربما يراها آخرون «المسألة اليهودية» أيضًا، غير أننا نرى أننا نعيش اليوم عصر «المسألة الأمريكية » بامتياز . نحن نعيش اليوم زمن القوة الأمريكية المنفلتة من عقالها، والتي لا يكبح جماحها قوى أخرى.

ومن غرائب الأقدار أن « المسألة الأمريكية» اليوم، ليست نابعة من حالة ضعف وتفكك، كما كان عليه الحال في الإمبراطورية العثمانية، وليست، كذلك، وليدة حالة قلق واضطهاد كما في «المسألة اليهودية»، وإنما نتيجة امتلاك أمريكا قوة لا نظير لها، ولا تحكمها ضوابط الشرعية الدولية، ويعتقد أصحابها أنهم مكلفون من السماء بإعادة رسم خريطة العالم ونشر الديمقراطية بقوة السلاح، وذلك وفقًا لما يرونه رسالة «وقدرًا جليًا» وقع على عاتقهم، فهل هناك مسألة أخطر على العالم من ذلك؟!

في زمن «المسألة الأمريكية»، الذي نعيش آثاره على أكثر من صعيد، تهدد أمريكا السلام العالمي وتنتهك القوانين والأعراف الدولية، وتنفرد بقرارات مصيرية لا تخصها وحدها، وتنفذ

بوحشية قرارات لها نتائج مدمِّرة على دول العالم وشعوبه، كما حدث في حرب أمريكا على دولة وشعب العراق، عندما استخدمت أمريكا قوتها المدمِّرة، ثم اكتشف العالم بأسره كذب مبرراتها في شن الحرب، ولم يكن هناك من داخل أمريكا أو خارجها من يكبح جماح هذه القوة المدمرة، ويمنع حدوث كارثة مروِّعة لم تنته فصولها بعد ....

ما يمّيز «المسألة الأمريكية »، أولاً، أننا أمام قوة مدمِّرة غاشمة لا تستند إلى قيم عالمية متفق بشأنها، بل تضع جانبًا القوانين الدولية والشرعية الدولية(١)، وتنفرد بسياسات وممارسات أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها لا تراعي إلا المصالح الأنانية الضيقة للقائمين على أمر هذه القوة. فالقوة الأمريكية تبيح لنفسها ما تُحَرِّمُهُ على الآخرين. ومع غياب الشرعية الدولية، تغيب أيضا العقلانية السياسية عن هذه القوة وتصبح حمقاء، أكثر فأكثر، ولا يكون هناك ما تستند إليه إلا ركائز متداعية، ولا ينفع معها تحريك مخزون «القوة الناعمة» لنجدة «القوة الخشنة» وكما يحلم أحد منظريها الكبار . فماذا يمكن أن تفعل القوة الخشنة والناعمة معا عندما تكون هذه القوة فاقدة أصلا للشرعية والعقلانية والضوابط الأخلاقية و الإنسانية المتعارف عليها؟! .

ما يميِّز «المسألة الأمريكية»، ثانيًا، أنها تكشف عن مفارقة مروِّعة يجتمع داخلها العلم والتخلف: فأمامنا أمريكا القوة العظمى الأولى في العالم، والتي تملك أعلى مستويات التقدم العلمي والتكنولوجي، وأمامنا أيضًا أمريكا أخرى يكشف عقلها السياسي والديني عن حالة من التخلف والجمود قد لا نجد لها نظيرًا في دول العالم الثالث أو الرابع . وبتعبير آخر، نحن أمام أمريكيتين: أمريكا العلم والحريات المدنية والفصل بين الكنيسة والدولة، وأمريكا أخرى مضادة، هي أمريكا الأصولية التي تؤمن بالخرافات والأساطير والتي يتداخل فيها الدين مع الدولة . والسؤال البديهي الذي يفرض نفسه مباشرة : إذا كان الأمر على هذا النحو، فكيف تجتمع أمريكا هذه مع تلك؟ وكيف يتعايشان في رحم مجتمع واحد وأمة واحدة؟

والمتأمل لهذه التساؤلات يجد أن المسألة الأمريكية صارت ذات دلالات مخيفة، لأننا أمام قوة تحاول أن تمنح نفسها غطاءًا أخلاقيًّا من خلال توظيف النصوص المقدسة لتبرير عمليات

---

(١) يمكن أن نجد بعض ملامح «المسألة الأمريكية»، بالمعنى الذي نشير إليه، في موقف المحافظين الجدد من الشرعية الدولية ومن هيئة الأمم المتحدة، انظر في ذلك كتابات روبرت كاجان ولا سيما كتابه: La puissance et la faiblesse «القوة والضعف : الولايات المتحدة وأوروبا في النظام العالمي الجديد »، دار بلون الفرنسية (٢٠٠٣م).

النهب والاستعمار وإبادة الشعوب[٢]. وعندما تجمع «المسألة الأمريكية» بين الأصولية الدينية والأصولية الاقتصادية والأصولية العسكرية و الأصولية السياسية فماذا يمكن أن تكون عليه حالة العالم أمام تحالف الأصوليات الأمريكية هذا؟

ما يميِّز «المسألة الأمريكية»، ثالثًا، أنها تكشف عن القدرة الفائقة لأمريكا الأصولية على «الإسقاط » والتضليل الشامل، فهي تكتشف التشدد والتطرف لدى الآخرين، خاصة لدى العالم العربي والإسلامي، لتغطي على التشدد والتطرف الصادر من عقر دارها. وهي لا تكتفي بممارسة الإسقاط السياسي والإعلامي، الذي سرعان ما يتحول إلى إسقاط عسكري، وإنما تمارس تضليلاً شاملاً من خلال أجهزتها الجبارة لإقناع الآخرين بأنها تحارب الإرهاب والتطرف بينما هي، في الحقيقة، مصدر أشد أنواع التطرف والإرهاب في العالم.

يكفي أن نشير إلى النموذج الأوضح على هذه السمة الثالثة «للمسألة الأمريكية»، والمتمثل في ما تذيعه أمريكا الأصولية عن أن التطرف نشأ أولاً في البلاد العربية والإسلامية ، وأن الإسلام ينتج بالضرورة الأصولية ويخلط دائمًا بين الدين والسياسة، بينما من يقرأ التاريخ السياسي والديني للولايات المتحدة الأمريكية قراءة فاحصة ومدققة سيكتشف بوضوح أن الأصولية نشأت أولاً في أمريكا، وقبل أن تظهر في بعض البلدان العربية والإسلامية، وأن الحركة الأصولية المسيحية هي الأكثر قدمًا والأكثر قوة ونشاطًا من الأصولية الإسلامية المعاصرة، وأن الصحوات المسيحية الكبرى بدأت في أمريكا منذ قرنين أو أكثر، وأن ما تشهده أمريكا اليوم يعتبره بعض الباحثين صحوة مسيحية ثالثة (الأولى كانت في القرن الثامن عشر والثانية في القرن التاسع عشر)، وذلك قبل الصحوة الإسلامية المعاصرة، لكن بفضل جهل العلماء المسلمين ووسائل الإعلام بهذه الحقائق فإن العكس كان دائمًا ما يروج له[٣].

من يقرأ التاريخ جيدًا سيدرك أن الأصولية الأمريكية، في بدايات القرن الماضي، كانت قد

---

(٢) انظر الكتاب الذي أشرفنا على ترجمته وتقديمه للقس مايكل بريور بعنوان : الكتاب المقدس والاستعمار، مكتبة الشروق الدولية، (٢٠٠٦م)، وانظر أيضًا تصريحات بوش الأخيرة في الكنيست احتفالاً بمرور ستين عامًا على قيام دولة إسرائيل حيث أعاد التأكيد على أن الوعد الإلهي الذي أعطاه الله لإبراهيم بأن يجد شعب الله المختار وطنًا قد تحقق اليوم.

(٣) راجع في هذا الشأن كتاب: «صعود البروتستانتية الإنجيلية في أمريكا وتأثيره على العالم الإسلامي»، د. محمد عارف، ترجمة رانيا خلاف، مكتبة الشروق الدولية (٢٠٠٦م)

نجحت بالفعل في خلط السياسة بالدين، وذلك في الوقت ذاته، الذي كان كمال أتاتورك يقوم فيه بعلمنة تركيا وفصل الدين عن الدولة. وكانت الأصولية المسيحية أيضًا متقدمة زمنيًّا على الثورة الإسلامية الإيرانية (١٩٧٨م)، عندما أُعلِن عام (١٩٧٦م) عام الإنجيلية في أمريكا، وهو العام ذاته الذي وصل فيه جيمي كارتر، وهو واعظ معمداني من الجنوب الأمريكي إلى سدة الرئاسة الأمريكية. وبعد ذلك، بسنوات قليلة جاء إلى الرئاسة الأمريكية رونالد ريجان، الذي كان يرفع شعار «الإنجيل هو الحل» أثناء حملته الانتخابية (١٩٨٠م). وكان قبله، وبعده، عدد كبير من الزعماء السياسيين بالحزب الجمهوري وقادة اليمين المسيحي يؤكدون على أن أمريكا أمة مسيحية، وينبغي أن يحكمها قادة مسيحيون . وكان بات بوكانن، وهو مرشح سابق لرئاسة البيت الأبيض، يؤكد دائمًا على أن العهد القديم والعهد الجديد لا يمثلان خطوطًا إرشادية مهمّة للإنقاذ الشخصي فحسب، وإنما يحتويان كذلك على الوصفات اللازمة للقوانين العادلة والمجتمع الفاضل. وكان بيلي جراهام، الداعية الإنجيلي الأشهر، يشير دائمًا إلى ضرورة تطبيق وحي الكتاب المقدس في كل المسائل الاجتماعية المعاصرة، واستحضار معاني الرسالة الإنجيلية في كل جوانب الحياة . كما كان هناك أحد قادة تنظيم التحالف المسيحي، و الذي كان يردد دائمًا: «يقول الإنجيل إنه يجب علينا أن نقود، وإذا لم تحكم أنت أو أحكم أنا، فإن الملحدين والعلمانيين الماديين سوف يحكموننا، ولذلك ينبغي علينا أن نسيطر على كل جوانب الحياة».

كانت الثقافة السياسية والدينية المهيمنة تدور، في مجملها، في هذا الأفق، وتؤثر على صناعة القرار السياسي الداخلي والخارجي، إلى الدرجة التي دفعت البعض للبحث عن الجذور الإنجيلية للنزعة الأحادية ـ الانفرادية الأمريكية في العلاقات الدولية، أو التفتيش عن المؤثرات الأيديولوجية والنفسية والتاريخية التي تدخل في تشكيل وصياغة القرارات السياسية الخارجية لأمريكا، وكيف يتحمل المسيحيون المتطرفون مسئولية كبيرة عن هذا الوضع العالمي المتفجِّر الآن، والكشف عن طرق وآليات تداخل السياسة والتطرف الديني في أمريكا، وكيف يستند السياسيون في واشنطن إلى دعم غير محدود من قبل غلاة التطرف المسيحي في سبيل شن حروب عبر العالم . والنتيجة أن السياسة الأمريكية، والتي يدعمها اليمين المسيحي، لم تعد تخضع حاليًّا لمنطق القانون الدولي أو الأعراف والتقاليد الدولية، وإنما تنطلق من قناعات مسبقة وراسخة لها صفة القداسة، ومستمدة من إحساس واضعيها الطاغي بأنهم ينفذون إرادة الله، وهم العارفون بخطته الكونية كما يقرءونها في العهد القديم.

لم نكن نحن إذن مصدر التطرف، ولم نكن أول من سبق إليه، ولم يكن شعار «الإسلام هو الحل» سابقًا على شعار «المسيحية هي الحل»، بل يراودني شك في أن من رفعوا شعار «الإسلام هو الحل» قاموا بترجمة الشعار من أمريكا، واستبدال كلمة المسيحية بكلمة الإسلام، ولا سيما أن هذا الشعار عرف طريقه إلى حياتنا السياسية بدءًا من عامي ١٩٨٦م و ١٩٨٧م[٤]، وفي فترة انتخابات أيضا، أي بعد عدة سنوات من تداول الشعار في الحملات الانتخابية الأمريكية. مع فارق كبير هو أن الذين رفعوا الشعار لدينا، لم يكونوا رؤساء دول، ولم يكونوا من النزلاء الدائمين على وزارة الدفاع ورئاسة الجمهورية، كما كان عليه الحال في أمريكا.

بالطبع، قد يتشكك البعض في هذا الطرح، وقد يرى أن أمريكا لا تزال دولة علمانية وتفصل بين الكنيسة والدولة، وأن دستورها لا يزال دستورًا علمانيًّا يحفظ الحريات المدنية والحقوق لكل الطوائف المكوِّنة للمجتمع الأمريكي، وأن ما يظهر على أنه أمريكا أخرى مضادة، لا يعدو كونه فقاعات في الهواء ناتجة عن حماسة مجموعات صغيرة هامشية . وأن هذه المجموعات المنتمية لليمين المسيحي الأمريكي لا تشكل أمريكا أخرى، وأن تأثيرها على القرار السياسي الداخلي والخارجي، ليس له مثل هذا الوزن الذي ينسبه البعض لقيادات اليمين المسيحي. لكن، أليس من الغريب أن البعض لا يزال يتحدث عن أمريكا العلمانية التي تفصل بين الدين والدولة، وذلك في الوقت الذي يتابع فيه العالم بأسره تصاعد نفوذ «الإنجيلية السياسية» في أمريكا[٥]، وفي الوقت الذي صارت فيه الكنائس الإنجيلية بمثابة أدوات تأثير ونفوذ في أيدي الأوساط الأمريكية الحاكمة، وهل نسي هذا البعض أن تصاعد نفوذ الكنائس الإنجيلية لم يعد يقتصر على قضايا المجتمع الداخلية (محاربة الإجهاض والمثلية الجنسية والدفاع عن الحق في حمل السلاح الشخصي ...) وإنما تعداه إلى السياسة الخارجية، ومحاولة إعادة صياغة خريطة العالم وفقًا لعقائدهم. ألم يلعب الإنجيليون دورًا بارزًا في إشعال الثورات الوردية والبرتقالية لمحاصرة روسيا ؟ ألم يمارسوا دورًا كبيرًا أيضًا في ساحل العاج ودول إفريقية أخرى لمحاصرة النفوذ الفرنسي[٦] ؟ ألم تلعب المسيحية الصهيونية أو الصهيونية المسيحية، أيهما أدق،

---

(٤) راجع في هذا الشأن أعداد صحيفة الشعب المصرية في الفترة المذكورة .

(٥) انظر كتاب دوني لاكورن: DE LA RELIGION EN AMÉRIQUE «عن الدين في أمريكا- دراسة في التاريخ السياسي» دار جاليمار الفرنسية (٢٠٠٧م)

(٦) مجلة HÉRODOTE NO 119 هيردوت الفرنسية عدد١١٩ لعام (٢٠٠٥م) . " الإنجيليون يغزون العالم"

دورًا بالغ الخطورة في دعم إسرائيل والدفاع عن سياساتها منذ نشأتها، وحتى قبل نشأتها عندما أصدر اللورد بلفور وعده الشهير، وهو من المنتمين لتيار المسيحية الصهيونية؟

وحتى إذا كان كل ما سبق لا يكفي للتدليل على وجود أمريكا أخرى تخلط الدين بالسياسة، فأين يمكن لنا أن ندرج هذا النفوذ الكبير، وهذه السلطات الواسعة التي يتمتع بها اليمين المسيحي، والتي تسمح له أحيانًا كثيرة بالحسم في الانتخابات لصالح مرشحيه في الانتخابات الرئاسية أو ما دونها؟ هل نضع ذلك ضمن إطار أمريكا العلمانية أم أمريكا الأصولية؟ وأين نضع أيضًا الانتماءات الدينية للقادة الأمريكيين كما يعلنون هم عنها ويتباهون بها ويتخذونها أوراقًا ناجحة في حملاتهم الانتخابية؟ هل تؤكد هذه الانتماءات الدينية للقادة على وجود أمريكا علمانية أم أمريكا أصولية ؟ وأين نضع نتائج الأبحاث والدراسات واستطلاعات الرأي التي تشير إلى تنامي الهوية المسيحية للمجتمع الأمريكي؟ وهل هناك بلد في العالم يفصل بين الدين والدولة، ويحظى فيه قادة وتنظيمات اليمين المسيحي بمثل هذه المكانة، وبمثل هذا التأثير داخل أروقة الدولة العليا بدءًا من البيت الأبيض ومرورًا بالبنتاجون والمحكمة العليا، وصولاً إلى كافة أجهزة صناعة القرار والتأثير؟ وهل هناك دليل أوضح على تأثير الدين على السياسة في أمريكا من موقف الإدارات الأمريكية المتعاقبة إزاء الصراع العربي الإسرائيلي؟ وكما يقول أحد الباحثين «إن الموقف الأمريكي من إسرائيل هو نموذج واضح ومميز لاختلاط الدين بالسياسة، وقد أدى هذا الخلط إلى وجود نوع من الانفعالية الدينية الباطنة التي تدخل في صلب البيانات والتصريحات التي يلقيها القادة السياسيون والزعماء المدنيون، فقد درجوا على استخدام رموز خطابية من العهد القديم الذي يدور في غالبيته حول تاريخ إسرائيل [القديمة] ومستقبلها ... ومن هنا، فإن التفسير المقنع لدينا كما يردده السياسيون الأمريكيون، بوجه خاص، حول الالتزام «الأدبي - الأخلاقي» بدعم إسرائيل، والذي لا يستعمل لأية دولة صديقة أخرى للولايات المتحدة سوى إسرائيل، إنما هو تأكيد على أن ديانة هذه البلاد هي في جذورها ديانة توراتية، وضعت شروحها في قوالب عبرانية . وبالتالي، فإن استخدام الرموز الدينية الخطابية عند السياسيين الأمريكيين، وبعض العامة، يهدف إلى القفز على الحائط الفاصل بين الدين والدولة ويسد الفجوة بين المجالين الديني والسياسي في المجتمع الأمريكي[(٧)] "

---

(٧) يوسف الحسن: "البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الإسرائيلي" . ص ٦٧ - ٦٨، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

وربما يتصور البعض أن هذه الرؤية، من جانبنا، لما أسميناه «المسألة الأمريكية» قد تكون نابعة من موقف سياسي أيديولوجي معارض للسياسات الأمريكية، وبالتالي لا يمكن أن يكون حديثنا موضوعيًّا، غير أن هناك عددًا كبيرًا من المفكرين والأكاديميين والإعلاميين الأمريكيين والأوروبيين ينحون هذا المنحى، وهم ليسوا من معسكر الأعداء لأمريكا، وقد تركوا لنا تراثًا وأدبيات غنية عن أمريكا الأصولية، ومنها دراسات وكتب وصلت إلى التساؤل عما إذا ما كانت أمريكا تتجه فعلاً نحو الحكم الثيوقراطي ـ الديني، وهناك كتب أخرى كثيرة تناولت أمريكا المنقسمة(٨) على نفسها وأمريكا التي تعيش حربًا ثقافية بين الأصوليين والعلمانيين...

ومن خارج أمريكا اهتمت دوائر ثقافية وبحثية في عواصم أوروبية بظاهرة الانتشار والتمدد الإنجيلي داخل أمريكا وفي بقاع كثيرة من العالم، وكرَّست مجلات علمية(٩) أعدادًا خاصة للأصولية المسيحية في أمريكا، وبعضها كان يكشف عن حالة فزع وهلع من زحف الإنجيلية حتى داخل العواصم الأوروبية الراسخة في ثقافاتها وتقاليدها. وأزعم أن فرنسا تشهد حاليًّا بدايات تكوين مدرسة فرنسية في فهم الظاهرة الأصولية بأمريكا، وهو أمر لم يكن موجودًا من قبل على هذا النحو، وليس أدل على ذلك من وفرة الكتابات والدراسات الجديدة المكرَّسة لفهم هذه الظاهرة، ليس من خلال ما يكتبه الأمريكيون عن أنفسهم، وإنما من خلال رؤية فرنسية ومن خلال فحص كيف أدرك الفرنسيون المجتمع الأمريكي عبر ثلاثة قرون ولا سيما في جوانبه الدينية.

ومن رموز هذه المدرسة دوني لاكورن، وكان قد أعدَّ دراسة مهمة منذ عدة سنوات عن أزمة الهوية الأمريكية (عن دار جاليمار)، (٢٠٠٣م)، وأصدر في نهاية العام الماضي كتابًا جديدًا عن الدار ذاتها يحمل عنوان «عن الدين في أمريكا ـ دراسة في التاريخ السياسي» (٢٠٠٧م). ومن أعلام هذه المدرسة أيضًا إيزابيل ريشيه، وهي أستاذة الحضارة الأمريكية بجامعة باريس السابعة ولها كتاب بعنوان: "الدين في الولايات المتحدة" (عن المطبوعات الجامعية الفرنسية ٢٠٠١م) ولها دراسات مهمَّة عن «الدين والسياسة الاجتماعية» وعن صراع «الدين العام والدين الخاص في الولايات المتحدة الأمريكية». وهناك من أعلام هذه المدرسة الفرنسية سباستيان فاث وهو

---

(٨) انظر كتاب : États- Unis:une nation divisée- Hans- Georg Betz " الولايات المتحدة : أمة منقسمة، حرب ثقافية وأيديولوجية"، هانز جورج بيتز، ترجمة فرنسية عن دار أوترمو الفرنسية، (٢٠٠٨م).

(٩) انظر مجلة مجلة hérodote هيردوت الفرنسية عدد١١٩ لعام (٢٠٠٥م) . " الإنجيليون يغزون العالم" هيرودوت الفرنسية عدد ١١٩ لعام (٢٠٠٥م) وكان عنوان الغلاف :«الإنجيليون يغزون العالم» .

مؤلف عدة كتب مهمة في هذا الشأن منها: «مناضلو الكتاب المقدس» (عن دار أوترمو، ٢٠٠٤م)، و «الله يبارك أمريكا» (عن دار سوي، ٢٠٠٤م)، و«البروتستانت الإنجيليون في فرنسا» (عن دار أتيليه ـ لابوروفيد، جنيف، ٢٠٠٥م).

وهناك، إلى جوار أعلام هذه المدرسة الفرنسية الإسهام الكبير للبروفيسور مختار بن بركة وهو أكاديمي تونسي يعمل أستاذا للتاريخ والحضارة الأمريكية بجامعة فالانسين. وربما لا يكون من قبيل المصادفة أن يكرس بن بركة كل اهتمامه لرصد ودراسة ظاهرة الأصولية البروتستانتية في أمريكا، فهو عربي تونسي مسلم[١٠] ويعرف خطورة هذا التيار و يريد أن يعرف أسباب تطرف الأصوليين في أمريكا فكانت النتيجة سلسلة من الدراسات والكتب المهمة باللغة الفرنسية و منها: "المُخلِصون الجدد"، الأصولية البروتستانتية في الولايات المتحدة (عن دار أتيليه لابوروفيد، جنيف، ١٩٨٨م)، و"اليمين الأمريكي الجديد» (١٩٩٩م) ثم «اليمين المسيحي الأمريكي ـ الإنجيليون في البيت الأبيض» (عن دار بريفا الفرنسية، ٢٠٠٦م)، وهو الكتاب الذي نقدم ترجمة كاملة له تحت عنوان : «المسيحية هي الحل ـ إنجيليون في البيت الأبيض» وقد اخترنا هذا العنوان لأنه ينطبق تماما على مضمون ودعوة حركة اليمين المسيحي الأمريكي وفي الوقت نفسه ليس بعيدا عما يدور في مجتمعاتنا من حديث عن الإسلام هو الحل، مما قد يدفع القراء تلقائيا إلى المقارنة بين التماثلات والاختلافات هنا وهناك، ويثير لديهم الرغبة في مزيد من المعرفة عن هذا التيار الأصولي المهيمن في أعلى بلاد العالم علْما وتقدما!

يعتبر هذا الكتاب هو الأول من نوعه، باللغة الفرنسية في تناول الأصولية المسيحية الأمريكية، فلم يسبق أن كرَّس باحث أكاديمي كتابًا كاملاً لتناول اليمين المسيحي الأمريكي، وكان هذا التيار يعالج، في أغلب الأحيان، في ثنايا الكتب أو ضمن ملفات عامة عن الشأن الأمريكي.

يتميز هذا الكتاب أيضًا بطابع البحث العلمي الأكاديمي الذي يرصد ويحلل الظاهرة تاريخيًا، ويدرس ملامحها وتفاصيلها الآنية، ويقدم خريطة دقيقة وموثقة للأصولية الإنجيلية في مختلف تشعباتها، فالكتاب يبدأ برصد تاريخ العلاقة بين الديني والسياسي في أمريكا، ويحلل هوية وملامح الحركة السياسية ـ الدينية للإنجيلية ويوضِّح ما يميِّز كل فرع من فروعها ثم يقدم تحليلاً ضافيًا لبرنامج هذه الحركة، وهو تحليل لن يجده القارئ في أي كتاب آخر على هذا النحو

---

(١٠) انظر الحوار مع المؤلف في نهاية هذا الكتاب.

من الشمول والعمق، ثم يدرس الإستراتيجيات التي تتبعها الحركة في تنفيذ برنامجها من أجل تحقيق رسالتها في إعادة المجتمع إلى المسيحية وكي يتوافق مع رسالة الكتاب المقدس، ويقدم للقارئ سلسلة من إستراتيجيات العمل هذه بدءاً من مجموعات الضغط الدينية، والمقاطعات والاحتجاجات، والاعتداءات إذا لزم الأمر، وإنشاء مراكز فكر وجامعات أصولية، ويقدم المؤلف دراسة مهمة حول علاقة اليمين المسيحي بجورج بوش الابن وإدارته التي وصل فيها اليمين المسيحي إلى مرتبة لم يصل إليها من قبل.

ويساهم هذا الكتاب في تقديم، معرفة أفضل بالمجتمع الأمريكي، وبتيار اليمين المسيحي الأمريكي، ونحن أحوج ما نكون اليوم لمعرفة التيارات المخالفة والمعادية لنا، وأن نقرأها قراءة دقيقة حقيقية، وكما هي في الواقع، وقبل أن نحدد موقفنا منها، وهو ما ندعو له منذ سنوات، ونلح دائمًا على ضرورة إنشاء مراكز فكر عربية مكرَّسة لبحث ودراسة ظواهر وقضايا وآفاق العالم الغربي في كافة الميادين . وفي هذا الإطار قمنا بترجمة هذا الكتاب وغيره من الكتب التي أصدرناها في السنوات الماضية.

وإذا كان من مزايا الكتاب أنه يقدم للقارئ العربي فلسفة اليمين المسيحي الأمريكي وبرنامجه في العمل وإستراتيجياته لتنفيذ هذا البرنامج، فإنه يسمح لنا في الوقت ذاته بتحصين أنفسنا من تطرف وغلو هذا التيار وحماية أنفسنا ومجتمعاتنا من حملاته التبشيرية ، سواء على الصعيد السياسي أو الديني الذي وصل في الفترة الأخيرة إلى مرحلة تبعث على القلق خاصة في بلاد المغرب العربي والأردن والعراق وبلاد إفريقية كثيرة[١١]، وحيث ينشط المبشرون الإنجيليون، وحيث تشير الأرقام إلى أن هناك أكثر من عشرة آلاف مسلم تم تنصيرهم في الفترة الأخيرة .

يسمح لنا هذا الكتاب أيضًا بالتعرف مباشرة على طبيعة الثقافة السياسية والدينية المهيمنة في أمريكا والمدى الذي وصلت إليه في تخلفها وظلاميتها، وذلك على عكس ما يذيعه عشاق أمريكا في بلادنا من صور ورؤى تهدف إلى تحسين وجه أمريكا لدى الشعوب العربية والإسلامية، ودون أن يكون هناك ما يسند ذلك من وقائع.

---

(١١) هناك إشارات إلى هذا الرقم في أكثر من مصدر آخرها مجلة مجلة Le Monde Des Religions لوموند الأديان الفرنسية في عددها رقم ٢٥ لعام (٢٠٠٧م)، وفي دراسة سباستيان فاث عن «الوجوه الجديدة للبروتستانتية» ص ٦

يكشف الكتاب أيضًا عن جوانب مهمة من «المسألة الأمريكية» ويضيء بعض ملامح اللغز الأمريكي ودون أن يتخذ موقفًا محددًا من القضايا التي تناولها عبر هذا التوثيق المهم لظاهرة «الاستثناء الأمريكي»، فالمؤلف ينتمي إلى مدرسة علمية لا تهتم كثيرًا بالحكم على الظواهر موضوع البحث بقدر ما تهتم بوصف الظاهرة وتحليلها من خلال طرق وإجراءات يمكن مساءلتها، لكن بقدر علمية هذا المنهج بقدر ما يفضي أحيانًا إلى نتائج غير علمية في نظرنا. فالكتاب إذا كان قد أضاء موضوعًا مجهولاً أو غير معروف بصورة جيدة، وعرضه بصورة شاملة ومتكاملة، فإن القارئ يشعر أنه ما زال على جوعه، وأن التفسيرات الجوهرية لـ«المسألة الأمريكية» لم تأت بعد. فالبروفيسور بن بركة، مثل أقرانه من الباحثين الفرنسيين، يصف الصعود المتنامي للإنجيلية السياسية، لكن تحليله لنتائج هذا الصعود يعكس مفارقة غريبة: فالكتاب يدعونا لمتابعة تفاصيل صعود الأصولية المسيحية والثورة المحافظة، عبر عقود أربعة، ثم في النهاية يقول لنا إن تأثيرها ليس على هذا النحو الذي قد يتخيله البعض، وأن حصيلة هذا الصعود المتنامي للإنجيلية المسيحية لم يحقق الكثير، وأن المجتمع المسيحي الذي يحلمون به يظل في النهاية مجرد أمنيَّة، وأن تأثيرهم ونفوذهم لم يصل بعد إلى تعديل الدستور ليتواءم مع نصوص الكتاب المقدس، وأن صراعاتهم ومواقفهم في القضايا الاجتماعية لم تحقق نجاحات كبيرة باستثناء محاربتهم للإجهاض... فإذا كانت نتائج الصعود المتنامي للأصولية المسيحية على هذا النحو المتضائل فلماذا كان كل هذا الاهتمام بها؟ وكيف يصعد تيار وتهبط نتائجه ؟! فالمنطق يقول إن التيار عندما يصعد ويتقدم ويتنامى تصعد وتتنامى بالضرورة تأثيراته معه.

المفارقة الأخرى، في كتاب بن بركة، تكمن في المنهج العلمي الذي يعتمده في الوصف والرصد والتمييز، إذ يفضي إلى التخفيف من مسئولية بعض تيارات الأصولية المسيحية في الدفع نحو الحرب وتمهيد الأجواء لها، ناهيك عن أن هذه الحرب البشعة لم تحتل المساحة المناسبة في كتاب عن اليمين المسيحي ودوره. وهو ما شكل نقصا واضحا في كتاب لمؤلف عربي تونسي، فالمؤلف يرى أن قرار الحرب على العراق لم يكن من صنع أو تحريض كافة اتجاهات الأصولية المسيحية، وأن هناك بعض الكنائس عارضت قرار الحرب، وأخذت موقفًا من الرئيس بوش، وأن قرار الحرب أعده أساسًا خبراء وإستراتيجيون وكان يخضع لمنطق آخر غير منطق الأصوليين. وكأن المؤلف قد

أخذ على عاتقه مهمة الكشف عن حضور الديني في السياسي، على أكثر من صعيد، غير أنه في النهاية يميل إلى تقليل هذا الحضور الديني وتخفيف ألوان الصورة، وتبرئة قطاعات من اليمين المسيحي من وزر قرار الحرب !!

في النهاية، هذا الكتاب ليس كتابًا في الدين المسيحي وإنما في الفهم الأصولي الأمريكي للكتاب المقدس، وبالتالي الكتاب ليس موجهًا للإنجيليين العرب بشكل خاص ولا للمسيحيين العرب بشكل عام، وليس واردًا في ذهن مؤلفه أو مترجمه التحرش بالمسيحيين العرب، في مثل هذه الأوضاع المتفجرة التي يمر بها العالم اليوم، وليس واردًا كذلك للنيل من الإخوان المسلمين أو من شعارهم أو من أي فصيل إسلامي آخر. حاولنا فقط أن نقدم للقارئ العربي الوجه الآخر لأمريكا، والتنبيه إلى خطورة الأصولية المسيحية في أمريكا، وأنه من الخطأ، كما يرى كثيرون غيري، التعامل مع أمريكا كمجتمع واحد متكامل ومتجانس أيديولوجيا بالشكل الذي يروج له بعض أبناء أمريكا في مجتمعاتنا.

وربما يدفع الحوار حول هذا الكتاب إلى إعادة تصحيح الوعي المقلوب في مجتمعاتنا عن العلاقة مع الآخر الغربي / الأمريكي، وذلك من خلال قضية محورية هي قضية علاقة الدين بالدولة، والمقارنة بين ما يحدث هنا وما يحدث هناك. وربما يفضي ذلك إلى اكتشاف موقع جديد لدور الدين في حياة المجتمع، وما يمكن أن يسهم به في دفع وتحريك الأمور إلى الأمام دائمًا وليس إلى الأسوأ بالضرورة . وربما يفضي هذا الحوار إلى إعادة اكتشاف القضية الأخلاقية من جديد، إذ ليس من المعقول أن تظل هذه القضية الأخلاقية رهينة في أيدي غلاة التطرف الديني هنا أو هناك، أو تظل مستبعدة تمامًا لدى التيارات العلمانية المناهضة لهم.

تبقى كلمة أخيرة عن الترجمة العربية لهذا الكتاب المهم. لقد حاولت قدر المستطاع، من موقعي كمثقف مسلم، أن أقدم ترجمة أمينة للمصطلحات والتعبيرات اللاهوتية المسيحية . وكانت الصعوبات كثيرة في البداية نظرًا لعدم إدراكي الكامل بمفاتيح وأسرار الثقافة المسيحية، ونظرًا أيضًا لعدم وجود مراجع وقواميس باللغة العربية تضيء جوانب هذه الثقافة بصورة دقيقة وعلمية، فأغلب ما تيسر لي الاطلاع عليه كان يغلب عليه الطابع الكهنوتي، والذي كان يختلف من مرجع إلى مرجع آخر. لكن في نهاية المطاف تمكنت من إعداد هذه الترجمة قدر المستطاع، مع

مراعاة لغة صاحبها وطابعه الأكاديمي، وإذا كانت هناك بعض الأخطاء فهي نتيجة نقص في المعرفة من جانبي، لا أكثر ولا أقل . وأعد عند وصول تصويبات أن أضعها في الحسبان عند القيام بطبعة جديدة من هذا العمل.

أحمد الشيخ

القاهرة

١٠ مايو ٢٠٠٨

٥ جمادى الأول ١٤٢٩هـ

تقديم المؤلف

مع حصول جون كنيدي، سيناتور ولاية ماساشوستس، على ترشيح الحزب الديمقراطي لخوض سباق الرئاسة نحو البيت الأبيض، تأججت الضغائن والشكوك التقليدية لدى أغلب البروتستانت تجاه الكاثوليكية التي كانوا ينظرون لها بوصفها أكبر خطر يهدد الحرية الأمريكية، وتزايدت الشكوك، أكثر من أي وقت مضى، تجاه البابويين - كما يحلو للبروتستانت «الأصليين» تسمية الكاثوليك - المشتبه في أنهم يرغبون في إقامة ثيوقراطية، ضد روح ونص الدستور تحت قيادة البابوية في روما. وتجمع في سويسرا، لحظة تأكد ترشيح كنيدي للرئاسة، عدد من الشخصيات البروتستانتية(*) المحافظة للبحث في الوسائل المختلفة التي يمكن استخدامها لمنع انتخابه.

من أجل تبديد المخاوف المسيطرة على العقول اضطر كنيدي إلى طمأنة الناخبين والإعلان أن مذهبه الديني - الكاثوليكية - لن يكون له أي تأثير على سياسته، وقال في مؤتمر المعمدانيين(**) بالجنوب في ١٢ سبتمبر عام (١٩٦٠م) في هيوستون بتكساس : «إنني أؤمن بأمريكا حيث الفصل بين الدين والدولة أمر لا رجعة عنه، ولا يمكن لأي أسقف كاثوليكي أن يقول للرئيس «إذا كان رئيسًا كاثوليكيًا كيف ينبغي عليه أن يتصرف، ولا يمكن لأي من الدعاة البروتستانت أن يقول لمشايعيه أن عليهم التصويت لهذا أو ذاك. ولا يمكن لأي كنيسة أو مدرسة دينية أن تحصل على دعم مالي من أموال الدولة، أو أن تحصل على أي امتياز سياسي. إنني

(*) البروتستانتية: جماعة مسيحية نشأت انطلاقًا من حركة إصلاح بالقرن السادس عشر. وتعني جماعة المحتجين. وهي تسمية أطلقها خصوم الإصلاح على أتباع هذه الحركة. ولم يعد المصطلح مع مرور الزمن مقصورًا فقط على الكنائس الناشئة مباشرة من حركة الإصلاح الديني، وإنما صار يشمل الطوائف السابقة على الإصلاح واللاحقة عليه مثل المعمدانيين والإبرشانيين والميثوديين والخمسينيين. وتندرج الإنجليكانية أيضًا تحت هذه التسمية - البروتستانتية - حتى ولو كان ينظر لها أحيانًا على أنها شكل وسيط بين الكاثوليكية والإصلاح البروتستانتي، (المترجم).

(**) المعمدانيون:كالفينيون منشقون ينظر إليهم بوصفهم ورثة حركة الإصلاح، يظهرون ارتباطهم بالنص المقدس كسلطة وحيدة فيما يتعلق بالعقيدة والحياة . ولدت هذه الكنائس المعمدانية في إطار حركة تمرد تقوية ضد النزعة الشكلية لكنيسة إنجلترا، وتطورت في أمريكا لتشكل فيها الحركة الأكثر عددًا للإنجيلية . وتتميز المعمدانية بممارستها التعميد من خلال تغطيس المهتدي.

أؤمن برئيس تنتمي تصوراته الدينية إلى مجاله الخاص»[1]. بعد هذا الإعلان عن الحياد الديني للرئيس ـ والذي نُظر إليه من قبل كثير من الكاثوليكيين على أنه إعلان استسلام ـ اعتقد البعض أن الدين كف عن أن يكون معيارًا حاسمًا في السباق نحو البيت الأبيض. غير أنه، في عام (١٩٧٦م)، لم يتردد الديمقراطي جيمي كارتر ـ وهو معمداني من الجنوب ومن الوعاظ العلمانيين ـ في أن يجعل من عقيدته (المولودون ثانية مسيحيًّا) حجة تؤيده في حملته الانتخابية.

واقع آخر ميز بوضوح هذه الانتخابات، وهو قيام البروتستانت المحافظين (إنجيليين أصوليين، خمسينيين) بالتصويت بشكل جماعي كثيف، واضعين بذلك نهاية لفترة الانسحاب من الحياة العامة. وبعودتهم بقوة، فإن هؤلاء الأتباع للدين على الطريقة القديمة، كانوا يريدون تحويل المجتمع والدولة في اتجاه وضعهما فى حالة توافق مع رسالة الكتاب المقدس كأساس للحياة السياسية. وبعد ذلك بأربع سنوات تكررت الظاهرة ذاتها [التصويت الجماعي الكثيف] مؤكدة ظهور قوة تعبوية تسمى «اليمين المسيحي» فرضت على التشكيلات السياسية الكبرى التنسيق معها. وفي عام (١٩٨٠م) قدم اليمين المسيحي دعمًا حاسمًا للمرشح الجمهوري رونالد ريجان لكي يفوز بالانتخابات الرئاسية.

وباختياره أن يكون حليف الجمهوريين المحافظين احتل اليمين المسيحي منذ عام (١٩٨٠م) الجناح اليميني للحزب الجمهوري. ومنذ ذاك الوقت يصوِّت الإنجيليون[*] ـ الذين يرتبطون في قسم كبير منهم باليمين المسيحي ـ لصالح الحزب الجمهوري، ويدعمون المرشحين المحافظين على كافة المستويات: الفيدرالية، والولايات، والمحليات (كرومارتي، ١٩٩٣م ـ ولكوكس، ٢٠٠٠م). وجاءت الانتخابات الرئاسة في عامي ٢٠٠٠ و٢٠٠٤م لتؤكد هذا التوجه، وأثبتت بوضوح أن قوة جورج بوش تأتي، في قسم منها، من اليمين المسيحي، وأن

(*) الإنجيليون: لا يعني هذا المصطلح «المؤمن بالإنجيل» بالمعنى الواسع للكلمة، وإنما ينطبق على وقائع وجماعات مختلفة وفقًا للفترات وتبعًا للأمكنة. في البداية كان الإنجيلي يعني البروتستانتي وذلك في القرن السادس عشر. أي ذلك الذي يعود مباشرة ـ إلى الكتاب المقدس دون الرجوع للبابا وكبار رجال الكنيسة. ثم أصبح الإنجيلي ـ من الكلمة اليونانية التي تعني الخبر السار ـ هو الاسم البريطاني والأمريكي الشائع الذي يطلق على حركات الصحوة المسيحية في المناطق التي تتحدث باللغة الإنجليزية، خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر واليوم تطلق الإنجيلية على كل مسيحي تقليدي يؤمن بالمعتقدات الأساسية التي أجمع ـ عليها إنجيليو القرن التاسع عشر وهي: المرجعية العليا للكتاب المقدس وحده، وبوصفه معصومًا من الخطأ ويجب تفسيره حرفيًّا. ويفوز بالخلاص من يؤمن بالمسيح، الذي صُلب ـ افتداء للبشر من الخطيئة الأولى، وقام من الأموات بعد صلبه. وأهمية الاهتداء الروحي من خلال الميلاد من جديد، وضرورة التبشير، لتنصير باقي الأمريكيين والعالم بأسره. والمجيء الثاني للمسيح ... (المترجم).

مساعدة الطائفة الإنجيلية له ضرورية للبقاء على سلطته. ويشكل حضور الإنجيليين في البيت الأبيض مؤشرًا إضافيًا على النفوذ الواضح لليمين المسيحي على الأوساط السياسية الأمريكية. وليس هناك أدنى شك في أن الأحداث التي تلت ١١ سبتمبر، كان لها تأثيرها في تدعيم الروابط بين الرئيس الأمريكي واليمين المسيحي الأشد تصميمًا على العمل السياسي أكثر من أي وقت مضى. وهو ما يفسر أن هذا اليمين المسيحي يجد نفسه اليوم تحت دائرة الأضواء.

بالطبع ليس النشاط السياسي للجماعات الدينية أمرًا جديدًا، إذ لعبت هذه الجماعات دورًا مهمًا في الحياة السياسية الأمريكية (ريشلي ١٩٨٥م، كوزمان ولاشمان ١٩٩٣م، كوربيت، ١٩٩٩م، وريشيه ٢٠٠١م). غير أن هذا الظهور الكبير للديني على الساحة السياسية يكتسب أهمية خاصة ، فالأمر يتعلق بمسألة ساخنة تحتل، منذ فترة، مقدمة الساحة الإعلامية، وتلقي الضوء، بشكل خاص، على جوانب ذات دلالة بالأحداث السياسية والدينية الأمريكية في الوقت الراهن ومنها:

• تزامن الصعود البارز للديني بوصفه قوة سياسية ـ والذي يشكل اليمين المسيحي تجسيده الأكمل ـ مع عودة الحيوية أيضًا للأفكار المحافظة اليوم. وبالطبع يعود تحالف الاتجاه السياسي المحافظ مع الاتجاه الديني المحافظ إلى أصول بعيدة. غير أن علاقاتهما لم تكن قط بمثل هذا الارتباط. فالاتجاهان على درجة من التقارب إلى حد أن برنامج الحزب الجمهوري يتركز أكثر فأكثر على القضايا الاجتماعية والثقافية، وهي تلك المسائل ذاتها التي يتناولها الدعاة الإنجيليون كل يوم أحد. وهناك مؤشر آخر ذو دلالة وهو أن المرشحين الثلاثة لانتخابات الرئاسة الأمريكية عام (١٩٨٠م) ـ جيمي كارتر، رونالد ريجان، جون أندرسون ـ قدموا أنفسهم للناخبين بوصفهم من المولودين ثانيـة مسيحيًا. وكان هـذا الأمر لا سـابق له في التاريخ السياسي للولايات المتحدة.

• للمرة الأولى في تاريخ الولايات المتحدة نجد إنجيليين وأصوليين وخمسينيين يعبئون أنفسهم سياسيًا على نطاق واسع. ومنذ أواسط عام (١٩٧٠م)، لم يعد للاعتكاف الديني البريق ذاته لدى عدد كبير من الإنجيليين الذين انخرطوا بصورة جماعية مكثفة في العمل السياسي الحزبي.

• يقف خلف هذه التعبئة السياسية غير العادية للبروتستانت المحافظين قناعات دينية (المسيانية ـ الأخلاق اليهودية والمسيحية ـ النزعة الألفية). وهذا التجذر الديني ذو الأصول الإنجيلية والذي في الغالب لم يقيم جيدا ولم يعرف حق المعرفة ـ على الأقل هنا في هذا الجانب من الأطلنطي ـ يستحق أن نهتم به طالما أنه يلعب دورًا محوريًا في فهم خصوصية اليمين المسيحي.

• ونظرًا لأنه يربط السياسي بالديني، فإن اليمين المسيحي يطرح للمناقشة مسألة الفصل الدستوري بين الكنيسة والدولة. كثيرون أولئك الذين لا يحبذون انخراط الدعاة الإنجيليين والأصوليين في العمل السياسي. ويرى آخرون أن التعبيرات الرسمية المتنوعة التي تكشف عن تدين الرئاسة (مثل تصريحات بوش على سبيل المثال) وانتشار النزعة الوطنية ذات الملامح المسيحية إنما تخرق الحدود بين السياسة والدين، وتنتهك بذلك مبدأ الفصل بينهما الذي هو أساس العلمانية الأمريكية.

• وهي المرة الأولى، أيضًا، والتي يعلن فيها المسيحيون المحافظون، في الولايات المتحدة، عن عزمهم الوصول إلى السلطة السياسية من أجل فرض الأخلاق الدينية بقوة القانون. وبذلك تحول الديني إلى أيديولوجية سياسية. وبتقديم أنفسهم كبديل سياسي فإن هؤلاء المناضلين المسيحيين يطرحون كثيرًا من القضايا، سواء فيما يتعلق بقدرتهم على جذب أغلبية الناخبين الأمريكيين لمشروعهم، أو فيما يتعلق أيضًا بممارسة تأثير سياسي عام على الأمد البعيد.

• وفي الوقت ذاته الذي يكشف فيه عن ارتباط الشعب الأمريكي بالدين والقيم التقليدية، لا يكشف اليمين المسيحي أيضًا عن نزعة راديكالية ونزعة أخلاقية، هي من مكونات الحياة السياسية والدينية الأمريكية، والتي تشهد انبعاثات دورية.

• كذلك تكشف مسيرة اليمين المسيحي عن حركة تململ عنيفة مؤسسة على قناعة راسخة ترى أن الخطر المترصد بأمريكا، وعلى نحو أكثر شمولاً المستهدف للحضارة الغربية، منذ عدة عقود، صار على وشك الحدوث أكثر من أي وقت مضى. ويأتي استعجال تطبيق القيم التقليدية كرد على قرب حدوث هذا الخطر.

• على الجانب الآخر من الأطلنطي، يتزامن تسييس الدين مع تراجع الكنائس الكبرى التقليدية (الأسقفية، واللوثرية(*) والكالفينية)(**) الأكثر مسكونية والأقل انغلاقًا مع

(*) لوثــري: عضو في حركة إصلاحية أطلقها مارتن لوثر داخل الكنيسة في نهاية العصور الوسطى، وتركز اللوثرية على النعمة الحرة للرب في عيسى. واللوثريون يقيمون في الولايات المتحدة منذ عام (١٧٤٢م) مع وصول المهاجرين ذوي الأصول الألمانية والإسكندنافية. (المترجم).

(**) الكالفينية : طائفة بروتستانتية مؤسسها المصلح جان كالفن، ويعتبر الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد للعقيدة حتى لو كانت قرارات المجامع الخمسة الأولى مقبولة فيها بشكل عام. وتحتل فيها عقيدة القدر المسبق مكانة حاسمة. وتعتمد فقط اثنين من الأسرار المقدسة (التعميد والعشاء السري (الأخير). وتمجد الأخلاق الكالفينية فضيلة العمل، وكذلك الربح الناتج عنه وتشجع البنى الديمقراطية. (المترجم).

الصعـود المتلازم لحركة إنجيلية ذات صبغة أصولية واضحة، والتي تظهر بسرعة أنها قادرة على بناء ذاتها وشغل كنائس ضخمة تتسع لعشرة آلاف شخص.

● غير أن انبعاث الديني، في الولايات المتحدة، في شكل أيديولوجية سياسية فريدة من نوعها إنما يقع في سياق أكثر اتساعًا. ونشاهد منذ عدة عقود امتلاء الساحة السياسية الدولية بظواهر متنوعة ذات ملامح دينية : السيخ في الهند، الاتجاه الانفصالي في البنجاب، الحركات الإسلامية في إفريقيا والشرق الأوسط، مرورًا باليهود المتشددين في إسرائيل، ودون أن نغفل صحوة المتشددين الكاثوليـك في أوروبا (كيبل ١٩٩١م، مارتن وايلبي ١٩٩١م، فورست وفيز ٢٠٠٣م) . وعندما أدركت أجهزة الإعلام الأمريكية إلى أي درجة يحتل المسيحيون المحافظون مكانهم في الحزب الجمهوري وعلى الساحة السياسية بشكل عام، أعادت اكتشاف البروتستانتية الإنجيلية بعد أن تم تجاهلها لفترة طويلة ـ بالإضافة إلى الثقافة الشعبية الإنجيلية التي وصلت إلى قمة ازدهارها.

ولم يعد ممكنًا أن يتجاهل أحد هذا النفوذ الذي يمارسه اليمين المسيحي على الساحة السياسية، وأصبح يثير كثيرًا من الجدل والأحكام القاطعة، كما شغل العناوين الكبرى وأنتج حوارًا متوترًا لا يساعد على التفكير [العقلاني]. ومهما يقل عنه خصومه، فإن اليمين المسيحي قد اكتسب ثقلاً ونفوذًا معتبرًا ومذهلاً، فهو ينزل بثقله في الانتخابات، وفي بعض الأحيان يشكل قوة الحسم في بعض الولايات. وصار اليوم فاعلاً سياسيًا وقوة انتخابية لا يمكن تجاهلها، إلى درجة أن أي مرشح لرئاسة الجمهورية لا يمكنه أن يغامر بالابتعاد عن دعم هذا اليمين المسيحي. كما نجح، من جهة أخرى، في جعل قضايا مثل الإجهاض وحقوق المثليين في قلب الحوار السياسي، وجعل الموقف منها تحديًا مهمًا. ومن الأمور ذات الدلالة أيضًا في هذا الشأن أنه لا توجد ـ منذ أعوام الثمانينيات ـ حملة انتخابية لم تتناول القضايا العزيزة على قلب قيادات اليمين المسيحي، ناهيك عن أن الثقل السياسي للطائفة الإنجيلية واليمين المسيحي قد تأكدا بشدة أثنـاء الانتخابات الرئاسة في عامي ٢٠٠٠م و ٢٠٠٤م. وبالإجمال فإن كل شيء يدعو إلى الاعتقاد بأن اليمين المسيحي جاء ليبقى، ولهذا يستحق أن يؤخذ بجدية.

ونحن نقول ذلك لا يعني أننا نلعب دور المدافع عن هذا التيار. فلا يتعلق الأمر ـ في هذا الكتاب ـ بشيطنة هذا اليمين المسيحي ولا برد الاعتبار إليه. هذا البحث ينتمي إلى نمط من التأليف يعتمد الملاحظة والتحليل أكثر من المرافعة والدفاع. وهدف الكتاب الرئيسي هو تقديم تفكير موضوعي وعلمي حول قضايا متنوعة تسم العلاقات بين اليمين المسيحي والمجتمع الأمريكي

بكامله. فإذا أردنا أن نفهم جيدًا هذا التيار فمن الضروري أن نتناوله عبر تطوره التاريخي والاجتماعي والسياسي بدلاً من أن نحكم عليه بصورة عامة وانطلاقًا من أحكام مسبقة ومتسرعة. وبدون وضعه في الاعتبار بطريقة موضوعية سنظل عند ظاهر الأمور، ولن نفهم مداخله ومخارجه. وبالتالي فإن الروية والاعتدال، وليس الخلط والتنديد، ينبغي أن يكونا زادنا. لقد أنجزت دراسات كثيرة في الولايات المتحدة عن اليمين المسيحي، حيث أفضى هذا التيار إلى ظهور مطبوعات جامعية وصحفية مؤيدة ومعارضة في آن. ولم يكن هذا هو الحال في فرنسا حيث التأريخ لليمين الأمريكي (سواء أكان سياسيًّا أم دينيًّا) لم يتجاوز صورة المختصرات الموجزة (توانييه ١٩٨٠م، برتران ١٩٨٨م، بن بركة ١٩٩٩م، فورست ٢٠٠١م، فاث أ ٢٠٠٤م و ب ٢٠٠٤م) .

ومنذ أحداث ١١ سبتمبر تزايدت الكتب ـ التي تتناول الولايات المتحدة ورئيسها جورج بوش باللغة الفرنسية. وظهرت أعمال عديدة، في هذه السنوات الأخيرة، عن شخصيته ولا سيما عن تدينه. وصدرت كتب أخرى عن سياسته الخارجية، وعن دور المحافظين الجدد في اندلاع الحرب ضد العراق، وكتب أخرى عن انتخابات نوفمبر عام (٢٠٠٤م). أما فيما يتعلق بالعلاقات بين الرئيس بوش واليمين المسيحي فلم تعالج إلا بوصفها ظاهرة هامشية حيث إنه لم يتم تناولها، في كل مرة، إلا بصورة موجزة. ولم تكرس حتى الآن أي دراسة معمقة باللغة الفرنسية عن اليمين المسيحي في مجمله، ولكن لذلك يرسم هذا الكتاب لنفسه هدفًا وهو كشف وتفسير العناصر الضرورية التي تؤدي إلى فهم هذا اليمين المسيحي الأمريكي، وبدون الادعاء بأن هذا الكتاب يمثل تحليلاً حصريًّا للمسألة.

ينقسم هذا الكتاب إلى خمسة فصول. يبدأ الأول بإيضاح العلاقات بين السياسي والديني في الولايات المتحدة ثم التعريف باليمين المسيحي بإلقاء نظرة على أصوله التاريخية وخصائصه وتطوراته، ويجتهد الفصل الثاني في تحديد الهوية الإنجيلية في أشكالها المتنوعة، بهدف فهم الأصول الإنجيلية، وبشكل أكثر تحديدًا، الأصولية لليمين المسيحي، كما يتم أيضًا تحليل الخريطة السيوسيولوجية للإنجيليين في شمال أمريكا. ويتناول الفصل الثالث بالتحليل برنامج اليمين المسيحي والإستراتيجيات المتنوعة التي يستخدمها لتنفيذ المطالب التي يدعو إليها. ويهتم الفصل الرابع بالعلاقات بين إدارة بوش واليمين المسيحي، مع اهتمام خاص بنزعة بوش الدينية، ودور الإنجيليين الذين يشكلون جزءًا من بلاطه. ولكي ندرك قوة وحدود اليمين المسيحي كرسنا الفصل الخامس والأخير لتناول ردود الأفعال التي أثارها هذا التيار وقدمنا تقييمًا لنشاطه السياسي والاجتماعي.

الفصل الأول

اليمين المسيحي «استثناء أمريكي»

أدى صعود اليمين المسيحي كقوة سياسية إلى فتح الحوار من جديد حول مسألة تداخل الديني والسياسي في الولايات المتحدة، وأفضى، على نحو خاص، إلى التساؤل عما إذا كان النشاط السياسي للإنجيليين في قلب هذه الحركة يشكل تهديدًا للفصل الدستوري بين الكنيسة والدولة.

من المعروف أن الربط بين السياسي والديني في الولايات المتحدة ليس جديدًا، حتى لو كان من الثابت أن علاقاتهما، على مدار العقود الثلاثة الأخيرة، قد تدعمت بصورة استثنائية. فمنذ الفترة الاستعمارية وحتى أيامنا هذه، لعبت المعتقدات الدينية دورًا جوهريًّا في الحياة السياسية. وفي مناسبات عديدة فرض الدين نفسه كعنصر حاسم في الحملات الانتخابية والانتخابات الرئاسية. لقد انتخب الأمريكيون رجالاً ربطوا بين معتقداتهم الدينية والوظائف الرسمية التي شغلوها. وهكذا اختلط الدين بشكل دائم بالقضايا الكبرى لحياة البلد مثل العبودية والحقوق المدنية وحرب فيتنام وحقوق المثليين، وحقوق المرأة، وعقوبة الإعدام والإجهاض.

وفي اللحظة نفسها التي يُجدد فيها النظر إلى الخصوصية الدينية للأمريكيين يفرض علينا التساؤل حول العلاقات بين الديني والسياسي أن نضع القضية في سياقها التاريخي وأن نحدد القواعد والقوانين التي تحكم هذه العلاقات. وإحدى مزايا هذا الطرح أنه يسمح بتحديد أفضل للإطار العام الذي من خلاله يستلهم اليمين المسيحي جذوره البعيدة.

السياسي والديني في الولايات المتحدة:السياق العام

«الدين المدني(*)» للولايات المتحدة

يكتشف المراقب أن فرنسا معلمنة بقوة حيث النفوذ الكاثوليكي في تضاؤل، بينما أمريكا

(*) الدين المدني: كان جان جاك روسو أول من استخدم هذا التعبير في مراسلاته مع فولتير عام ١٧٥٦م. ثم شاع استخدامه في محاولات كثيرة، بعد ذلك، بغرض التوفيق بين ضرورات الدين ومتطلبات المجتمع الحديث. (المترجم).

علمانية، وفي الوقت نفسه متدينة بعمق، وبطريقة غير متوقعة أحيانًا. فالبلد الأكثر تطورًا في العالم يظل أحد البلدان الأكثر تدينًا. فالشيء العجيب أن هذا البلد المنخرط بقوة في الدين هو بلد علماني. وليس مصادفة إذا كان اليمين المسيحي يزدهر فيها إلى درجة يشكل فيها إحدى القوى السياسية الأكثر تأثيرًا في البلد.

وتتجلى خصوصية الولايات المتحدة فيما يتعلق بالدين ـ وهو ما يطلق عليه بصورة شائعة «الاستثناء الأمريكي»[1] ـ عبر أشكال عديدة وينتشر في اتجاهات مختلفة: حضور للديني على نطاق واسع، حيوية دينية استثنائية، وتنوع مدهش للتشكيلات الدينية (هناك ما لا يقل عن ١٥٠٠ جماعة دينية). وفى اللحظة التي نشهد فيها تخليًا عن المسيحية يهدد عديدًا من الدول الأوروبية، لا سيما فرنسا وبريطانيا وهولندا، وحيث المناصرون للعلمنة يدعون إلى التخلي عن المقدس وفقدان أي معنى ديني في المجتمعات الصناعية المتقدمة، نجد في الولايات المتحدة تجددًا دينيًا عميقًا ومنتشرًا ومتعدد الأشكال في أن مثل الافتتان بالباطنية والطوائف والأديان الشرقية، وتزايد واضح لعدد المولودين ثانية مسيحيًا وصعود القوى للبروتستانتية المحافظة. وكان من نتائج هذه الحركة العميقة إعادة تشكيل الخريطة الدينية الأمريكية.

غير أن ما يمكن أن يوضح هذا الاستثناء الأمريكي بصورة أفضل هو هذا التدين الشديد للأمريكيين، كما توضحه بعض المؤشرات التالية: ٩٥٪ منهم يؤمنون بالرب- أيًا كان اسمه - أو يؤمنون بكائن أسمى، و٦٧٪ ينتمون إلى طوائف دينية، و٤٠٪ يمارسون بانتظام التدين، و٨٠٪ يعلنون أنفسهم مسيحيين، فقط من ٣ إلى ٥٪ تقريبًا، وفقًا للاستطلاعات، يؤكدون أنهم ملحدون (جالوب، ٢٠٠٠م ص١-٢).

من المهم أن نعرف أن مستوى المشاركة الأسبوعية فى الصلاة، قد انخفض في فرنسا بين عامي ١٩٥٠م و١٩٩٥م من ٣٠٪ إلى أقل من ١٠٪. ونسبة الممارسة الأسبوعية في أيرلندا ٨١٪، و٤٠٪ في إيطاليا، و٣٣٪ في إسبانيا والبرتغال، ٢٣٪ في بلجيكا، ٢١٪ في هولندا، و١٩٪ في ألمانيا، و ١٣٪ في إنجلترا. ووصل المتوسط الأوروبي إلى ٢٩٪ (أشفورد وتيمس، ١٩٩٢م، رافيس وهيرفيو ـ ليجيه، ١٩٩٦م).

أعد معهد جالوب ومركز البحث حول الأديان وجمعية أوربان المدنية «أطلس الروحانيات» الذي يستعرض «الحالة الروحية للأمة ». كانت النتائج: ٧٧٪ من الأمريكيين يعتقدون أن

المسيرة الجيدة للأمة تعتمد على الصحة الروحية، ٧٢٪ يؤكدون أن حياتهم لا معنى لها إلا بامتلاكهم الإيمان، وبالنسبة الـ ٦٠٪ يطبق الإيمان على كل جوانب الحياة، ويرى ٧٤٪ أن الله يؤثر بقوة في وجودهم (بانكس ٢٠٠٣م). ويظهر استطلاع رأي آخر أن ٥٣٪ من الأمريكيين يرون أن الدين مهم جدًّا بالنسبة لحياتهم (تاكيت،٢٠٠٣م). ومنذ ١١ سبتمبر عام (٢٠٠١م)، تضاعف دور الدين في حياة الأمريكيين بصورة ذات دلالة، إذ وصل عدد الذين يؤمنون بوجود جهنم إلى ٧٠٪ من السكان البالغين. وبالنسبة لأغلب المواطنين الأمريكيين، وحده رجل الإيمان هو الذي يملك القوة الداخلية الضرورية لقيادة البلد في زمن الحرب. ولا يقتصر دور الديني على الممارسات الفردية بل يمتد إلى المجال العام. في الواقع يشكل الدين جزءً مكونًا وضروريًّا للمجتمع الأمريكي. ولا يوجد في أي لحظة من تاريخها انقطاع بين الأمة الأمريكية وجذورها الدينية. وتتأسس علاقة الدين بالمجتمع في الولايات المتحدة وفقًا لمعدلات تختلف عن نظيرتها في أوروبا. وساعدت روايات الكتاب المقدس (العهد القديم) على تشكيل الأساطير القومية المؤسسة لأمريكا (مارينستراس، ١٩٩٢م) . وكان لدى الرواد الأوائل شعور بأنهم يقومون من جديد بالسيناريو الكتابي المقدس ـ مع إضفاء الطابع الراهن عليه ـ لشعب مختار يغزو أرض الميعاد. وكل حدث كان يعاش، بصورة أو بأخرى، من خلال بعد ديني، أي يعبر عنه بكلمات وصور الملحمة الأمريكية الكبرى، أي حكاية شعب مبارك من الله ويحمل قدرًا ومهمة.

ينتشر الدين في كل مكان، إذ وصل تقاطع الديني مع ما هو غير ديني إلى درجة أن المجال الاجتماعي والمجال الديني كان لديهما ميل للتمازج. وكان الدين يغذي ويَهدي الأيديولوجية الوطنية. وبوصفه مصدرًا للاستقرار وخميرة التجدد الدائم، يضمن الدين تماسك الأمة الأمريكية ويحفظها من الشك: فهو يشكل الرباط الضروري لأمة قد تسقط في الفوضى بدون قيم مشتركة. فالإيمان بالله والإيمان بأمريكا يتشابكان طوعيًّا، وبصمة الدين على المجتمع الأمريكي قوية إلى درجة أن أي تقييم سيظل غير كامل إذا تغافل عن البعد الديني.

في أحد كتبه الأخيرة، المعنون «الاستثنائية الأمريكية»، يدافع سيمور مارتن ليبست عن فرضية الاستثناء الأمريكي :«فالولايات المتحدة تجسد أيديولوجية في حد ذاتها، ورؤية شاملة مبنية على قيم تسمح لها بالاختلاف عن البلاد الصناعية الأخرى. ترتكز العقيدة الأمريكية ـ كما يراها عالم السياسة هذا ـ حول خمسة محاور تنظم الحياة بأسرها: الحرية، والمساواتية (بمعنى

المساواة في الفرص وليس الظروف)، والفردية، والشعبوية، و« دعه يعمل» (ليبست،١٩٩٧م ص١٩). وبتأكيده على أن «الأمريكيين هم أكثر البروتستانت ممارسة للدين، وهم أكثر أصولية من بين بقية المسيحيين» يحدد سيمور ليبست الفكرتين الرئيسيتين اللتين تغذيان فرضية «الاستثناء الديني[٢]» للولايات المتحدة (ص٦١).

يشكل الحضور الكبير للشعارات والرموز الدينية في المجال العام جزءً مما يسميه عالم الاجتماع روبيرت بللاه(*) «الدين المدني» (بللاه، في الكساندر وسيدمان،١٩٩٠م، وبيرار دوليندر، ١٩٨٨م، وفاث، ٢٠٠٤م). ويتقاطع تعريفه للدين المدني بصورة كبيرة مع تعريف جان جاك روسو في العقد الاجتماعي (الكتاب الرابع). في هذا الكتاب يؤكد الفيلسوف المولود في جنيف أن الدين المدني ينطلق من وجود الله، والحياة بعد الموت وعقاب الرذيلة، ورفض عدم التسامح الديني، بالنسبة لـ بللاه كما بالنسبة لروسو، فإن إله الدين المدني هو إله موحد ومرتبط بالنظام والقانون. وكذلك الاعتقاد بأن الدين لا يجد هويته في أي مذهب بعينه. فالدين المدني، كما نَظَّرَ له روبرت بللاه، هو نوع من دين عام مؤسس من «مجموع معتقدات ورموز وطقوس مرتبطة بوقائع مقدسة ومنظمة رسميًا داخل المجتمع» (بللاه في مالكوغلاف وبللاه، ١٩٦٨م ص ١٠). ونادرًا ما وقع الدين المدني في تناقض مع المبادئ العلمانية الأساسية، طالما، كما لاحظ ذلك جان بوبيرو، أن العلمانية «تتضمن أيضًا خصائص من الدين المدني» (بوبيرو، ٢٠٠٤م ص ٢٥). وإحدى وظائف الدين المدني هي إعطاء الأمة شرعية بتوحيدها في اللحظات الصعبة بعيدًا عن الارتباطات الحزبية، وتوحيدها كذلك عن طريق أساطير الأصول المؤسِّسة لها، وعن طريق الروايات والتواريخ التي تجد فيها الأمة نفسها والقيم المشتركة والطقوس العامة. وبدون أن يكون منغلقًا أو مسيحيًا بصورة حصرية يريد الدين المدني أن يكون معتدلاً وذا طبيعة توافقية، ولا سيما بعمله على التقريب بين المعتقدات الأكثر اختلافًا دون الإساءة إلى أي منها. وهو يشير إلى الطابع المقدس والمتعالي للمؤسسات والتاريخ الأمريكي: فالأبطال القوميون تم تقديسهم والتاريخ القومي يكتب في التاريخ المقدس. في العمق، يبدو الأمر كشكل متسام من القومية التي هدفها توحيد المواطنين من خلال تعزيز الشعور لديهم بأنهم يكونون شعبًا استثنائيًا. وفي قلب

(*) لم تبدأ فكرة الدين المدني مع عالم الاجتماع روبيرت بللاه ولكن أعماله جذبت انتباه العلماء ونبهت عقول عامة الشعب الأمريكي. انظر: الدين والسياسة في المجتمع الأمريكي، مايكل وجوليا ميتشل ص٣٢، جزء ١ (المترجم).

مثل هذا النظام من المعتقدات والرموز، يعتبر ترشيح رئيس ما طقسًا من الطقوس المهمة، ذلك لأنه يعيد التأكيد على المشروعية الدينية لأعلى سلطة سياسية.

من الأمور ذات الدلالة أيضًا أن يكون العيد القومي الأكبر هو عيد الشكر، والذي يحتفل به في الخميس الرابع من شهر نوفمبر، وهو عيد يُثبِت تقليد يوم عمل خيري كان يقوم به الحجاج / المهاجرون ـ الذين جاءوا على سفينة ماي فلاور ـ لله بعد أول حصاد في نوفمبر عام (١٦٢١م). وجاءت تظاهرات أخرى لتكمل عيد الشكر مثل يمين العلم (أمة واحدة تحت رعاية الله)، صلوات / إفطار بالرئاسة التي يتابعها ملايين المشاهدين كل عام. ويشكل اليوم القومي للصلاة موعدًا أساسيًّا للدين المدني الأمريكي[٣].

في عام (١٨٦٤م) سكَّت الدولة عبارة «نحن نؤمن بالله» على الأوراق والعملات النقدية[٤]. ويمكن أيضًا حصر ست ولايات على الأقل بالولايات المتحدة تملك مدنًا لها أسماء مثل بيت لحم والقدس في ولاية أركنساس، وكنعان في ولايات ميسوري، والناصرة في ولاية تكساس، وأريحا في ولاية يوتا. ويمكن أن تقرأ على جدران مبنى الكونجرس، في واشنطن: «العهد الجديد وفقًا لإلهنا ومنقذنا عيسى المسيح»، كما يوجد أسفل درجات مبنى الكونجرس تمثال للمسيح على الصليب .

حاليًّا تستند السياسية الداخلية والخارجية للولايات المتحدة، أكثر من أي وقت مضى على «دين مدني»، والذي رغم احترامه للفصل بين السلطات، يخاطر بالهجوم الشديد على أصول العلمانية. وظهر تراث الدين المدني في نظر كثير من المراقبين بوصفه شيئًا تم توظيفه مثله مثل الأديان الأخرى، لأغراض حكومة سياسية تعيش فشلاً ديمقراطيًّا. وكما أشار إلى ذلك سباستيان فاث[*]، لم تعد الوظائف الوطنية والتوحيدية للدين المدني تجد مشروعيتها في الأمة، كما وصفها بللاه[**]، وإنما أدخلت من علٍ، فها هنا نجد تناقضًا في المعنى قد يشكك في قواعد الحياة الديمقراطية بالولايات المتحدة، كما وصفها توكفيل (فاث أ، ٢٠٠٤م) .

(*) سباستيان فاث: من أبرز الباحثين الفرنسيين المتخصصين في الدراسات الأمريكية . ويعمل ضمن مجموعة علم الاجتماع والأديان والعلمانية (EPHE/CNRS). ومن مؤلفاته: مناضلو الكتاب المقدس (٢٠٠٤م) عن دار أوترمو، وكتاب البروتستانت الإنجيليون في فرنسا (٢٠٠٥م). وكتاب الله يبارك أمريكا (٢٠٠٤م) عن دار سوي (المترجم).

(**) روبيرت بللاه: عالم اجتماعي أمريكي (١٩٢٧-)، كتب مجموعة من الكتب في نطاق علم اجتماع الدين. وحقق شهرة واسعة بحديثه عن الدين المدني، الذي يجمع، من وجهة نظره، شمل كل الأمريكيين بغض النظر عن عقيدتهم وأصولهم الاجتماعية. والجدير بالذكر أن جان جاك روسو هو أول من استخدم تعبير الدين المدني والذي كان الهدف منه دائمًا التقريب بين متطلبات الدين ومتطلبات المجتمع الحديث. (المترجم).

الدين، دعامة الديمقراطية الأمريكية

لعب الدين دورًا جوهريًا في السياسية الأمريكية. وطبع بطابعه الحياة والممارسات السياسية وظل الفكر الديني والفكر السياسي مرتبطين بصورة ودية حتى الوقت الحاضر في هذه السياسة الأمريكية. وعلى مدار التاريخ الأمريكي بأسره نسجت علاقة بنيوية ولم تتوقف عن النمو، بين التقليد الديني التعددي والتقليد الديمقراطي. وعلى نقيض ما جرى في أوروبا، فإن الدين [في أمريكا هو الذي أفضى إلى التنوير وهو الذي غذى التطلعات نحو الاستقلال الذاتي الفردي الذي يشغل مكانة مركزية في الثقافة الدينية والسياسية الأمريكية. ويمكن القول إن الدين لم يفرض نفسه باستثناء ظاهرة الملاحقة في مستعمرة ماساشوستس، والعبودية والنشاط التبشيري بين الهنود الحمر. وفي أغلب الأحيان كان المهاجرون هم الذين يختارون الدين وينظرون له كمرجعية كبرى وكعلامة على التماهي والاندماج في جماعة أكثر اتساعًا. وهو ما يفسر أن الولايات المتحدة لم تشهد قط الصراعات الدينية الجذرية التي أدمت أوروبا، وأن ثورتها [الأمريكية] لم تقم باستئصال التراث الديني كما عرفته الثورة الفرنسية أو الروسية، بل على العكس لعب الدين دورًا حاسمًا في بزوغ الديمقراطية، وهو أحد أعمدة المؤسسات السياسية فيه . وقد أقر الكسي توكفيل(*)، في بداية القرن التاسع عشر، وهو مراقب خارجي مدفوع بالمقارنة مع فرنسا، بالدور المتفرد للدين كباعث على ظهور الديمقراطية الأمريكية: «إنه الدين الذي أعلن عن نشأة المجتمعات الأنجلو أمريكية، ولا ينبغي أن ننسى أبدًا أن الدين في الولايات المتحدة يمتزج مع كل العادات القومية وكل المشاعر التي عملت على نشأة الوطن، وهذا يعطيه قوة مميزة » (توكفيل،١٩٨٦م ص ٤٣٤). وفضلاً عن ذلك، فالدين ضروري لبقاء الديمقراطية كما تشهد على ذلك تعليقات توكفيل ذاته: «لا أعرف إذا كان لدى كل الأمريكيين إيمان بالدين، فمن يمكنه أن يقرأ ما بالقلوب؟ لكنني على يقين أنهم يعتقدون بأنه ضروري لبقاء وتماسك المؤسسات الجمهورية». (ص٤٢٧) .

يظهر البعد الديني باستمرار في الخطابات السياسية. ونجد كل رجال السياسة، وحتى أولئك الذين لا يُعْرَفْ عنهم التدين كثيرًا، يشيرون بصورة منتظمة إلى الكتاب المقدس. ويحلف

(*) اليكسي توكفيل: قانوني وسياسي فرنسي زار الولايات المتحدة في بداية القرن التاسع عشر، وألف كتابًا شهيرًا بعنوان : الديمقراطية في أمريكا (١٨٣٥م). (المترجم)

رؤساء الولايات المتحدة اليمين الدستوري على الكتاب المقدس، سواء كانوا من الجمهـوريين أم من الديمقراطيين. وعلى المنوال نفسه نجد الدعوة إلى الرب التي تختم الخطـاب الرئاسي صـارت تقليدًا يُحتذى به.

نشأة العلمانية الأمريكية وتاريخها

يُعطي كل ما سبق الانطباع بأن الولايات المتحدة دولة دينية. غير أن الأمر ليس في ذلك من شيء؛ حيث إن الدستور الفيدرالي منذ عام (١٧٩١م) يعلن الفصل بين الكنائس والسلطات العامة، التي ستأخذ شرعيتها فيما بعد من المحكمة العليا. ونجد على الصعيد التاريخي أن العلمانية ـ التي يحددها الأمريكيون من خلال تعبير الفصل بين الكنيسة والدولة أو من خلال تعبير العلمانية ـ سابقة على الدستور، وتعود بأصولها في الواقع إلى الفترة الكولونيالية.

لقد شهدت العلمانية، قبل أن تأخذ طابعها المؤسساتي، التطور نفسه الذي عرفه مفهوم التسامح الذي تمتزج به. وإذا كانت الاضطهادات التي ارتكبها البيوريتانيون قد حمَّلت ولاية ماساشوستس بعض اللحظات الأكثر سوادً في تاريخها فإن التسامح كان موعودًا به في ماريلاند، وورود إيلاند، ونيوجيرسي، وديلاوار، وبنسلفانيا. ولا يمنع هذا من القول إنه «إذا استثنينا ماريلاند، في الزمن الذي شكلوا فيه الأغلبية، وربما رود إيلاند وبنسلفانيا وديلاوار، والتي كانت فيها روح التسامح النادر لروجيه وليام وجماعة الصاحبيين (المنجذبين) هي السائدة دائمًا»، فإن الكاثوليك في كل مكان أثناء الفترة الاستعمارية كانوا خارج القانون العام، وكانوا يتعرضون لقسوة شديدة وحماقات لا تنتهي عندما كانوا لا يريدون التخلي عن معتقداتهم عند حلف اليمين (جورد، ١٨٨٠م-١٩٠١م، ص ٣١٢). وحتى بين البروتستانت كان اضطهاد الضمائر هو السائد . وكانت بعض المواثيق القديمة توصي بـ الدين الإنجليكاني كدين رسمي لأمريكا الشمالية. ويؤكد ألفونس جورد أنه : «سواء كان الأمر ـ وفقًا للأماكن ـ مع إنجليكانية صرفة أو على العكس مع بعض العقائد المنشقة، التي لم يكن المركز ليسمح لها بوجود صريح، فالمؤكد أنه ساد دين حقيقي للدولة أثناء فترة أكثر أو أقل طولاً، في عدة مستعمرات» ص (٣١٣). وفي أغلب المستعمرات كان السكان يساهمون في تكاليف العبادة، وفي بناء المعابد الدينية والحفاظ على الأديرة. وكذلك كانت الصلاحيات لتقلد الوظائف العامة تعتمد على حلف اليمين والذي لم

يكن يمكن للمنشقين القيام به. في هذا السياق يظهر روجر وليام الانفصالي الذي يعتبر بدون شك فاتح الطريق أمام الفصل بين الكنيسة والدولة ؛ لأنه شرع في الدفاع عن حرية الفكر / الضمير بصورة مطلقة وحرية العبادة. وبعد أن كان يقيم منذ سنة (١٦٣١م) في مستعمرة خليج ماساشوستس قامت السلطات المدنية بطرده في عام (١٦٣٥م)؛ لأنه كان أولاً يعارض الاضطهادات التي يرتكبها البيوريتانيون، والتي كان يرى لأسباب تتعلق بالضمير أنها تتعارض مع عقيدة عيسى المسيح، وثانيًا نظرًا لاحتجاجاته العلنية ضد تدخل رجال الكهنوت في الحياة السياسية. بالنسبة له يشكل هذا التدخل تهديدًا لحرية الفكر/ الضمير والتجمع. وأخيرًا كان يحتج على الحق الذي يدعيه البيوريتان في الاستيلاء على الأراضي الهندو أمريكية.

لا بد من الإشارة مرة أخرى إلى أن البيوريتانيين كانوا معارضين بشدة للحرية الدينية وكانوا عند وصولهم إلى إنجلترا الجديدة مصممين على تأسيس ثيوقراطية(*)، كما كانوا متمسكين بإنشاء نظام مجتمعي على غرار النموذج الذي أسسه في جنيف جون كالفن والذي يشاركونه القناعة في أن القانون الإلهي ينبغي أن يحكم السلطة المدنية مثلما هو الحال مع السلطة الدينية. ووفقًا للنموذج الإبرشاني، مارست الكنيسة البيوريتانية(**) رقابة شديدة على الحكومة زهاء عدة عقود(٥). ولم يكن مسموحًا بأي انشقاق إذ كان البيوريتانيون يستخدمون سلطة الحاكم لإدانة أولئك الذين لا يفكرون مثلهم، ولاسيما المعمدانيين والصاحبيين والذين تم إعدام بعضٍ منهم (بونومي،٢٠٠٣م). وفضلاً عن ذلك أجازت السلطات الكنيسية بصورة منتظمة «قوانين زرقاء»(٦) تمنع الأفراد من تناول الكحول وممارسة الرياضة والمقامرات المالية في يوم الأحد .

بالنسبة لروجر وليام ليس للسلطة المدنية أي توجه مسياني(***). وليس على الحاكم المدني أن يهتم بمعتقدات رعاياه، ولا أن يفرض توحيدًا دينيًا فعليًا، وأن مهمته الرئيسية تكمن في حفظ السلام المدني وتوفير رفاهية معينة. وكانت عقيدة «النعمة الحرة» التي تبناها وليام روجر، وهو

(*) ثيوقراطية : حكومة يشرف عليها رجال الدين وتدعّي الحكم باسم الله . (المترجم).

(**) بيوريتانية: نزعة ذات أصول إنجليزية، وتدعو إلى إصلاح قريب مما يدعو إليه كالفن، وبالتالي أكثر راديكالية من كنيسة إنجلترا. ويطالب البيوريتان بتطهير العقيدة والطقوس الإنجليكانية، ويركزون على الخبرة الروحية لعملية الاهتداء والتطهير. ولأنهم اضطهدوا في إنجلترا اضطروا إلى الهجرة نحو بلاد مختلفة بأوروبا وحتى أمريكا (المترجم).

(***) المسيانية : مذهب يؤمن بأنه سيأتي إلى الأرض في المستقبل رسول من الله أو مسيح لإقامة نظام عادل وموافق لشريعة الله. (المترجم).

الأكثر راديكالية من بين القائلين بالانفصال، تمنع إمكانية أن يكون هناك ثيوقراطية أو حتى كنيسة محددة للدولة طالما لا يمكن لأي حاكم أن يحصل على يقين بخلاصه. وبما أن نعمة الله منحت مجانًا فبالتالي لا يوجد أي قائد سياسي يملك الحق في معاقبة المخالفين للقانون الإلهي دفاعًا عن مصالحهم الخاصة أو من أجل أن يصيروا عبرة لغيرهم. ومن جهة ثانية بما أنه يمكن لمرتكب خطيئة أن يعتبر قديسًا فإنه من المستحيل معرفة مقدمًا، من هو الحاكم الصالح الذي اختاره الله . وبعد حرمانه ونفيه من خوريته في عام (١٦٣٥م) اختفى روجر وليام ليظهر بعد ذلك وسط قبيلة هنود ناراجانتس. وفي يناير عام (١٦٣٦م) تمكَّن من شراء أرض أنشأ عليها مؤسسة صغيرة أعطاها اسم «البروفيدانس» «العناية الإلهية » كشكر لله على النجدة التي منحها إياه أثناء أزمته. وفي عام (١٦٤٤م) حصل روجر وليام على ميثاق ملكي كي يؤسس فيها مستوطنة رود إيلاند التي كان لفترة رئيسها التنفيذي (١٦٥٤ - ١٦٥٦م). و هنا بربط الكلام بالمبادرة أسس بداية دولة علمانية، بدون كنيسة رسمية، وبدون الإقرار بإيمان ديني محدد، وبدون ضرائب موجهة لتمويل الكهنة أو لتشجيع بناء المعابد الدينية. وكان النظام الذي أسسه روجر وليام مفتوحًا لكل الطوائف، وكان أول شهادة أمريكية للدفاع المنظم عن نظام تسامح ذي وجهة عالمية.

وفضلاً عن روجر وليام كان مؤسسو الجمهورية الأمريكية أمثال جورج واشنطن وتوماس جيفرسون وجيمس ماديسون وجون أدامز متأثرين بفلسفة التنوير[٧] وبفكر الفيلسوف الإنجليزي جون لوك عن التسامح. لقد أقام لوك تمييزًا واضحًا، وحتى فصلاً دقيقًا، بين المجتمع السياسي والجماعة الدينية : «أؤكد ـ كما كتب ـ على أنه ينبغي التمييز قبل أي شيء آخر بين شئون المدينة وشئون الدين، وأنه ينبغي تمييز الحدود الدقيقة بين الكنيسة والدولة» (لوك،١٩٦٥م، ص٦). وفي رأيه أن الكنيسة والدولة يتميزان عن بعضهما بطبيعتهما وبوظائفهما المختلفتين وهو ما يجعل الفصل بينهما ضروريًا. وباستعادة أدلة روجر وليام ورجال اللاهوت الانفصاليين في بداية القرن السابع عشر يقدم لوك الكنيسة بوصفها «مجتمعًا حرًّا مكونًا من أفراد اختاروا طواعية أن يعبدوا الله علانية » (ص ١٧). وأكد بذلك على حرية العبادة وحرية الفكر. وينبغي أن يفضي هذا ، كما يرى ، إلى التسامح المتبادل بين الأشخاص والكنائس . وعبر دستور عام (١٧٨٧م) تكرست الحرية الدينية ومبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة، والذي كان في طريق التبلور عندما نشبت حرب الاستقلال. ويعتبر هذا الدستور وثيقة علمانية، إلى درجة يمكن

القول معها، عن حق ، «إنه دستور بدون إله » (كرامنيك ومور، ١٩٩٦م) . فالدستور لا يشير إلى الدين إلا مرتين. فالمادة السادسة (الفقرة الثالثة) تمنع «أي اختبار ديني كشرط لصلاحية تقلد الوظائف العامة»، والتي وضعت تحت سلطة الكونجرس والسلطة التنفيذية الفيدرالية. وكان هذا الأمر يشكل قطيعة مع اختبار العمل الذي كان، في نهاية القرن السابع عشر في إنجلترا، يفرض الإقرار بعقيدة الكنيسة الإنجليكانية كشرط لاعتلاء كل المناصب المهمة بالوظائف العامة والجيش والقضاء.

كانت بعض وفود الولايات المطالبة بالتوقيع على وثيقة الدستور قد رأت أن الإجراءات المتضمنة في المادة السادسة غير كافية وطالبوا بإضافة ميثاق للحقوق يكون موضوعه تحديدًا واضحًا لسلطة الدولة الفيدرالية وتأمين عدد معين من الحريات الأساسية لا يعرضها هذا الأخير إلى الانتهاك .

كان أول هذه التعديلات العشرة التي تشكل ميثاق الحقوق، والتي أضيفت في عام (١٧٩١م)، يدعو إلى «ألا يشرع الكونجرس أي قانون يتعلق بسيادة دين محدد في الدولة أو يمنع الممارسة الحرة له». ويضمن الحرية الدينية من خـلال فقرتين: الأولى عرفت باسم «فقرة الإعلان عن دين رسمي» (وكذلك فقرة عدم الإعلان) تنص على أن الدولة من خلال أعمالها لا يمكن أن تساهم في إقرار دين محدد أو تعمل على تعزيزه. والفقرة الثانية المسماة بـ«الممارسة الحرة » تؤكد على حق كل فرد في الممارسة الحرة للدين الذي يختاره (الأمر الذي يتضمن الحرية في عدم الإيمان بدين ما)[٨]. ويضع هذا التعديل حجر الأساس لـ «علمانية» أمريكية نوعية بتأكيده على استقلال السلطة السياسية وبحمايتها الطوائف الدينية من تدخل الدولة في شئونها الخاصة. وهذا التعديل الأول، برجوعه الصريح للكونجرس وبتحديده ضرورة الحياد على المؤسسات الفيدرالية، لم يكن يوضح شيئًا عن حقوق وواجبات ولايات الاتحاد. في الواقع كان في إمكان الولايات سن تشريع يهدف إلى تشكيل مؤسسات دينية. ولهذا السبب ظلت هناك مؤسسات دينية رسمية لفترة طويلة ممولة من قبل الولايات الفيدرالية. وامتدت الحيادية الفيدرالية إلى الولايات بفضل إقرار أربعة عشر تعديلاً في عام (١٨٦٨م)، كان هدفها بالنسبة للسود المتحررين حديثًا ضمان حق المواطنة لهم والاستمتاع بالحريات وتطبيق سلطة قوانين الحكومة الفيدرالية على جميع الولايات بما فيها مقاطعة كولومبيا. ومنذ هذا الوقت تغلبت السيادة الوطنية

على سيادة الولاية. وصارت الدولة الفيدرالية قبل الولايات وأعلى منها وهي الحامي الأعلى للحقوق المدنية والحريات الفردية لمواطني الولايات المتحدة. وعلى المنوال نفسه كانت هذه الإجراءات الدستورية تتعلق بالحياد الديني. ومن الآن فصاعدًا لم يعد ممكنًا للمؤسسات الفيدرالية ولا للولايات أن تقوم بإقرار أو فرض أمور تجعل طائفة متميزة على حساب طوائف أخرى أو تكون لصالح المؤمنين على حساب غير المؤمنين.

يحول مبدأ الحياد الديني دون استغلال وجود طائفة ما كرهان سياسي. لكن على العكس لم يكن في إمكانه منع العمل العام لمجموعات أو أفراد يعلنون عن إيمانهم. فالمنظمات الدينية، التي انفصلت عن بنية السلطة السياسية ولم يعد في إمكانها الادعاء بوضع قانوني خاص بها ولم يعد في إمكانها انتظار أي امتياز، صارت تشارك كلها في الحياة السياسية للبلد، وصار رجال الكهنوت على قدم المساواة مع المواطنين الآخرين، ولهم الامكانات ذاتها في السعي لاكتساب مواقع انتخابية. وكذلك أيضًا كان لعمل الكنائس طبيعة دائمة على صعيد الولايات، حيث كانت تعمل على تقنين الأعراف والتقاليد أو الاستفادة بطرق مختلفة من عطايا السلطة، وهذه الكنائس نفسها كانت تتدخل أيضًا، ومعها ثروات لا تقدر، على الصعيد الفيدرالي سواء في السياسة الداخلية أو الخارجية.

اجتهد توماس جيفرسون، منذ القطيعة مع المملكة المتحدة ـ وقبل تحرير دستور عام (١٧٨٧م) ـ في فصل الدولة عن الكنيسة الإنجليكانية التي كانت الكنيسة الرسمية لمستوطنة فيرجينيا. وفي عام (١٧٧٩م) أدخل مشروع قانون يعزز الحرية الدينية، ويمنع الدولة من إرغام أي مواطن على المشاركة أو المساندة لدين بعينه. وفي عام (١٧٨١م) أقر مجلس النواب مشروع قانون جيفرسون. ويعتبر هذا القانون، المسمى قانون ولاية فيرجينيا للحرية الدينية، أول قانون علماني في البلد، ينص على إلغاء أي تمويل رسمي للكنيسة، ويضمن لفيرجينيا حرية دينية فعلية.

يقدم هذا القانون الأساس السياسي والفلسفي ليس لفكرة التسامح الديني فقط، بل أيضًا الحق في حرية الفكر المعترف بها لكل فرد. فالحرية الدينية لم تكن منفصلة عن حرية الفكر وحرية التعبير. ولم يكن مبدأ الفصل متاحًا بسهولة باستثناء فيرجينيا. وكانت لا تزال هناك ست ولايات في عام (١٧٨٩م)، محافظة على وجود كنيسة رسمية، أو على سياسات دعم رسمي للدين (نيوهمبشاير، وماساشوستس، وكونيكتكوت، وماريلاند، وكارولينا الجنوبية وجيورجيا)

وكانت إحدى عشرة ولاية من أصل ثلاث عشرة لا تزال تشترط الإعلان عن الإيمان الديني كشرط لتقلد الوظائف الأكثر أهمية والمطلوبة بشدة، وامتدت هذه الممارسات حتى أواسط القرن التاسع عشر.

لم تتخلَّ الولايات المتحدة عن سياستها في الدعم الرسمي للدين. تحت ضغط التنوع الديني المتنامي، إلا بشكل تدريجي، وكانت آخر الامتيازات الممنوحة للكنائس الرسمية قد ألغيت في كونكتيكوت في عام (١٨١٨م)، وماساشوستس في عام (١٨٣٣م) (وايتن، ١٩٩٩م). وفضلاً عن ذلك سجلت رئاسة جيفرسون الانتصار لتصور علماني للأمة الأمريكية. وعندما انتخب توماس جيفرسون رئيسًا في عام (١٨٠١م)، تلقى خطاب تهنئة أرسله إليه معمدانيو دانبري في ولاية كونكتكوت يطلبون فيه إيضاح موقفه من علاقات الدولة بالكنيسة، وكانت إجابته واضحة: الدين ينتمي لمجال الرأي الفردي ويخرج عن مجال صلاحيات القانون الفيدرالي[٩]، وهذا ما أراده الآباء المؤسسون لجمهورية الولايات المتحدة.

مقاصد الآباء المؤسسين

لماذا كانوا يتمسكون بتأسيس دولة علمانية؟ في الواقع، كان الفصل بين الدولة والكنيسة يخضع لمنطق ثلاثي الأبعاد:

أولاً: كان الآباء المؤسسون، الذين تشبعوا بتراث التنوير والذين تغذوا من تراث الجمهورية الإنجليزي، الذي مثله جوزيف بريستلي وجيمس بورغ وتوماس بين، يسعون إلى تكوين عقيدة عالمية تكون قادرة على أن تشمل المعتقدات المتنوعة،وتشمل بالتالي حماية التعددية الدينية، تعددية عريضة تشمل أيضًا من لا يعتقدون بشيء. لكن في الحقيقة كان الحياد الفيدرالي ينبثق عن موقف مبدأي أكثر مما يعود إلى استحالة الاتفاق على طائفة/ ملة[*] موحدة لدى الولايات المتعاقدة وسكانها أكثر مما يعود الى موقف مبدأي. وكان الآباء المؤسسون، بوصفهم واقعيين، يريدون تجنب الاختيار بين طوائف مختلفة، وهم على علم بأنه لا توجد كنيسة ـ من الناحية العددية ـ يمكنها أن تمثل غالبية المواطنين، ولا يوجد أيٌّ منها على درجة من القوة تسمح لها بالوصول إلى وضعية الكنيسة القومية. وإلى جوار الاختلاف والتباين الروحي بين الولايات يضاف التباين

(*) ملة / طائفة : تجمع لعدة كنائس يربط بينها نفس الانتماء اللاهوتي (المترجم).

الروحي لاثنين وخمسين من مؤسسي الجمهورية.من بينهم ستة ينتمون للكنيسة المشيخية واثنان من الكاثوليك واثنان من الصاحبيين، وثمانية عشر من الأسقفيين(*) وثمانية من الإبراشيين، وواحد من الميثوديين، وواحد من الإصلاحيين. وكان يُنْظَر لتوماس جيفرسون وبنيامين فرانكلين وجيمس ماديسون ، وآخرين بوصفهم «تأليهيين » (لامبرت، ٢٠٠٣م).

ثانيًا: كان الآباء المؤسسون مقتنعين بأن إقرار دين للدولة سيكون غير مشجع على الممارسة الدقيقة والفعَّالة للحكومة. وفضلاً عن ذلك لا يمكنه إلا أن يؤدي إلى التعصب وعدم التسامح. وكانوا بإقرارهم مبدأ الفصل يسعون إلى تجنب الحروب الدينية التي عرفتها أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر. ويبرهن تاريخ أديان الدولة، سواء في إنجلترا أو في فرنسا، أنه في كل مرة انحازت فيها الدولة لدين معين كانت النتيجة بالضرورة عدم احترام بل احتقار كل أولئك الذين يتبعون معتقدات أخرى.

ثالثًا: انشغل واشنطن وفرانكلين وجيفرسون وآخرون في جعْل مواطنيهم الحذرين يقبلون عمل الدولة الفيدرالية التي من شأنها أن تعطي مصداقية ومشروعية للأمة الناشئة. وإذا كان الدين لم يشغل إلا حيزًا محدودًا في مناقشاتهم فإن ذلك لأنهم يتمسكون بألا يظهر أي جدال يحول الأنظار بعيدًا عن مشروع إنشاء حكومة مركزية.

وإذا كان الحياد المتسامح للمؤسسات يضمن وجود كل المجموعات الدينية ويمنحها بعض الامتيازات خاصة في مجال الضرائب، فإن كل الطوائف لم تكن راضية تمامًا. وكانت هناك معارضة شديدة في سنوات (١٧٩٠م)، إزاء مبدأ الفصل. وقادت جمعية الإصلاح القومي حملة لإقرار تعديل في الدستور يجعل من الولايات المتحدة أمة مسيحية. ولم يكن لهذه الحملة مع ذلك أي نجاح. وكما تظهر مراسلات وأحكام المحكمة العليا لم يكن تطبيق مبدأ الفصل بالأمر الهين. وحتى الوقت الحاضر، نجد الكثير من الجدال والأحكام القانونية ذات الطبيعة المتغيرة (ريشلي،١٩٨٥م، هامبرجر،٢٠٠٢ م، وايتين،١٩٩٩م) .

ولنضف أخيرًا: أن العلمانية الأمريكية إذا كانت لا دينية فإنها لم تكن قط ضد الدين، هي

(*) الأسقفيون:خرجت الكنيسة الأسقفية للولايات المتحدة من الكنيسة الإنجليكانية، وهي كنيسة ذات عبادات طقوسية وسلطة الأساقفة فيها مسموعة الكلمة. من وجهة نظر لاهوتية تميل أكثر إلى الليبرالية وينتمي المؤمنين بها إلى الطبقات الاجتماعية العليا (المترجم).

تعارض فقط الاعتراف بدور الأديان في المجال العام. بالتأكيد كانت قطعية وحاسمة، لكن لم يكن هناك قط قطيعة بين الديني والسياسي. وتركت العديد من الأبواب المواربة للتواصل بين الفضاء الديني والفضاء السياسي اللذين صارا مستقلين من خلال التعديل الأول للدستور.

لم يكن هناك، في نظر الآباء المؤسسين أي فصل أخلاقي أو ثقافي للكنيسة عن بقية البلد بما في ذلك الحكومة. على العكس، بالنسبة لهم لا يمكن لأي دولة أن تعمل بصورة جيدة وأن تدعم العدالة والحرية بدون أن يكون للشعب إيمان صادق. وكانوا يرون في القيم الدينية، المفسرة أساسًا بلغة أخلاقية، ضمانات ضد الفساد والأنانية الفردية.

تحكيم المحكمة العليا: تعقيد وتناقضات

أثناء النصف الأول من القرن التاسع عشر لم يكن لدى المحكمة العليا الفرصة للانشغال بمسألة العلاقات بين الدولة والكنيسة: تاركة المسئولية الأكبر في ذلك إلى السلطة القضائية للولايات المختلفة. لكن انطلاقًا من عام (١٩٤٠م)، بدأ اللجوء إلى المحكمة العليا مرات عديدة لتفسير التعديل الأول. وفي عام (١٩٤٧م) لم تتردد المحكمة العليا بمناسبة قضية (إيفرسون / بوارد)، في مد الفقرة المتعلقة برفض دين رسمي للولايات، مؤكدة أنه غير مسموح لأي برلمان في أي ولاية القيام بالتصويت على قانون موجه إلى مساعدة «دين، كل الأديان، أو أحدها على حساب الآخر». وكان هذا الحكم مثار حوار كبير حول دستورية الصلاة، وقراءة الكتاب المقدس في المدارس العامة، وحول تقديم الولايات المساعدة للمؤسسات الدينية، وحول إعفاء بعض ممتلكات الكنائس من الضرائب[١٠] . و في سنوات الستينيات وبدايات السبعينيات كان هناك اتجاه بارز ينمو ويتطور يُطلق عليه «الناشط»، وكذلك «الحديث»، ووفقًا له فإن دور المحكمة العليا لم يكن فقط التحقق فيما إذا كانت القوانين دستورية أم لا؟ وإنما التحرك كجهاز يعمل على تطهير النظام الاجتماعي من التجاوزات والضلالات المتعذر مقاومتها من خلال النظام السياسي العادي. و برغم أن القضاة الحاليين بالمحكمة العليا من المحافظين في أغلبهم، فإن الاتجاه التحديثي كانت له الغلبة في مجال فصل السياسي عن الديني. وحتى الوقت الحاضر تواصل المحكمة العليا رفضها إعادة الصلاة إلى المدارس العامة، وكذلك قراءة الكتاب المقدس. وفي عام (٢٠٠٣م) ألغت المحكمة العليا القوانين المحلية المانعة لبعض الممارسات الجنسية وأعطت الأمر لمحكمة ولاية الاباما بإزالة تمثال الوصايا العشر الذي شيدته.

شهدت هذه السنة أيضًا اعتراف المحكمة العليا بولاية ماساشوستس، بحق الزواج للمثليين، وفي الوقت ذاته سمحت المحكمة العليا، عمليًا، ببعض أشكال الدعم للمدارس الطائفية (التجميع المدرسي لنقل التلاميذ المتباعدي السكن، إعارات الكتب) وتمكّنت الجماعات الدينية، عبر وسائل الضغط من إلغاء اقتناء بعض الكتب الأدبية المنظور لها على أنه تم التساهل معها.

من الواضح أن مهمة المحكمة العليا لم تكن سهلة قط. وقد أثارت بعض أحكامها استياء الديمقراطيين والليبراليين(*)، الذين كانوا يعيبون عليها انشغالها بالقضايا الأخلاقية والاجتماعية أكثر من اهتمامها بالنشاط القانونى بالمعنى المحدد للكلمة. وبالإجمال استطاعت المحكمة الوصول إلى مواقف متوازنة. ولهذا كانت تتمسك دائما بتفسير فقرة الممارسة الحرة بطريقة مرنة جدًا.

بدون الدخول في تفاصيل اجتهادات المحكمة المعقدة والمتناقضة أحيانًا يمكن أن نميّز بين مجموعتين: من جهة مجموعة الذين يقولون بالفصل بين الكنيسة والدولة، وهم يميلون أكثر إلى يسار الساحة السياسية، وهم مرتبطون جدًا بمنهج جيفرسون، وبالفقرة المسماة بـ «عدم الإقرار بمؤسسة رسمية دينية» بالتعديل الأول للدستور. وهناك من جهة ثانية مجموعة «المُوَفِّقين» المحافظين والذين يميلون، في معظمهم، إلى تنويع مساعدات الدولة لمدارس الطوائف، ويفضلون الإشارة إلى فقرة الممارسة الحرة بالتعديل ذاته (ويلكوس،٢٠٠٠م، لاكورن،٢٠٠٣م، فرنسيزي،٢٠٠٣م). و لم يتوقف تاريخ العلاقات بين الديني والسياسي عن التأرجح بين المجموعتين، الأمر الذي يجعلنا نقول إن تاريخ العلمانية الأمريكية لم يعرف مسارًا مستقيمًا. ويمكن القول إن الذين يقولون بالفصل قد ربحوا حتى الآن في كل ما يتعلق برفض النشاطات الدينية المنظمة. عبر السلطات العامة داخل مدرسة أو محكمة أو مجلس تشريعي. هكذا منعت المحكمة العليا، جولة إثر جولة، قراءة «أبانا » أو قراءة مقاطع من الكتاب المقدس في المدارس، وكذلك منعت القراءة (الاختيارية) لصلاة متعددة الطوائف بالمدارس، وتلاوة الصلاة في بداية المسابقات الرياضية، وإدخال لحظات صمت تسمح (بصورة اختيارية) بصلاة

(*) ليبرالي وليبرالية: يعني المصطلح، بالمعنى الأمريكي، «اليسار» .ومن وجهة النظر السياسية الليبرالي هو المناصر للتقدم الاجتماعي الذي يرى أنه ينبغي أن ينتج عن تدخل متصاعد للسلطات العامة في حياة الأمة (في أوروبا المصطلح يتم إدراكه بصورة مغايرة تمامًا). والليبراليون هم في العادة ينتمون للحزب الديمقراطي أكثر من الحزب الجمهوري. ومن وجهة النظر اللاهوتية تعتبر الليبرالية حركة ـ نشطة بشكل خاص في بداية القرن العشرين ـ تسعى إلى موائمة العقيدة المسيحية مع مكتسبات الثقافة والعلم الحديث (المترجم).

قصيرة أو بتأمل ديني أو تدخل قس أو حاخام أثناء احتفالات منح الدبلومات المدرسية، أ التمويل من الخزائن العامة لكاهن في كنيسة خاصة لبرلمان ولاية. ونجح «المُوَفِّقون»، وهم العادة أغلبية في قلب المحكمة التي يرأسها رينكويست (١٩٨٦ - ٢٠٠٥م)، في تقليص حائط الفصل، بالسماح ببعض أشكال المساعدة العامة لمدارس الطوائف، مبررين ذلك باسم مبدأ حيا السلطات العامة، فالمساعدة ـ بالنسبة لهم ـ مسموح بها إذا كانت تطبق على جميع المدارس بدو استثناء، وتم السماح لبعض الممارسات الدينية مثل مجموعات دراسة الكتاب المقدس داخل حر المدرسة بشرط أن تكون بمبادرة من التلاميذ أنفسهم. وكذلك أخذت المساعدة شكل أذونات / بونات مدرسية تُسهل في بعض الولايات تسجيل الأطفال في المدارس الخاصة.

فيمَ تفكر الكنائس الأمريكية الكبرى؟

تشتهر بعض الكنائس في الولايات المتحدة بانخراطها الفعَّال في الحياة السياسية ، والبعض الآخر منها يدعو، كما هو معتاد، للفصل بين ما هو زمني وما هو روحاني. وفى المجموعة الأولى نجد كنائس السود والمعروف عنها طابعها الكفاحي. وأقدم هذه الكنائس أنشئ في عام (١٧٩٦م) في سافانا بولاية جورجيا، وكانت هذه الكنائس تعمل كمراكز نشاط لطائفة لم يكن في إمكان أبنائها الذهاب للمدارس، ولا يشاركون في الحياة السياسية، ولم يكن لهم الحق في أي مكان في الاجتماع. وقد لعبت هذه الكنائس دورًا حاسمًا في المسيرة الطويلة لطائفة السود نحو التحرر، وكذلك شكلت الجيل الأول من القساوسة الذين كانوا يناضلون بصورة غير معلنة. وقد أنشئت أولى المدارس العامة للسود بالجنوب بمساعدة كنائس البيض والسود بالشمال وبعض إبرشيات السود بالجنوب. و لعبت كنائس السود، بعد الحرب الأهلية، دور المرشد لطائفة مهمَّشة مقارنة مع الأمريكيين الآخرين. وقدمت لأبناء السود إمكانية الوصول لمناصب القادة والزعماء، ولم يكن من قبيل المصادفة أن كثيرًا من كبار قادة إعادة البناء كانوا من القساوسة البروتستانت.

من بين القادة السياسيين الذين اكتسبوا الجزء الأكبر من خبرتهم داخل كنيسة السود يمكن الإشارة إلى الأسقف أتش. أم تيرنر من جيورجيا والقس أر.هـكاين من كارولينا الجنوبية، والأسقف هود من كارولينا الجنوبية أيضًا. غير أن المثال الأكثر شهرة بدون منازع هو مارتن لوثر كنج، بطل معركة الدفاع عن الحقوق المدنية، والذي أُغتيل في عام (١٩٦٨م). وفي سنوات

الثمانينيات تأكد الدور السياسي لكنيسة السود عندما رشح القس جيسى جاكسون نفسه للانتخابات الرئاسية في عامي ١٩٨٤ و ١٩٨٨م. وحتى اليوم أيضًا نجد أن أغلب قادة طائفة السود هم في الأصل قساوسة (ريد، ١٩٨٨م، لنكولن وماميا، ١٩٩٠م).

تحركت الكنيسة الكاثوليكية منذ البداية، نظرًا لتنظيمها المركزي والتراتبي وكأنها شكل من الضمير الجمعي للبلد. ولكي يشكلوا حاجزًا أمام الرأسمالية الجامحة التي كانت تهيمن في الولايات المتحدة في بداية القرن العشرين قدم الكاثوليك دعمهم لـ النيوديل(*) (الصفقة الجديدة). ونزل الأساقفة الكاثوليك في الثمانينيات إلى حلبة العمل السياسي وأخذوا مواقف من القضايا الجوهرية مثل التسلح النووي والاقتصاد (حنا، ١٩٧٩م، لوناي، ١٩٩١م، جيلم، ١٩٩٤م). وفي سنة (٢٠٠٤م) عارضوا علانية المرشح جون كيري الذي كان قد أعلن أنه مؤيد للحق في الإجهاض.

في هذه المجموعة، نجد أيضًا اليهود الأمريكيين الذين يصوِّتون طواعية في بلد نسبة الامتناع فيه عن التصويت مرتفعة. وكما يؤكد ميشيل كوربيت وجوليا ميشيل كوربيت «امتزجت القيم الدينية اليهودية والخبرة التاريخية لليهود إلى درجة أنهم انخرطوا في الحياة السياسية بنسب أكثر ارتفاعًا من نسبة عددهم داخل السكان [الأمريكيين]» (كوربيت وميشيل كوربيت، ١٩٩٩م ص ١٢٥)(١١) وكذلك ساندوا روزفلت، وأيدوا سياسة هاري ترومان، وأعطوا أصواتهم بالتوالي إلى جون كنيدي وليندون جونسون وجيمي كارتر وبيل كلينتون. وفي عام (٢٠٠٠م) صوت ١٩٪ من اليهود الأمريكيين لصالح جورج بوش، وفي عام (٢٠٠٤م) ساهموا بنسبة ٢٥٪ في إعادة انتخابه.

تتضمن المجموعة الثانية أغلبية الطوائف البروتستانتية التي هى متحفظة بصورة تقليدية على الممارسة السياسية، والتي ينظرون لها على أنها مجال الشر والنفاق والتلويث، وخاصة في فترات الانتخابات. ومن بين أنصار الفصل الواضح بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية نجد

(*) النيوديل (الصفقة الجديدة): أطلق هذا الاسم على مجموعة من البرامج أعلن عنها الرئيس روزفلت في الفترة ما بين ١٩٣٣ - ١٩٣٨م، وكانت تستهدف الإصلاح وإعادة البناء الاقتصادي بعد فترة الكساد العظيم . كما أعلن عن نيوديل آخر يتضمن برامج وإجراءات تحمي النقابات ودعم الضمان الاجتماعي وبرامج المساعدة للمزارعين والعمال المهاجرين. (المترجم).

اللوثريين المؤيدين لنظرية «المملكتين»(١٢) ومجددي العماد الذين يرون أن الدولة صارت مؤسسة ضرورية فقط للملحدين.

كان الإنجيليون (أصوليون وخمسينيون كذلك) يعارضون أي التزام سياسي مباشر. وكان على المؤمن في نظرهم أن ينشغل بخلاصه الروحي، وأن يعمل على نشر كلمة الله بدلاً من ممارسة السياسة، لكن بعد عام (١٩٠٠م)، لم يعد الامتناع عن الممارسة السياسية، الذي كان يدعو له أقطاب الإنجيليين، يجد صدى كبيرًا. وشاركوا بفعالية، في النصف الثاني من عقد السبعينيات، في الصراعات السياسية، بتصويتهم أولاً للديمقراطي جيمي كارتر ثم بعد ذلك لمرشحين متنوعين من اليمين الجمهوري. وعلى المنوال نفسه ساند الصاحبيون(*)، المعادون بشدة للرق، كل المنادين بإلغاء هذه الظاهرة. كما عبؤوا أنفسهم ضد حرب فيتنام في الستينيات والسبعينيات.

اليمين المسيحي: خريطة حركة متشعبة

يتطلب الحديث عن اليمين المسيحي، في مرحلة أولى، أن نُعَرِّفَه وأن نُشير إلى خصائصه الرئيسية. ومن الضروري كي نفهم أصوله وأسباب نشأته أن نعيد وضعه في سياقه التاريخي لندرك التطور الذي عرفه على مر السنين.

«يمين مسيحي »، «يمين جديد»: بعض الإيضاحات

ليس من الأمور السهلة تعريف اليمين المسيحي. ويعـود هذا أولاً إلى واقع أنه لا يشكل كتلة موحدة، وليس منتظمًا بصورة جيدة، وليست له حدود محددة بصورة دقيقة. وبما أنه لا يمتلك لا الشهرة ولا القاعدة الشعبية التي تتمتع بها التشكيلات السياسية الكبرى، كان يجتهد ـ بنجاح ـ في الحصول على الاعتراف والمشروعية الضرورية ليأخذ مكانه في قلب النظام السياسي. ولكن

(*) الصاحبيون : يشكل الصاحبيون (كنيتهم «المنجذبون») جماعة الأصدقاء. ويمنحون أهمية كبيرة لظواهر الاستنارة بالروح القدس الأمر الذي يمكنهم من أن يعبروا عن أنفسهم من خلال ارتعاشات، ومن هنا جاءت تسميتهم بالمرتعشين أو المنجذبين. ولدت الحركة في إنجلترا عام ١٥٦٢م تحت تأثير جورج فوكس. ويرفض الصاحبيون النزعة الطقوسية والشكلانية للكنيسة الإنجليكانية. ويجتمعون في صمت وبدون كاهن، ويرفضون ممارسة خدمة الأسرار المقدسة. ولأنهم اضطهدوا في إنجلترا هاجروا للولايات المتحدة حيث أسس أحدهم، وهو وليام بن، ولاية بنسلفانيا وهي واحدة من ثلاث عشرة ولاية مؤسسة للولايات المتحدة الأمريكية (المترجم).

لأن اليمين المسيحي مليء بالتيارات والاتجاهات والتوترات فإن مكوناته كانت تجد صعوبة في الاتفاق فيما بينها، حتى إنه لم يتكلم بصوت واحد. وفضلاً عن وجود اختلافات جوهرية داخل اليمين المسيحي كان يعاني أيضًا من صراعات النفوذ التي كانت توجه أفرعه المتنوعة ومثل هذه الانشقاقات ـ لا يمكنها بداهة إلا أن توهن هذا التيار .

من جهة أخرى، يختلط اليمين المسيحي، في الغالب، مع اليمين الجديد(*)، الذي انبثق عنه (هيملستاين،١٩٩٠م، دياموند،١٩٩٥م). وبين الاثنين توجد روابط بنيوية وأيديولوجية وثيقة الصلة إلى درجة أنه من الصعب الفصل بينهما. ويمكن تفسير هذا من خلال ثلاثة عوامل على الأقل: عدد من فروعه تتقاطع فيما بينها، مما يعني أن ناشطى الحركة يمرون من فرع إلى فرع بسهولة، والقادة أنفسهم يوجدون في كل مكان. ومن هنا ندرك لماذا يفضل عالما الاجتماع صموئيل هيل ودينس أوين الحديث عن «يمين ديني وسياسي جديد» . ولنلاحظ أن بعض المتخصصين لا يمنعون أنفسهم من إدراج كل من اليمين المسيحي واليمين الجديد تحت راية التطرف (جورج وويلكوكس،١٩٩٢م، بلانت،١٩٨٨م). هل مثل هذه النظرة مشروعة؟ التساؤل يستحق التفكير. ثم إن هناك صعوبة أخرى تأتي من عدم الثبات الهيكلي لليمين المسيحي الذي يغير باستمرار هيئته: التحالفات، في الغالب، ظرفية وتنفك بسرعة مثل ظهورها.

قبل أن نقول ما هو اليمين المسيحي من الملائم أن نقدم تحديدين إضافيين. الأول يتعلق بوجود مسميات عدة، مثل اليمين المسيحي، واليمين الديني، اليمين المسيحي الجديد، اليمين الديني الجديد، وهي مسميات يستخدمها المتخصصون الانجلوأمريكيون بدون تمييز. والتحديد الثاني يتعلق بغياب إجماع داخل اليمين المسيحي حول استخدام مصطلحات مثل: مسيحي، وديني، يمين. وبقدر ما يستخدم مصطلح «الجديد» على نطاق واسع بقدر ما يثير مصطلح المسيحي معارضة عديد من الأفراد داخل هذا التيار. وإذا كان يُنظَر له على أنه حصري وتقليصي فإنه يُغَيِّب كذلك، في نظر البعض، النزعة العالمية التي تلهم هذه الحركة وتوجه نشاطها، ويتوجه

(*) اليمين الجديد: يمكن أن نحدد اليمين الجديد بوصفه تشابك غير عادي لحركات ومجموعات صغيرة، وتيارات فكر متنوعة جدًا، واندفاعات مختلفة، لكنها موجهة كلها نحو الدفاع عن القضايا المحافظة. وبلغة سياسية يتعلق الأمر بتحالف غير متجانس يجمع بين مراكز التفكير (ثنك تانكس) ولجان عمل سياسي وجماعات ضغط تدافع عن قضية وحيدة. ويجد المرء فيه أيضًا «المحافظون الجدد» ومنظري اقتصاد العرض وكذلك المتحمسون للنظام الأخلاقي (المترجم).

اختيارهم إذن إلى مصطلح «الديني» الذي يبدو أنه يعبر بصورة أفضل عن إرادتهم - التي ليست سوى نظرية - في الانفتاح على كل التوجهات الروحية.

وعلى العكس، نجد أن الشرائح الأكثر راديكالية في اليمين المسيحي تميل إلى مزيد من استخدام صفة «المسيحي» ، لأنها تضع في الصدارة الهوية «المسيحية»(*) التي تتمسك بها بشدة وتسعى إلى حمايتها على نحو خاص. وفي النهاية، هناك آخرون مثل رالف ريد يؤكدون على أن مصطلح اليمين، ذي الملامح السلبية، يضع الحركة على هامش التيار السياسي السائد. ويفضل رالف ريد وأصدقاؤه مصطلح «المسيحيين المحافظين» على مسميات «اليمين المسيحي» و«اليمين الديني». ومع ذلك، لا يتم هذا دون أن يطرح مشكلة طالما أن كل المسيحيين المحافظين لا يتبنون بالضرورة آراء اليمين المسيحي.

نحن نعني بـ «اليمين المسيحي» تحالفًا محافظًا ذا غالبية إنجيلية(١٣) ، جامعًا بداخله خليطًا من الحركات السياسية الدينية والجمعيات المُرتكزة على القضايا الأخلاقية والعائلية، ومن مجموعات ضغط تهدف إلى عمل سياسي مشترك. وبشكل أكثر تحديدًا، تتحرك هذه المجموعات المتفرقة لمعارضة بعض تطورات المجتمع التي يرون أنها مقلقة. وإلى جوار المنظمات المشهورة مثل:الأغلبية الأخلاقية (١٩٧٩ - ١٩٨٩م)، والتحالف المسيحي، والتركيز على الأسرة(**) وكذلك مجلس البحث العائلي، هناك أيضًا عدد من المجموعات المحلية الصغيرة التي تنتج بدورها من وقت لآخر بعض الانشقاقات. ويتعلق الأمر بالإجمال بحركة متشعبة ومتواصلة وليس لها وضعية قانونية أو متحدثون رسميون.

يعتبر اليمين المسيحي ذو الصبغة الإنجيلية القوية ظاهرة جنوبية في معظمها. وصعوده بقوة مرتبط بشكل وثيق بتحول ولايات الجنوب إلى اليمين. وكان هذا الجزء من الولايات المتحدة والمترسخ فيه الحزب الديمقراطي صار بدءًا من عام (١٩٦٤م) - وهو العام الذي يتميز ببداية

(*) الهوية المسيحية : يعد شعار الهوية المسيحية بمنزلة المظلة التي يندرج تحتها مجموعة متنوعة من الجماعات والكنائس ذات الميول الدينية العنصرية، والتي يروج معظمها لنوع من المسيحية المسلحة تؤمن بالتفوق العرقي للجنس الأبيض.«انظر أصول التطرف - اليمين المسيحي في أمريكا». ص ٢٧ (المترجم).

(**) التركيز على الأسرة : منظمة يقودها عالم النفس المسيحي جيمس دوبسون. وتلعب دورًا سياسيًّا مهمًّا ضمن برنامج اليمين المسيحي وتطبع كتبًا وشرائط للدعاية ضد مبدأ فصل الدين عن الدولة وتصدر مجلة اسمها «المواطن». كما يقدم دوبسون برنامجًا إذاعيًّا تبثه مئات المحطات الإنجيلية في مختلف ولايات أمريكا. (المترجم).

انتصار حركة الحقوق المدنية ـ قلعة الاتجاه المحافظ. وكان الجمهوريون على وعي بأنهم إذا استطاعوا تعبئة الناخبين الجنوبيين فإن العودة إلى السلطة ستكون ممكنة، وأن التحول التقدمي الكبير الذي انتشر في البلد منذ اثني عشر عامًا تقريبًا يمكن وقفه، ولهذا السبب فإن بعض الشباب الجمهوري النشط ذهبوا إلى دعم هذه الحركة بقوة وساعدوها على أن تنمو وتتطور.

إذا كانت القوة الانتخابية لليمين المسيحي متركزة في منطقة حزام الكتاب المقدس(*)، فإن قادتها ـ جيري فالويل، وتيم لاهاي، وبات روبرتسون، وجاري بوير، وجيمس روبسيون، ولوي شيلدون، ومايك إيفانز(**) وريشار لاند ـ هم كذلك قساوسة جنوبيون ذوو انتماء إنجيلي و/أو أصولي. ومع ذلك لا يؤمن كل الإنجيليين بالضرورة بآراء اليمين المسيحي، وكذلك ليس كل قادة اليمين المسيحي من الإنجيليين. ويدرج في أوساط اليمين المسيحي بعض البروتستانت القادمين من كنائس أخرى (الكنيسة اللوثرية والكنيسة المشيخية ....) ومن المورمون ومن اليهود المسيانيين (يسمون يهود من أجل المسيح) ومن المسيحيين الصهاينة، ومن الكاثوليك المحافظين، ومن أتباع طائفة مون، وكذلك أعضاء بعض الطوائف الصغيرة المنغلقة كثيرًا أو قليلاً. والتعايش بين كل هذه الحساسيات المختلفة ليس مؤكدًا، كما يؤكد على ذلك عالم الاجتماع مايكل لينيش : «الاختلافات بين هذه التيارات المختلفة، والتي قد تبدو من الخارج غير ذات جدوى، يمكن أن تكون لها نتائج خطيرة» (لينيش، ١٩٩٣م، ص ١٥). وهذا بدون شك أحد عوامل قصور هذا التحالف.

في الطبعة الثانية من كتابهما «اليمين الديني»، الذي ظهر في عام (٢٠٠١م)، يشير جلين أوتير وجون استورى إلى ٤٢ شخصية و ٦٦ مجموعة منظمة منتمية إلى اليمين المسيحي. كما نجد في الكتاب هوامش تتعلق بسير شخصيات من اليمين مثل: جيري فالويل، بات روبرتسون،

(*) حزام الكتاب المقدس: مصطلح يقصد ولايات الجنوب بالولايات المتحدة، حيث تأثير النزعة البروتستانتية المحافظة هو الأكبر. في عام (٢٠٠٠م) كانت هذه المنطقة تضم أكثر من ٨٠ مليونًا. ويقيم بها أكثر من نصف الإنجيليين (المترجم).

(**) مايك إيفانز: قس وواعظ تليفزيوني ويعتبر من أشد المناصرين لدولة إسرائيل . في عام ١٩٨٥م أرسل لمؤيديه أجندة العام الجديد بعنوان « شركاء في النبوة» (١٩٨٥م) تضمنت نصوصًا توراتية وإنجيلية، ليقرأ تابعوه نصًا منها كل يوم . وكان له- برنامج شهير يدعى – إسرائيل : مفتاح أمريكا للبقاء – كان يبث في ٥٠ قناة تليفزيونية عبر ٢٥ ولاية ولمدة ساعة يوميًا . وهو مؤلف لعدة كتب أشهرها : « النبوءات الأمريكية: كيف يكشف الكتاب المقدس مستقبل أمتنا». (المترجم)

جيمس دوبسون، رونالد إلياس ويلدمون، إدوارد ماك اتير، مارفين أولاسكاي، جيمس كنيدي، رالف ريد (أوتيرواستورى ٢٠٠١م، ص ٧٣ و ١٢٤). ومن بين المجموعات المنظمة (سواء تلك التي انتهت أو تلك التي ما زالت موجودة) أشار المؤلفان إلى: الصوت المسيحي، والمائدة المستديرة الدينية، والأغلبية الأخلاقية، والأسرة المسيحية رينوال، وشبكة العمل المسيحي، ومؤسسة الحرية المسيحية، وتحالف القيم التقليدية(*)، الجمعية المسيحية الوطنية، والتركيز على الأسرة، ونساء قلقات من أجل أمريكا، وجمعية الأسرة الأمريكية، القيم الأمريكية، ومجلس البحث العائلي (ص ١٥٧-١٨٦). وحتى إذا كان جيري فالويل وبات روبرتسون والقادة الآخرون يعلنون أنهم أصحاب هذا اليمين المسيحي، فالحقيقة أن هذا التيار هو من صنع مجموعة من مناضلي اليمين الجديد مثل بول ويريش وهوارد فيليب، ريشارد فيجيري وإدوارد ماك أتير الذين يعتبرون «الآباء الروحيين لليمين المسيحي»[١٤]. وهؤلاء الأخيرون أدركوا بسرعة أهمية التحالف مع الدعاة التليفزيونيين في قمة مجدهم وقوتهم المالية، والذين يشكل متابعوهم قاعدة انتخابية مهمة يمكن للحزب الجمهوري أن يعتمد عليها. غير أن هذا الميثاق الموقع مع ويريش وفيجري والآخرين يتيح كذلك للقادة الإنجيليين، الذين باستنادهم إلى حلفاء مؤثرين، يمكنهم التأثير على السياسات العامة. وبمساعدة النشيطين من اليمين الجديد استطاع جيري فالويل(**)، مؤسس الأغلبية الأخلاقية، تعبئة الطائفة الإنجيلية ليجعل منها القاعدة الأكثر قوة داخل الحزب الجمهوري.

السياسة في خدمة الرؤية المسيانية

يرى قادة اليمين في التزامهم السياسي نوعًا من الرد على القلق العميق وعلى الأزمة الشاملة

(*) تحالف القيم التقليدية: يقوده القس لويس شيلدون لترويج الأجندة التقليدية لليمين المسيحي . ويدعو للالتزام بنصوص الكتاب المقدس (المترجم).

(**) جيري فالويل:توفي في مايو / آيار (٢٠٠٧م)، وهو أحد رموز التطرف الديني المسيحي في الولايات المتحدة، ومؤسس جامعة ليبرتي في عام (١٩٧١م) . وفي يونية (١٩٧٩م) أعلن تأسيس الأغلبية الأخلاقية كجماعة ضغط لفرض برنامج اليمين المسيحي على أفكار وتوجهات الحزب الجمهوري . وفي عام (١٩٩٥م) شرع فالويل في نشر جورنال ناشونال ليبرتي. وفي سبتمب ر(٢٠٠١م) تعرض لحملة انتقادات واسعة في أعقاب تصريحات قال فيها : إن غضب الرب من أمريكا المنحلة أخلاقيًا هو السبب ـ وراء هجمات ١١ سبتمبر. وكانت العلاقات بين فالويل وجون ماكين مرشح الحزب الجمهوري لانتخابات (٢٠٠٨م) قد عادت إلى طبيعتها قبل أن يرحل فالويل في مايو (٢٠٠٧م) (المترجم)

التي تعاني منها أمريكا. فالأمر بالنسبة لهم يتعلق بإنقاذ أمريكا من الدنيوية ومن «الإنسانية العلمانية» التي تعني فقدان الهوية وانحلال الشعور الديني. ويجمعون جميعًا على تشخيص واحد وهو أن هذا المرض هو من صنع الليبراليين وناشطات الحركة النسائية والمثليين وأنصار التعدد الثقافي، ومثقفي الضفة الشرقية و«الإنسانيين العلمانيين» الذين أبعدوا أمريكا عن الله (سنعرف فيما بعد علامَ يحتوي هذا التعبير). ونجد أيضًا على مقعد الاتهام الكنائس البروتستانتية الكبرى مثل المجلس القومي للكنائس، والمجلس العالمي للكنائس وذلك بسبب مواقفهم الدولية والليبرالية وذات الطبيعة التعددية ثقافيًا والسلمية. وهم يمثلون جميعًا، في نظر اليمين المسيحي، القوى الظلامية للشيطان. وتعكس الحملات الصليبية التي يشنها اليمين المسيحي ضد قوى الشر صدى الحرب الأكثر قدمًا التي يخوضها الأمريكيون، تلك الحرب ذات الثقافة المطبوعة بالنزعة المانوية [بين الخير والشر].

عندما يرى اليمين المسيحي أنه الوحيد القادر على «جعل أمريكا مسيحية من جديد» فإنه يعطي لنفسه مهمة إعادة صياغة المجتمع ليتوافق مع النظام الإلهي،لأن الخلاص، كما يرى، لا يمكن أن يأتي إلا بالعودة إلى الأصول الأخلاقية التي نص عليها الكتاب المقدس. والحال أن صياغة مثل هذا المجتمع تتطلب وصول المرشحين الذين يمكنهم «الدفاع عن القيم الأخلاقية للكتاب المقدس» إلى المراكز العليا على الصعيد المحلي أو الفيدرالي أو على صعيد الولايات.

يسعى اليمين المسيحي، خارج فترة الانتخابات، إلى ممارسة الضغوط، بمختلف الوسائل، على أصحاب القرار في كل المستويات، وتوجيه اختياراتهم نحو تكثيف النشاط الذي يعمل على نشر الأخلاق.

كذلك فإن على أمريكا، إذا صدقنا اليمين المسيحي، أن تتوب، وهو الشرط الوحيد والفريد لحدوث نهضة روحية حتى يتم إنقاذ الشعب الأمريكي. وفي هذا المعنى يحب اليمين المسيحي التذكير بـ «سيبارك الله أمريكا عندما تبارك أمريكا الله».

يقتنع اليمين المسيحي بأن لأمريكا مصيرًا خاصًا، فهي «أمة اختارها الله»، وهي ذات توجه يسعى للتمهيد لمجيء مملكة الله على الأرض. والرغبة في إكمال عمل الله الكامن في هذه الرؤية المسيانية ضرورة لنشأة أمريكا، التي منذ بداياتها لم تتوقف لحظة عن الاعتقاد بالمهمة المسندة إليها. في عام (١٦٣٠م) وأثناء موعظة نموذج الإحسان المسيحي، على ظهر أرابلا - وهي

الباخرة التي حملت طائفة البيوريتان نحو المستعمرات البريطانية في أمريكا الشمالية - أثار الكالفيني جون وينثروب (حاكم مستوطنة خليج ماساشوستس في الفترة من عام (١٦٣١م) إلى عام (١٦٤٩م) بشكل تنبؤي مستقبل أمريكا على النحو التالي: «سنكون كمدينة فوق التل وستتوجه أنظار العالم نحونا» وكان يحض بذلك مستمعيه على ألاَّ يتخلوا عن النداء الموجه إليهم وإلاَّ تخلى الله عنهم. والحق أن هذه القيمة تجد مصدرها في الكتاب المقدس وخاصة في إنجيل متى (متى، ٥: ١٣-١٦) في هذا المقطع من موعظة الجبل وهو خطاب شهير ينسب للمسيح - عيسى، يركز نص الكتاب المقدس على الشهادة، على سبيل المثال، بمقارنة المؤمن (وجماعة المؤمنين) بمدينة تقع على تل حيث لن تكون مخفية بل ينبغي أن تكون مشاهدة حتى تقدم نموذجًا لعالم لا يزال يعيش في الظلمات.

بالنسبة لليمين المسيحي، فإن الأمة الأمريكية والهوية المسيحية على ارتباط وثيق. وإن تجسيد الخير والفضائل البيوريتانية(*) لا يمكن أن يتحقق بالسقوط في مساومات مع القوى الشريرة. ويستمر اليمين المسيحي في رؤية العالم من خلال مصطلحات ثنائية بين قوى الخير وقوى الشر برغم تفكك الإمبراطورية السوفيتية التي كان يطلق عليها «إمبراطورية الشر» من قبل الرئيس ريجان. والمهمة التي يستحضرها هذا اليمين المسيحي هي مهمة مزدوجة: مكافحة الشر وتحويل العالم إلى الإنجيل. وتحت تأثير الإنجيلية، فإن قادة اليمين المسيحي بتركيزهم أولاً على المسئولية الشخصية للمؤمن يرون أن إعادة القيم المسيحية سيكتمل تدريجيًا مع الاهتداءات الفردية، الأمر الذي ينتج عنه توسع في طائفة «المولودين ثانية مسيحيًا»(**).

نظرًا لأصوله البروتستانتية الإنجيلية ورث اليمين المسيحي نزعة أخروية ما قبل الألفية

(*) بيوريتانية: نزعة ذات أصول إنجليزية، وتدعو إلى إصلاح قريب مما يدعو إليه كالفن، وبالتالي أكثر راديكالية من كنيسة إنجلترا. ويطالب البيوريتان بتطهير العقيدة والطقوس الإنجليكانية، ويركزون على الخبرة الروحية لعملية الاهتداء والتطهير. ولأنهم اضطهدوا في إنجلترا اضطروا إلى الهجرة نحو بلاد مختلفة بأوروبا وحتى أمريكا (المترجم).

(**) المولودون ثانية مسيحيًا: أي المسيحي الذي قام بتجربة حميمة لـ«الميلاد الجديد»، أي لقاء حاسم مع المسيح، وجاء التعبير من فقرة في إنجيل يوحنا من خلالها يخاطب المسيح نيكوديم الفريسي: لا تندهش إذا قلت لك: «ينبغي أن تولد من جديد». وهذه العملية من الميلاد الروحي تتضمن ثلاث مراحل: الوعي بحالة الخطيئة، التوبة، قبول نعمة الرب عبر عيسى المسيح المعترف به كمنقذ شخصي. وإذا تم عبور هذه المراحل يعتبر الخلاص مؤكدًا بصورة مطلقة (المترجم).

ونزعة كارثية (أبوكلبسية) مؤسسة على تفسير حرفي للنصوص الرؤيوية للكتاب المقدس، خاصة (سفر الرؤيا،٢٠ : ١-١٠). ووفقًا لهذا السفر من الكتاب المقدس ينبغي أن تدور المعركة النهائية بين الخير والشر في هرمجدون على حافة جبل الكرمل في فلسطين. وستهزم جيوش الله قوى الشر، وسيعود المسيح إلى الأرض وسيؤسس فيها مملكته زهاء ألف عام ـ الألفية ـ قبل البعث النهائي لكل الأموات (فيبر ١٩٩٩م). ويرى اليمين المسيحي في التبدلات التي تشهدها الولايات المتحدة منذ نصف قرن علامات نهاية الزمان. وهذه القناعة، حتى إذا كانت بعيدة عن أن تكون وقفًا على اليمين المسيحي، تطبع بشدة خطابه البلاغي وتجد صدًى خاصًا بين أتباعه.وبالارتباط مع نزعة ما قبل الألفية يستلهم اليمين المسيحي «لاهوت الهيمنة»، والمسمى أيضًا بلاهوت «إعادة البناء»، الذي كان الداعي الأول له روساس جون روشدوني (مولود في ١٩١٦م). وهو تيار أقلية في حد ذاته غير أن له تأثيرًا كبيرًا على فكر بعض قادة اليمين المسيحي مثل بات روبرتسون. وهذا اللاهوت كما يقدمه روشدونى في كتابه INSTITUTES OF BIBLICAL LAW (١٩٧٣م) يتأسس على الآيات الأخيرة من سفر التكوين، حيث يأمر الله آدم وحواء بالهيمنة على الأرض ونباتها ومخلوقاتها (سفر التكوين، ١: ٢٨-٣١) . كما يتأسس على نصوص إنجيل متى « فتقدم يسوع، وكلمهم قائلاً:«دُفِعَ إلى كل سلطان في السماء وعلى الأرض» (متى، ٢٨ : ١٨). وعلى الصعيد السياسي يؤكد لاهوت الهيمنة على أن الشرعية الأساسية للدستور مشتقة من الكتاب المقدس المقروء والمفسر بصورة حرفية. ويستخلص اليمين المسيحي الدليل من هذه العقيدة ليعطي المشروعية للهيمنة «المسيحية» لأمريكا ولكي يهاجم، من بين آخرين، أنصار البيئة تحت باعث أن المسيحيين قد تلقوا التصريح من الله باستغلال مصادر الكون لصالحهم (شوب، ١٩٨٩م، ص ٨٨١) .

تنتعش أيديولوجية اليمين المسيحي وتتأجج طموحاته بالاعتقاد الذي يعبِّر عنه مثل هذا التصريح التالي:« ليس لدينا هدف آخر سوى الهيمنة على العالم تحت سلطة المسيح، و (سيطرة شاملة) ، إذا أردنا [...] تاريخ العالم بين أيدينا » (روشدوني في بوير، ١٩٩٢م، ص ٣٠٣).

يمكن التأكيد على أن الرغبة في منح المجتمع والدولة أساسًا مقدسًا جاء نتيجة للإلحاح على القيم الأخلاقية والعائلية التقليدية التي يعزو لها اليمين المسيحي دورًا رئيسيًا في جعل المجتمع أخلاقيًا. بالنسبة لليمين المسيحي، فإن «إعادة تمسيح (تنصير) أمريكا» ينبغي أن يمر بالضرورة

من الأسرة التي تعتبر «حجر الأساس». وبينما يعطي اليمين الجديد أهمية لمناهضة الشيوعية [سابقًا] والليبرالية الاقتصادية أكثر من الاهتمام بالقضايا الأخلاقية، يجعل اليمين المسيحي معركته الرئيسية ضد الإجهاض، والحركة النسائية، وأفلام العري، وحقوق المثليين. وبما أن اليمين المسيحي قد جعل من «سياسة القيم» المحور الرئيسي لبرنامجه فمن الطبيعي أن تأتي القضايا الاقتصادية في المرتبة الثانية.

يمكن تفسير الأهمية التي يوليها للقضايا الأخلاقية والاجتماعية من خلال أربعة عوامل. أولاً: لأن هذه القضايا قد أهملت لفترات طويلة من قبل حركات اليمين السابقة لصالح التركيز على القضايا الاقتصادية. ثانيًا: لأن سياسة القيم تنتمي لمجال في متناول الجميع. وبالتالي يستند بصورة أساسية إلى الإدانة المستمرة لحصيلة سياسة الليبراليين، لأنها سلبية تمامًا، ولا سيما عدم قدرتهم المفترضة في مواجهة التصرفات الجنسية «المنحرفة»، والجريمة، وتناول المخدرات وانهيار الأسرة. ثالثًا: لأن التبدلات العميقة التي عرفها المجتمع الأمريكي منذ الحرب العالمية الثانية أفضت إلى تغيرات ذات دلالة على صعيد الاعتقادات والسلوك، والتي يعتبرها بعض الأمريكيين كارثية. رابعًا: لأن التركيز على الإجهاض، والمثليين، والصلاة في المدارس يعتبر من القضايا التي تعبئ المواطنين وتخاطب المشاعر أكثر من العقل. وكعامل حاسم في تعبئة الإنجيليين تشكل هذه القضايا حلاً وسطًا وعمليًا يوحد مختلف مكونات اليمين المسيحي وكجسر بينه وبين اليمين الجديد. وهناك ما يدعو للاعتقاد بأن الإلحاح على القيم لا يمكن إلا أن يفاقم الأزمة التي يعيشها الحزبان الكبيران. وهناك دراسة لمارتن وايتنبرج في عام (١٩٩٢م) ترى أن ٣٨٪ من الناخبين الأمريكيين يعلنون بعفوية أنهم مستقلون مقابل ٣٦٪ يعلنون أنهم ديمقراطيون و٢٥٪ جمهوريون. وبالتالي يكون «من لا حزب لهم» هم الحزب الأمريكي الأول (وايتنبرج ١٩٩٥م).

الكنيسة الإلكترونية

يستمد اليمين المسيحي قوته من الاستخدام الكبير للتقنيات الجديدة لوسائل الاتصالات والتجارة (تليفزيون، كمبيوتر، إنترنت) التي وظفها في خدمة الله. «إذا لم يكن اليمين المسيحي قد استخدم تكنولوجيا التليفزيون الديني، كما يؤكد وثنو، ما كان أبدًا ليصل إلى هذه الحركة القوية كما نراها» (وثنو في كرومارتي ١٩٩٣م، ص ٤١). وهو ما يفسر، فضلاً عن ذلك، ما توفر له من

حضور ومكانة. في الحقيقة لعبت «الكنيسة الإلكترونية» دورًا كبيرًا في ظهور ونمو اليمين المسيحي. وكانت الكاريزما والشعبية التي يتمتع بها جيري فالويل وبات روبرتسون وجيمس روبسيون وآخرون من كبار نجوم التليفزيون الديني سببًا في أن عدة ملايين من الإنجيليين غير المهتمين كثيرًا بالسياسة يتحولون إلى صناديق الانتخابات.

وعلى عكس الحركات الدينية ـ السياسية السابقة، لا سيما اليمين المسيحي القديم، الذي انعزل عن الحياة السياسية العامة (ريبوفو، ١٩٨٢م) نجد أن اليمين المسيحي [الجديد] المعبأ كثيرًا يسعى إلى ممارسة دوره السياسي كاملاً. ويريد أن يترك بصمته على التاريخ الأمريكي. وأفضى عزم قادة اليمين المسيحي، الذين يدعون أنصارهم باستمرار «لاستعادة البلد منطقة منطقة» إلى وجود حركة نشطة في كل الاتجاهات.

ينفرد اليمين المسيحي بخصوصية التميز عن المجتمع وفي الوقت نفسه الاندماج فيه. فهو يعارض المسار الحديث للحضارة باسم الدفاع عن التراث الديني المنظور له على أنه التقوى الفعلية الوحيدة والمعيار الوحيد المنظم لكلية الوجود. ويرى أن امتداد العقلانية التكنو-علمية يفضي إلى تغير مستمر في دلالة الرموز الاجتماعية والثقافية وتدمير كل التنظيمات والطوائف التي يجد فيها الكائن الإنساني التضامن والمعنى (بيرجر، ١٩٧٧م). وعندما تهتز المرجعيات الرمزية يشعر الأفراد بالحاجة إلى الاستقرار.

بالنسبة لقادة اليمين المسيحي لا ينبغي على العلم، في أي حالة، أن يشكل قاعدة التفكير الفردي أو الجماعي. وكذلك يرفضون كل ما ينال من قريب أو بعيد من القيم أو العقيدة المسيحية. لكنهم يقبلون، مع ذلك، بالحداثة التكنولوجية ويستخدمون بصورة كبيرة الوسائل الإعلامية والتجارية الجديدة التي تضعها الحداثة التكنولوجية في خدمتهم ليحصلوا على مزيد من الحضور وخاصة العمل على تغيير الثقافة القائمة. غير أن هذا المسار ليس سوى مسار تبسيطي ونظري في آن. ففي الممارسة تسير الأمور على نحو آخر. فثمة ثنائية تحرك الإنجيلية التي تحتوي على مفارقة: اعتراف ضمني بالثقافة السائدة بدون قبولها بشكل صريح. وكذلك عندما تريد تنصير الحداثة نجد أن غلاة المسيحيين المحافظين أنفسهم يساهمون بشكل ما في تحديث المسيحية. كما أنه من الواضح أن الرغبة في المشاركة بالحياة العامة والحصول على دعم خارجي قد أجبر مناصري اليمين المسيحي على تعلم الاعتدال في مواقفهم.

عندما أدركوا مبكرًا، أن الساحة الدينية صارت ساحة منافسة شديدة، تعلم أنصار اليمين المسيحي، ولا سيما الإنجيليين المحافظين، كيف يعيدون صياغة رسالتهم وفقًا لمنطق السوق. ومن أجل الحفاظ على حركتهم اضطروا إلى أن يأخذوا في اعتبارهم المطالب المتعددة للحداثة. وكانت رغبتهم في تلبية حاجات الذين يتوجهون إليهم تفرض عليهم بالضرورة تقديم تنازلات أمام منطق الحداثة. فالفرد وحياته الأفضل وتوازنه النفسي هو ما يحسب له الحساب أكثر من هموم الحياة الأخرى.

صار التكيف، في التحليل الأخير، رهانًا إستراتيجيًا فعليًا يعتمد عليه بقاء الجماعة. ونتج عن ذلك حركة «علمنة داخلية» أخذت شكل توجه نحو الفردية، بصورة مبالغ فيها أدت إلى إبعاد الإنجيليين عن مشروعهم الأصلي الهادف إلى إخضاع الحياة الاجتماعية إلى قانون الكتاب المقدس. ومنذ هذا الوقت ثمة سؤال يفرض نفسه: هل يمكن حقًّا الإفلات من الحداثة؟.

في بداية الثمانينيات لم تهتم وسائل الإعلام كثيرًا بصعود نفوذ الإنجيليين داخل اليمين المسيحي، حيث كانت تنظر له على أنه مجرد تظاهرة للاستقطاب القديم داخل البروتستانتية الأمريكية بين مسيحية تتجه أكثر فأكثر نحو ما هو اجتماعي، ونزعة تدين، على نمط إنجيلي، تتركز حول الاهتداء الشخصي. غير أن التسيس المتزايد لرسالتهم وفعالية بعض إستراتيجياتهم، لا سيما جمع الأموال، التي تكللت بالنجاح منذ الثمانينيات ـ على الصعيد السياسي والاجتماعي ـ فرضت على قطاع كبير من الرأي العام الأمريكي النظر إليهم بجدية. وكان البعض قلقًا إلى درجة أنهم انخرطوا في مقاومة اليمين المسيحي بوصفه تهديداً للعلمانية والديمقراطية.

من الاعتكاف الديني إلى الالتزام السياسي (١٩٢٠ - ١٩٦٠م)

يمكن القول إذا كان اليمين المسيحي قد صار مرئيًا منذ بداية الثمانينيات، فإنه ليس ظاهرة جديدة. إذ كان قد بدأ يتشكل في سنوات العشرينيات، وهي فترة تميزت بالجدل حول تعليم نظرية التطور. ولهذا السبب يرتبط تاريخ اليمين المسيحي مع تاريخ الأصولية. وبشكل أكثر تحديدًا نشأ اليمين المسيحي من انخراط البروتستانت الأصوليين، للمرة الأولى، في الحياة الاجتماعية والتي جسدتها الحملة ضد نظرية التطور. ومع ظهور اليمين المسيحي صارت الحركة الأصولية، التي كانت في الأساس حركة لاهوتية محضة، حركة اجتماعية قبل أن تأخذ منحى

يتوجه نحو المزيد من الانخراط في السياسة في سنوات ما بعد الحرب (ساندين،١٩٧٠م، مارسدين،١٩٨٠م، وبن بركة، ١٩٩٨م). وفي أعوام الثمانينيات صار اليمين المسيحي قوة سياسية بمعنى الكلمة.

قبل أن نتناول الحملة المعادية لنظرية التطور، وهى لحظة حاسمة في نشوء الحركة الأصولية واليمين المسيحي في آن واحد، من المفيد الإشارة إلى أن سنوات العشرينيات قد تميزت بوضوح بسيادة مبدأ التحريم، كنتيجة لحملة ضد تناول الكحوليات، وظهرت دعوة «الاعتدال في شرب الخمر» بدفع من الصحوة الثانية (١٨٠٠-١٨٣٠م).

كان التصويت، في عام (١٩١٨م) على الثمانية عشر تعديلاً التي أقرت التحريم، يعتبر نصرًا كبيرًا للمجموعات البروتستانتية المحافظة والمعادية للمهاجرين الكاثوليك، والمعادية للنخب المنحلة في الضفة الشرقية، والمعادية كذلك لقوى التغير الاجتماعي والثقافي والديمغرافي. بالطبع، كان التحريم يستهدف مشكلة واقعية، وهي مشكلة تناول الخمور في الأحياء الفقيرة، والذي يفضي إلى البطالة والعنف الأسري والمعاملات السيئة للأطفال. غير أنها كانت تتغذى أيضًا بمشاعر معادية للمهاجرين، وبالقلق الذي تثيره العولمة الاجتماعية منذ ظهور أمريكا بوصفها بلدًا ذا أغلبية حضرية. وبالنسبة للقادة الذين يدعون للتحريم كان تناول الخمور من الأمور المشجِّعة على الحداثة. وقدم وليام بريان، وهو مشيخي من الشمال ومرشح ديمقراطي سابق للرئاسة الأمريكية وأحد القادة الرئيسيين لجمعية أصول العالم المسيحي (أنشئت في عام ١٩١٩م)، دعمه لهذه الحملة بإلقاء محاضرات في كل أنحاء البلاد، ومن خلالها جمع أحد عشر ألفًا من الدولارات من رابطة L'ANTI SALOON، التي أنشئت في عام (١٨٩٣م) (مارتن، ١٩٩٣م، ص ٣٧). وقال بيلي سونداي، وهو من غلاة المحافظين، ومن الذين لا يهتمون كثيرًا باعتبارات الخطابة، إن أعداء الثمانية عشر تعديلاً يشكلون «أكثر النفايات خسة من بين المرتزقة والقتلة في هذا الجانب من الجحيم» (ص١٣٤). ثم جاء إلغاء التحريم في عام (١٩٩٣م) في أعقاب إقرار الواحد والعشرين تعديلاً، الأمر الذي تم تفسيره على أنه رفض للمسيحيين المحافظين وكل المناصرين لتطبيق أخلاق حازمة.

كانت بداية الحملة المناهضة لنظرية التطور التي أطلقها علانية وليام بريان في عام (١٩٢٠م)، تعود إلى نشر شارل داروين كتابه «أصل الأنواع». ففي هذا الكتاب الصادر في

عام (١٨٥٩م) يضع عالم البيولوجيا الإنجليزي قواعد ما يطلق عليه حتي أيامنا هذه نظرية التطور، فالأنواع الحية (بما فيها النوع الإنساني) ـ كما يقول ـ لم توجد قط بالصورة التي توجد عليها الآن وأنها كانت ثمرة تغيرات تدريجية أو متعجلة تعود لعمليات انتخاب بين الموجودات المختلفة بصورة غير محددة. ومع مرور الأجيال، كما يمكن أن نتوقع ثار البروتستانت المحافظين ضد هذه النظرية التي تهاجم بعنف في نظرهم أساس الإيمان المسيحي.

كانت الحملة ضد التطوريين تستهدف أساسًا إبعاد نظرية التطور من التعليم العام. فالمقررات التعليمية في العلوم الطبيعية كانت تتيح لعدد كبير من الأمريكيين الاطِّلاع على الفرضيات التطورية. وأن آباء الطلاب لا يمكنهم أن يقبلوا بتعليم أبنائهم نظرية تتعارض مع رواية الكتاب المقدس عن الخلق الإلهي للإنسان، وعن سقوط الإنسان، وعن فداء المسيح له.وعلى مدار سنوات العشرينيات قامت مجموعات، مثل : رابطة الكتاب المقدس بشمال أمريكا، وصليبيي الكتاب المقدس بأمريكا، ومدافعي العقيدة المسيحية، ورابطة مناهضة نظرية التطور، والأصوليين الجوالين (أسلاف اليمين المسيحي الحالي بشكل ما) بممارسة ضغوط على سلطات الولايات حتى تمنع تدريس نظرية التطور. وبين عامي ١٩٢١م و١٩٣٧م، تم تقديم سبعة وثلاثين قانونًا يستهدف منع تدريس نظرية التطور في المدارس الثانوية، في عشرين ولاية من بينها ولاية تينسي عام (١٩٢٤م) والميسيبي عام (١٩٢٦م) وأركنساس وتكساس عام (١٩٢٩م) حيث أقرت هذه القوانين بالفعل وعرفت طريق التطبيق. وفى عام (١٩٢٥م) وقعت محاكمة سكوبس الشهيرة في ولاية تينسي، وهي إحدى اللحظات المهمَّة في تاريخ البروتستانتية الإنجيلية التي وصلت بالحملة المناهضة لنظرية التطور إلى قمتها. وكان جون سكوبس وهو مدرس شاب في دايتون ومدعوم قانونيًا وماليًّا من قبل اتحاد الحريات المدنية الأمريكية، وهو أقوى تنظيم أمريكي في الدفاع عن الحريات المدنية، قد قبل بتعليم تلاميذه أن الإنسان جاء من فصيلة دنيا من الحيوان. ماذا كان هدفه؟ كان يريد التعريف بأفكاره ومعارضة الأصوليين (فورنيس،١٩٦٣م، سزاز،١٩٨٢م، جولدنج،١٩٨٢م، لوكور،١٩٩٢م، نومبرز،١٩٩٦م، أرنولد، ١٩٩٦م).

أثناء المحاكمة تشاجر أنصار نظرية التطور وأنصار نظرية الخلق الإلهي. ورفع الفريق الثاني راية الكتاب المقدس ضد العلم، والوحي ضد التجريب. على الصعيد القانوني، كان الأصوليون منتصرين بشكل جلي. وأدين جون سكوبس بغرامة مائة دولار والطرد من ولاية تينسي.

وقررت المحكمة أن قانون بتلر بولاية تينسي المانع لتدريس نظرية التطور غير متعارض مع الدستور. ولم يلغ هذا القانون إلا في عام (١٩٦٧م).

في الحقيقة، كان هذا الانتصار يحمل معه ما هو أبعد من ذلك، فقد حمل ضررًا أكثر من نفعه ولم يمنح مصداقية أكثر للقضية الأصولية. في الواقع، إذا كان الأصوليون قد كسبوا المحاكمة فإنهم على العكس خسروا المعركة الإعلامية، فالحجج التي استخدمها بريان أثناء مرافعته عن الاتهام تحولت إلى استهزاء من قبل الدفاع وأجهزة الإعلام التي ركزت على الروح الظلامية والمتحزبة للأصوليين، وكذلك مقاومتهم للتقدم والعلم والحضارة[١٥]. فالكاتب الشهير والصحفي ومدير تحرير صحيفة هيرالد بالتيمور هنري لويس مينسكن وصف الأصولية بأنها «الداء الأكبر الذي يواجه الأمة» وأنها «عدوة للعلم والحرية الفكرية». وكان الرأي العام بالمدن يماثل بين الأصولية والظلامية.

انسحب الأصوليون بعد محاكمة دايتون إلى الولايات الريفية بالجنوب، مفضلين بناء جامعاتهم الخاصة (مثل سيمنار دالاس اللاهوتي وجامعة بوب جونز) وأماكنهم الخاصة للألفة والتفكير ـ أي جماعة بعيدة وبمعزل عن الحداثة ـ بدلاً من الانخراط في حياة المدينة. بل حتى كان هناك حديث عن «الهجرة الداخلية»، طالما أن الثقافة السائدة كانت فيما يبدو تعمل على تهميشهم، غير أنهم في الحقيقة ظلوا طواعية بمعزل عن المجتمع؛ لأنهم كانوا لا يريدون أن تصيبهم «وساخة» هذا المجتمع.

هذا الاعتكاف الذي يسميه المؤرخون الانقلاب الكبير استمر من نهاية العشرينيات حتى أواسط السبعينيات، وهي فترة لم يُتوقف فيها الإنجيليون والأصوليون عن الدعوة إلى عدم الانخراط في العمل السياسي. وتوضح دراسات عديدة أن نسبة مشاركة الإنجيليين في الانتخابات قبل الثمانينيات كانت محدودة جدًّا (مينيدوز،١٩٧٧م، ليبمان ووثنو،١٩٨٣م ص ١٦٧و ١٨٥). كما أكدت ذلك كورين شميث: «قبل سنوات الثمانينيات كان الإنجيليون أقل انخراطًا في الحياة السياسية من غير الإنجيليين» (شيمدت في كرومارتن،١٩٩٣م ص ٩٣).

لم تكن الأمور، مع ذلك، سهلة . ففي سنوات الثلاثينيات كان بعض الوعاظ الديماغوجيين، مثل وليام بيلي وجيرالد وينرود (مؤسس المدافعين عن العقيدة المسيحية والمدافعين الجوالين) وجيرالد سميث، يقدمون أنفسهم كمدافعين عن الإيمان والثقافة الإنجيلية، ويطبعون جيلهم بخطابات صريحة في عدائها للكاثوليك والعداء للسامية، والموالاة للنازية. قام وينرود في أحد خطاباته، في عام (١٩٣٤م)، بمديح لهتلر لأنه «تحدى نزعة التخفي اليهودية والشيوعية وأجهزة المال الكبرى» وقال كل ما هو خير، في نظره، عن النازية (وينرود في مارتن ١٩٩٦م، ص ٢٠).

أشعلت الحرب الباردة حماسة القوى البروتستانتية المحافظة. ولم يعد العدو ـ هذه المرة ـ هو داروين وإنما الشيوعية، التي نظر لها بوصفها الشر المطلق، والعدو القاتل للديمقراطية والمسيحية. ودخل الأصوليون والإنجيليون في مقاومة ضد الخطر السوفيتي مخالفين من جديد حيادهم المزعوم. واشتهر، في هذا الوقت، المشيخي كارل ماك انتير (١٩٠٦-٢٠٠٢م)، وهو رمز للانغلاق الديني والتطرف السياسي، بدعوته لاستخدام السلاح الذري ضد الاتحاد السوفيتي. وتحت اندفاعاته تعاون المجلس الأمريكي للكنائس المسيحية، الذي أنشأه في عام (١٩٤١م)، مع لجنة النشاط الأمريكي (HUAC)، التي كانت تتعقب العناصر التي يفترضون أنها شيوعية داخل أجهزة الدولة المختلفة. غير أن أهدافه المميزة كانت بدون شك المجلس القومي للكنائس والمجلس العالمي للكنائس، الذي وصفهما بأنهما «مراكز الحركة الشيوعية في الولايات المتحدة» (هيملستاين، ١٩٩٠م ص ١١٤).

تدريجيًّا تكوَّنت شبكة عريضة تعمل في الواقع ضد الشيوعية، وظهر عدد من التنظيمات السياسية الدينية مثل الصليبية المسيحية (بيلي جيمس هارجيس) رابطة كنائس أمريكا (أدجار بوندي) الحملة الصليبية المناهضة للشيوعية (فريد شوارز) والمجلس الأمريكي للكنائس ليمان (فيرن كواب).

عقد هؤلاء الرجال، تحت تأثير الخوف من الخطر الشيوعي، علاقات وثيقة، إلى حد ما، مع السيناتور جوزيف مكارثي. وكانت هذه التنظيمات لا تجد إلا صدى محدودًا بين صفوف الأصوليين. ولم تتمكن من القيام بعمليات تجنيد واسعة في صفوفهم، طالما قرروا أن يظلوا بمنأى عن مجال العمل العام.

إذا كان بعض القادة الأصوليين قد ارتبطوا وتعاونوا مع العناصر الأكثر رجعية في التيارات السياسية الذين يمارسون سياسة ملاحقة الخصوم، فإن الإنجيليين قد شاركوا أيضًا في مناهضة الشيوعية، وكان بيلي جراهام(*) ـ وهو أحد الدعاة الإنجيليين الذي تخلى عن جذوره الأصولية ـ

(*) بيلي جراهام : أشهر الدعاة الإنجيليين في أمريكا في النصف الثاني من القرن العشرين وله علاقات حميمة مع عدد كبير من رؤساء الولايات المتحدة، بدءً من أيزنهاور وجونسون ونيكسون وعائلة بوش وكلينتون . وقال عنه بوش الصغير إن هدايته تعود لهذا القس . وله مؤلفات وبرامج تليفزيونية وإذاعية كثيرة . وكانت تصريحاته تتسم بالشدة والعنف في مجال السياسة الخارجية لأمريكا . وكان يطلق من وقت لآخر تصريحات معادية للإسلام والمسلمين ثم اعتزل التبشير وترك لابنه مهمة مواصلة العداء للإسلام والمسلمين ودعم إسرائيل بلا حدود. (المترجم).

أحد أوائل رجال الدين الذي أعاد الارتباط مع العالم السياسي بسبب الخوف من الغزو الشيوعي، و كان يدافع عن معرفته بالسيناتور مكارثي. وفي عام (١٩٥٤م)، وفي مجلة تميل بشدة لليمين هي أمريكان ميركوري، كتب بيلي جراهام مقالة عنيفة توضح التقارب بين رؤيته السياسية ورؤيته المسيحية المستمدة من سفر الرؤيا: «إما أن تموت الشيوعية أو أن تموت المسيحية، الأمر يتعلق الآن بالمعركة بين المسيح والمسيح الدجال» (جراهام في جوتورث ١٩٩٨م، ص ٥٠).

عندما كان الأمر يتعلق، في سنوات الستينيات، بتأييد حركة الحقوق المدنية أو رفضها، وبينما تظاهر عدد كبير من رجال الدين الليبراليين إلى جوار السود، فإن الإنجيليين والأصوليين دعوا، على العكس، إلى الامتناع عن العمل السياسي. وفي ٢١ مارس عام (١٩٦٥م)، أي بعد أسبوعين من أحداث التمرد لصالح الحقوق المدنية، في سيلما بولاية ألاباما[١٦] ألقى جيري فالويل خطبة ما زالت تحتفظ بشهرتها «قساوسة ومسيرات»، وفيها يهاجم القساوسة السود والليبراليين الذين يساندون أعمالهم وأدان أي نشاط سياسي من جانب رجال الدين. فالمهمة الرئيسية لرجال الكنائس، كما قال، هي الانشغال بخلاص الروح وليس بالشئون السياسية والاجتماعية. وأضاف، متحدثًا عن نفسه أن مهمته في التنصير والهداية لا تترك له وقتًا كي ينشغل بمثل هذه القضايا. وهذا القول لم يمنعه، بعد عدة سنوات، من التحول والتوجه بكل قواه للانخراط في النشاط السياسي «لقد أراد الله اليوم أن أنظر أبعد من لينشبرج [مسقط رأسه في ولاية فيرجينيا وحيث يقوم بالوعظ] فنحن لا يمكن أن نكون انعزاليين، ينبغي أن ننشغل بأمور الدنيا بأسرها» (فالويل في بودهورتيز ١٩٧٩م، ص ٧٢). وصار منذ هذا الوقت، يشجع أنصاره على الانخراط في العملية السياسية، بتسجيل أنفسهم على قوائم الانتخابات وبالتصويت لصالح المرشحين الذين تتفق مواقفهم مع تجديد الطابع الأخلاقي للمجتمع، والعمل على هزيمة المرشحين الليبراليين. وبدا إذن أن «المسيحي الجيد» لم يعد هو ذلك الذي ينسحب أمام التحديات العامة باسم اعتكاف ديني لم يعد أكثر فأكثر موضة العصر، وإنما على العكس هو ذلك الذي يقرر باسم إيمانه التأثير في حياة الأمة كمواطن يمتلك سلطة التصويت والترشيح. وعلى هذه القاعدة عاد الإنجيليون والأصوليون، في النصف الثاني من السبعينيات، إلى مقدمة الساحة كقوة سياسية مناضلة.

من إستراتيجية الدفاع إلى الحملات الصليبية الهجومية (١٩٧٠ - ٢٠٠١م)

يقع هذا التحول في سياق سنوات ١٩٦٠-١٩٧٠م، فترة من كنيدي إلى كارتر، والتي شهدت نمو تيار قوي من التقدم الاجتماعي والتحرر والمطالبات من كل نـوع (حركة الحقوق المدنيـة، الحركة النسائية، معارضة حرب فيتنام). وكذلك كان من الأمور ذات الدلالة حالة التأزم الجماعي في عـام (١٩٧٩م) عقب أزمة الرهائن الأمريكية في إيران، والتي لم يعرف الرئيس كارتر كيف يحلها.

في الواقع، تعود أسباب التغير في موقف الإنجيليين، بشكل أساسي، إلى أسباب دفاعية فهي تعبير عن الهموم الكبرى الاجتماعية والاقتصادية والإثنية والعنصرية الناشئة من واقع أن السكان «الأصليين» البيض الأنجلو ساكسون والبروتستانت (WASP) قد فقدوا تدريجيًا تفوقهم. ويضاف إلى هذه المشاكل قلق طبقي عائد إلى المشاكل الاقتصادية المتتالية مع الصدمة البترولية الأولي عام (١٩٧٣م) والثانية عام (١٩٧٩م)، حيث أفضى كل هذا إلى ثلاثة عقود من ركود لا نظير له في الدخول الحقيقية للطبقة المتوسطة الأمريكية البيضاء.

وأخيرًا لا يمكن القول إن هذا الانقلاب جاء كرد فعل على تزايد التدخل الحكومي في الاقتصاد، واستمرار دولة الرعاية التي أسسها روزفلت من خلال النيوديل (النموذج الجديد)، والتي عززها الرئيس جونسون في «الحرب على الفقر». وكذلك يعود هذا الانقلاب إلى قرارات العدالة التي بدا أنها تتحلل من المعايير المنظمة للحياة الجنسية، أو من مكانة الله في المجتمع والرموز الدينية في الحياة العامة.

وبناء على قرارات المحكمة العليا في قضية إنجيل/ فيتـال (١٩٦٢م) وقضية إبنيجتون سكول/ شيمب عام (١٩٦٣م) المانعة على التوالي الصلاة في المدارس العامة وقراءة الكتاب المقدس، وجدت كل الرموز الدينية نفسها مبعدة عن كل النشاطات المدعومة من قبل الحكومة بدءا بالمدرسة العامة. وإلى جوار هذا المنع يمكن إضافة إقرار الكونجرس في عام (١٩٧٢م) لتعديل دستوري يضمن للنساء المساواة القانونية مع الرجال (ERA)، الأمر الذي فاقم من الخوف الذي استشعره الإنجيليون[١٧]. وعندما صار هذا التعديل الدستوري حول المساواة في الحقوق، الذي تم النظر إليه كمؤيد للثورة النسائية، قابلاً للتطبيق في الولايات المتحدة اعتقد اليمين المسيحي أن

الأمر يتعلق هنا بالتشكيك في مبدأ الكتاب المقدس الذي يرى أن مكان المرأة هو المنزل. وبشكل أكثر عمومية ينظر المسيحيون المحافظون إلى الثقافة الدنيوية الحديثة، التي تنشرها أجهزة الإعلام الكبرى والمؤسسة الحاكمة، بوصفها اعتداءً متواصلاً على القيم الأخلاقية والدينية.

لم يعد رفض الانخراط في شئون المدينة، بالنسبة للبروتستانت المحافظين، متفقًا مع الأوضاع القائمة. ولا يمكنهم أن يظلوا مكتوفي الأيدي أمام هذه القرارات التي تصدرها المحاكم والتي كان هدفها، كما يرون، هو إقصاء الله عن الحياة العامة. ولا أن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام التعديل الدستوري الذي يضمن للمرأة حق المساواة، الذي ينتهك، في نظرهم، استقامة الأسرة الأمريكية التي تعيش حالة ضعف أصلاً من جراء آثار الحداثة. وأمام النجاح المعلن للتعديل الدستوري حول حق المساواة للمرأة انطلقت فيلسي شالا فلاي في أكتوبر عام (١٩٧٢م)، وهي من غلاة الناشطات المحافظات، في حملة لوقف التعديل الدستوري (ERA)، والتي بشكل ما أطلقت تجمعًا لكل الاتجاهات التي ستشكل اليمين المسيحي القادم. وكان الحدث الآخر الأكثر أهمية هو قرار المحكمة العليا (أثناء قضية رو/ واد ١٩٧٣م) الذي أعطى تسهيلات للجوء إلى الإجهاض. وبهذا القرار سحبت المحكمة العليا عمليًّا، من الولايات إمكانية تحديد حق اللجوء للإجهاض في الشهور الستة الأولى من الحمل. وكان هذا القرار، بالنسبة لخصومه، تحديًا حقيقيًّا وكان بالتالي بمنزلة المفجر للشرارة. وأخيرًا، عندما هددت المكاتب الفيدرالية للضرائب بإلغاء الإعفاءات الضريبية التي كانت تتمتع بها المدارس والجامعات الإنجيلية، رأى المحافظون البروتستانت في ذلك بداية حرب مقدسة.

مثل تلك التغيرات في المناخ الاجتماعي عاشها من سيكونون أنصار اليمين المسيحي القادمين على أنها حالة تأزم. فهي نوع من التدخل يتحدى رؤيتهم للعالم، ويؤثر على عملية نقل معتقداتهم وقيمهم لأطفالهم. وكانت أمريكيتهم المسيحية تبدو وكأنها تختفي أمام أعينهم. وبالبداهة كان كل شيء يدفعهم إلى الانطلاق في حملة صليبية. وبينما كانت عودة الإنجيليين والأصوليين إلى مقدمة الساحة كقوة سياسية مناضلة ينظر لها من قبل خصومهم على أنها هجوم يستهدف الهيمنة، كانت هذه العودة في الأصل رد فعل جماعيًّا.

إذا كان تسييس الإنجيليين والأصوليين قد حررهم من تناقض، صار من الصعب تمثله، بين القناعة بدور مسياني لأمريكا ـ وهي قناعة تستدعي بالضرورة التدخل في شئون المجتمع ـ

والخطب الداعية للانسحاب من العمل السياسي الذي دعوا إليه زهاء عقود عديدة. ولا يزالون يجدون أنفسهم في موقف حرج: كيف كانوا يعيبون على الليبراليين أنهم قاوموا العزل العنصري في الستينيات تحت ادعاء أن معركتهم كانت ذات طبيعة سياسية، ثم يقومون هم بعد عشرين عامًا بمقاومة الإجهاض كأحد ركائز برنامجهم السياسي.

في عام (١٩٧٦م)، وهو العام الذي أطلقت عليه مجلة التايم والنيوزويك «عام الإنجيليين، صوَّت ثمانية ملايين ناخب إنجيلي لواحد منهم، من المولودين ثانية مسيحيًّا وهو جيمي كارتر. وبتعهده ألا يكذب أبدًا على الشعب الأمريكي، وبتقديم نفسه «كمسيحي إنجيلي» أعطى كارتر صورة مشجعة لطائفة تستشعر بأن أمامها دورًا كبيرًا عليها أن تنهض به في الحياة السياسية. ويعتبر كارتر، وهو معمداني راسخ وعضو في المؤتمر المعمداني الجنوبي (وهو أكبر تجمع بروتستانتي أمريكي ويضم ستة عشر مليونًا من الأتباع) أول رئيس يخرج من الجنوب القديم منذ الحرب الأهلية[١٨]. ومع ذلك آثر أن يظل في إطار الخط القومي (أي الليبرالي) للحزب الديمقراطي، ورفض كذلك إقرار قرارات كان ينتظرها منه رفاقه المتدينون، مثل منع الإجهاض وتمويل التعليم الديني، وكان نتيجة ذلك غضب وإحباط أغلب الناخبين الإنجيليين. وكذلك أصاب كارتر الإنجيليين بالإحباط ؛ لأنه لم يفعل شيئًا للإبقاء على الإعفاءات الضريبية التي كانت تستفيد منها مؤسساتهم، والتي هددت مكاتب الضرائب الفيدرالية بإلغائها. وأخيرًا أزعجهم كارتر بتركيزه على حقوق الإنسان على حساب بعض القيم المسيحية التقليدية.

ستتعمق الفجوة أكثر بين كارتر ورفاقه المتدينين بسبب سياسته الخارجية، إذ كانوا يدينون موقف كارتر من الشيوعية، مؤكدين أنه لم يكن مدركًا للخطر السوفيتي. وأثارت الاتفاقية التي وقعها مع موسكو في يونية عام (١٩٧٩م) (سالت ٢) معارضة شديدة داخل الطائفة الإنجيلية، وكذلك داخل مجلس الشيوخ الذي رفض التصديق عليها. وعندما تزعم كارتر مبادرة السلام بين إسرائيل ومصر، والتي تجبر الدولة العبرية على إعادة صحراء سيناء، التي استولت عليها أثناء حرب عام (١٩٦٧م وعام (١٩٧٣م)، لم يؤيد الإنجيليون تمامًا محاولته واعتبروا أنها مناقضة للعهد الإبراهيمي.

وكتعبير عن الاحتجاج انقلب الناخبون الإنجيليون القدامى ضد جيمي كارتر بتوقيعهم تحالفًا مع الجناح المحافظ بالحزب الجمهوري. وللسبب نفسه وجهوا دعمهم الجماعي لرونالد

ريجان الذي اعتبروه بطلهم. وفي اللحظة التي كان يستعد فيها الإنجيليون الأمريكيون للعودة إلى الساحة السياسية كان هناك جيل جديد من النشطين مثل بول فيريش، وايدماكتير، وهوارد فليب، وريشارد فيجري (الملقب بـ حوت الإعلانات بالمراسلة) وجود دولان (توفي ١٩٨٦م)، يحلمون جميعًا بتشكيل يمين جديد يعطي الحزب الجمهوري انطلاقة جديدة أكثر محافظة[١٩]. ولم يكن ينقص مشروع فيجرى ورفاقه القدرة على جذب العديد من مناضلي اليمين مثل شارل كولسون وفيلسي شالافلاي ودونالد ويلدومون الذين كانوا في غاية النشاط. وإذا كانت إدارة كارتر استطاعت أن تحبط القادة الإنجيليين والأصوليين، فإن فيجري ورفاقه عاشوا الأمر ذاته في أول إحباط لهم من الحزب الجمهوري. فلم يهضموا فشل السيناتور باري جولد ووتر، وهو من غلاة المحافظين في ولاية أريزونا، في الانتخابات الرئاسية في عام (١٩٦٤م)، وكذلك الطريقة التي استفاد بها الحزب الجمهوري من هذا الأمر لتبرير تخليه، كما يرون، عن جناحه اليميني. وهؤلاء الآباء المؤسسون لليمين الجديد هم دائمًا قادة هذا التيار.

من المهم الإشارة إلى أنه، بعد الفشل الذي مُني به ترشيح باري جولد ووتر كمرشح عن الحزب الجمهوري، قد سجل تحولاً سياسيًا فيما يتعلق بتأكيده على حدوث تغيير في الخريطة الانتخابية التي ظهرت في الخمسينيات، فمنذ الحرب الأهلية كان الديمقراطيون يهيمنون على الغرب الأوسط في منطقة الصخور (REGION DES ROCHEUSES). وكذلك كان يوجد نفوذ ديمقراطي راسخ في ولايات الجنوب. والحال أنه انطلاقًا من الخمسينيات بدأت النزعة المحافظة الجمهورية في التقدم لدى بيض الجنوب والغرب. فقد أثار نشاط الديمقراطيين لصالح الحقوق المدنية استياء الناخبين البيض، خاصة العمال وأصحاب الياقات الزرقاء(*)، الذين كان لديهم شعور بأنهم أهملوا لصالح السود. وابتداء من عام (١٩٦٤م) تحول الجنوب تمامًا إلى اليمين وصار أحد القلاع الجمهورية الرئيسية. وفضلاً عن هذا الانتقال بين الأحزاب حدث تحول حاسم داخل الحزب الجمهوري . فمع وصول باري جولد ووتر إلى أعلى المناصب بالحزب تحولت المعارضة، التي كانت دائمًا بين الجمهوريين المعتدلين والمحافظين، إلى صالح الأخيرين وذلك على الرغم من عدم حصول جولد ووتر على ترشيح حزبه (بريتان،١٩٩٥م، وماكجير، ٢٠٠١م).

(*) الياقات الزرقاء : للتدليل على حالة العمال المتدنية في مقابل أصحاب الياقات ابيضاء الذين يعملون في ظروف أفضل.(المترجم).

لم ينتظر بول ويريش ورفاقه كثيرًا حتى يدمجوا في حملتهم عددًا من القساوسة المؤثرين، لا سيما الذين يعملون في الإعلام الديني مثل جيري فالويل وبات روبرتسون، وأيضًا جيمس روبسون (من تكساس) نظرًا للجمهور الكبير الذي يصغي لبرامجه التليفزيونية الدينية، مثل: ساعة من إنجيل الزمن القديم، ونادي السبعمائة. وبالإضافة للنفوذ الذي يتمتع به فالويل والقساوسة الآخرون على أنصارهم كان ويريش وأتباعه يعتمدون كثيرًا على الوسائل المالية التي كان يعتمدها الإنجيليون التليفزيونيون لدعم وتمويل هذه الثورة التنظيمية لليمين.

من أجل ضم هؤلاء القساوسة وأتباعهم أنشأ إستراتيجيو اليمين الجديد عددًا من المنظمات مثل الصوت المسيحي والمائدة المستديرة الدينية التي كانت تقوم بحملات انطلاقًا من شعارات «مع الله، مع الأسرة، مع أمريكا». وفي عام (١٩٧٩م) ساعد كل من ماكتيرو فيجرى القس جيري فالويل على إنشاء «الأغلبية الأخلاقية»، وهي لوبي سياسي - ديني كان دوره الأساسي تعبئة القساوسة وإغراق أفراد كنائسهم بسيل من الدعاية السياسية. ولم يتردد المرشح ريجان عن حضور الاجتماعات التنظيمية للقادة الأصوليين حتى يعزز الروابط مع اليمين المسيحي. فريجان، الذي لم يعلن قط عن انتمائه للإنجيلية، ولا عن ميل خاص لهذه الحركة، أدرك بفضل الشباب النشط باليمين الجديد أن الناخبين الإنجيليين يمتلكون أحد المفاتيح الأساسية للوصول إلى البيت الأبيض. ومن جانبها، كانت الطائفة الإنجيلية تجد نفسها فيه، نظرًا لإيمانه الذي كان إيمانًا وطنيًّا. ولم يكن أقل المفارقات أن يُقَارن جيمي كارتر مع ريجان، الذي مارس الطلاق ولديه مشاكل في العلاقات مع أولاده، ولم يكن يمارس الطقوس الدينية إلا قليلاً، أن ينظر له بوصفه أفضل نموذج لما هو أخلاقي.

كانت الإستراتيجية التي اتبعها ويريش وماكتير قد أثبت نجاعتها طالما أن ريجان فاز في انتخابات عام (١٩٨٠م). فقد تحرك الإنجيليون لصالحه والذين كانوا يمثلون في هذه الفترة، وفقًا للتقديرات، ٢٠٪ من الجسم الانتخابي. وبالإجمال، كان هناك أربعة ملايين من الأصوات حملتها الأغلبية الأخلاقية لصالح المرشح الجمهوري. غير أن الوفاق الذي تم بين الرئيس ريجان واليمين المسيحي أثناء الحملة الانتخابية لم يدم طويلاً؛ حيث إن ريجان في لحظة تشكيل فريقه الحكومي لم يمنح مسئوليات سياسية كبرى لقادة اليمين المسيحي، الذين نظر إليهم على أنهم غير أكفاء[٢٠]. ومن أجل أن يعيد الحياة للتحالف مع اليمين المسيحي أعلن ريجان أن عام (١٩٨٣م)

هو «عام الكتاب المقدس»، وأكثر من ظهوره أمام المنظمات الأصولية والإنجيلية. وصرح أثناء إفطار صلاة نُظِمَ في ٢٣ أغسطس عام (١٩٨٤م) في دالاس، أمام ضيوفه الأصوليين أن «السياسة والدين لا ينفصلان» (ريجان في هارين وشواب ١٩٨٦م، ص ٣٦). وقد أتى هذا التكتيك بثماره. فقد وصف فالويل كلاً من ريجان وجورج بوش الأب بأنهم «أدوات الله من أجل إعادة بناء أمريكا». وحصل ريجان في الواقع على رئاسة ثانية. فقد صوَّت ٨٠٪ من الإنجيليين من جديد لصالح المرشح الجمهوري (هيكلو وماكلاي،٢٠٠٣م، ص ١٧٧) .

عندما ضمن ريجان فوزه لم يقبل تعيين إلا عدد قليل من الشخصيات المسيحية في المناصب الحساسة. ولم يفعل شيئًا لإعادة نشر القيم الأخلاقية التقليدية والعزيزة على قلب الأصوليين. وفي عام (١٩٨٦م) أراد تحسين العلاقات مع اليمين المسيحي بتعيين القاضي روبرت بورك، وهو مناضل مناصر للمنع التام لحق الإجهاض، غير أن ريجان اضطر للتراجع أمام قوة المعارضة التي ظهرت ضد هذا الأخير، الذي كان يُنْظَر له كمتطرف. وكان اختيار القضاة ساندرا داي أوكنور (أول امرأة تدخل المحكمة في عام ١٩٨١م) وأنتوني كنيدي ودافيد سوتر، محبطًا بشكل خاص، فبرغم كونهم محافظين إلا أنهم تجنبوا المساس بالحق في الإجهاض، والذي كان من شأنه أن يثير استياء اليمين المسيحي الذي رأى في هذه التعيينات ـ وخاصة تعيين ساندرا داي أوكنور ـ أول خيانة من الرئيس ريجان. وفي اللحظة التي كان يغادر فيها هذا الأخير البيت الأبيض كانت الصلاة ما تزال ممنوعة في المدارس العامة والإجهاض ما زال شرعيًا.

في سبتمبر عام (١٩٨٧م) قرر بات روبرتسون ترشيح نفسه أمام جورج بوش الأب على اختيار الحزب الجمهوري لمرشحه للرئاسة خلفًا لرونالد ريجان. وكان ترشيح روبرتسون يعكس نفاذ صبر وعدم الرضا الذي يشعر به قطاع من اليمين المسيحي أمام المكاسب القليلة التي تحققت في فترة ريجان. غير أن ترشيحه انتهى بسرعة، حيث سقط في مارس عام (١٩٨٨م) في ولايات الجنوب، حيث، وهو أمر غريب، لم يحصل إلا على ١٥٪ من الأصوات. وكان فشله يعود بشكل خاص إلى انتمائه لمذهب الخمسينية، وإلى مواقفه الحربية في السياسة الخارجية وإلى مساندته للدكتاتوريات اليمينية في العالم. وبعد انسحاب روبرتسون انضم اليمين المسيحي، بالضرورة، إلى الحزب الجمهوري، مصوتًا إلى جورج بوش الأب. وفي السنة التالية، وكي ينتقم، أسس روبرتسون لوبي سياسيًا دينيًا آخر هو التحالف المسيحي، الذي رأسه الأسقفي الشاب

رالف ريد حتى عام (١٩٩٧م). ويعتبر في الوقت الحاضر اللوبي السياسي - الديني الأكثر أهمية لليمين في الولايات المتحدة.

صار اليمين المسيحي، منذ نشأة التحالف المسيحي، قوة سياسية بكل معنى الكلمة ومكونًا رئيسيًا للحزب الجمهوري. ونجح التحالف المسيحي في عام (١٩٩٢م) في السيطرة على الحزب في ثماني عشرة ولاية، وعين ثلاثمائة مفوض، من ألفين ومائتين وتسعة، إلى مؤتمره القومي في هوستون بتكساس غير أن «التنصير» المفرط للبرنامج الرسمي للجمهوريين قد ساهم في هزيمة جورج بوش الأب - الذي بدا غير قادر على السيطرة على حزبه الخاص - تمامًا مثلما هو الحال مع بوب دول في عام (١٩٩٦م). وبينما أربك انتخاب كلينتون في عام (١٩٩٢م) اليمين المسيحي، كان أغلبية السكان، على العكس، يرون في كلينتون واحدًا منهم، ويقدرون ملمح الشباب والطموح لديه. وكان اليمين المسيحي على قناعة بأن الشيطان نفسه هو الذي يسكن البيت الأبيض في هذا الوقت. ثم إن هناك زوجته هيلاري، وهي امرأة مكتملة وشجاعة ومستقلة ومتحررة أي على النقيض من الزوجة الصالحة والأم الطيبة وفقًا للمنطق الإنجيلي.

أثناء مناقشة إصلاح نظام الرعاية الصحية التي حدثت في عامي ١٩٩٣م و ١٩٩٤م دعم التحالف المسيحي الجمهوريين المحافظين الذين توصلوا إلى إفشال الخطة التي اقترحتها هيلاري كلينتون. وللحصول على دعم اليمين المسيحي قام الجمهوريون، بدفع من نيوت جنجريتش - ممثل ولاية جورجيا - بالتركيز على سياسة القيم التي يدافع عنها الإنجيليون. ونجح هذا التكتيك حيث فاز الجمهوريون بالانتخابات التشريعية في عام (١٩٩٤م)، وأكثر من ذلك حصلوا على الأغلبية في مجلس النواب والشيوخ للمرة الأولى منذ عام (١٩٥٤م). ولم يكن أقل من مائة نائب جديد قد تم دعمهم من قبل اليمين المسيحي وحصل نيوت جنجريتش، الذي صار رئيسًا لمجلس النواب، في بداية عام (١٩٩٥م)،على مليون دولار من التحالف المسيحي من أجل تنفيذ برنامجه الانتخابي، «عقد مع أمريكا»[٢١] في مقابل ذلك، وفي العام ذاته، حصل رالف ريد على انضمام الجمهوريين المحافظين إلى برنامج التحالف المسيحي المسمى «عقد مع الأسرة الأمريكية».

انطلق الحزب الجمهوري، بدفع من اليمين المسيحي، بتعجل في قضية لوينسكي - التي يطلق عليها لوينسكي جيت - والمتعلقة بعلاقة كلينتون مع مونيكا لوينسكي، وهي متدربة شابة بالبيت

الأبيض . وتقع هذه القضية في سياق حملة ممتدة من قبل الجناح المتطرف بالحزب الجمهوري . وكان غلاة المحافظين والأصوليين قد استغلوا بصـورة انتهازية «الضلالات الجنسية» للرئيس كلينتون لإرغامه على الاستقالة، معطين بذلك المصداقية لزوجته، التي كانت ترى في هذه التصرفات «مؤامرة واسعة من اليمين» تجاه زوجها. فمنذ انتخاب كليتتون في عام (١٩٩٢م) واليمين المسيحي يتملكه حقد دفين على الزوج الرئاسي، جعله في طليعة من يريدون إخراجه من السلطة. فالرئيس كليتتون كان يجسد في نظر خصومه كل ما يكرهونه، فهو من أبناء الجيل الجديد، وتمكَّن من الهرب من حرب فيتنام، وعرف عنه تدخين الماريجونا وعلاقاته خارج الزواج لم تكن قط سرًا خافيًا عن أحد، لكن فوق كل ذلك تم انتخابه على أساس برنامج مناقض للقيم الأخلاقية التقليدية. وإذا كان اليمين المسيحي يحقد عليه كثيرًا، فذلك لأنه عين في المحكمة العليا قضاة معروف عنهم تأييدهم للحق في الإجهاض مثل روث بادير جينبرج واستيفان بريير. وهذا التعيين لم يكن مقبولاً، كذلك، من قبل الكاردينالات الأمريكيين . وكانت تبرئة كليتتون من مجلس الشيوخ في ١٢ فبراير عام (١٩٩٩م)، تمثل من عدة نواح أول إيقاف جدي للحملة التي يقودها اليمين المسيحي وأنصاره منذ بداية الثمانينيات من أجل تقنين الأخلاق والحياة الجنسية للأمريكيين.

في عام (١٩٩٦م) فضل اليمين المسيحي بوب دول على باتريك بوكانن الذي لم تكن انتقاداته لعالم المال وأصحاب المشروعات تروق لقادة اليمين كرالف ريد ويات روبرتسون. وكما أوضح ستيفان مانسفيلد، في عام (٢٠٠٠م)، نظرًا لأحقاد قديمة لم يكن جورج بوش الابن هو الاختيار المفضل لليمين المسيحي الذي قدم مرشحه للانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري جاري بوير (مانسفيلد ٢٠٠٣م، ص ١١٢). لكن بعد الفشل المدوي لجاري بوير قدم اليمين المسيحي دعمه القاطع والدائم لجورج بوش. وعلق بات روبرتسون وأتباعه أملاً كبيرًا على جورج بوش في أن يحقق الوعود التي لم يفِ بها ريجان. وشهد المؤتمر الجمهوري الذي انعقد في الفترة من ٣١ يولية إلى أغسطس عام (٢٠٠٠م) في فيلادلفيا سيادة التيار المحافظ، بصورة لا رجعة فيها، على الجناح المعتدل بالحزب. ويوم التصويت كان ٨٠٪ من الإنجليين قد صوتوا لصالح جورج بوش.

في عام (٢٠٠٠م) دفع بات روبرتسون اليمين المسيحي لدعم جورج بوش وإقصاء أكثر منافسيه خطورة جون ماكين، وهو المرشح الآخر أمام الحزب الجمهوري. وأثناء حملة انتخابية

في كارولينا الجنوبية زار جورج بوش، في ٢ فبراير عام (٢٠٠٠م)، جامعة بوب جونز الأصولية. وفي الخطاب الذي ألقاه لم يتعرض إلى الممارسات العنصرية لعائلة جونز ولا إلى نزعتها المعادية للكاثوليكية. ولم يمر هذا دون انطلاق سيل من الانتقادات الشديدة من جانب خصومه سواء من الجمهوريين أو الديمقراطيين. وبمجرد أن انتهى بوش من خطابه اندفع جون ماكين في هجوم موجه للناخبين الكاثوليك بغرض نزع المصداقية من جورج بوش، بالتركيز على مساندته المفترضة لآراء جامعة جونز. وكما هو متوقع أدان اليمين المسيحي بشدة مناورة جون ماكين، ولعب ناخبوه، بعد ذلك، دورًا حاسمًا في الولايات المتنازع عليها أكثر من غيرها. وأثناء الخمسة والثلاثين يومًا التي استغرقها فرز الأصوات في فلوريدا، لم يتوقف اليمين المسيحي عن الصلاة من أجل أن ينجح جورج بوش. وتحققت أمنيته في النهاية. ووفقًا لـ هوج هيلكو وويلفريد ماكلاي فإن ٨٤٪ من الناخبين الإنجيليين صوتوا في عام (٢٠٠٠م) لصالح جورج بوش (هيلكو وماكلاي،٢٠٠٣م، ص ١٨٦) . وتحت تأثير اليمين المسيحي صار البرنامج الرسمي للحزب الجمهوري في عام (٢٠٠٤م) أكثر توجهًا نحو اليمين مما كان عليه في عام (٢٠٠٠م)، وينادي علانية بمنع الإجهاض ويعترض على الاعتراف بأي شكل من الزواج المدني بين المثليين. وفي الثاني من نوفمبر عام (٢٠٠٤م) تحرك ٢٦,٥ مليونًا من الإنجيليين ومن المولودين ثانية مسيحيًا نحو صناديق الاقتراع وصوت ما يقرب من ٧٩٪ منهم لصالح جورج بوش. وبالإجمال كان نصف من صوتوا لجورج بوش من الإنجيليين أو من المولودين ثانية مسيحيًا (ايدسال،٢٠٠٤م). لكن كما سنرى فيما بعد سنجد أن العلاقات بين اليمين المسيحي والرئيس جورج بوش لم تكن أيضًا صريحة ولا هادئة كما تبدو.

مما سبق سنحتفظ من تاريخ اليمين المسيحي بثلاث لحظات مهمة : أنه نشأ في العشرينيات كرد فعل على نظرية التطور. وفي سنوات الأربعينيات والخمسينيات كانت مناهضة الشيوعية بمثابة الشرارة التي جمعت بين تشكيلات متعددة وأفضت إلى تأسيس اليمين المسيحي القديم. وقد تحرك الإنجيليون ـ الذين غابوا بصورة علنية عن المشاركة في الدفاع عن الحقوق المدنية التي ميّزت الستينيات ـ بدءًا من أواسط السبعينيات بغرض «وضع نهاية لأفول أمريكا الأخلاقي». وذلك عن طريق تعزيز القيم الأخلاقية في الأسرة والصلاة في المدارس. وتكشف هذه العودة عن انبعاث حركة تأخذ آنذاك شكل قوة سياسية. وبعد الداروينية ثم الشيوعية، ها هي النزعة

الإنسانية العلمانية(*) التي ينظر لها بوصفها العدو اللدود لإنجيليي اليمين. وصبيحة تفجيرات ١١ سبتمبر نظر اليمين المسيحي للدين الإسلامي وأتباعه على أنه يجسد الشر كله، وعبئوا أنفسهم مرة أخرى ليؤثروا على السياسة الأمريكية بهدف إنقاذ العالم المسيحي من «داء الإسلام».

تبدلات أقوى الحركات السياسية الدينية

لم يكن المسار الذي اتخذه اليمين المسيحي منذ انبعاثه في النصف الثاني من عقد السبعينيات مسارًا مستقيمًا وإنما تميز بتغيرات. وعلى مدار السنين عرف تبدلات مهمة شملت في الوقت نفسه هياكله (مكوناته، قادته، أفراده) وخطاباته وإستراتيجيته، وكانت هذه التبدلات إيجابية بشكل عام. وكان لها تأثير في تزايد نفوذه إلى درجة أن اليمين المسيحي صار في سنوات التسعينيات أهم وأقوى حركة شعبية على الساحة السياسية (دياموند،١٩٩٥م، ص ١١٣) . ويمكن أن نميز بين ثلاث مراحل في مسيرته.

سيادة الأغلبية الأخلاقية

على مدار الفترة الممتدة من عام (١٩٧٦م) إلى عام (١٩٨٤م) عرف اليمين المسيحي توسعًا كبيرًا تجسد في تأسيس المكونات الأولى التي هي أعمدة هذه الحركة: الصوت المسيحي (أسسه في عام (١٩٧٦م) القساوسة روبرت جرانت وريشارد ذون وجاري جارمان)، تحالف العمل المسيحي القومي (أنشأه القس روبرت بلينجز عام ١٩٧٨م)، المائدة المستديرة الدينية (أنشأها في عام (١٩٧٩م) رجل الأعمال ادوارد ماكتير والقس جيمس روبيسون)، الأغلبية الأخلاقية (أسسها القس جيرى فالويل عام ١٩٧٩م)، نساء مهتمات بأمريكا(**) (منظمة أنشأتها بافرلي

(*) الإنسانية العلمانية: نشأ هذا المذهب في إيطاليا في نهاية القرن الرابع عشر كرد فعل على استبداد المؤسسات المسيطرة، ويتضمن فلسفة إنسانية تعلي من شأن الإنسان والعمل والأخلاق والدولة وترفض التقاليد والطقوس الدينية كوسيلة لصلاح الإنسان وجودة الحياة الدينية، بينما ينظر أنصار اليمين المسيحي للإنسانية العلمانية على أنها مرادفة للانحلال والفساد وضياع الهوية المسيحية الأمريكية. ويعتبرونها أكبر خطر شهدته المسيحية على مر تاريخها. (المترجم).

(**) نساء مهتمات بأمريكا : تقود هذه المنظمة بيفرلي لاهاي (زوجة القس تيم لاهاي) وصل عدد أفرادها إلى ٧٠٠ ألف امرأة . وتهاجم الحياة العلمانية ومبدأ فصل الكنيسة عن الدولة، وتحارب الإجهاض والمثلية الجنسية وحركات أنصار المرأة . وتقدم برنامجًا إذاعيًا دينيًا يبث يوميًا من المحطات الإذاعية المسيحية في مختلف الولايات. (المترجم).

لاهاي في ١٩٧٩م). وبعدها بوقت قليل تأسس مجلس الحرية (أنشأه بات روبرتسون في ١٩٨١م) والتحالف الأمريكي من أجل القيم التقليدية (أسسه تيم لاهاي عام ١٩٨٣م) وجاء التنظيمان الأخيران حتى تكتمل الصورة.

أثناء هذه الفترة الأولى وحتى عام (١٩٨٩م)، فرض تنظيم «الأغلبية الأخلاقية» نفسه كمركز لانطلاق اليمين المسيحي. فهو تنظيم أكثر شهرة وأكثر تنظيمًا وأكثر فعالية من كل التنظيمات السياسية ـ الدينية الأخرى. وكان التنظيم الوحيد الذي تمكَّن من التواجد في كل الأمكنة وعرف كيف يُسمع الآخرين صوته. وفوق كل هذا نجح في تحويل حركة دينية جماهيرية إلى قوة انتخابية بضم الإنجيليين والأصوليين خلف المحافظين «ربما ليست هناك مبالغة في القول، كما يؤكد صموئيل هيل ودينيس أوين: إن جيري فالويل والأغلبية الأخلاقية كانوا مرادفين لـ «يمين جديد سياسي وديني» (هيل وأوين، ١٩٨٢م، ص ١٤٤).

تحتوى الأغلبية الأخلاقية المستحضرة لأغلبية صامتة افتراضية، والتي تعرف الأخلاق الحقة، كما يرى الرئيس نيكسون[٢٢] على أربعة تنظيمات مختلفة: الأغلبية الأخلاقية المندمجة وهي لوبي سياسي، ومؤسسة الأغلبية الأخلاقية وهي مجموعة تعليمية ومعفاة من الضرائب، ولجنة العمل السياسي بالأغلبية الأخلاقية، التي توقفت عن الوجود في عام (١٩٨٢م) بعد أن ساندت ريجان بمبلغ عشرين ألف دولار، وأخيرًا مؤسسة الدفاع بالأغلبية الأخلاقية وتضم مجموعة من الحقوقيين الذي يعملون على ألا تتعرض نشاطات الأغلبية الأخلاقية إلى مساءلات قانونية. وفي بداياتها ترأس الأغلبية الأخلاقية القس روبرت بيلنجز (خبير في التعليم الإنجيلي) ولم ينهض جيرى فالويل بأعباء الرئاسة إلا في عام (١٩٨١م)، عندما عين الرئيس ريجان روبرت بيلنجز مسئولاً عن العلاقات مع السلطات الدينية قبل أن يعينه، بعد ذلك، وزيرًا للتعليم. في عام (١٩٨٠م)، كانت الأغلبية الأخلاقية تنسب لنفسها أربعمائة ألف عضو، منهم اثنان وسبعون ألفًا من القساوسة والرعاة البروتستانت والحاخامات، وكانت تتمتع، كما تقول، بدعم خمسين مليونًا من البروتستانت، وثلاثين مليونًا من الكاثوليك، وعدة ملايين من اليهود وأفراد من طوائف مختلفة. غير أن هذه الأرقام لا تصمد كثيرًا أمام فحص الوقائع. ويرى عالم السياسة كلايد ويلكوكس أن نسبة شعبية اليمين المسيحي في الثمانينيات تتراوح بين ١٠ و ١٥٪ (ويلكوكس، ٢٠٠٠م، ص ٣٧).

أثناء هذه الفترة سيطر على اليمين المسيحي قادة أصوليون: جيري فالويل، تيم لاهاي، جريج ديكسون، شارل ستانلي، وليام كريزويل، بيلي سميث. وكان يجند أفراده بصفة أساسية من الأوساط الأصولية بالجنوب والغرب الأوسط. وكان خطابه مطبوعًا ببلاغة الكتاب المقدس، فكل مشروع وأي عمل كان يقاس من خلال الكتاب المقدس والأخلاق اليهودية ـ المسيحية. وباسم الكتاب المقدس أيضًا كانت أقوى اللحظات الاحتجاجية ضد النظام السياسي. وكي يبرر مواقفه كان يضع في المقدمة، في العادة، أدلة ذات طبيعة أخلاقية ـ لاهوتية، وتعبيرات مثل «إعادة إدخال الأخلاق إلى السياسة» و «إعادة وضع الله داخل الحكومة» و«إعادة الله إلى الحياة العامة»، وهي تعبيرات كانت تتكرر في خطابه. وحتى نهاية العقد كان اليمين المسيحي ممثلاً على نحو محدود في المحليات. وكان أغلب مكوناته ليست فقط ممثلة في واشنطن وإنما أيضًا كانت نشاطاته متركزة في العاصمة الأمريكية. وكان هذا اختيارًا إستراتيجيًا يهدف إلى ممارسة ضغط مستمر على أجهزة الدولة الفيدرالية وخاصة الكونجرس. وبالمؤازرة جعلت الأغلبية الأخلاقية وجمعياتها الشقيقة مهمة لها في لجان العمل السياسي (PACs) التي تعمل مع آلاف الأشخاص المسجلين على قوائم وعناوين الإنجيليين التليفزيونيين. وتمول هذه اللجان المنظمة على المستوى المحلي، الحملات الانتخابية، وتنظم سمنارات للتعبئة والإعلام وداعية المواطنين للتسجيل على القوائم الانتخابية ومساعدتهم في الذهاب إلى التصويت في لحظات الانتخابات. في نهاية المطاف، قدم اليمين المسيحي إلى رونالد ريجان ما بين اثنين وأربعة ملايين صوت. وكما أشرنا آنفاً، فإن قادة اليمين المسيحي مع ذلك قد أبعدوا عن المجالات العليا للدولة، وهذا نظرًا لافتقارهم للمهنية والخبرة السياسية على أعلى مستوى. ولم يقبل الرئيس ريجان أن يعين أيًا من قادة اليمين المسيحي في المناصب العليا سوى استثناءات نادرة. كما في حالة جاري بوير وروبرت بيلنجز. وقد أعرب قادة اليمين المسيحي على الفور عن مرارتهم وغضبهم للرئيس.

الأفـــول

وصل نشـاط اليمين المسيحي إلى ذروتـه مع وصـول رونالد ريجـان إلى البيت الأبيض فـي عـام (١٩٨٠م) وإعادة انتخابه في عام (١٩٨٤م). لكن بعد هذا التاريخ تحولت النشوة إلى لهاث، ودخل اليمين المسيحي في مرحلة هبوط بدأت مع حل تحالف العمل المسيحي القومي في عام (١٩٨٥م). وفي عام (١٩٨٦م)، لم يعد مجلس الحرية والتحالف الأمريكي من أجل القيم

التقليدية قائمًا. وكان هناك اشتباه في أن هذا التنظيم الأخير قد تلقى أموالاً من القس صن ميونج مون. وعانت المائدة المستديرة الدينية والصوت المسيحي من مشاكل مالية خطيرة. كما شهد تنظيم بيفرلي لاهاي «نساء مهتمات بأمريكا» تراجعًا واضحًا. غير أن الحدث الأكثر دلالة في هذه الفترة كان بدون شك حل تنظيم الأغلبية الأخلاقية. ففي ٤ نوفمبر عام (١٩٨٧م) أعلن جيرى فالويل استقالته من رئاسة الأغلبية الأخلاقية التي أعيد تسميتها بـ فيدرالية الحرية (وهو ما يعطي انطباعًا بمظهر أقل رجعية) بدءًا من يناير، ١٩٨٦م واضعًا بذلك نهاية لأي نشاط سياسي. وحدد تاريخ ٣١ أغسطس عام (١٩٨٩م) تاريخًا لحل حركته قانونيًا وماليًا. ولتبرير ذلك صرح بأن منظمته قد أكملت «مهمتها» ولم تعد مفيدة. وأضاف فالويل أنه عازم على الاهتمام بحياته الخاصة وأقربائه. وباختصار تم حرمان اليمين المسيحي من الأفكار والمشروعية.

كيف يمكن تفسير هذا التراجع؟ في البداية لم يكن لليمين المسيحي إلا علاقات محدودة مع مناضلي القواعد. وكان يميل إلى تفضيل الحركة على المستوى القومي. وكان من المنطقي ألا يتمتع بدعم ذي أهمية أو شعبية على المستوى المحلي. ثم هناك الهيمنة الأصولية التي ميزت بداية الحركة والتي لم تكن مقبولة من الكاثوليك. وفضلاً عن ذلك لم تعد تجدي كثيرًا طريقة الإيميل الشخصي المباشر. فالسوق التي أوجدتها النداءات للعطايا قد وصلها إلى سقفها بسرعة. وصار إقناع المتبرعين بإرسال مساهماتهم متعذرًا لا سيما أن اليمين المسيحي لم يعد يهتم إلا بالقضايا الكبرى ذات الطبيعة القومية والتي لا تأثير لها مباشرة على الحياة اليومية لكثير من المواطنين. وأخيرًا يمكن تفسير هذا التراجع بأنه عائد للخداع الذي تعرض له قادة اليمين المسيحي. فقد أدركوا أن الحزب الجمهوري تلاعب بهم واستغلهم كماكينة لجلب الأصوات لمرشحيه. وإذا كانت هذه الفترة تميزت بأفول وتشتت واضح لليمين المسيحي فإنها مع ذلك كانت تنبئ عن بداية إعادة تكوين اليمين المسيحي الذي فاجأ الذين اعتقدوا باختفائه بعودته إلى مقدمة الساحة معلنًا، بدءًا من عام (١٩٨٧م)،عن استعادة حيويته.

التحالف المسيحي، حراس الوعد: التشكيلات الجديدة

انطلاقًا من اللحظة التي اختفت فيها كل المكونات الأولى لليمين، باستثناء «نساء مهتمات بأمريكا» لصالح التشكيلات الجديدة مثل *تحالف الحرية الأمريكية (أسسه في عام ١٩٨٧م* ريشارد فيجري وروبرت جرانت وريشارد ايشورد وبوب ويلسون)، وتحالف القيم التقليدية

(القائم في كاليفورنيا والذي ترأسه القس لويس شيلدون)، والتركيز على الأسرة (في كولورادو اسنبرنج وترأسه جيمس روبسون)، ومجلس البحث العائلي (في واشنطن دراسة جاري بوير)، وكذلك التحالف المسيحي (أسسه روبرتسون في فرجينيا)[٢٣]، تأكدت حركة الأحياء الجديدة. وفي عام (١٩٩٠م) أسس روبرتسون حركة (البركة) لمساعدة الأطفال الذين يعانون بعض المشاكل، وكذلك أنشأ المركز الأمريكي للقانون والعدالة والذي يعمل فيه أربعون محاميا بدون كلل حول مسألة العلاقات بين الكنائس والدولة.

بدأ القس بات روبرتسون يأخذ مواقف علنية حول كل القضايا المهمة. وهو اليوم المتحدث الرئيسي باسم اليمين المسيحي. وكان هدف التحالف المسيحي الذي أنشأه إعطاء «رجال الإيمان» إمكانية أن يفرضوا أنفسهم في تكوين حكومتهم «في وزارة العدل وأروقة الكونجرس» (http://www.cc.org). ويرى بات روبرتسون أنه ينبغي العودة إلى «المبادئ المؤسسة لأمريكا : الكتاب المقدس، الدستور، والعظمة التي عرفتها أمريكا فيما مضى من خلال الإيمان بالله، والتحلي بالأخلاق، والواجب الفردي في اعتماد كل شخص على نفسه» (واطسون، ١٩٩٧م، ص ٩٥) .

قاد التحالف المسيحي أولاً الأسقف الشاب رالف ريد، والذي استقال في ٢٣ إبريل عام (١٩٩٧م)، لتخلفه بعد ذلك روبرتا كومبس التي عينها روبرتسون في ديسمبر عام (٢٠٠١م)، بينما ظل روبرتسون دائمًا رئيس شرف لهذا التحالف. وترى روبرتا كومبس أن التحالف المسيحي هو «تحالف الكاثوليك الروم أنصار الأسرة، والمسيحيين الإنجيليين وآخرين من أهل الإيمان الذين يعملون معًا حتى تعبر الأسر الأمريكية عن نفسها بصوت واحد (http://www.cc.org)، ونظرًا لكثرة أتباعه (أكثر من مليونين) استطاع التحالف المسيحي أن يؤسس ألف وخمسمائة فرع محلي في أنحاء البلاد. وينظم كل عام تجمعًا يحمل عنوان: الطريق نحو النصر. وكان هناك شعور واضح بنفوذ روبرتسون وتنظيمه في انتخابات عام (٢٠٠٠م) من خلال طبع سبعين مليون نسخة من دليل الناخبين الذي تم تحريره بالإنجليزية والإسبانية وتم توزيعه على أبواب الخروج من كنائس وصل عددها إلى مائة ألف كنيسة.

وكما يشهد «العقد مع الأسرة الأمريكية»، *الذي* قدمه *رالف* ريد في عام (١٩٩٥م)، فإن برنامج التحالف المسيحي يقع، من عدة نواح، في إطار استمرار الأغلبية الأخلاقية: فهو يؤكد

على دعم الروابط الأسرية، ومقاومة الإجهاض والمثلية الجنسية والتأكيد على عقوبة الإعدام وإعادة الصلاة إلى المدارس العامة، وإعطاء سلطة التعليم للسلطات المحلية، وخفض الضرائب ومعاقبة المجرمين والدفاع عن حقوق الضحايا وحماية الشباب والمجتمع من الأفلام العارية وحماية مؤسسة الزواج وحماية الحرية الدينية والسماح للمدارس الدينية بتلقي المعونات الفيدرالية. ومن الملاحظ أن «العقد» لا يتضمن أي إحالات صريحة إلى الكتاب المقدس أو العقائد المسيحية، ويسعى مؤلفوا العقد، بدون شك، إلى تقليص الطابع الديني باستدعاء «المقترحات العشر» وليس «الوصايا العشر». وفي عام (١٩٩٠م) ظهرت حركة «حراس الوعد» من بين طوائف دينية متعددة، وكان هدفها المعلن هو إعادة تأسيس البطركية. وحركة حراس الوعد هي واحدة من الحركات التي تحقق أكبر النجاحات في الولايات المتحدة في اللحظة الراهنة، بدعوتها الصريحة لعودة الهيمنة الذكورية. ويقول زعيم الحركة بيل ماكرتني ـ وهو مدرب كرة قدم أمريكي ـ إنه استيقظ ذات يوم ويمتلكه شعور بأن أمريكا في حاجة ماسة لأن ينقذها عدد كبير من الرجال المسيحيين. وأمام النقد الموجه إليها من قبل أنصار الحركات النسائية والليبراليين كان حراس الوعد يدافعون عن أنفسهم بالتأكيد على أنهم لا يستهدفون إلا المصالحة بين الجنسين وبين الأعراق. وحول هذه النقطة الأخيرة ينبغي القول إن حركتهم تضم في صفوفها ٤٠٪ من السود.

في الواقع، ترتبط حركة حراس الوعد بروابط وثيقة مع اليمين المسيحي، فكلاهما تحركهما المعتقدات ذاتها ويدافعان عن القضايا ذاتها (كوكورينوس وروس، ١٩٩٨م، ص ٤٣-٤٨). ويلتقي حراس الوعد كل عام، بمناسبة مؤتمرهم السنوي ليجددوا الوعد الذي قطعوه على أنفسهم للسيد المسيح باعتباره «أفضل صديق» لهم، والدفاع عن تعاليم الكتاب المقدس ـ المأخوذة حرفيًا ـ التي تأمرهم بدعم إسرائيل، واحترام قيمهم العائلية وأخذ مواقف متشددة ضد أي سياسي جمهوري أو ديمقراطي يدافع عن حقوق المثليين، أو يدافع عن حرية المرأة أو عن تعليم الجنس بالمدارس. وفي عام (١٩٩٧م) تجمع مليون من حراس الوعد في واشنطن دي سي، للصلاة. وكانت حشودهم تملأ الملاعب بكاملها ليستمعوا فيما بينهم ـ عبر شاشات كبيرة ـ إلى دعاة يعدونهم باستئصال الزنا والمثلية الجنسية والطلاق والإجهاض ... وأن كثيرًا من مصائب أمريكا نتج عن تحرير المرأة. وإلى جانب هذه التجمعات الكبرى يجتمع حراس الوعد أسبوعيًا في شكل مجموعات صغيرة اثني عشر شخصًا للاعتراف فيما بينهم حول المشاكل

الزوجية الجنسية، والمالية، ويتناولون كل شيء ودون أن يكون هناك شئ مخفي. وفي ٩ نوفمبر عام (٢٠٠٤م) أعلن القس الأصولي جيرى فالويل (المولود في عام١٩٣٣م) والذي لا يزال نشطًا ـ رغم إعلانه الانسحاب من الحياة السياسية في عام (١٩٨٧م) ـ عن إنشاء تنظيم جديد يدعى تحالف[٢٤] القيم والإيمان. ولتبرير هذا القرار أشار فالويل إلى واقع أن انتخابات نوفمبر عام (٢٠٠٤م) قد أسفرت عن احتلال مسألة القيم الأخلاقية قمة اهتمامات الناخبين الأمريكيين ٢٢٪ قبل الاهتمام بالاقتصاد والعمل ٢٠٪ (بوروم، ٢٠٠٤م، ص ٤).

عززت هذه المؤشرات لدى فالويل القناعة بأن الغالبية العظمى من الأمريكيين مرتبطون بالقيم الأخلاقية والعائلية، وأنه يكفي لهذه الأغلبية الأخلاقية، التي تشكل قوة انتخابية كبرى، أن تتحرك حتى تغير البلاد توجهها الثقافي والاجتماعي . ومهمة هذا التحالف الجديد ـ الذي أسماه مؤسسة الأغلبية الأخلاقية بالقرن الواحد والعشرين ـ هي مهمة ثلاثية الأبعاد: ممارسة ضغط يكون من شأنه تعيين أشخاص بالمحكمة العليا وبالمحاكم الابتدائية من القضاة المحافظين والمؤيدين لإلغاء قرار عام (١٩٧٣م)، الذي يسمح بالإجهاض، وثانيًا التصويت من أجل تعديل دستوري يمنع زواج المثلين، والإعداد ثالثًا للانتخابات الرئاسية القادمة في عام (٢٠٠٨م) من خلال تقديم دعم جماعي للمرشح المحافظ الذي يخلف جورج بوش. ويتكون الفريق الحاكم لهذا التحالف من أربعة أشخاص : جيري فالويل (رئيسًا)، ومايتوستافر (نائب الرئيس)، وجوناثان فالويل ـ ابن الرئيس والمولـود في عـام (١٩٦٦م) ـ (مديرًا)، والقس تيم لاهاي (رئيسًا لمجلس الإدارة) وهو مؤلف حققت أعماله نجاحًا كبيرًا لا سيما مشاركته في «المتروكون خلفًا» (اثني عشر كتابًا كتبت بين عامي١٩٩٥ و ٢٠٠٤م) .

قوة سياسية في مواجهة تناقضاتها

اكتسب اليمين المسيحي نضجًا وخبرة وفعالية تعبر عن نفسها في اختيار إستراتيجية أكثر ملاءمة، وفي التركيز على القضايا المحلية، وفي قبول القواعد الدنيوية للعبة السياسية. ومن الآن فصاعدًا يسعى اليمين المسيحي إلى أن يكون حركة شعبية تستمع إلى اهتمامات مناضليها. وبعد أن غرست الحركة فروعها في كل مكان تركز جهودها على القضايا النوعية لكل منطقة محلية . وكذلك تبذل الحركة، بموهبة مؤكدة، جهودًا لتجنيد أكبر عدد ممكن من المناضلين على الصعيد المحلي وتدريبهم على العمل الاجتماعي والسياسي. وعندما يكتمل تدريبهم تساعدهم الحركة

على تبوء المناصب المهمة في المدارس والمجالس المحلية والمجالس التشريعية. ومنذ نشأة التحالف المسيحي أكد وجوده أولاً بوصفه قوة سياسية محلية (خاصة في اللجان المدرسية)، واضعًا بذلك أسس نجاحه على الصعيد السياسي القومي. وكان زعيمه السابق، رالف ريد، يرى أن الحركة النشطة للقواعد وحدها هي التي تسمح بالهيمنة على السياسة القومية: «فيما يتعلق بالقضايا التي تشغل بال الكاثوليك والإنجيليين أنصار الأسرة، مثل الإجهاض والمخدرات والتعليم، فإن مصير هذه القضايا يتحدد على صعيد الولايات والمحليات. ومن هنا إلى اثنتي عشرة سنة قادمة سنجد أن التنظيمات التي ستحرك الناخبين والمناضلين في مناطقهم ودوائرهم ستأخذ بزمام الأمور في السياسة القومية» (ريدو وينهولد، ١٩٩٠م، ص ٢).

تعود الفعالية التي تجلت في حركة اليمين المسيحي، عبر هذه الفترة، في جزء كبير منها إلى كفاءة قادته، الذين صاروا أكثر خبرة من أقرانهم السابقين في الحركة. فهم الآن أكثر استقرارًا وتعليمًا وإتقانًا وحزمًا. ولم يعد من الممكن النظر إليهم كدعاة جشعين لا يحسنون الكلام. وصاروا في الأغلب شخصيات محترمة وفي مواقع جيدة بالمجتمع، كثيرٌ منهم صاروا أكثر ذكاء في الحصول على دعم طوائفهم الخاصة. كما تعود فعالية معركتهم أيضًا إلى قدرتهم على التكيف مع تغيرات موازين القوى الاجتماعية والسياسية. لقد صاروا أخيرًا أكثر صبرًا وعرفوا كيف ينتظرون الأشياء حتى تأتي في وقتها.

وبدلاً من طريقة الإيميلات المباشرة التي كانت موضة الثمانينيات، والتي كانت مصدرًا رئيسيًا للأموال اللازمة، طبق اليمين المسيحي على غرار الأحزاب، نظام اشتراكات. وكذلك تنظيم أعمال مدفوعة الأجر (إرشاديات- سيمنارات - عشاء) تضمن له أكبر قدر من الاستقرار المالي. واضطر اليمين المسيحي من أجل توسيع قاعدته ليس فقط وضع نهاية للهيمنة الأصولية وإنما أيضًا التوجه نحو مزيد من الميل الى المسكونية(*) أكثر مما كان عليه الأمر في الماضي. وبعد تقدم روبرتسون (الذي ينتمي لمذهب الخمسينية) لترشيح الحزب الجمهوري، لوحظ ارتفاع واضح في صفوف اليمين المسيحي لعدد المنتمين لمذهب الخمسينية ولمسيحيين آخرين غير الأصوليين. وفضلاً عن ذلك أعلن اليمين المسيحي علانية عن رغبته في عقد تحالفات مع أي حزب دنيوي يشاركه الأهداف ذاتها، حتى وإن لم يتحقق ذلك بصورة ملموسة.

(*) المسكونية حركة ترمي إلى توحيد العقائد والطوائف المسيحية وتتسم بانفتاح عن غيرها من الحركات المسيحية المتشددة- (المترجم)

ومن الأمور ذات الدلالة، أنه بدلاً من الخطاب الأخلاقي لسنوات الثمانينيات انتهج اليمين المسيحي نهجًا أكثر اعتدالاً بصورة واضحة. وبرغم أنه استمر في الدفاع عن القيم الأخلاقية والعائلية ذاتها، إلا أنه الآن يدعو إلى الحق في المساواة . وكذلك حرية التعبير وليس الميل أكثر إلى الله أو الكتاب المقدس . ولم تعد الاهتمامات اللاهوتية تحتل المكانة ذاتها كما كان الأمر في خطابات الثمانينيات . وهكذا لم يعد اليمين المسيحي يعارض الحق في الطلاق تحت ذريعة متابعة تعاليم بولس، وإنما يجتهد في إظهار النتائج الاجتماعية المسيئة للطلاق. وفي مقاومته للإجهاض صار يقول إنه يدافع عن حق من لم يولدوا بعد باسم الحق في الحياة، وباسم إعلان حقوق الإنسان العالمي. فزمن الحملة من أجل فرض الأخلاق يبدو أنه تغير حقًا. وباعتماده مثل هذه اللغة أعطى اليمين المسيحي عن نفسه صورة أكثر اعتدالاً، صورة حركة حديثة ومتعددة وتسعى إلى تطبيق المبادئ الديمقراطية التي أقرها الدستور. وكلما أدرك اليمين المسيحي كيف ينظم نفسه كقوة انتخابية، وكيف يمتلك وسائل ضغط للتأثير على المقررين السياسيين، صار أكثر توافقًا مع منطق المؤسسات السياسية والاجتماعية التي تحددت بصورة كبيرة من قبل الليبراليين. والحال أن هـذا التكيف مع السلطة «الدنيوية» قد أثار استياءً لدى بعض الشخصيات الإنجيلية مثل كال توماس وإيد دوبسون، الذي أطلق صرخة تحذير في كتاب يحمل عنوانًا بليغًا للغاية «الذين أعمتهم القوة»، ويرى أن التسيس المفرط للقادة الإنجيليين باليمين المسيحي قد يجعلهم أقل مصداقية (توماس ودوبسون، ١٩٩٩م). ويرى المؤلفان أن قوة النداء الديني تكمن في مقاومته للثقافة السائدة، وفي مقاومته لتقديم التنازلات أمام قيم المجتمع الحديث، والتي لا يمكن إلا أن تضعفه. وهناك رجال لاهوت آخرون وشخصيات إنجيلية تطرح على نفسها تساؤلات تتعلق بالمناهج والحدود التي ينبغي أن تفرض على العمل الديني بالمعنى المحدد للكلمة. وإذا كانوا يعتبرون أنه من المشروع تبني اختيارات سياسية إلا أنهم يعارضون أي دعاية سياسية يقوم بها قساوسة ورجال دين داخل الكنائس. وما هو أكثر من ذلك، أنهم كانوا يأملون في أن يتحطم الجدار الفاصل بين الدولة والكنائس، لكنهم في الوقت نفسه يؤيدون هذا الفصل من خلال الاعتراف والقبول بالتحكيم الأخلاقي للمحاكم الدنيوية (كارتر، ٢٠٠٢م، ص ٦٧-٨٣). والحق يقـال، إن اليمين المسيحي كان موزعًا بين ناخبين قلقين من ألا تتحقق مطالبهـم الأرثوذكسية، وبين اتجاه آخر ينحو نحو الاعتدال والبراجماتية التي كان رالف ريد تجسيدها الأكمل. ومن فرط رغبته في

جعل التحالف المسيحي قوة ضغط لا مفر منها وجد نفسه موضع انتقاد من رفاقه ؛ لأنه لم يظهر نقدًا بما فيه الكفاية لغياب الطابع الجذري من بعض البرامج الجمهورية. ولهذا السبب، من جهة أخرى، اضطر إلى الاستقالة. وهناك، بالإضافة إلى ذلك، قضايا لاهوتية أساسية تحير الطائفة الإنجيلية مثل الإيمان بمعصومية الكتاب المقدس، والمفروض - كما يفسر طارق متري - أنها تمنح أمانًا لا نجده في الانتظار المحموم لتحقق النبوءات، ولا في الحركة النشطة التي تثيرها الرغبة في التمكن من التعجيل بتحققها. فالثقة بوعود الله مفترض أن تجعل أهمية الالتزام السياسي أمرًا نسبيًا (متري، ٢٠٠٤م، ص١٨٠-١٨١).

من الواضح اليوم أن اليمين المسيحي أصبح ليس فقط متجذرًا بعمق في الساحة السياسية الأمريكية وإنما صار أيضًا قوة ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار. ويشكل مناصروه نسبة ذات مغزى من أعضاء مجلس النواب ومجلس الشيوخ وكذلك الحزب الجمهوري. من بينهم يمكن الإشارة إلى آخر اثنين من قادة مجموعة الحزب الجمهوري في مجلس النواب وهما ديل أرمي وتوم دولاي، والاثنان من مناصري الأغلبية في مجلس النواب، ونيوت جنجريش، الرئيس السابق لمجلس النواب، وجيس هلمز السيناتور السابق عن ولاية كارولينا الشمالية، وهو اليوم متقاعد، وكذلك جون أشكروفت وزير العدل في حكومة جورج بوش الأولى. ومنذ عام (١٩٩٦م) يهيمن اليمين المسيحي على الحزب الجمهوري في أكثر من نصف الولايات (في الجنوب بالنسبة للنصف منهم، وبصورة أساسية في الغرب والغرب الأوسط بالنسبة للباقي) (هيكلو وماكلاي، ٢٠٠٣م، ص ٣٣٤-٣٣٧) . وأخيرًا، وكما يشير جابرييل الموند وسكوت ايبلباي وايمانويل سيفان، هناك أكثر من خمس الأعضاء المسجلين في الحزب الجمهوري يعلنون، في ١٩٩٦م، أنهم ينتمون إلى اليمين المسيحي (الموند، ايبلباي، سيفان، ٢٠٠٣م، ص٢٢٧).

الفصل الثاني

أصول وأيديولوجية إنجيلية

إذا كانت نزعة اليمين المسيحي النضالية تكتسب بُعدًا سياسيًّا واجتماعيًّا بصورة رئيسية، فإن ركائزها وغايتها لم تكن أقل في لاهوتيتها. وهناك مؤشرات تدل على ذلك: **أولاً**: يتميز خطابه بنغمة أخلاقية قوية تستمد مضمونها من رؤية إنجيلية للعالم ومطبوعة بالنزعة المانوية والمسيانية الأخروية. **وثانيًا**: يستخدم الديني في تبرير مطالبه السياسية: يختار اليمين المسيحي بعناية بعض الفقرات من الكتاب المقدس (التي يقوم بقراءة موجهة لها) لدعم مواقفه حول قضايا المجتمع التي تلهب المشاعر وتثير الفرقة مثل موضوعات الإجهاض والمثليين، وكذلك الصلاة في المدارس، مدعيًا بذلك الطابع العالمي لاستنتاجاته. وفضلاً عن ذلك ينظر أتباع اليمين المسيحي إلى السياسة بوصفها الطريق نحو إعادة إقامة ما هو روحي وما هو أخلاقي. وفي هذا الشأن يؤكد بات روبرتسون على أن مهمة التحالف المسيحي هي «إعداد أمريكا والعالم لعودة السيد المسيح». وهناك أيضًا، كما أوضح ذلك الصحفي أناتول ليفين «من ثلث إلى نصف الإنجيليين البيض (بما فيهم الأصوليون) ـ أي بين ٧ و ١٢٪ من مجمل السكان الأمريكيين ـ يساندون اليمين المسيحي أو على الأقل يشتركون معه في أيديولوجيته» (ليفين، ٢٠٠٥م، ص ٣٠٦).

وبالتالي لا يمكن فهم اليمين المسيحي فعليًّا بدون الإشارة إلى جذوره الإنجيلية والأصولية، وتجاهلها قد يفضي إلى سوء فهم وأخطاء في الحكم. ويفرض هذا التوضيح نفسه، لا سيما أن الخصوصية اللاهوتية لهذه الحركة لا تشكل موضوع جذب لدى أجهزة الأعلام، وبشكل أقل لدى الجماهير. فالأصوليون والإنجيليون الذين تتم مهاجمتهم بصورة منتظمة يظلون غير معروفين بصورة جيدة.

الهوية الإنجيلية[1]

نعرف أن تأسيس الولايات المتحدة استند إلى مثال دينى مستلهم من البروتستانتية. في الأصل كان الاستيطان الإنجليزى تهيمن عليه البروتستانتية بكل تفرعاتها من الإبرشانيين إلى

الأسقفيين مرورًا بالمشيخيين والمعمدانيين والميونيت (البروتستانت الألمان) والهوجونوت(*) (البروتستانت الفرنسيين) والصاحبيين والميثودويين. واليوم تحتوى بروتستانتية شمال أمريكا على اتجاهين كبيرين:الاتجاه التقدمى المسمى الليبرالي (الاتجاه الرئيسي أو البروتستانتية الليبرالية) والاتجاه المحافظ أو الإنجيلي.

يتم إدراج المشيخيين والأسقفيين وجزء من الميثوديين ومعمدانيي الشمال (المعمدانيين الأمريكيين) والكنيسة المتحدة من أجل المسيح (إبرشانية)(**) وأغلب اللوثريين وإصلاحيين داخل بروتستانتية الاتجاه الرئيسي. وتجسد هذه الطوائف بروتستانتية تتمتع بمشروعية تاريخية تقليدية ومنفتحة على الثقافة ومسكونية في علاقاتها بالمذاهب والطوائف الأخرى. ويتمتع البروتستانت الليبراليون برؤية متفائلة للمجتمع. ويرون حضور الله في الحريات الفردية: حرية الإنسان في متابعة ضميره ـ حرية جاءت بها الديمقراطية والمساواة في الفرص وحرية المشروع الخاص ـ وحرية البحث والأصالة الشخصية. وكانت مطالبهم سياسية واجتماعية قبل أي شيء آخر، برغم أنها تعبر عن نفسها من خلال خطاب ديني وأخلاقي. ومن وجهة النظر العقائدية تتحدد البروتستانتية الليبرالية عبر بعض المبادئ الجوهرية: الإقرار بالطابع النسبي للصياغات العقائدية، البحث عن نقاط ارتكاز من خلال المعارف الدنيوية، التعامل الإيجابي مع النقد الكتابي (المتعلق بالكتاب المقدس) إعطاء الأفضلية في النظر للنتائج الأخلاقية للعقيدة (مايلكسون وروف،١٩٨٦م)، دوادي وماكنمارا،١٩٧٧م). ومن وجهة النظر السوسيولوجية تعتبر البروتستانتية ـ الاتجاه الرئيسي ـ أكثر تجذرًا داخل الشرائح الميسورة من السكان الأمريكيين، ولا سيما في الجانب الشرقي.

(*) هوجونوت: استخدمت الكلمة في البداية من قبل الكاثوليك للتحقير من شأن البروتستانت الفرنسيين، ثم تملكها البروتستانت وشاعت بعد ذلك، وأصبح من المقبول الحديث عن الحزب الهوجونوتي والجيش الهوجونوتي والصليب الهوجونوتي . وفي فرنسا لا يزال بعض البروتستانت يصرون على هذه التسمية للتمايز عن البروتستانت الآخرين وللتدليل على انتمائهم للبروتستانتية التاريخية. وهي تطلق بشكل عام على البروتستانت الفرنسيي. وتعرض أفراد هذه الجماعة إلى مذبحة ـ كبيرة على يد الكاثوليك الفرنسيين في ليلة أغسطس (١٥٧٢م). وكان يتم قتلهم في منازلهم وإلقاء جثثهم إلى الشوارع التي امتلأت بهم. وقد قدّر عدد الذين هلكوا في تلك المذبحة سبعين ألفًا. (المترجم).

(**) الإبرشانية: عقيدة إصلاحية نشأت في القرن السادس عشر ترى أن من حق الجماعة المحلية امتلاك السلطة الكنسية ذات السيادة. وقد لعب الإبرشانيون، المنشقون عن الإنجليكانية، دورًا مهمًّا في الثورة الإنجليزية الأولى (١٦٤٩م) وفي تأسيس الولايات المتحدة

الجناح الأكثر بروتستانتية في البروتستانتية

في مواجهة بروتستانتية ليبرالية هناك بروتستانتية إنجيلية هي اليوم متجذرة في جنوب الولايات المتحدة (حزام الكتاب المقدس). وفي الواقع، تشكل البروتستانتية بمختلف تنوعاتها الإنجيلية والأصولية (الخمسينية، الميثودية، المعمدانية) مضمون الثقافة الدينية الغالبة لسكان الجنوب، سواء كانوا من البيض أو السود. وكما قال أناتول ليفين عن حق «يحتل هذا التدين المفرط في الولايات المتحدة ـ مقارنة بأوروبا في بداية القرن العشرين بشكل عام، وقوة الكنائس التقليدية الموجودة في الجنوب بشكل خاص ـ قلب الفجوة التي تفصل التاريخ الأوروبي عن تاريخ أمريكا الشمالية على مدار القرنين الماضيين» (ليفين، ٢٠٠٥م، ص ٢٧٨). وعلى النقيض من بروتستانتية الاتجاه الرئيسي التي تمثل التيار الغالب سواء على الصعيد اللاهوتي أو الاجتماعي، نجد أن الإنجيلية هي الوريثة لتيارات على هامش الدين القديم القائم. نحن إذن أمام حركتين متعارضتين: حركة ليبرالية في المركز وأخرى إنجيلية في الأطراف. والإنجيلية التي يطلق عليها الجناح البروتستانتي الأكثر بروتستانتية هي تيار لاهوتي واجتماعي محافظ يستمد جذوره العميقة من التاريخ ومن اللاهوت الكالفيني والنزعة التقوية(*) والبيوريتانية. وتأثرت كثيرًا بعد دخولها لأمريكا في القرن الثامن عشر، على يد الإنجليكاني جورج وايت فيلد والكالفيني جواناثان إدوار، بالصحوات الكبرى(**) التي كانت تركز كثيرًا على التاريخ الديني الأمريكي. وهذا يعني القول إن الإنجيلية تعود إلى أصول أوروبية أمريكية في الوقت نفسه. ومن المعروف أن الإنجيلية، المتأثرة بتراث الحدود، ولا سيما معسكرات اللقاء(***) قد

(*) نزعة تقوية: حركة كبرى ولدت في قلب البروتستانتية الناطقة بالألمانية بالقرن السابع عشر كرد فعل ضد جمود الأرثوذكسية البروتستانتية. وأعاد رجال مثل سبنسر والكونت زين زيندورف تذكير الكنيسة أن الإصلاح يفترض أن تكتسب الخبرة الروحية ـ الأولوية على الصياغات العقائدية. فالروحية والعلاقة الشخصية بالمسيح وحب الآخرين (التقوى) وكذلك تأمل كلام [الرب] تشكل الشيء الأساسي في التقوية

(**) الصحوات الكبرى: الصحوات، في التراث البروتستانتي، هي فترات إحياء للحياة الدينية، من خلالها يتم التركيز على ضرورة الاهتداء الشخصي. وفترات هذه الصحوات متنوعة، تبدأ من عدة أشهر إلى عدة سنوات، وكانت الصحوة الكبرى الأولى قد امتدت في المستوطنات البريطانية بأمريكا الشمالية في سنوات ١٧٣٠-١٧٤٠م، وبصورة عامة تمثل الصحوات لحظة المرور من بوريتانية البدايات إلى الإنجيلية

(***) معسكرات اللقاء: تجمعات لعدة آلاف من المؤمنين بدعوة من دعاة معمدانيين متحمسين وميثوديين يعملون على انطلاق روحية إنجيلية منظمة وفي الوقت نفسه برهانية (المترجم).

تشكلت عبر عدة مراحل. وعرفت في القرن التاسع ـ فترة الهجرة نحو الغرب ـ تقدمًا كبيرًا، خاصة بفضل تقدم الميثودية والمعمدانية اللتين تمنحان حقوقًا كاملة للفرد الرائد والاهتداء بقرار شخصي. وكما قال المؤرخ الأمريكي أوجين جينوفيس «كانت الليبرالية الدينية قد ماتت افتراضيًّا نحو عام (١٨٦٠م)» (أوجين جينوفيس، ١٩٩٤م، ص ٢٧). وكان أكبر المستفيدين من تقدم الإنجيلية في الجنوب هي الكنائس المعمدانية، التي استمرت حتى اليوم في السيادة، وتلتها الكنائس الميثودية. وتظهر الخريطة الدينية للولايات المتحدة في عام (٢٠٠٠م) حزامًا متواصلاً من المناطق ذات الأغلبية المعمدانية بالجنوب/ ممتدة من وسط فرجينيا حتى وسط تكساس، شاملة فلوريدا وأغلب كينتوكي وميسوري. وينضم ما تبقى من السكان البيض بالجنوب، أساسًا إلى كنائس إنجيلية أخرى سواء كانت أصولية أو خمسينية.

ليست العائلة الإنجيلية متناغمة. ولأنها تتميز بالتنوع والتعقيد والدينامية الكبيرة وانشقاقاتها العديدة تقدم الإنجيلية نفسها بوصفها تيارًا واسعًا بدون حدود محددة، ويجمع الفروع الأكثر محافظة بمختلف الطوائف البروتستانتية. غير أننا نجد أيضًا إنجيليين معتدلين، بل وحتى ليبراليين ـ لا سيما في السياسة ـ ممن يُطْلَق عليهم «الإنجيليون التقدميون». ونجد ما يقرب من ثلث الإنجيليين من اليسار أو من الليبراليين سياسيًّا، ويصوتون إذن لصالح الحزب الديمقراطي. ويعتبر الأكثر شهرة بينهم بالتأكيد القس المعمداني مارتن لوثر كنج (ويلكوكس،٢٠٠٠م، ص٥٦، ٥٧). وتفضي هده التشكيلة العريضة من الحساسيات والمحاور بالضرورة إلي تميزات داخلية سواء على الصعيد السياسي أو اللاهوتي. وهكذا نجد عددًا من الإنجيليين لا يحبذون «تأميم المسيحية» الذي ظهر صبيحة أحداث ١١سبتمبر. وقد أشار مارك نول بصورة جيدة إلي هذا الأمر «الإنجيلية ظاهرة ذات طبيعة معقدة للغاية ، فهذه الحركة المتعددة الأشكال تتميز، منذ البدايات والأصول، بالتنوع والمرونة والقدرة علي التكيف» (نول، ٢٠٠١م، ص١٤)، وحتى إذا كان التيار الإنجيلي يتضمن أغلبية معمدانية جنوبية ، فإن كنائس أخرى «طائفية» أو«تاريخية» (إصلاحية ، لوثرية ، مينونيت) وكذلك كنائس السود ، تشكل أيضًا جزءًا من هذا التيار. ويمتد نفوذ الإنجيلية لأبعد من المجالات البروتستانتية ، فلا الكاثوليكية ولا اليهودية يبدو أنهما قادرتان علي الإفلات من هذا النفوذ ، ومن هنا تكتسب مزحة عالم الاجتماع اليهودي الان وولف معناها: «الآن نحن كلنا إنجيليون» (وولف،٢٠٠٥م ، ص٣٣).

وبرغم أن الإنجيليين الامريكيين بالشمال هم في أغلبيتهم من البيض إلا أننا نجد أيضًا إنجيليين من السود (أو الافرو أمريكان). ويمثل البروتستانت السود ٧,٦٪ من نسبة مجمل السكان بالولايات المتحدة. ومع الصحوات الكبرى (١٧٤٠و١٨٠٠م) بدأ العبيد في الانضمام للعقيدة الإنجيلية. لقد جذبتهم الحيوية الفرحة للمعمدانية والميثودية(*)، والتي انتقلت إليهم بسهولة حيث وجدوا فيها بشكل ما، دينًا ذا أسلوب إفريقي رابطًا القلب بالجسد جعلهم يعيشون خبرة عميقة من الاهتداء الشخصي[٢]. لقد جذبتهم الإنجيلية أيضًا ؛ لأنها الأكثر أفقية والأكثر مساواة والأكثر اجتماعية والأقل شكلية من الثقافة الأنجليكانية القديمة.

إنجيلية أرثوذوكسية(**) وأرثوبراكسية(***)

تركز الإنجيلية كشكل أرثوذكسي، تقوي وإبرشياني للبروتستانتية، على أربع نقاط عقائدية: الالتزام بالكتاب المقدس بوصفه كلام الله ومصدر السلطة بالنسبة لكل مسائل العقيدة والحياة ، والتركيز على الخبرة الشخصية في الاهتداء كشرط ضروري لتحول الفرد ودخول الحياة المسيحية، والتركيز على الصلب بوصفه تضحية وفداء من السيد المسيح للبشر، وأخيرًا ضرورة الالتزام المكافح والشهادة الشخصية الهادفة لتنصير الآخرين (نول، ١٩٩٤م، نول،٢٠٠١م).

كان التركيز على الاهتداء والتنصير والمشاركة في البشارة قد جعل الإنجيلية تستحق لقب «مسيحية التنصير» وكذلك «البروتستانتية التنصيرية». ومغزى هذه المحاولة واضح: يتعلق الأمر بالتعبئة الذاتية ضد ما يدرك على أنه انحلال للهوية المسيحية وإعادة توجيه الكنيسة نحو رسالتها الإنجيلية. ويترجم تثمين التنصير أيضًا من خلال الحماسة التبشيرية التي تهيمن على الإنجيلية المُنَظَّمَة، في الأغلب، في كنائس مستقلة وفي جمعيات تبشيرية.

(*) الميثوديسة : نشأت في أواسط القرن الثامن عشر تحت تأثير جون ويسلي وجورج وايتفيلد بهدف «إحياء» الكنيسة الإنجليكانية. تأسست على رفض أي نزعة شكلانية وعلى كهنوت عالمي (كل مُعَمد هو كاهن) وتعتبر الخبرة الشخصية بالرب هي المرشد الوحيد الممكن للضمير وأن الخلاص ممكن بالإيمان. ومن هنا تركز على أهمية الاهتداء.

(**) أرثوذوكسية: مجموع المعتقدات المطابقة للحقيقة المعيارية المؤسسة على قراءة للكتاب المقدس. ولديها لا يوجد إلا صياغة واحدة للحقيقة بالنسبة للجميع.

(***) أرثوبراكسية: حياة مطابقة لما يعلن عنه [من إيمان]

تتأسس الحماسة التبشيرية للإنجيليين على القناعات المسيانية ذاتها لدى البيوريتان والآباء الأوائل، الذين كانت أمريكا بالنسبة لهم هي جنة أرضية جديدة منحهم الله وعليها مهمة بناء القدس الجديدة. ويعرفون أنفسهم بوصفهم الشعب المختار في الأزمنة الحديثة على غرار الشعب العبري القديم. ومع مرور الأجيال امتد الاصطفاء الإلهي لطائفتهم الدينية إلى الأمة الأمريكية بأسرها. ونتج عن ذلك أن عظمة أمريكا «وقدرها الجلي» ومهمتها في العالم قد احتلت مكانة مهمة في الوعي بالذات لدى الإنجيليين وفي إدراكهم للآخرين.

ملمح آخر يميز التوجه الإنجيلي وهو أنه متمركز على الدراما الثنائية للقوى التي تحكم العالم، فلقد ورث البيوريتان والإنجيليون رؤية مانوية للعالم جعلتهم يدركون العالم بوصفه ميدان معركة نسجت خطوطها مؤامرة قوى الشر ضد قوى الخير. من هنا، نجد تأملات القس جيري فالويل «نحن ولدنا في منطقة من العالم، حيث تكافح قوى الرب ضد قوى الشر» (فالويل، ١٩٨٧م، ص ٤٤٣). وبما أنهم على قناعة بأنهم يجسدون الخير في عالم يخضع لقوى شيطانية، فإن الإنجيليين يعتقدون أنهم يزيحون الشيطان والمتواطئين معه في أي مكان يحضرون فيه . إنهم مهووسون بسلطان الشر والشيطان (المفترض).

وعلى عكس الكنائس المسماة بالكنائس الإعترافية «CONFESSANTS» ـ أي تلك التي تركز على التطابق مع العقائد ـ هناك الكنائس الإنجيلية المسماة بكنائس المجاهرين أو المعمدانيين(*) «PROFESSANTS» (معتقدو الكنائس)، أي أنها تجمعات مؤمنين راسخين في إيمانهم يديرون أنفسهم ذاتيًا، حيث المرء يشهر إيمانه بالسيد المسيح، فالإنسان لا يمكن أن يفتدي إلا بالاعتراف بأن المسيح مات من أجل خطاياه (الإنسان). ومع جهر الإنسان بإيمانه يتلقى المؤمن ـ وبعد الموت ـ دخولاً مجانيًا إلى مملكة السماء. وعلى خلاف الكاثوليك، يدرك الإنجيليون البحث عن الخلاص كمحاولة شخصية تمامًا، فالخلاص لا ينتقل بالميلاد وإنما يتحصل عليه الإنسان بالاختيار الفردي الحر، المؤسس على خبرة الاهتداء[٣].

(*) الكنائس الاعترافية أو كنائس المعترفين Confessants، وكنائس المعمدانيين أو المجاهرين،هكذا ترجمنا Professants لأننا لم نجد مراجع دقيقة في هذا الشأن، فالمصطلحات ذات معان كثيرة، بل وهناك من يخلط بين الإثني . وربما تهتم الأولى بـ «الاعتراف بالمسيح» والثانية الإقرار بالإيمان. غير أن ما يميز الأولى كما تشير بعض المراجع أنها تعبر عن جماعة من البروتستانت الألمان الذين تجمعوا في مواجهة صعود النازية بقصد الحفاظ على الجماعة المسيحية في تكاملها واستقامتها . واعتبروا أنفسهم الكنيسة البروتستانتية الوحيدة الشرعية في ألمانيا. وتعرضوا لكل أنواع الملاحقات قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية. (المترجم).

بتعبير آخر، لا أحد يولد مسيحيًّا وإنما يصير كذلك بعد أن يكون قد «عهد بحياته للمسيح». في هذه الشروط تقدم الكنيسة نفسها بوصفها مجرد تجمع لا يأتي إلى الوجود إلا بإرادة أفرادها (المهتدين) . فالإنسان يدخل عبر اختيار شخصي بعد اهتدائه. فالبروتستانتية الإنجيلية هي تمامًا دين اختيار ـ اختيار الاهتداء أولاً واختيار الانضمام إلى الكنيسة بعد ذلك. والأولوية التي تعطى للاختيار، تضرب على وتر الحساسية المعاصرة. ومن عدة نواح، تأتي كرد على تطور المجتمع بكامله، الناتج عن المرور من الحضارة التقليدية ـ التي نرث فيها دينًا ـ إلى حضارة الاستهلاك، وثقافة الاختيار وخاصة الاختيار الديني. وعندما تكون الإبرشيات المحلية في طريقها لأخذ قرار في قضية ما، يظل للفرد حريته في اتخاذ القرار. وبهذا تثمن الإنجيلية الفرد أكثر من الجماعة، والتفسير الشخصي أكثر من الطاعة لدرجات أعلى. وهو ما يفسر أن التراتبية موجودة بها على نحو قليل.

يمتلك الإنجيليون رؤية فردية للأخلاق. وبما أن لهم قناعة بأن الاستقامة الأخلاقية للأفراد هي العلاج لكل أمراض المجتمع، فإنهم يشترطون أن ينفصل المسيحي جسديًّا عن المجتمع الذي لم يشهد بعثًا دينيًّا، ولهذا السبب لا يؤمنون، تقليديًّا، بالإصلاحات الاجتماعية ونشاطهم الوحيد نحو الغير يمر من خلال التنصير من إنسان إلى إنسان. وبما أنهم يعتقدون أن مجموع السلوك الفردي هو الذي يحدد أي تغيير بالمجتمع، فإنه لا يوجد إذن أي تغيير بدون الانبعاث الروحي. وبالنسبة للإنجيلية، فإن الأرثوذكسية ينبغي أن ترافقها الأرثوبراكسية. وهكذا يكون الامتناع واجبًا عن التدخين والمشروبات الكحولية والعلاقات الجنسية قبل الزواج والرقص . وكما قال سباستيان فاث عن حق «النزعة الفردية المهتدية التي يدافع عنها الإنجيليون ليست نزعة فردية مدمرة، إنها ترتكز على وسط مؤمن حيث يمكن للمؤمن أن يعيش جهاده» (فاث ٢٠٠٤م، ص ٧٠). في الواقع، يشجع تثمين الفرد على ديمقراطية المقاربة وعلى التضامن الطائفي، غير أنه يفتح الباب، في الوقت نفسه، للانحرافات الشعبوية والمبالغات الديماغوجية.

على نقيض البروتستانت الليبراليون والكاثوليك، الذين يفسرون النبوءات كشكل من بيداغوجيا الإعداد لكمال الوحي الإلهي في السيد المسيح، نجد أن الإنجيليين يرون في الكتاب المقدس مجموعة من النبوءات التي تعلن قرب وفجائية وضرورة المجيء الثاني للمسيح كتمهيد للألفية. وبما أنهم على قناعة بأن المسيح لن يعود إلى الأرض إلا بعد كارثة مرعبة، فإنهم يقرءون النصوص الكتابية بطريقة تؤول الوقائع السياسية الراهنة كي تصير علامات على تحقق النبوءات.

مع اتفاقهم على القول أن أمريكا تتجه بخطوات واسعة نحو نهاية الزمان، نحو هرمجدون، فإن الإنجيليين يمتلكهم أيضًا الشعور بأن تفكك القيم الأخلاقية والكتابية قد يفضي إلى صحوة روحية في البلاد، وأنها ستنتهي إلى تغيير سياسي صحيح من شأنه إنقاذ العالم من الشر. ومن جهة أخرى، يعتقدون أنه في اللحظة التي تعتقد فيها الإنسانية كلها أنه مات تكفيرًا عن خطايا البشر يمكن أن يعود المسيح إلى الأرض بوصفه المخلص وينقذ العالم. وهذا يعني أن رؤيتهم للعالم في نهاية الزمان هي رؤية معقدة ولا تخلو من تناقضات.

يؤكد التاريخ على أن البروتستانتية الإنجيلية هيمنت لفترة طويلة على الدين في الولايات المتحدة، ليس فقط لأنها احتلت مكانة استثنائية بين الكنائس الكبرى المهيمنة، ولكن أيضًا لأنها فرضت، حتى نهاية القرن التاسع عشر معايير الأخلاق العامة على كافة أصعدة المجتمع والحكومة. وكانت ٨٥٪ من الكنائس الأمريكية إنجيلية في عام (١٨٦٠م) (نول، ٢٠٠٢م، ص٧٥). وفي كتاب حديث لعالم الاجتماع مايكل اميرسون وكرستيان سميث يقدمان البروتستانتية بوصفها «الدين المهيمن أثناء المائة والخمس والعشرين سنة الأولى من التاريخ الأمريكي» (أميرسون وسميث، ٢٠٠٠م ص ٨). ولأنها متجذرة في الخريطة الاجتماعية والسياسية الأمريكية، تعتبر البروتستانتية الإنجيلية اليوم إحدى الركائز للدين الأمريكي والأيديولوجية القومية على حد سواء.

ومع أنها متشككة إزاء أي سلطة مركزية، تتهيكل البروتستانتية الإنجيلية، على الصعيد المؤسساتي الدستوري، في طوائف وكذلك في منظمات بين الطوائف ولا سيما في شكل جمعيات تبشيرية واتحادات من أجل التنصير أو من أجل العمل الاجتماعي، وفيدراليات قومية ودولية. وأهم هذه الفيدراليات، بدون شك، التحالف الإنجيلي العالمي، وهو اسم منذ نشأته عام (١٨٤٦م) غير محدد بشكل جيد، حيث كان منظمة بريطانية وليس دولية. وفي عام (١٩٥١م) ظهرت الجمعية الإنجيلية العالمية، وهو العام ذاته الذي عدل فيه التحالف الإنجيلي العالمي اسمه إلى التحالف الإنجيلي البريطاني. واليوم تنسق الجمعية الإنجيلية العالمية التحالفات الإنجيلية القومية بين ما يقرب من مائة وثلاثين بلدًا وتمثل أكثر من مائة مليون مسيحي عبر العالم (تيدبال،١٩٩٤م، ص ٤٠).

ازدهار الإنجيلية

بينما كان علماء الاجتماع يعلنون عن الأفول الذي لا رجعة فيه لما هو ديني «تقليدي»، الأمر الذي يفضي إلى تقويض المسيحية بشكل كبير، كانت الوقائع تُكذب ذلك. في الواقع، ومنذ الستينيات عرفت البروتستانتية بشمال أمريكا نوعًا من إعادة التكوين الداخلي الذي سار في اتجاه ازدهار الإنجيلية، والتراجع الخفيف للطوائف القديمة (المشيخية، الأسقفية، الإبرشية، أتباع المسيح(*) والميثودية) والتي عرفت تقلصًا في عدد أتباعها وانخفاضًا في الدعم المالي وتراجعًا في الثقة. وفقدوا ارتباط جزء جوهري من أبناء الأجيال الجديدة[٤]. وعلى خلاف ذلك، نجد أن الطوائف الإنجيلية قد عرفت في عدة عقود نموًا معتبرًا وتمتعت بانتشار اجتماعي كبير. ويرى عالم الاجتماع مارك شيبلاي أنه بين عامي ١٩٧١و١٩٩٠م، سجلت الكنائس الإنجيلية، مثل كنيسة ميسوري اللوثرية، زيادة في عدد أعضائها بنسبة ٢٦٪ (أي ستة ملايين عضو)، بينما، على العكس، الكنائس الليبرالية مثل الكنيسة المتحدة من أجل المسيح، فقدت ٨,٥٪ من أعضائها (أي ٢,٦ مليون) (شيبلاي، ١٩٩٦م، ص ٢٦-٣٤). وتعيش الكنائس الإنجيلية، في فجر القرن الواحد والعشرين حالة ازدهار كاملة. ففي ديناميتها ينبغي اكتشاف التفسير الرئيسي لحيويتها الملحوظة، وبشكل أكثر نوعية في قدرتها على الإبقاء، في قلب المجتمعات الحديثة المضطربة في الغالب، على خطاب معياري قوي ومطمئن، وفي الوقت نفسه تقدير مبدأ حرية القرار الفردي.

الكنائس الكبرى

أثبتت الكنائس الإنجيلية ليس فقط قدرتها على الاحتفاظ بأتباعها، وإنما توصلت أيضًا إلى بسط نفوذها. وساهمت بذلك في تخفيف الآثار الأكثر صعوبة لدى كثير من الأمريكيين نتيجة

(*) أتباع المسيح: تأسست الكنيسة المسيحية لأتباع المسيح في عام (١٨٣٢م) من خلال اتحاد كنيستين أمريكيتين الأولى تسمى «المسيحيون»، أنشأها بارتون ستون وهو مشيخي، والثانية تسمى «أتباع المسيح» ويقودها ألكساندر كامبل وهو على التوالي مشيخي ومعمداني. وتقوم عقيدة الكنيسة المسيحية لأتباع المسيح على مبدأين: لا ينبغي أن يجبر المؤمنين على الإعلان عن إيمانهم من خلال رموز، وأن الله يريد من كنائسه أن تكون متحدة. وعارضت إقصاء المؤمنين من الكنيسة بسبب اختلافهم العقائدي، وأقرت شعار: (لا معتقد إلا المكرس للمسيح). وهذا ما يفسر أنه لم يكن لها إعلان عقيدة رسمي.

التغيرات الاقتصادية والتكنولوجية وخاصة الوحدة والعزلة والتهميش الناتجة عن عمليات التمدين ومجيء الحداثة بشكل عام. وفي مواجهة مجتمع أمريكي يعايش تفكك الروابط الأسرية والعنف المتصاعد وغياب شبكات المساعدة والضمان الاجتماعي مثلما هو الحال في بلاد أخرى متطورة، قدمت الكنائس الكبرى، التي شهدت ازدهارًا كبيرًا، لا سيما في المناطق الحضرية، ملاذًا حيث يتضامن الناس مع بعضهم البعض ومكانًا للإخاء والأمل.

يطلق مصطلح الكنيسة الكبيرة، وهي تسمية شائعة، على الكنيسة المحلية ذات الاتجاه الإنجيلي، والتي لا تعرف كثيرًا الطابع المؤسساتي وتشبه مركزًا ضخمًا للهو والترفيه أكثر من معبد ديني تقليدي. وكي تعتبر الكنيسة كبيرة ينبغي أن يتوفر لها على الأقل ألفان في صلاة الأحد الأسبوعية، ومن بين أكثرها شهرة كنيسة جماعة ويلوكريك الواقعة في جنوب بارنجتون وهي إحدى الضواحي السكنية في الشمال الغربي من شيكاغو (برتشارد، ١٩٩٦م، بن بركة، ٢٠٠١م ص ٣١ و ٤٥).

تجسد الكنائس الكبيرة طريقة جديدة من ممارسة العقيدة الإنجيلية أكثر فردانية وأقل مؤسساتية، أكثر شعورًا وأقل دوجماطيقية. وتتميز بعمق بالتسامح والارتباط بأنماط الموسيقى الجديدة. غير أن قوتها الرئيسية تكمن في وديتها وقدرتها على أن تكون قريبة من الأفراد سواء من أجل الاستماع إليهم والتأثير فيهم أو التحدث إليهم والتأثر بهم (ميللر، ١٩٩٧م). وهي تمثل قوة كثافة مجتمعية تنتشر من خلال مجموعات عديدة للصلاة ودراسة الكتاب المقدس واللقاءات، وأيضًا معسكرات الشباب والأنشطة الرياضية والثقافية، والتي لا يمكن التشكك في دورها الاجتماعي . وتوجه كل هذه الأنشطة نحو تقدير الفرد وتلبية حاجاته الأساسية. وبفضل هذه الرعاية تشكل الكنائس الكبرى طوائف متلاحمة ومجهزة بنظام فعلي من المساعدة الاجتماعية. ويشعر الفرد في هذا الإطار، بالتضامن داخل شبكة ويصبح إذن أقل عزلة وأقل هامشية، ويخرج من حالة التخفي ويأخذ انطلاقة جديدة في الحياة.

يتمثل الملمح الآخر في الكنائس الكبرى في غياب البيروقراطية والنظام المؤسساتي الموحد. وعلى خلاف التشكيلات الدينية الأخرى عرفت الكنائس الكبرى كيف تخلق مناخًا ديمقراطيًّا مؤيدًا للتنظيمات الجديدة وللمبادرات الفردية المؤسسة على مصالح المؤمنين. وأكثر من ذلك، سعى رجال الدين المؤمنون إلى الانخراط مباشرة وجماعيًّا في تسيير الشئون الإدارية والروحية لكنائسهم.

في الواقع، لا يمكن الإشارة إلى الكنائس الكبرى دون التشديد على الأهمية التي تمنحها للموسيقى بوصفها شكلاً من التعبير عن الإيمان. فالموسيقى كعنصر جوهري في العبادة هي وسيلة تعبير مميزة للعلاقة المباشرة مع الرب. وحتى الصلوات والمواعظ لها إيقاع موسيقى، فرسالة الكتاب المقدس تغنى ويحتفل بها بحماسة. فالعبادات تبدأ في هذه الكنائس، بأناشيد دينية يقوم بعزفها جوقة موسيقية مكونة من خمسين آلة موسيقية ومغنيين. ويستغرق هذا الجزء الموسيقي من العبادة حوالي عشرين دقيقة، من خلالها يغني الجمهور بحماسة ويرقص ويصفق بيديه. وتنظم الكنائس الكبرى، خارج موسيقى الكنيسة (أو موسيقى العبادة)، حفلات موسيقية فعلية يقودها مجموعات «موسيقية» مثل : الطريق، بلد الإيمان، وذلك على سبيل المثال وليس الحصر. وهي مجموعات حداثية على صعيد الميلودي، إلا أن الموسيقى التي تعزفها هذه المجموعات تنطلق دائمًا من الخبرة الدينية الشخصية.

الاستخدام الجيد للتكنولوجيا الحديثة

إذا كانت الإنجيلية اليوم تعيش ازدهارًا، فذلك لأنها أظهرت تقاربًا خاصًا مع الحداثة التكنولوجية، ومع العملية المتسارعة للعولمة التي خضعت لها المجتمعات الإنسانية منذ القرن التاسع عشر. وبينما كانت مجموعات طائفية كثيرة قد اضطربت بمجيء التكنولوجيات الجديدة للاتصالات الجماهيرية، أدرك الإنجيليون منذ البداية الدور الذي يمكن أن تلعبه وسائط الإعلام الجديدة في نشر كلام اللـه عبر المعمورة، وفي تطابق مع الوصية التي نقلها إنجيل مرقص «وقال لهم: "اذهبوا في العالم كله، وأعلنوا البشارة إلى الخلق أجمعين" (إنجيل مرقص ١٥و١٦). وسواء تعلق الأمر بالمطبعة أو بالفضائيات كانوا يبحثون عن وضع الابتكارات التكنولوجية في خدمة العقيدة. وقد ساهم الاستخدام الماهر للراديو والتليفزيون وتكنولوجيا الاتصالات بصورة كبيرة في نجاح «الكنيسة الإلكترونية».

يقصد «بالكنيسة الإلكترونية» مجموعة واسعة من البرامج الدينية المسموعة والمرئية. فإلى جوار برامج العبادة (صلاة، مواعظ، قراءات كتابية) تتضمن البرامج الدينية برامج ذات استلهام ديني بدءًا من المنوعات الموسيقية ودروس المطبخ حتى الرسوم المتحركة المتعلقة بالكتاب المقدس. وتعتبر الكنيسة الإلكترونية نتاجًا للدعاة البروتستانت، خاصة الدعاة

الأصوليين والخمسينيين (هارين وسوان،١٩٨١م، بروس،١٩٩٠م، جوتورث، ١٩٩٨م، بن بركة في بوردا،٢٠٠١م). وبعد الراديو والتليفزيون، كان الإنجيليون من بين الأوائل الذين استخدموا عالم الإنترنت، ورأوا فيه غنيمة فعلية. وبما أنها لا تريد أن تضيع فرصة الثورة الرقمية أنشأت الكنائس الإنجيلية مبكرًا مواقع عديدة لها. وكما أكد كيلنر: «كانت الحركة الإنجيلية بالعالم المسيحي البروتستانتي أحد المستخدمين الأكثر عدوانية على الإنترنت، كأداة للوصول لعامة الناس وكأداة لتكوينهم في الوقت ذاته. ويمكن التأكد من ذلك أيضًا من الكثرة الكبيرة لمواقع الويب الإنجيلية القائمة والتي لا تنتظر سوى زيارتك لها» (كيلنر، ١٩٩٦م، ص ٢٤٣). ومن بين الأمور ذات الدلالة أن نلاحظ أن الداعية الإنجيلي بيلي جراهام هو أول شخصية دينية استخدمت الإنترنت بمناسبة المحاضرة التي ألقاها في عام (١٩٩٤م) على موقع خادم أمريكا أون لاين (ص١٠).

تنازلات ضرورية

بحكم متابعتهم لأحدث الاكتشافات التكنولوجية اجتهد الإنجيليون في تقديم منتجات تنافسية في السوق الديني. غير أن تطبيق منطق اقتصاد السوق في مجال الروحانيات والعقيدة يطرح مشاكل حقيقية كان الإنجيليون على وعي تام بها. ففي الوقت الذي يقرون فيه بالطابع المحتم لتكيفهم مع الحداثة يحاولون رسم الحدود بين ما يمكن أن يتغير والنواة الصلبة للعقيدة التي لا يمكن لأحد تغييرها. إذن الخطر حقيقي، لا سيما أن التكنولوجيا ليست محايدة. وبما أن الاتصالات والتواصلات الإعلامية هي ثمرة تقنية فإن أي تحويل في تقنيات الاتصالات يفضي إلى تعديل في الأشكال الثقافية التي ستشكل مجمل الرسائل المراد نقلها (ماكلوهان، ١٩٦٤م).

كذلك يجد الإنجيليون أنفسهم أمام عقبة أخرى: فخطابهم حول مقاومة الثقافة المهيمنة لا يمكن أن يخفي تواطؤهم، هنا أو هناك، إزاء هذه الثقافة، حيث إنهم صاروا حلفاء السلطة القائمة. وقدرتهم على التأثير في سياسة حلفائهم لن تخلو من تقديم بعض التنازلات الضرورية.

يكشف الواقع أن الدينامية التي يتمتع بها إنجيليو شمال أمريكا لها حدودها، حيث إنها تستند إلى ركائز غير راسخة. كما أن عمليات التنصير التي يقومون بها تكون أحيانًا ذات طبيعة صاخبة، وتثير دائمًا كثيرًا من التشكك وردود فعل دفاعية. ومن جهة أخرى، نجد أن الأهمية التي يولونها

للطائفة المحلية واليقين الذي يمتلكونه بأنهم يملكون الحقيقة يجعلهم أحيانًا أكثر تعرضًا من الآخرين، للانحرافات الطائفية، ونموذج جنوب الولايات المتحدة، الموسوم كثيرًا بالثقافة الإنجيلية، يدعو إلى التفكير: فهو مثلما شهد ميلاد مارتن لوثركنج، شهد أيضًا نشأة حركة كوكلوكس كلان(*). وتظهر الدراسات المخصصة للمسألة العنصرية في العالم الإنجيلي اليوم أن لحظة العبادة صباح الأحد تظل «الساعة الأكثر عنصرية» في أمريكا. في ساعة الصلاة يتوزع الإنجيليون ـ على غرار كل الأمريكيين الآخرين ـ في أعراق وطبقات. والسود الذين هم في الغالب مسيحيون محافظون جدًا في القضايا الأخلاقية لا يتوافقون مع وجهات النظر ولا مع الحلول التي يدعو لها الإنجيليون من أجل حل القضايا السياسية والاجتماعية التي تنال من المجتمع بأسره، ومن الطائفة الأفروأمريكية بشكل خاص. ويمكن أن ندرك إذن أن الغالبية الساحقة من السود الأمريكيين يرفضون أطروحات اليمين المسيحي. وفي النهاية، يمكن الإشارة إلى وجود توترات وانقسامات فعلية بين هذه التيارات المختلفة إلى درجة أنها لا تتوصل، إلا نادرًا، إلى التعاون معًا. ومن هذه الانقسامات ينساب الضعف الذي قد يُفقد الحركة الإنجيلية قوتها التي تتمتع بها في اللحظة الراهنة.

العائلات الإنجيلية الكبرى

تتضمن البروتستانتية الإنجيلية، كحركة متعددة، ثلاثة أقطاب لاهوتية كبرى: الأصولية (قطب متمركز حول سلطة الكتابة المقدسة)، والإنجيلية الجديدة (ذات توجه منفتح على العالم الراهن والحوار المسكوني)، والخمسينية (تيار متمركز حول عمل الروح القدس)[٥].

الأصولية

نشأت الأصولية في نهاية القرن التاسع عشر في شمال الولايات المتحدة، كرد فعل على انبعاث الاتجاهات الليبرالية والحداثية داخل البروتستانتية الأمريكية (الداروينية، والتأويل الجديد)

(*) كلوكلوكس كلان: تشير بعض المصادر إلى أن أحد معاني هذه التسمية هو جماعة البيض فقط، وهي منظمة سرية من البروتستانت البيض، تم تأسيسها عام ١٨٦٦م بولايات الجنوب الأمريكي. ومرت بمراحل ازدهار وأفول. غير أنها عادت للظهور في عقد الستينيات لمعارضة حركة الحقوق المدنية وقامت بارتكاب جرائم عنف عنصرية كثيرة. (المترجم)

والتحولات الاجتماعية ـ الثقافية (تصنيع، تدين، هجرة) التي صاحبت تطور مجتمع على النمط الحديث. وهي تمثل رد فعل حاسم ضد أمريكا التي صارت حديثة وتهدد إذن الأرثوذكسية المسيحية. وقد ركز المؤرخ جورج مارسدن، بشكل خاص، على مقاومة التغيير والنزعة النضالية التي يعزو لها دورًا حاسمًا في نشوء الحركة الأصولية (مارسدن، ١٩٨٠م، ص ٤). وهو أيضًا ما ذهب إليه المؤرخ مارتن مارتي الذي ينظر للأصولية بوصفها نزعة معارضة (مارتي، ١٩٩٢م، ص ١١و ٢٤).

بعيدًا عن أن تكون جماعة أو طائفة منعزلة تشكل الأصولية تيارًا منتشرًا ومتناغمًا ومتجاوز الطوائف ويتجاوز الكنائس المتعددة ذات العقائد المختلفة. ومثل الإنجيلية التي تتجنب الهياكل المركزية فإن الأصولية تتميز بتنوعها وتعددها. فالعقلية الأصولية ترتبط جزئيًّا بالطوائف التقليدية الكبرى (هناك أصوليون كالفينيون ومشيخيون ولوثريون) كما أنها تسود في خليط من الكنائس المستقلة والمتفرقة والتي لا روابط مؤكدة لها مثل: سنودس الكنيسة اللوثرية بميسوري، وكنيسة الناصرة، وكنائس المسيح، وتجمعات الرب. وتزدهر الأصولية بشكل خاص بين المعمدانيين بالجنوب. ومنذ عام (١٩٧٩م) والمؤتمر المعمداني الجنوبي تحت السيطرة الأصولية.

هناك تعددية اتجاهات داخل الأصولية وتعددية تيارات أقل أو أكثر تنظيمًا. ويقترح سباستيان فاث تصنيفًا للأصوليات البروتستانتية يشمل خمسة مكونات: الأصولية «السياسية» والتي يعتبر اليمين المسيحي تجسيدها الأكمل، والأصولية التبشيرية التي تتركز حول المهمة الكبرى أي نداء المسيح «لعمل أتباع » كما نقله متى : «فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (إنجيل متى ٢٨، ١٩)، والأصولية «التضامنية» المستمدة من الثقافة المجتمعية للقرى والمناطق الريفية، والتي تركز على اليوتوبيا المجتمعية لـ«المسيحية البدائية»، والأصولية «الترويضية التقشفية» التي تدعو إلى قواعد سلوكية صارمة جدًّا (جامعة بوب جونز، المقامة في جرين فيل بكاليفورنيا الجنوبية، تعتبر إحدى نماذج هذا النمط من الأصولية)، والأصولية «التقوية الأرثوذكسية» كما في سيمنار دالاس اللاهوتي بتكساس والذي يتحدد بتركيزه المزدوج على الحياة الروحية (الصلاة وقراءة الكتاب المقدس) والانغماس في كلام الرب انطلاقًا من قراءة محددة تمامًا من خلال معايير أرثوذكسية (فايث، ٢٠٠٤، ص ١٥٤ و١٦٠).

وبرغم تنوعها الداخلي تمتلك الأصولية خصائص محددة. فهي تتمحور حول ركيزة عقائدية

راسخة ومجموعة من القواعد والمتطلبات التي تمنح المؤمنين هويتهم والحفاظ على تلاحم الجماعة وتأمين استمراريتها. وبتأسيسها على ركيزة مبادئ الإصلاح الكبرى - بالنعمة وحدها، بالكتاب وحده، بالإيمان وحده - (تستند العقيدة الأصولية، في المقام الأول، إلى ما يسمى بـ «النقاط الخمس» العقائدية: المعصومية(*) المطلقة للكتاب المقدس، أي التسليم بأن الكتاب المقدس مستثنى من أي خطأ في مخطوطاته الأصلية، والميلاد العذري للسيد المسيح، وموته التكفيري (عن خطايا البشر)، وقيامته الجسدية، وعودته القريبة إلى الأرض بجسده المجيد. وبالنسبة للأصوليين فإن هذه الحقائق الجوهرية ليست قابلة للنقاش والشك بها غير مسموح.

في المقام الثاني يركز الأصوليون، على غرار الإنجيليين الآخرين، على أهمية الخبرة الشخصية في الاهتداء وفي حياة الورع . وإلى جوار هذا ينبغي إضافة واجب الالتزام بنزعة تبشير صارمة تجاه كل أولئك - سواء كانوا مؤمنين أوغير مؤمنين - الذين لم يؤمنوا بعد بهذه العقيدة. ويتوافق واجب التبشير مع نزعة أخلاقية صارمة: فسلوك الفرد ينبغي أن يكون نموذجيًّا. وعلى الشخص المهتدي أن ينتهج سلوكًا اجتماعيًّا متقشفًا وصارمًا، ويعلن عن نفسه بصورة جوهرية من خلال التخلي عن الملذات الدنيوية. وهذه النزعة الصارمة قد تكتسب أشكالاً سلبية. ويمكن أن تفضي في حالات متطرفة إلى عدم تسامح فعلي، فالعدوانية القاتلة لبعض الكوماندوز المعارضين للإجهاض في أمريكا هي التعبير الأكثر درامية على ذلك. ولأنهم كانوا على قناعة راسخة بأنهم وحدهم من يملكون الحقيقة، فإن الأصوليين كان لديهم دائمًا أحكام سلبية على كل من لم ينضم إلى صفوفهم. وبالتالي ليس هناك ما يدعو للدهشة عندما نعرف أن الأصوليين يتجنبون حوار الأديان.

تتميز الأصولية أيضًا بنزعة أخروية ما قبل الألفية. وكما أوضح مؤرخ الأصولية البروتستانتية الشهير إرنست ساندين، أن نمو الحركة الأصولية جاء تاليًا لصعود القناعات الماقبل الألفية، والمؤسسة على شعور بأن أمريكا في طريقها للأفول، وعلى خشية على مستقبلها (ساندين، ١٩٧٠م، ص ١٤١). فالشعور بنهاية الزمان كان يثير خيال ومشاعر الأصوليين أكثر من غيرهم من الإنجيليين الآخرين. وكان لديهم أيضًا يقين كبير بذلك.

(*) المعصومية: عقيدة ترى أن الكتاب المقدس معصوم من أي خطأ أو تناقض . وبالتالي هو مؤكد من وجهة النظر التاريخية . ولا يتضمن أي تأكيد زائف أو مضلل في أي قضية من القضايا (المترجم).

ومثل عدد كبير من مواطنيهم الأمريكيين ورث الأصوليون رؤية مسيانية لأمريكا، رؤية تمزج بين الهوية القومية والهوية المسيحية. كانوا راسخين في قناعة لا تهتز بأن أمريكا أمة أخلاقية ووجهتها الأولى كانت دائمًا تشييد مملكة الرب (أرض وشعب متوجه نحو رب الكتاب المقدس). وتشكل أُسطورة أمريكا المسيحية ومهمتها في العالم، من عدة نواح، أساس «الاستثناء الأمريكي». ولأنهم مقتنعون بأن الله وقع عهدًا مع أمريكا كان البيوريتان، منذ البدايات، ينظرون إلى وطنهم الجديد بوصفه إسرائيل جديدة، ومجتمعًا من «المؤمنين الحقيقيين» المرتبطين بهذا العهد مع الله. وينبغي مع ذلك الاعتراف بأن طابع هذه الرؤية الأسطورية هو أيضًا أكثر قوة وأكثر قبولاً في الفكر الأصولي من غيره من تيارات الفكر الأخرى. وهذا يعبر عن نفسه في نمط من الفكر المانوي والصرامة الأخلاقية والإيمان بالعصر الذهبي وكذلك بالحلم المهووس بأمة مؤمنة ومتناغمة ونقية وكاملة.

باختصار، الأصولية هي تعبير راديكالي مناضل يعكس بعمق نظرة خاصة للهوية الإنجيلية. لكن ما يميز الهوية الأصولية عن الهوية الإنجيلية هو أن الأولى متشنجة بعنف. وكما قال جيري فالويل نفسه «الأصولي هو إنجيلي غاضب من شيء ما» (فالويل، ١٩٨٧م، ص ٣٦٠). ويتماشى مع التصلب الأصولي منطق انفصالي يعبر عن نفسه، خاصة في رفض الليبرالية والتعددية اللاهوتية، والعداء للنزعة المسكونية ورفض التكيف مع المعايير الثقافية السائدة. وتنفرد الأصولية، عن الباقي، بشعورها بالتفوق الديني الذي يتأسس على قناعة بأنهم الأكثر وفاءً من الآخرين لكلام الله. ومن المهم في النهاية أن نضيف أنه إذا كان كل الأصوليين إنجيليين فإن كل الإنجيليين ليسوا من الأصوليين.

تاريخيًا ولدت الحركة الأصولية في أعقاب الليبرالية اللاهوتية الألمانية داخل الطائفة البروتستانتية، والتي طورت قراءة نقدية لنصوص الكتاب المقدس أطلق عليها «النقد العالي». وتركت هذه المدرسة النقدية التي قادها فردريك شلايرماخر(*)، جانب البعد الروحي للكتاب المقدس، وبهذا ضايقت كثيرًا من المسيحيين المحافظين الذين اعتبروا المناهج النقدية ـ التاريخية

(*) شلايرماخر : عالم لاهوت بروتستانتي ألماني وفيلسوف (١٧٦٨ - ١٨٣٤م)، تأثر بأفكار اسبنوزا وفخته . وجه النقد إلى العهدين القديم والجديد ولكن من وجهة نظر دينية . وعمل على استخلاص الدين من التجارب والمشاعر الداخلية للفرد، وكان لتعاليمه أبلغ الأثر في تطور علم اللاهوت البروتستانتي في القرن التاسع عشر ومن مؤلفاته : خطاب حول الدين، وعرض العقيدة المسيحية . (المترجم).

هرطقات تشكك في كلام الرب. وبالاستناد إلى منجزات التاريخ والأركيولوجيا والفيلوجيا، حاول شلايرماخر مع رجال لاهوت من مدرسة توبنجي مثل فريناند كرستيان باور ودافيد فريدريك شتراوس، البحث عن تمييز الأبعاد التاريخية والأدبية والفلسفية للنصوص المقدسة. ومع تقدم نقد نصوص الكتاب المقدس بدأ التشكك في الركائز المؤسسة للعقيدة الإنجيلية السائدة آنذاك. وكان الدفاع عن سلطة الكتاب المقدس في قلب المعارك بين الإنجيليين والليبراليين الذين كان الكتاب المقدس بالنسبة لهم رواية لعمل الرب في تاريخ البشر أكثر منه كلام الرب.

عندما صاروا تدريجيًّا أكثر عددًا وأكثر نفوذًا، أصبح الليبراليون البروتستانت، والبعض منهم كانوا متحررين من الانتماء لأي طائفة دينية محددة، يهيمنون على كليات اللاهوت في الجامعات الأكثر عراقة مثل هارفارد وييل وشيكاجو. وكان يوجد في صفوفهم أتباع الإنجيل الاجتماعي(*) (social gospel) ، وهم تيار لاهوتي كان له صدى كبير في شمال أمريكا، لا سيما أنه كان يعاني من افتقاد المساواة وغياب العدالة وانتشار البؤس، الأمر الذي أفضى إلى الثورة الصناعية الأمريكية. وكان محركو هذه النزعة المسيحية الاجتماعية، الذين يعتبرون أنفسهم أكثر وفاءً لأخلاق الإنجيل، يركزون على مسيحية أكثر ملاءمة لحاجات المحتاجين . بالنسبة لهم كان المسيح يمثل أساسًا نموذجًا إنسانيًّا يحتذى به، ومرشدًا من أجل الحياة بصورة أفضل في عالم صعب ومضطرب، أكثر منه شخصًا ثانيًا في الثالوث المقدس. وبما أنهم كانوا غير دوجماطقين فقد تخلوا عن الميتافيزيقا الدينية لكي يبحثوا عن حلول ملموسة للبؤس الاجتماعي. وكانوا في مواعظهم وكتاباتهم يوجهون نقدًا للرأسمالية المتوحشة وللنزعة المحافظة لرجال الدين البروتستانت، ويركزون على ضرورة تغيير المجتمع. وكان هدفهم إذن دينيًّا واجتماعيًّا في آن واحد، يرافقه وعي سياسي سيؤدي بالبعض منهم إلى اعتناق الاشتراكية مثل والتر روسشنبوش.

إلى جانب الليبرالية الألمانية والمسيحية الاجتماعية تعرضت العقيدة وتأويل الكتاب المقدس إلى تأثير العلوم الطبيعية وخاصة قانون الانتخاب الطبيعي لشارلز داروين. وبعد أن رفضت

(*) الإنجيل الاجتماعي : صيغة من المسيحية الاجتماعية ظهرت للوجود في أوساط البروتستانتية الأمريكية في النصف الثاني من القرن العشرين . وكانت تهدف إلى حل التناقضات الاجتماعية عن طريق الحلول التوفيقية وتبني النظرة المسيحية .. وقد أدان المحافظون هذا الاتجاه ؛ لأنه متناقض مع مبدأ حرية الاستثمار الذي يؤيدونه ؛ ولأنه يضيق مفهوم الخطيئة بأن جعلها شيئًا عينيًّا ذا طابع اجتماعي وأخلاقي يمكن التغلب عليه (المترجم).

كبريات الجامعات بشمال الولايات المتحدة النظرية التي دعا إليها داروين، سرعان ما قبلتها بعد ذلك جامعات عريقة مثل هارفارد وييل وبرنستون.

كان كثيرون، مثل جراى، أحد أبرز علماء النبات في عصره، يسعون إلى إدماج نظرية التطور في لاهوتهم بتحويلها إلى خطة إلهيـة. ونظر واحد من أكبر الدعـاة الليبراليين، وهو هنري بيشير إلى الكتاب المقدس على أنه «أحد أهم الوثائق التي توضح حقيقة عملية النشوء والارتقـاء» (بيشير في مارتن، ١٨٨٩م، ص ١٠٧). كذلك تم تفسير صراع الكائنات من أجل البقاء والوجود على أنه تعبير عن الإرادة الإلهية، وتفسير البقاء في الحياة كدليل على عناية الله. وكان من بين كبار رموز التيار اللاهوتي الليبرالي، المشيخي جيمس ماكوش رئيس جامعة نيوجيرسي وليمان أبوت مؤلف «التطور والمسيحية» (١٨٩٢م) والاثنان كانت أطروحاتهما متأثرتين بداروينية تأليهية.

في مقابل ذلك، رفض الأصوليون جملة وتفصيلاً آراء داروين بسبب أنها تنال من قواعد العقيدة المسيحية ذاتها، وتشكك في صحة ومصداقية الكتـاب المقدس، وتقصي أي تدخل إلهي وأي حضور إلهي، وتترك الإنسان ومصيره لمصادفة التنوعات. وأكدوا إضافة إلى ذلك، على أن نظرية التطور ليست سوى ثمرة مجرد تأملات. ولم يكن لنظرية التطور ولا التفسيرات الليبرالية للكتاب المقدس صدي كبير في الجنوب في بدايات القرن العشرين. ويؤكد جان بيرمارتن على أن «العقيدة الجديدة تظهر على أنها غير قادرة على الوصول إلى المقررات التقليدية للإنجيلية الشعبية، ولا سيما في الجنوب حيث المعمدانيون والميثوديون يحافظون على شبه احتكار كامل ويحصلون من المجالس التشريعية على منع لأي تعليم يكون مخالفًا للكتابات المقدسة» (مارتن، ١٩٨٩م، ص ١٠٨).

ونظرًا لانزعاجهم من تقدم القوي الحداثية كان رجال اللاهوت ـ من المعمدانيين والمشيخيين في الأغلب، مثل سيروس إسكوفيلد، وبيرسون، وشارل هودج، وبنيامين وارفيلد وبروكس ـ يجتمعون سنويًا بدءا من عام (١٨٧٥م)، في شلالات نياجرا، بغرض الإعلان عن رغبتهم في ألا يتنازلوا عن أي من النقاط الأساسية للعقيدة. وكانت هذه اللقاءات مكرسة لدراسة الكتاب المقدس، وبشكل خاص التأكيد العلني على الحقيقة الحرفية لنص الكتاب المقدس.

منذ عامي ١٨٨٣ و١٨٩٧م انعقدت مؤتمرات في نياجرا، ومن هنا جاءت تسميتها

«مؤتمرات نياجرا للكتاب المقدس». «ولم يفعل أي تجمع سنوي آخر، كما يؤكد المؤرخ ستيوارت كول، مثلما فعلت مؤتمرات نياجرا لتعزيز البرتستانتية التقليدية» (كول،١٩٧٧م ، ص٣٢). وفي عام (١٩١٠م) تحدث التجمع العام للكنيسة المشيخية عن النقاط الخمسة التي ستصبح الأساس في تكوين العقيدة الأصولية. وكان مؤسسو مؤتمرات نياجرا للكتاب المقدس في الأساس يقيمون لقاءات عبر طائفية تسمي «مؤتمرات النبوءة»، والتي لاقت صدى واسعًا في البلاد، وكان أولها في نيوجيرسى عام (١٨٧٨م). وعقد مؤتمر النبوءات الثاني في شيكاجو في عام (١٨٨٦م). وانعقد الثالث في بنسيلفانيا في عام (١٨٩٥م). وتتابعت هذه المؤتمرات حتى عام (١٩١٨م).

من جهة ثانية، ظهر تنظيم مشيخي في عام (١٩٠٣م) تحت اسم «رابطة الكتاب المقدس بشمال أمريكا» وأصدر مجلة هي «الكتاب المقدس: التلميذ والمعلم»، وكانت منبرًا لرجال اللاهوت المحافظين والذين كان هدفهم «إعادة التأكيد على رفعة وعلو الكتاب المقدس في الكنائس وعبر الأمة بأسرها »(ساندين ١٩٧٠م ، ص٢٠١).

أفضت كل هذه الجهود (تحت تأثير انزي ديكسون وروبين توري وهما شماليان) في الفترة من عام (١٩١٠م) إلى عام (١٩١٥م) إلى ظهور اثني عشر كتيبًا صغيرًا بعنوان «الأصول شهادة الحقيقة» متضمنة ما يقرب من مائة مقالة كتبها رجال لاهوت محافظون من الأكثر شهرة في عصرهم. وكان صدور هذه المطبوعات وتوزيعها في شيكاجو ممولاً من قبل رَجُلي أعمال من كاليفورنيا هما الأخوان ليمان وميلتون ستيوارت، واللذان دعما من قبل إنشاء معهد الكتاب المقدس بلوس انجيلوس. وكان الهدف الأول لمؤلفي الأصول، ومنهم روبين توري وجيمس اور ووليام أردمان وجيمس جراي كامبل مورجان، هو إعادة التأكيد على التزامهم بالنقاط الجوهرية للعقيدة المسيحية ـ وغير القابلة للتفاوض ـ وحث المسيحيين على العودة إلى المصادر الأولى بالتركيز على أهمية قراءة الكتاب المقدس ولم يمنعهم هذا ، مع ذلك، من الهجوم على الكاثوليكية والمورمونية(*) وشهود يهوا وأي شكل من أشكال النزعة الروحانية يبتعد عن العقيدة البروتستانتية.

(*) المورمونية : أسسها في الولايات المتحدة جوزيف سميث حوالي عام (١٨٢٠م)، وهذه الحركة الدينية (تسمى أيضًا كنيسة عيسى ـ المسيح للقديسين في الأيام الأخيرة) تريد إعادة بناء الكنيسة الحقيقية في الولايات المتحدة. ولدى المورمون إرادة الاستعداد والتعجيل بعودة المسيح ويوجهون عملهم نحو الاستيلاء على السلطة في المؤسسات الاجتماعية (المترجم).

وزعت «الأصول» في ثلاثة ملايين نسخة، وجذبت إليها البروتستانت المحافظين الذين يحيرهم الفكر الليبرالي، والذين كانوا يزمعون حملها إلى داخل تجمع الكنائس القائمة ذات الأصل اللاهوتي المشترك، والقضاء على الليبراليين اللاهوتيين بهدف توجيه البروتستانتية الأمريكية في مجمعها. وفي هذا الأفق تم في عام (١٩١٩م)، تأسيس اتحاد أصول العالم المسيحي، غير أن الأصوليين لم يتوصلوا إلى تقليص تأثير نزعة الحداثة ولا عرقلة تقدمها. وأمام هذا الفشل، عرفت الحركة الأصولية ، بصورة تدريجية ، تصلبًا سيبعدها عن مشروعها الأصلي أي تجديد البروتستانتية في مجملها.

هكذا بعد بدايات لاهوتية محصنة (وغير سياسية اذن) متركزة حول الكتاب المقدس أخذت أول حركة أصولية أهمية متزايدة وأفقًا أكثر حدة صبيحة الحرب العالمية الأولى. وحتى هذا التاريخ كانت النزعة الأصولية الأولى لا تزال في الخفاء، ولم تكن تمتلك شبكة كنسية منظمة ومتناغمة ولا قائد محدد. ولم تكن تتركز في جماعات وكنائس خاصة أو طوائف، وإنما كانت تتغلغل داخل كل الطوائف الكبرى وداخل الأسقفيين والمعمدانيين. في هذه المرحلة كان رد فعل البروتستانت المحافظين على آثار الليبرالية اللاهوتية ينحصر في إعادة التأكيد على معصومية الكتاب المقدس (وعلى اعتماد النزعة الحرفية في قراءة الكتاب المقدس في مواجهة التفسيرات الرمزية له) والإعداد لعودة المسيح. وكان البروتستانت الليبراليون، حتى عام (١٩٢٠م) ، أكثر حضورًا. غير أن الحرب العالمية الأولى ستشكل، مع ذلك، عقبة أمام هذه الانطلاقة التفاؤلية. وكشف العالم كذلك عن قوته التدميرية الحاملة للموت، واستخدم المخاوف لما بعد الحرب في تمهيد الأرضية لنمو الأفكار الكارثية (المستلهمة من سفر الرؤيا) التي يدافع عنها الأصوليون.

في هذا السياق الذي كانت فيه أمريكا متمزقة بين نزعة مسيحية اجتماعية تقدمية بصورة واضحة من جهة، ونزعة أرثوذكسية متركزة حول أصولها من جهة أخرى، حدثت واحدة من الأحداث الأكثر رمزية في المواجهة بين رؤيتين متعارضتين للبروتستانتية وهي محاكمة سكوبس (التي وصفها هنري منسيكن بأنها «محاكمة القرد») التي كانت تعكس - كما رأينا - المرحلة الأخيرة من الجدال الذي يتواجه فيه الأصوليون مع التطوريين والذين يطلق عليهم أيضًا «الحداثيون».

فيما يتعلق بمصطلح «الأصولي» كان أول من استخدمه كورتيس لي لاوس مدير تحرير أسبوعية معمدانية كبيرة يطلق عليها وتش مان اكزامينر. في افتتاحيته لعدد أول يوليو

عام (١٩٢٠م)، استخدم هذا المصطلح لوصف المدافعين عن أصول الشريعة «أولئك الذين لا يزالون مرتبطين بشدة بالأصول الكبرى للعقيدة التقليدية، والذين يستعدون لخوض معركة دائمة للدفاع عن هذه الأصول» وأصول العقيدة التقليدية المشار إليها هنا من قبل كورتيس لاوس هي تلك المعلن عنها في كتيبات «الأصول: شهادة الحقيقة».

يلاحظ المرء هنا أن التيار الأصولي يسبق التسمية طالما أنه وجد قبل أن يبتكر كورتيس ليلاوسن كلمة الأصولي. غير أن قضية سكوبس هي التي ستدخل بصورة رئيسية مصطلح الأصولية والأصولي إلى مفردات اللغة الأمريكية الشائعة، وبإعطائه، على الفور، معنى مختلفًا عليه. وكما رأينا، في الفصل السابق، كان التشكيك الذي ألقت به هذه المعركة على قضية الأصوليين ذا طبيعة دائمة، لكن دون أن يفضي إلى زوالها. فالأصوليون المقيمون في المدن الصناعية الكبرى بالشمال بدءوا يستوطنون آنذاك في الجنوب الريفي تدريجيًّا ومؤسسين لثقافة فرعية جنوبية، ومنذ نهاية أعوام السبعينيات نشاهد انبعاث أصولية مسيسة بشدة ومنخرطة كثيرًا في صفوف اليمين.

الإنجيلية الجديدة

عرفت الطائفة الإنجيلية انقسامات عديدة على مدار الفترة من عام (١٩٢٠م) إلى عام (١٩٤٠م) وكان من نتيجة المواجهة بين القائلين بنظرية الخلق الإلهي (المحافظين) والقائلين بنظرية التطور (المحدثين) أن تشددت المواقف الأصولية. وهكذا تأسست في سنوات الثلاثينيات مجموعات انفصالية مختلفة مثل: الجمعية العامة للمؤمنين المعمدانيين والكنيسة المشيخية للكتاب المقدس، والمعمدانيين المستقلين وعالم الصداقة المعمدانية. وفي بداية سنوات الأربعينيات نجد رجال لاهوت ذوي سمعة عالية مثل هارولد جون اوكنجا، ادوارد كارينل، كارل هنري، هارولد ليندسيل وبيلي جراهام غير راضين عن الليبرالية وعن توجه الأصولية في الوقت نفسه. وطرحوا بطريقة مستقلة قواعد تجديد لاهوتي سيترك بصماته على النصف الثاني من القرن العشرين.

كان الهم الأول لهؤلاء الإنجيليين المعتدلين تقديم تعليم لاهوتي مرتفع القيمة ولا يتهرب من القضية الحقيقية وإنما يتناولها بطريقة موضوعية. وركزوا أيضًا على ضرورة أخذ موقف من

القضايا التي تغافلت عنها الأصولية وتناول المشاكل بطريقة علمية دقيقة. وهكذا كان إدوارد كارنيل يريد أن تكون المسيحية متفقة مع ضرورات العلم الدقيقة. وتسعى الإنجيلية الجديدة، كما يحددها هارولد أوكنجا، إلى إعادة التأكيد على أصول العقيدة المسيحية لكن مع التخلي عن الراديكالية والانفصالية التي ميَّزت الأصولية منذ عام (١٩٢٥م). كما لا تسعى إلى تعديل رسالتها اللاهوتية وإنما طريقة تقديمها. وهذا التيار، الذي يضع نفسه في مسار الصحوات والتي يجعل منها أولوية، يسعى إلى شغل قلب الإنجيلية البروتستانتية الأمريكية، ويعمل على تشجيع النزعة المسكونية بالالتزام بالحوار النقدي عبر الطوائف مع المجتمع. ويتعلق الأمر هنا، إذا استعدنا صيغة سباستيان فاث، بنوع من «إنجيلية عن طريق الإعلام» ذات المنطق المزدوج: «التميز عن الحرفيين المتشددين من نمط الأصوليين المتجمعين في المجلس الأمريكي للكنائس المسيحية، والبروتستانت المتسمين بالليبرالية والمتجمعين في المجلس القومي للكنائس» (فاث، ٢٠٠٤ب، ص ١١١).

في إطار منطق العودة إلى الأصول الإحيائية، ولكن أيضًا في إطار الانفصال عن القوة المتشـددة للأصولية استبدل هارولد أوكنجا بمصطلح الأصولي مصطلح «الإنجيلي الجديد»[٦] وأسس في عام (١٩٤٢م) في كرونادوا في ميسوري الجمعية القومية الإنجيلية (NAE)، والتي تجمع اليوم خمسة وأربعين ألف كنيسة، أي ثلاثون مليون عضو ثم أسس الجمعية القومية الإنجيلية، بعد ذلك، والجمعية القومية للإذاعة الدينية. وفي عام (١٩٥٦م) ظهرت مجلة كريستيانتي توداى حاملة راية البروتستانت الإنجيليين بشمال أمريكا مع كارل هنرى الذي كان أول رئيس تحرير لها. وتميزت هذه الفترة أيضًا بتأسيس منظمات متنوعة موجهة للتبشير وبغرض تنصير أعمق لأمريكا وزيادة عمليات التحول الديني.

كان الانفتاح العقلي والتسامح والتكيف مع التحديث وهي أمور تميز الإنجيلية الجديدة، كما يرى الأصوليون، بمنزلة خسارة كبيرة للأرثوذكسية المسيحية. وبينما كان الإنجيليون الجدد يعيبون على الأصوليين نزعتهم المتطرفة وعدم تسامحهم ونزعتهم الانفصالية، وبينما كان هؤلاء الأخيرون لديهم توجه نحو إعداد نزعة كنسية انفصالية والابتعاد عن كل الكنائس التي لا تتفق معهم حول كل قضايا موقفهم العقائدي.

كان الإنجيليون الجدد يدركون جيدًا أن النقاء المطلق لا يمكن أن يتحقق في هذا العالم، وفي

الوقت نفسه كانوا يعتقدون بضرورة البحث والدفاع عن النقاء العقائدي والأخلاقي للكنيسة. وكانوا منفتحين فعليًّا للحوار وللعلاقات مع الكنائس التي لا تشاركهم وجهات نظرهم، وكما يشهد بذلك النص المعنون بـ «البروتستانت والكاثوليك معًا ـ المهمة المسيحية في الألفية الثالثة» والذي وقعوا عليه في ربيع عام (١٩٩٤م) مع ممثلي الكاثوليكية الأمريكية.

وكان الإنجيليون الجدد وراء إنشاء عدد من كليات اللاهوت (فولر، جوردون)، حيث يعلم فيها رجال من نوعية إيفرث هاريسون وهارولد ليندسيل وويلبور سميث. وصارت دار نشر انتر فارستي برس الأداة المتميزة لنشر الكتب اللاهوتية التي لم يعد ممكنًا للبروتستانت الليبراليين أنفسهم أن يتجاهلوها.

ومن أجل نشر رسالتهم داخل البلد أسسوا منظمات عديدة ونظموا تجمعات شعبية كبرى أُيدت بعناية واستلهمت كثيرًا من الثقافة الشعبية السائدة في تلك الفترة. وشهدت أول حملة من هذا النوع في عام (١٩٤١م) نجاحًا مذهلاً. وفي هذا التنظيم خرج بيلي جراهام بأسلحته الأولى. وسيؤسس بعد ذلك جمعية بيلي جراهام الإنجيلية التي تتحرك كمؤسسة وتحمل رسالة الإنجيلية الجديدة في أركان البلاد الأربعة. وخلال الأسابيع العشرة من حملة نيويورك في عام (١٩٥٧م) استمع أكثر من ٢,٣مليون لهذا الإنجيلي في حديقة ماديسون سكوير. وفي ٢٢ سبتمبر عام (١٩٩١م)، وفي نيويورك أيضًا، تجمع مائتا وخمسون ألفًا في البارك المركزي للاستماع إلى بيلي جراهام الذي كان يدعو إلى التنصير والهداية (وارد، ١٩٩٢م). ولعبت حركة الإنجيلية الجديدة دورًا حاسمًا بالتأكيد في انتشار النزعة الإنجيلية في شمال أمريكا على مدار هذه العقود الأخيرة، ومع ذلك ليس كل الإنجيليين ملتزمين بهذا التيار.

الخمسينية والكارزمية

ثمة إجماع على أن الخمسينية تعتبر جزءًا من الإنجيلية بشمال أمريكا. ومن جهة أخرى، نجد بعض الشخصيات الخمسينية تشارك بقوة في النشاطات السياسية لليمين المسيحي.

نشأت الخمسينية في بداية القرن العشرين، كمزيج من الروحانية الإفريقية مع عناصر من الروحانية الكاثوليكية، وهي حركة أخرى من الحركات التي تعود إلى المنابع الأولى، وتركز على استمرار العطايا المعجزة التي ميزت الكنيسة البدائية: النبوءة، الشفاء، معجزة الألسنة (سينان،

١٩٧١م، هاريل، ١٩٧٥م) ويرى الخمسينيون أنه ينبغي، لكي يصير الإنسان مطهرًا تمامًا ويقدم شهادته أن يتعمد بالروح القدس. وارتباط أغلب الخمسينيين والكارزميين بالمبدأين الأساسيين ـ التركيز على سلطة الكتاب والاهتداء ـ يجعل المرء يصنفهم أيضًا بين الإنجيليين. ويرفض الخمسينيون البرودة والنزعة الشكلية لكنيسة صارت بعيدة عن الخبرة الفردية للمتدينين وتبقى على الانقسامات الاجتماعية القائمة. وتبدأ الأصول التاريخية للنزعة الخمسينية من المعهد الكتابي بتوبيكا في كنساس، في يناير عام (١٩٠١م). ومن هنا انتشر عماد الروح القدس، مصحوبًا بألسنة ومعجزات أخرى تحت تأثير شارل فوكس بارهام وهو قس ميتودي ومدير هذا المعهد الكتابي، وتحت تأثير وليام سيمور الداعية الأكثر شهرة في التجمع الشهير بشارع أزوزا بلوس أنجيلوس، حيث اكتسبت الحركة انطلاقتها القومية ثم الدولية بدءًا من عام (١٩٠٦م). غير أن لا هذا ولا ذاك من هذين القسيسين كان أول من عاش الخبرة الخمسينية. ويعود هذا الامتياز إلى فتاة شابة هي إينياس أوزمان (صارت بعد ذلك مدام لابيرج) التي شعرت بالحاجة لطلب التبريك بالأيدي بغرض تلقي عطية الروح. وأمام دهشة الجميع بدأت تطنطن بلغات ذات أصوات قديمة وغير مفهومة. وهكذا تحيل النزعة الخمسينية إلى مقطع من أعمال الرسل يحكي كيف أنه أثناء اليوم الخمسين ظهرت ألسنة نار عندما استحوذ الروح القدس على بعض البشر (أعمال الرسل ٢، ١-٤).

تطورت النزعة الخمسينية، في البداية، في وسط شعبي وغالبًا بين السود . واليوم الخريطة الاجتماعية لأتباع هذه النزعة تتراوح بين الطبقة المتوسطة (أقلية) وأوساط دنيا. وتشمل عدة ملل أهمها «تجمعات الرب» المؤسسة في عام (١٩١٤م)، والكنيسة الدولية فور اسكوير في عام (١٩٢٧م). ولا بد من إضافة أن تناول القربان في الروح القدس لم يصمد أمام نظام العزل العنصري في الجنوب، حيث النزعة الخمسينية تطورت بسرعة كبيرة. فالمهتدون البيض والسود كانوا منقسمين، وكانت كنيسة الرب في المسيح للسود، وتجمعات الرب للبيض ولم يكن بينهما اتحاد. ومع أن الخمسينيين يشتركون مع الأصوليين في التفسير الحرفي للكتاب المقدس إلا أنهم يركزون على العاطفة الدينية التي تتجاوز كل منطق ولا يسعون إذن إلى قبول الثقافة الدنيوية. وفي الولايات المتحدة ينضم اليوم بعض من الإنجيليين التليفزيونيين إلى الخمسينيين مثل: جيمي سواجارت، وأورال روبرت، وبيني هين، وبات روبرتسون. وفي عام (٢٠٠٤م) قدم قس أفروأمريكي ـ الشاربتون ـ نفسه كمرشح ديمقراطي للانتخابات الرئاسية. وانتشرت النزعة

الخمسينية بسرعة كبيرة ليس فقط في أمريكا وإنما في العالم بأسره من خلال مجموعات عديدة. واليوم هناك ما يقرب من ثلاثمائة مليون من أتباع النزعة الخمسينية في العالم (كوكس، ١٩٩٥م).

يعطي الخمسينيون النموذج الأكثر دلالة على نموذج إنجيلي لا يترك نفسه ينجر كثيرًا إلى منطق التسييس المفرط. ويشددون على أولوية الخبرة علي اليقين. وواقع أن أولوياتهم مختلفة لا يعني القول أنهم ظلوا بعيدين تمامًا عن السياسة. وتعطي المسيرة السياسية لجون أشكروفت، وهو خمسيني النزعة وابن قس خمسيني، والذي صار وزيرًا للعدل في رئاسة بوش الأولى، خير دليل على ذلك.

ما يطلق عليه الكارزمية، أو الحركة الكارزمية، أو «الخمسينيون الجدد» يعيد بدون شك استلهام عناصر من الروحانية الخمسينية. فإلى جانب التركيز - مثل الحركة الخمسينية - على عقيدة شديدة العاطفة، وعلى الحاجة لتلقي الروح القدس وعلى المعجزات الروحية ينفرد التجديد الكاريزمي بانتشاره داخل الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتية، على نقيض الحركة الخمسينية التي شكلت تجمعات مستقلة.

نشأت الكاريزمية، في سنوات الستينيات، في عدة جامعات أمريكية في الأوساط المتوسطة للكاثوليكية الأمريكية. ثم امتدت بسرعة إلى بلدان أخرى وطوائف مسيحية أخرى. وكذلك ظهرت في الأوساط البروتستانتية داخل الكنائس المعمدانية والأسقفية والمشيخية. وتعطي الحركة الخمسينية والكارزمية، التي تشهد ازدهارًا منذ فترة، انطلاقة جديدة للكنائس الإنجيلية. ومع ذلك علينا أن نلاحظ أن الخمسينيين ينظر إليهم بصورة سلبية خاصة من قبل الأصوليين الذين يعلنون الاحتقار والاشمئزاز تجاه كل نشاط عاطفي على النمط الخمسيني.

في سنة (١٩٢٨م) أعلنت جمعية أصول العالم المسيحي (ذات الغالبية الأصولية) القطيعة مع الحركة الخمسينية. وقام الأصوليون مستندين إلى الكتاب المقدس بنشر كتب موثقة جيدًا لإدانة ما يسمونه «تخريب» تقوم به الحركة الخمسينية. كما أثار استياء الأصوليين ما يدعو إليه الخمسينيون من كهانة نسائية. ويمكن أن نضيف لذلك واقع أن الحركة الخمسينية والكارزمية هما تياران مسكونيان وعابران الطوائف. ومؤخرًا شهدت العلاقات بين الأصوليين والخمسينيين تحسنًا واضحًا. غير أنه باستثناء نزعتهم النضالية المشتركة داخل اليمين المسيحي لا يوجد أي تعاون ذو مغزى قد حدث ليؤكد هذا التقارب.

من هم إنجليو شمال أمريكا؟

كم عدد الإنجيليين اليوم في الولايات المتحدة؟ الحق أنه من الصعب الإجابة بدقة ؛ لأن الأرقام تختلف بصورة كبيرة وفقًا لمناهج وأجهزة الإحصاء، وهو ما يجعل مهمة المراقب عسيرة.

في تحقيق أجرى في عام (١٩٩٦م)، لدى بروتستانت متدينين طلب كرستيان سميث من المستجوبين تعريف أنفسهم بدعوتهم لاختيار التسمية الملائمة بصورة أفضل لهم. وكانت النتيجة هي التالية: ٢٠,٩٪ من بينهم ينظرون لأنفسهم بوصفهم «إنجيليين»، ١٩,٤٪ بوصفهم «أصوليين»، و٢٧,٣بوصفهم «آخرين» و٧ر٥ لا يعرفون، ٨٪ يرفضون الإجابة (سميث وآل، ١٩٩٨م، ص٢٣٦). ووفقًا لمعهد الدراسات الأمريكية الإنجيلية بكلية وايتون بولاية إيلينوا، ينظر ٤٥٪ من الأمريكيين لأنفسهم في عام (٢٠٠٢م) كإنجيليين أو من المولودين ثانية مسيحيًا[٧]. وفي ١٣ إبريل عام (٢٠٠٤م) نشر معهد جرينبرج كينلان روسنر للأبحاث نتائج التحقيق الذي أجراه لحساب PBS ومجلة يوإس نيوز وورلد ريبورت[٨]، وكانت نتائج هذا الاستطلاع كاشفة بشكل صريح: يشكل الإنجيليون البيض ٢٣٪ من مجمل سكان الولايات المتحدة. وهو ما يجعل منهم المجموعة الدينية الثانية بعد الكاثوليك الذين يقدر عددهم بـ٢٧,٣٪. ويأتي في المرتبة الثالثة البروتستانت الليبراليون بنسبة ٢١,٣٪.

تبدو نسبة ٢٣٪ معقولة من زاوية أنها تتقارب مع النسبة التي أعلنها أغلب المراقبين، والتي تؤكد أن الإنجيليين يمثلون ربع مجمل السكان، أي ما يقرب من سبعين مليونًا موزعين على أربعمائة ألف وثلاثمائة إبرشية. وفقًا لهذا الاستطلاع، الذي أجراه معهد جرينبرج كينلان روسنر للأبحاث، يرى ٧٥٪ من الإنجيليين أنهم يشكلون جزءًا من التيار الرئيسي للمجتمع. غير أن كثيرين منهم يقولون أيضًا إن عليهم أن يناضلوا حتى يسمعوا صوتهم. ويقدمون أنفسهم على أنهم يمثلون الأغلبية، وفي الوقت نفسه يشعرون أنهم أفراد أقلية احتجاجية.

لم تقف الحيوية الكبيرة للإنجيليين عند حدود أراضي الولايات المتحدة فقط بل تمتد إلى بقية العالم. وهي تشكل التيار الديني الأكثر انتشارًا في العالم منذ الحرب العالمية الثانية. وكما يؤكد جون استوت «لم يوجد قط في التاريخ شريحة من سكان العالم ارتبطت بالإنجيل مثلما هو الحال مع الحركة الإنجيلية، وكذلك لم تكن هناك قط زيادة في عدد المسحيين الإنجيليين بصورة مشجعة مثلما هو الحال اليوم (استوت، ٢٠٠٠م، ص١٣).

قدمت الحركة الإنجيلية أداءً أفضل من كل الحركات المسيحية، وحتى أفضل من الإسلام. ويمكن ملاحظة هذه الحيوية الاستثنائية للإنجيلية في بلاد كثيرة بآسيا (اليابان، الهند، كوريا الجنوبية حيث اليوم ٢٥٪ من السكان يعلنون انتمائهم للإنجيلية) وفي إفريقيا (أنجولا، الرأس الأخضر، غينيا بيساو، موزمبيق، كونغو، جنوب إفريقيا، ساحل العاج) وفي أمريكا اللاتينية (شيلي حيث نجد اليوم واحد من كل أربعة من المولودين ثانية مسيحيًّا، والبرازيل حيث يوجد ثلاثون مليون مهتد، ويشكل البلد الثاني للإنجيلية بعد الولايات المتحدة). ولا توجد قارة بمنأى عن هذا الانتشار الإنجيلي. وحتى روسيا تشهد حضورًا ذا دلالة للبروتستانت الإنجيليين، حيث إنهم يحتلون بعد الأرثوذكسية (أغلبية كبرى) المرتبة الثانية عدديًّا قبل الكاثوليك داخل التيار المسيحي. وتجاسرت الإنجيلية حتى إلى الدخول بقوة إلى العالم الإسلامي كمنطقة قصوى للتبشير. واليوم يشكل الإنجيليون الحركة البروتستانتية الأكثر أهمية في العالم. وبالإجمال وصل عددهم اليوم إلى ما يقرب من خمسمائة مليون من أصل ٢ مليار مسيحي ـ أي واحد من كل أربعة مسيحيين ـ بينما كان عددهم لا يتجاوز أربعة ملايين فقط عام (١٩٤٠م)[٩]. ويتنبأ هارفي كوكس، وهو أستاذ لاهوت بهارفاد، بأن التيار الإنجيلي سيصير الدين المهيمن في القرن الواحد والعشرين (كوكس، ١٩٩٥م).

مع ذلك «برغم هذا الانتشار الملحوظ الذي يصل إلى حد الانفجار، يشعر جون استوت بالاستياء من واقع أن الإنجيليين لديهم صحافة سيئة. وأن البعض لا يفهمهم جيدًا ويتم تصويرهم بصورة كاريكاتورية» (استوت، ٢٠٠٠م، ص ١٣). ويقول استوت إنه يتألم من عداوة بعض المثقفين والجامعيين الأمريكيين الذين يقدمون لقرائهم شريحة كبيرة من المصطلحات المسيئة للإنجيليين» ص ١٤. على سبيل المثال يصرح عالم الاجتماع جيمس دافيسون هانتر في كتابه « ثقافة الحروب» بأن علماء محترمين يصفون الإنجيليين بأنهم «متزمتو اليمين المتطرف» وبـ «المتدينين المختلين عقليًّا » وبـ «الشرسين المتحزبين» والمتعصبين والديماغوجيين والظلاميين التبسيطيين ورسالتهم بوصفها «منحرفة» وضيقة الأفق وانشقاقية وغير عقلانية (هانتر،١٩٩١م، ص ١٤٤). ويتضح من ذلك أن الإنجيليين يبهرون الجماهير ويثيرون حفيظتهم في الوقت نفسه.

يستند تحليل الخريطة الاجتماعية للإنجيليين إلى معطيات نابعة من ثلاثة مصادر: التحقيقات

التي أجريت في الفترة ما بين نوفمبر عام (١٩٧٨م) وفبراير عام (١٩٧٩م) والتي استعادها عالم الاجتماع جيمس دافسيون هانتر (هانتر،١٩٨٣م) . والاستطلاعات التي أجريت في سنوات (١٩٩٥ - ١٩٩٦م) وقام بها كرستيان سميث (سميث وآل، ١٩٩٨م) . ونتائج التحقيق الذي أجراه معهد جرينبرج كينلان روسنر الذي يتركز بصورة أساسية على السلوك السياسي للإنجيليين. وهذه المعطيات لها ميزة مزدوجة فهي تكميلية وتسمح عند مقارنتها بإدراك أفضل للتطورات التي عرفتها الحركة الإنجيلية الأمريكية منذ سنوات الثمانينيات. ومن أجل استخلاص الخريطة الاجتماعية الاقتصادية (بالمقارنة مع المؤشرات الديموغرافية والجغرافية والاقتصادية) والمعتقدات والسلوك الدينى، وأخيرًا السلوك السياسي.

الخريطة الاجتماعية ـ الاقتصادية

تكشف الإحصاءات التي استشهد بها جيمس دافيسون هانتر أن الطائفة الإنجيلية شهدت نزوعًا نسائيًّا واضحًا مع (٥٩,٩٪) نساء مقابل (٤٠,١٪) رجال (هانتر، ١٩٨٣م، ص٥٠). وتسير النتائج التي توصل لها كرستيان سميث وفريقه في الاتجاه ذاته (٦٥٪) من النساء مقابل (٣٥٪) من الرجال. ومع ذلك، فإن هذه السمة ليست حكرًا على الإنجيليين، حيث إن نسبة النساء ـ وفقًا لسميث دائمًا ـ مرتفعة أيضًا لدى البروتستانت الليبراليين (٦٧٪) وهي كذلك أكثر ارتفاعا لدى الكاثوليك (٧٠٪) (سميث وآل، ١٩٨٨م، ص ٨٠ و٨١). كل هذه المؤشرات تؤكد الاتجاه لديهم جميعًا (كل الطوائف معًا) بأن النساء أكثر إيمانًا من الرجال.

فيما يتعلق بالعرق، فإن كل المراقبين متفقون: جون دافيسون هانتر يجعل نسبة الإنجيليين من البيض تصل إلى ٨٨,٢٪ (والإنجيليين من السود تصل إلى ١١,٨٪). أما لدى سميث فتصل إلى ٨٧٪ (مقابل ٩٪ لدى السود ذوي المعتقد الإنجيلي). وبالنسبة لعالمي الاجتماع المذكورين فليس هناك أدنى شك في أن «الحركة الإنجيلية هي ظاهرة دينية ذات غالبية بيضاء» (هانتر، ١٩٨٣م، ص ٧٤).

أما فيما يتعلق بحالة عائلات الإنجيليين الذين تم استجوابهم تشير أعمال كرستيان سميث إلى أن ٧٨٪ من الإنجيليين متزوجون أمام ٨٪ غير متزوجين . ونجد النسبة ذاتها عمليًّا لدى هانتر أي ٧٢٪ متزوجون أمام ٧,٨٪ غير متزوجين (ص ٥٠). وكذلك نجد ٦٪ فقط من الإنجيليين

المستجوبين مطلقين (مقابل ١٣٪ لدى الليبراليين) . ويعكس هذا الرقم بدون شك ارتباط الإنجيليين بالزواج بوصفه مقدسًا. ومن الملائم، مع ذلك، الإشارة إلى أن نسبة الطلاق الأكثر ارتفاعًا في الولايات المتحدة نجدها لدى المعمدانيين.

يرى كرستيان سميث أن ٢٠٪ فقط من الإنجيليين المستجوبين ينتمون إلى شرائح عمرية من ١٧-٢٤ و ٢٥-٣٤ (مقابل ٤٥٪ بالنسبة لغير المتدينين) . وعلى العكس ٤٨٪ من الإنجيليين المستجوبين لديهم شرائح عمرية تتراوح بين ٣٥و٥٤ سنة. ويؤكد جيمس دافيسون هانتر أن متوسط العمر لدى الإنجيلي يقترب من ٤٩ سنة (ص ٥١). ويستخلص من هذه الأرقام ملاحظة مزدوجة: من جهة لا تجذب النزعة الإنجيلية كثيرًا من الشباب، ومن جهة أخرى تتزايد النزعة المحافظة دينيًا مع تصاعد العمر.

يلاحظ المرء فيما يتعلق بالمؤشرات الجغرافية إعادة تشكيل للإنجيلية الأمريكية. في سنوات ٧٠-٨٠ كان هناك ٤٥٪ من الإنجيليين الذين استجوبهم هانتر يسكنون في جنوب الولايات المتحدة (ص٥٠)، وينخفض هذا الرقم لدى سميث إلى ٣٧٪ (في الجنوب الشرقي والجنوب الأوسط) (ص٨٠-٨١). في الواقع، بين نهاية السبعينيات وأواسط التسعينيات سجلت الحركة الإنجيلية تقدمًا واضحًا في الشمال والغرب. وفي دراسة ظهرت في عام (١٩٩٦م) أكد عالم الاجتماع مارك شيبلاي هذا الاتجاه بتأكيده على أنه فى الفترة من عام (١٩٧١م) إلى عام (١٩٩٠م) سجلت الحركة الإنجيلية نسبة نمو وصلت إلى ٤٥,٥٪ في الغرب ونسبة١,٢٣٪ في الشمال (شيبلاي، ١٩٩٦م، ص ٢٧-٢٨). وظهرت هذه الزيادة خارج الأوساط المعمدانية، وتمت بسهولة لا سيما أن الحركة الإنجيلية هي تيار عابر للطوائف. بالتأكيد، انتشر الإنجيليون في كل الولايات المتحدة لكن يظل تركزهم الرئيسي في منطقة حزام الكتاب المقدس بالجنوب الكبير والمناطق المجاورة له.

تكشف أعمال سميث أن ٣٧٪ من الإنجيليين يقيمون في مدن تحتوي من مائة ألف إلى خمسمائة ألف ساكن، و١٦٪ يقيمون في مدن تحتوي من عشرة آلاف إلى خمسين ألف ساكن و٢٥٪ في مدن يقيم فيها أكثر من خمسمائة ألف ساكن (ص ٧٧-٧٨) . ويبدو أن هذه المعطيات تتناقض مع النتائج التي توصل إليها هانتر والتي ترى أن ٤٣,٧٪ من الإنجيليين يسكنون في مناطق ريفية (تحتوي على الأقل ألفين وخمسمائة نسمة) مقابل ٨,٦٪ ساكن في مدن يقطنها

مليون نسمة (ص٥٢). وعلى حد قول سميث فإن الإنجيلية لم تعد حركة ريفية. غير أن الأرقام التي أعلنها معهد جرينبرج كينلان روسنر للأبحاث تعطي، فيما يبدو، الصواب إلى هانتر من زاوية أن «٩٪ فقط من الإنجيليين يعيشون في مدن كبرى مقابل١٩٪من السكان في مجملهم»[١٠] وبينما كانت أغلب الدراسات حتى هذه اللحظة تعطي للطائفة الإنجيلية صورة طائفة أفرادها لم يذهبوا بعيدًا في مجال التعليم وغير مؤهلين على المستوى المهني وذوي دخول متواضعة، نجد كرستيان سميث يثير جدلاً بتأكيده على أن الشروط الاقتصادية للإنجيليين وكذلك مستوى تعليمهم قد تحسنا بصورة معتبرة (ص٨٣). ولتأكيد ذلك أبرز المعطيات التالية: ٢٣٪ من الإنجيليين المستجوبين يحملون دبلومات نهاية الدراسة الثانوية، و٢٨٪ منهم درسوا دراسات في مستوى الكوليج (مقابل ٨,٩٪ كما يرى هانتر ص ٥٤) و٢١٪ يحملون دبلومات معادلة لـ DEUG، أي دراسة عامين بعد الثانوية، مقابل ٨,٩٪ كما يرى هانتر ص ٥٤. وبالإجمال، هناك ٤٥٪ من الإنجيليين المستجوبين من قبل كرستيان سميث درسوا دراسات أعلى. غير أن نسبة أولئك الذين درسوا دراسات أعلى من دبلوم DEUG تظل نسبة ضعيفة في المجمل. هل يمكن القول إن الإنجيلية لم تجد صدى مؤيدًا بين الناس الأكثر تعليمًا ؟ يمكن أن نجيب بالإيجاب حتى لو كان من غير المذكور أن مستوى تعليم الإنجيليين قد تحسن بالمقارنة مع العقود الماضية.

فيما يتعلق بالنشاطات المهنية للإنجيليين يعبِّر جون دافيسون هانتر وكرستيان سميث عن وجهات نظر متباينة هنا أيضًا . بالنسبة للأول، ٨٪ من المستجوبين يشغلون مهمة ليبرالية، و٤١,٤٪ من العمال مؤهلون وغير مؤهلين، و٢٨,٧٪ من المحالين إلى التقاعد (هانتر ص ٥٤). بينما لا يمثل المحالون إلى التقاعد لدى سميث سوى ١٤٪. وهناك اختلاف آخر بينهما، يقدر كرستيان سميث نسبة الإنجيليات (والإنجيليين) المقيمين في منازلهم بحوالي ١٦٪ (سميث وآل، ص ٧٧ و ٧٨). بينما يرى جون دافيسون هانتر أن ربات البيوت لا يمثلن سوى نسبة ٤,٢٪ (ص٥٤). هل تعود هذه الاختلافات فقط إلى واقع أن عالمي الاجتماع لم يستخدما التصورات الأساسية ذاتها ولا معايير القياس ذاتها؟ أم أنها تعكس تطورًا فعليًّا داخل الطائفة الإنجيلية؟ مجرد تساؤل.

يتجلى بوضوح التحسن البارز للأوضاع الاقتصادية عبر ما يحصلون عليه من دخول. وإذا

كان جون دافيسون هانتر يؤكد أن ٢٥,٣٪ من الإنجيليين لديهم دخول أقل من ٦٩٩٩ دولارًا و٣٧,٢٪ منهم لديهم دخول تتراوح من ٧٠٠٠ إلى ١٤٩٠٠ دولار (ص ٥٤)، فإن كرستيان سميث، على العكس، يوضح أن ٥٪ فقط من الإنجيليين المستجوبين يحصلون على دخل أقل من٩٩٩٩ دولارًا. و١٩٪ لديهم دخول تتراوح بين٢٠٠٠٠ و٢٩٩٩٩ دولارًا، و٢١٪ لديهم دخل يتراوح من٣٠٠٠٠ إلى ٣٩٩٩٩. بالإجمال، نجد أن ٤٠٪ من الإنجيليين يكسبون من ٢٠٠٠٠ إلى ٣٩٩٩٩ دولارًا (سميث وآل ص ٧٧-٧٨). ويؤكد سميث، في النهاية، أن ٥٩٪ من الإنجيليين يعلنون أنهم يعيشون في أوضاع اقتصادية جيدة، بينما ١٣٪ يعلنون العكس . وبالمقارنة مع الجماعات الأخرى، يرى سميث أن الإنجيليين هم الأقل عددًا بالنظر لأوضاعهم الاقتصادية على أنها في حالة تدهور أثناء السنوات العشر السابقة على إجراء البحث.

المعتقدات والسلوك الديني

تشير كل الدراسات السالفة الذكر بالإجماع، وليس في ذلك مدعاة للدهشة، أن الإنجيليين يعيشون وفقًا للمبادئ اللاهوتية والأخلاقية التي تستند إليها عقيدتهم. ويؤكد ذلك المعطيات التالية: ٣٥٪ من الإنجيليين، كما يرى هانتر، يقرءون في الكتاب المقدس مرة في اليوم، و٥٢٪ من الإنجيليين الذين استجوبهم كرستيان سميث يفسرون الكتاب المقدس بطريقة حرفية، فقط ٣٪ منهم يرون أن الكتاب المقدس يحتوى أخطاءً، ولا يشك أحد في الطابع الملهم للكتاب المقدس بوصفه كلام الله . فالارتباط بكتاب مقدس معصوم عن الخطأ ومدرك حرفيًّا (وهو ما يسمى بـ (BIBLICISM) نجده أكثر وضوحًا لدى الأصوليين (٦١٪). وتصل هذه النسبة إلى ٣٩٪ لدى البروتستانت الليبراليين، وتتقلص إلى ٢٣٪ لدى الكاثوليك (سميث وآل، ص٢٣). وكما برهنت عليه النتائج التي توصل إليها معهد جرينبرج كينلان روسنر للأبحاث فإن الإنجيليين هم مؤمنون يمارسون العبادات بصورة منتظمة: ٧١٪ من الإنجيليين البيض (مقابل ٦٢,٢٪ كما يرى هانتر)، و٦٣٪ من الإنجيليين السود يقولون إنهم يشاركون في الصلوات على الأقل مرة بالأسبوع، و٧٨٪ يصلون قبل تناول الوجبات (مقابل ٥٧٪ من مجمل السكان)[11] .

من جهة أخرى، يعتقد ٩٦٪ من الإنجيليين الذين استجوبهم كرستيان سميث بالمسيح كمنقذ

شخصي وحيد، ويقول ٩٧٪ منهم إنهم عاشوا تجربة الاهتداء. وهو ما يؤكد أن الإيمان بعيسى المسيح وخبرة الاهتداء هما أساسان للعقيدة الإنجيلية (سميث وآل، ص٢٣). ونعلم أيضًا ٣٤٪ من الإنجيليين يعتقدون أن الإنسان شرير بطبيعته، مقابل ١٨٪ يرون العكس. لدى الكاثوليك العكس: ٣٪ يرون أن الإنسان خطاء بطبيعته، مقابل ٥٣٪ يؤكدون أن الطبيعة الإنسانية جيدة. وتعود الرؤية الإنجيلية للطبيعة الإنسانية إلى الكالفينية (المتمركزة حول الخطيئة الأصلية وسقوط آدم) التي ظلت قوية إلى حد ما لدى بعض التيارات المرتبطة بالحركة الإنجيلية (سميت وآل، ص ٢٣). ويرى جون دافيسون هانتر، أن ٩٣٪ من الإنجيليين ينخرطون بصورة ذات دلالة في نشاطات كنائسهم. وهم في هذا يتجاوزون الجماعات الأخرى: البروتستانت الليبراليين (١ , ٨٤٪) والكاثوليك (٣ , ٨١٪) وغير المسيحيين (٨٤٪). من جهة أخرى، هم، من بعيد، الأكثر عددًا (٢ , ٦٤٪) في تقديم خدمات مجانية لمنظماتهم الدينية. وسنشير أخيرًا إلى أن ٤ , ٤٤٪ منهم يدفعون ١٠٪ من دخولهم (وفقًا لقانون الكتاب المقدس) إلى كنائسهم (هانتر، ٦٧).

في المجال الأخلاقي يركز الإنجيليون أكثر من الجماعات الأخرى على أهمية المدونة الأخلاقية الصارمة التي ينبغي أن تقود المؤمن في حياته اليومية. وهكذا هناك ٧٥٪ يعتقدون بوجود قواعد أخلاقية مطلقة (سميث وآل، ص ٣٨). وفي الإطار نفسه، يكشف البحث الذي أعده معهد جرينبرج كينلان روسنر للأبحاث عن أن ٨٤٪ من الإنجيليين المستجوبين في عام (٢٠٠٤م) يعارضون زواج المثلين جنسيًّا، ويقول ٧٣٪ إنهم ضد الزواج عن طريق الاقتران المدني. ويصرح ٥٢٪ منهم أنهم لم يصوتوا قط لصالح مرشح مؤيد لزواج المثلين جنسيًّا[١٢]. وأخيرًا، ٩١٪ من الإنجيليين الذين استجوبهم كرستيان سميث يصفون التبشير (أي التنصير) من شخص لشخص بأنه «هام جدًّا»، (سميث وآل، ص٢٣).

السلوك السياسي

عندما نعرف أن التسيس الجماعي للإنجيليين هو ظاهرة حديثة يمكن أن ندرك كيف أن علماء السياسة لم يهتموا بسلوكهم السياسي قبل عام (١٩٧٦م). وفي دراسة مكرسة للتصويت الإنجيلي بين عامي ١٩٧٦ و ١٩٨٨م أشار عالم السياسة كوردين سميث إلى أن الإنجيليين المسجلين على قوائم الانتخاب في أغسطس عام (١٩٧٦م) وصل عددهم إلى ٧٣٪ (سميث في

كرومارتي، ١٩٩٣م، ص٩٥). وارتفعت نسبتهم إلى ٧٤٪ مع اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية في نوفمبر عام (١٩٨٠م). وعند نهاية فترة رئاسة ريجان الأولى انخفضت النسبة مع ذلك إلى ٦٧٪، ويمكن أن ندرك أن هذا الانخفاض نتيجة لإحباطهم: ليس فقط لأنهم لم يكافأوا ـ كما كانوا يتمنون ـ من قبل الرئيس ريجان، وإنما أيضًا لأن الحكومة لم تقر القوانين التي كانوا يدعون لها من قلوبهم. وعلى العكس، في عامي ١٩٨٦ و١٩٨٧م سجلوا أنفسهم بصورة أكثر كثافة على قوائم الانتخاب بنسبة (٧٩٪ و ٨٠٪ أى ٦٪ و٧٪ أكثر بالمقارنة مع ١٩٧٦م و ١٢٪ و١٣٪ أكثر بالمقارنة مع ١٩٨٣م)، بينما أرقام غير الإنجيليين ظلت عمليًا بدون تغيير. وهذا الارتفاع يعبر عن ثقة الإنجيليين من جديد في رئاسة رونالد ريجان، كيف نفسر ذلك ؟ يمكن أن نرى أن الرئيس ريجان نجح من جديد في إعطاء الأمل للإنجيليين واليمين المسيحي بتعيينه في عام (١٩٨٦م)، القاضي المحافظ رينكويست لرئاسة المحكمة العليا بديلاً عن وارن بيرجر وكذلك أنطونين سكاليا وهو قاض محافظ آخر. وتشير الإحصاءات التي قدمها كوروين سميث إلى أن مشاركة الإنجيليين في الانتخابات الرئاسية في عامي ١٩٨٠ و١٩٨٤م انتقلت من ٦٢٪ في عام (١٩٧٦م) إلى ٧٧٪ في عام (١٩٨٠م)، إلى ٧٠٪ في عام (١٩٨٤م) و٧١٪ في (١٩٨٨م). ومن المؤكد أن تسيس الإنجيليين قد تصاعد بين عامي ١٩٧٦ و ١٩٨٨م، وبشكل خاص لدى الذين يعيشون خارج الجنوب، وترافق مع هذا التسيس نزعة نضالية لا سابق لها، وأخذت أشكالاً عديدة: تأسيس لجان العمل السياسي، والمساهمات المالية، والتطوع الخيرى للعمل، وتوزيع المنشورات، والتعبئة في أماكن العبادة.

استطلاع آخر تم إجراؤه في عام (١٩٨٨م) عند الخروج من لجان الانتخابات، وأشار إليه كوروين سميدث، كشف أن المحافظين الدينيين، بشكل عام، يصوتون للمرشح الجمهوري. وفي عام (١٩٨٤م) قام كل المحافظين البيض تقريبًا (٩٧٪) بالتصويت لصالح رونالد ريجان. وسيحدث الشيء ذاته في عام (١٩٨٨م)، حيث صوت (٩٥٪) من المحافظين البيض لصالح جورج بوش الأب (سميدث في كرومارتي، ١٩٩٣م، ص ١١٣).

أما فيما يتعلق بانتخابات عام (٢٠٠٠م) يتفق المراقبون على القول إن الإنجيليين كانوا يمثلون ما يقرب من ٤٠٪ من الذين صوتوا لبوش. والدراسة التي أجراها معهد جرينبرج كينلان روسنر للأبحاث في عام (٢٠٠٤م) تشير إلى أن ٦٩٪ من الإنجيليين البيض من

الجمهوريين أو يميلون للحزب الجمهوري، بينما ٨٤٪ من الإنجيليين الأفرو أمريكيين من الديمقراطيين أو يميلون للحزب الديمقراطي. وتشير هذه الاختلافات إلى أن الإنجيليين السود والإنجيليين البيض بعيدون عن أن يكونوا متفقين دائمًا، وأن النزعة المحافظة ليست لديها المعنى ذاته عند كل الإنجيليين. بتعبير آخر، توجد اختلافات كبيرة بين الإنجيليين وفقًا لأصولهم الإثنية. وفي النهاية، إتضح أنه أثناء الحملة الانتخابية في ٢٠٠٤ م كان لـ٢٣٪ من الإنجيليين (١٨٪ إنجيليون بيض) موقف مؤيد للمرشح الديمقراطي جون كيري، بينما ٦١٪ (٦٩٪ إنجيليون بيض) كانوا يؤيدون جورج بوش[١٣]. وكما لاحظنا في الفصل السابق كان ما يقرب من نصف الذين صوتوا لبوش في عام (٢٠٠٤م) هم من الإنجيليين ومن المولودين ثانية مسيحيًا (إيدسال، ٢٠٠٤م).

من الأمور الجديرة بالاهتمام معرفة أن الإنجيليين الأمريكيين كان لهم رأي أكثر إيجابية إزاء البابا جان بول الثاني (٥٩٪) بالمقارنـة مع دعاتهم المشهورين جيري فالويل (٤٤٪) وبات روبرتسون (٥٥٪). إلا أن نسبة الآراء المؤيدة الأكثر ارتفاعًا تحققت بالتوازي لفرانكلين جراهام وجيمس روبسون (٧٣٪)[١٤].

على صعيد السياسة الخارجية يؤيد الإنجيليون وجود إمريكا قوية. وكذلك يساندون دولة إسرائيل بصورة أكثر وضوحًا من بقية السكان الأمريكيين: ٥٥٪ يرون أنه من الضروري مساندة إسرائيل (مقابل ٤٠٪ من الأمريكيين بشكل عام). وتقع المساندة الأكثر قوة بين صفوف الخمسينيين والأصوليين والمعمدانيين، الذين يمنحون أهمية عقائدية لنبوءات الكتاب المقدس، جاعلين من إسرائيل ـ وليست العراق ـ مسرحًا للقرارات الإلهية القصوى. ويرون أن عودة المسيح لن تتحقق إلا بعد إعادة بناء الهيكل بالقدس.

الفصل الثالث

برنامج وإستراتجيات اجتماعية سياسية

مع اقتراب موعد الاستحقاقات الانتخابية الكبرى تقدم الأحزاب السياسية الأمريكية الرئيسية برنامجًا، وتعمل على نشره في كل وسائل الإعلام، في كل أنحاء البلاد ليصل إلى أسماع الناخبين. لكن لا تسير الأمور،مع ذلك، بالطريقة نفسها مع اليمين المسيحي الذي لا يمتلك برنامجًا فعليًا، فهو مكون من تحالف غير متناغم وبلا نظام رسمي وبدون قائد رسمي يمنحه اعترافًا رسميًا. ومن رابع المستحيلات الاتفاق حول وثيقة عامة تجمع بين مئات الفروع التي يتشكل منها اليمين المسيحي. لكن في المقابل نجد قادة عدد كبير من مكونات هذه الحركة يطلقون تصريحات ـ مواعظ، خطبًا، مقابلات، كتبًا، مقالات ـ تدور، في أغلب الأحيان، حول قضية أو ميدان محدد. وعند تجميع هذه المواقف والآراء نصل إلى نوع ما من البرنامج الذي يكشف عن المطالب السياسية والاجتماعية لهذه الحركة. ويمكن أن نستخلص منها أيضًا الإستراتيجيات التي تنوي هذه الجماعات والمجموعات الصغيرة [لليمين المسيحي] استخدامها لتنفيذ ما تدعو إليه. وعلى أية حال لا يمكن لليمين المسيحي أن يدخر جهدًا في الإعلان عن المحاور الكبرى لمشروعه وكذلك وسائل العمل التي تسمح له بتحقيق أهدافه؛ لأن مصداقيته تعتمد على ذلك. وبمثل هذا الجهد يمكنه الأمل في إقناع الناخبين بجدوى الأطروحات التي يدافع عنها، ويمتلك، على الأمد البعيد، قاعدة سياسية فعلية. وإن لم يكن هناك مثل هذا المشروع الذي يتبناه من أجل إعادة تنصير المجتمع بأسره، قد تصبح هذه الأطروحات خطابًا ميتًا.

هل هو برنامج أم مجموعة من القناعات؟

سجل ديني قبل أي شي آخر

من خلال التدقيق في المطالب المعلن عنها في خطابات وكتابات مجمل قادة الحركة يمكن أن ندرك أولاً أن برنامج اليمين المسيحي يكتسب صبغة دينية قوية. وأن القناعات الدينية تترك أثرًا قويًا على رؤيته للعالم. ومن الطبيعي أن يحمل مشروعه للمجتمع هذه البصمة ويتجلي هذا بصورة أساسية في إدراكه الأخروي والمانوي للزمان والمكان. ويدرك اليمين المسيحي المثلية الجنسية

والحركة النسائية والإيدز والفساد والإرهاب الإسلامي على أنها علامات منذرة بقرب حدوث الرؤيا الكارثية لنهاية العالم. ويعدها مباشرة سيعود المسيح إلى الأرض. الرسالة إذن واضحة: كل فرد عليه أن يستعد بتطهير روحه، والعمل على هداية الكفار، وبتطهير البلد من المثليين والناشطات النسائيات والذين يمارسون الإجهاض والملحدين. ويسود هذا المسار الكارثي/ الرؤيوي برنامج اليمين المسيحي، بل بالأحرى يشكل أحد العناصر الرئيسية لهويته العامة.

تعبر هذه البصمة الدينية عن نفسها أيضًا من خلال بلاغة مانوية تقسم العالم إلى قسمين: من جهة معسكر الله (قوى الخير)، ومن جهة أخرى معسكر الشيطان (قوى الشر). وبينهما قلما يوجد مكان للحوار أو الاختلافات أو الخطأ. وبما أن أتباع اليمين المسيحي يعتبرون أنفسهم قد نضجوا من خلال دعم الله لهم يمكن أن ندرك أن برنامجهم يعلن عن نفسه كصرخة حرب تدعو للكفاح المتواصل وبدون رحمة ضد قوى الشر. وتصبح هزيمة أعداء الله وأعداء أمريكا عملاً من أعمال الخير والتقوى.

يكشف النظر الدقيق في خطابات قادة الحركة عن عدم اتساق برنامجهم. ويمكن تفسير ذلك أولاً من خلال واقع أن اليمين المسيحي ليس حركة موحدة، فتعدد أفرعه وغياب هيئة منظمة له يجعل التوافق داخل هذه الحركة شبه مستحيل. وهذه المجموعات المختلفة والمتنوعة نادرًا ما ارتضت إقرار برنامج موحد. ويمكن تفسير ذلك ثانيًا من واقع أن اليمين المسيحي يستلهم مصادر مختلفة وأحيانًا تكون متناقضة، وذلك في إطار من الخشية في ألا يهمل أي جانب من جوانب الحياة الحديثة لا سيما أنه على قناعة بأن الكتاب المقدس يحمل إجابة عن كل شيء. وينتج عن ذلك خليط من نزعة محافظة ثقافيًا ونزعة ليبرالية اقتصاديًا واستعلاء أخلاقي وسياسية خارجية أكثر تشددًا، وكما أوضح كلايد ويلكوكس، « لا يمتلك اليمين المسيحي برنامجًا وإنما سلسلة من البرامج تتقاطع فيما بينها» (ويلكوكس،٢٠٠٠م، ص٢). ولا يمكن أن يندهش المرء من غياب وحدة النظر ولا من عدم الاتساق الايديولوجي الذي يميز خطابه. وكما سنرى فيما بعد ينادي اليمين المسيحي بالانفصال عن الدولة، وفي الوقت نفسه ينادي بتعزيز السلطات العامة، غير أنه ينبغي إدراك انه لا يبالي بذلك [التناقض].

يتضح الطابع المعارض للتقدم والرجعي لليمين المسيحي من خلال الاستخدام الواسع، في خطاباته، لتعبيرات مثل: «العودة إلي ما هو جوهري، دفع أمريكا للقيـام بدورة إلى الوراء».

في الواقع يمنح اليمين المسيحي، في برنامجه، مكانة كبيرة لقضية إعادة القيم الأخلاقية التي يرى أنها وضعت على الهامش من جراء التغيرات الاجتماعية التي حدثت على مدار نصف القرن الماضي لا سيما ما تعلق بالأسرة والنساء والتعليم الجنسي والطلاق وحقوق المثليين جنسيًا والإجهاض. ونظرًا لرغبته في رؤية أمريكا تعود من جديد أمة مسيحية، وتعيد ماضيها الملغي والمؤمثل ـ عصر ذهبي بشكل ما ـ يسعى اليمين المسيحي بكل ما في وسعه لإلغاء القوانين المشجعة علي تطور العادات والقوانين المنظور لها على أنها الدليل على التطور الخطير. وفي بحثه عن الآفاق الضائعة ينظر إلى المستقبل بمصطلحات الماضي. وبسبب هذا من المشروع يمكن القول إنه يخوض معركة خلفية (ماضوية). ولا يسير هذا دون أن يطرح مشكلة، لا سيما على صعيد المعنى وطبيعة مسيرته. وبشكل أكثر تحديدًا، يطرح التساؤل حول معرفة إذا كان يمكن حقًا إعادة إحياء الماضي أم لا؟. فاليمين المسيحي لم يعد يرى الماضي والحاضر والمستقبل كلحظات مغايرة على خط مزود ببعد وحيد، وإنما على العكس بآفاق تتوافق مع أي أحداث راهنة. فالحاضر لم يعد يدرك كنقطة على شعاع الزمن، وإنما كمنعطف: كل لحظة حاضرة تشمل كلية الماضي ويكمن فيها كل كلية المستقبل. ويكمن المستقبل، من وجهة النظر هذه، في الماضي المستعاد. بينما علي العكس بالنسبة لليبراليين المتكيفين مع تطور المجتمع، فإن المستقبل هو الحاضر بكل ما يزخر به.

تتميز بلاغة اليمين المسيحي بخصوصية أخرى في كونه احتجاجيًا سلبيًا ودفاعيًا. فانبعاث اليمين المسيحي ـ كما قلنا ـ جاء كرد فعل على سنوات التقدم الاجتماعي والثقافي التي تعود في أصولها إلى الأفكار التقدمية وبدت الثقافة المضادة في سنوات الستينيات في نظر أمريكا المسيحية المحافظة بوصفها هجومًا حاقدًا وشيطانيًا بصورة لا توصف ضد تصورها الخاص عن المجتمع. وبدلاً القيام بإجراءات محددة وبناءة يمكن أن تندرج في إطار برنامج قومي فعلي قدم اليمين المسيحي نفسه كناقد للأبنية الاجتماعية والسياسية القائمة ومساوئها المفترضة. وواقع أنه يدين كثيرًا أكثر مما يقترح، فإن برنامجه يقدم نفسه بوصفه سلسلة من الاحتجاجات التي تدين وتعتدي بعنف على خصومه سواء أكانوا المؤسسة (الدولة) أو الشيوعية أو النزعة الإنسانية العلمانية. بإجمال يتعلق الأمر هنا ببرنامج يفتقد للجدة، حيث إنه لا يقدم أي ابتكار وإنما يكتفي بالدعوة إلى إستعادة القيم الموروثة من الماضي.

الانطباع الغالب الذي يكشف عنه هذا البرنامج التحذيري، عن قصد، والكارثي هو أن البلد في طريقها للغرق. ولأنهم ابتعدوا عن القيم اليهودية ـ المسيحية التي تأسسوا عليها فإن أمريكا التي لم تعد إلا ظلاً لماضيها تعيش قلقًا عميقًا وكبيرًا. ويقدم اليمين المسيحي ذرائع للتدليل على ذلك منها: منع الصلاة في المدارس، تشريع الإجهاض، وأيضًا ارتفاع نسبة الطلاق، وارتفاع نسبة الحمل بين المراهقات. والحال أن الأمر ليس في ذلك من شيء. والوضع ليس مثيرًا للخوف كذلك، وصورة أمريكا المنهارة والتائهة التي يسعى اليمين المسيحي لإقناع الناخبين بها لا أساس لها. فالقيم الأخلاقية، برغم أنها شهدت تراجعًا، منذ عدة عقود ما زالت حاضرة، والاستثناء الديني للأمريكيين لا يزال وجوده قائمًا اليوم أيضًا. وعلى الصعيد الاقتصادي والسياسي والعسكري تمثل الولايات المتحدة القوة العلمية الاولى الوحيدة.

إن ما يبدو أنه يشغل اليمين المسيحي أكثر هو القيام بالتأثير على مشاعر المواطنين الامريكين وحثهم على التحرك ضد «العدو». وبرفعه شعار الخطر المادي والأخلاقي الذي يهدد أمريكا يسعى اليمين المسيحي إلى مزيد من تضخيم وضع العدو المفترض، لكن أيضًا إذكاء الخوف والغل، مستغلاً إياهما بدون حياء. وتتبنى أعمال عديدة هذه القضية ومنها العمل الكاشف تمامًا لجون هارديستي المعنون: تعبئة الغل (١٩٩٩م). فالتركيز على الخوف ليس عملاً إستراتيجيًا فقط، فالشعور بانعدام الأمن ووضع الأزمة يشكل الأرضية التي تنمو عليها الأيديولوجية الاجتماعية لليمين المسيحي. وعلى غرار الأصولية يتهيكل اليمين المسيحي انطلاقًا من إدراك الخطر ضد مواطنيه وضد الهوية العميقة للحركة المحافظة. وتعمل هذه العقلية المحاصرة التي يقتنع بها أغلب مناصريه بوصفها أداة لإعطاء المشروعية لنضالهم. وفي الوقت نفسه، يسمح توظيف الخوف عبر بلاغة مثيرة للقلق وتركيز الأخطار على شكل شيطاني، لقادة الحركة بأن يقدموا أنفسهم كمنقذين للأمة، وأكثر من ذلك كرسل لله. وبالتحديد فإن هذا التركيز على الخوف وانعدام الأمن هو الذي يضع اليمين المسيحي في إطار التراث الطويل لليمين الاحتجاجي الوريث للمكارثية والتي أحد مبادئها الرئيسية كان اكتشاف قوتها في أوضاع الخصومة.

دور أساسي للعدو وتثبيت علي «النزعة الإنسانية العلمانية»

يشكل تحديد العدو الذي ينبغي قهره عملاً حاسمًا في إعادة تأكيد الهوية، من حيث إن اليمين المسيحي الذي هو بطبيعته حركة دفاعية يتحدد من خلال معارضة خصم. بالنسبة له فإن الخصم

ـ سواء أكان متحققًا أم مفترضًا ـ هو أمر محتم. ومن هنا يمكن أن ندرك لماذا لا يحتمل الفراغ الأيديولوجي الذي يفضي إلى اختفاء الخصم الأيديولوجي. وإذا كان العدو غير موجود في الواقع فلا يجد اليمين المسيحي مشقة في العثور على كبش فداء. ويؤكد عالم الاجتماع مايكل لينيش على ذلك: « لقد تم التأكد مرات كثيرة من ميل المسيحيين المحافظين إلى البحث عن أكباش فداء [...] ويظهر اليمين الديني مصممًا على اختراع أعداء له». (لينيش ١٩٨٢م، ص٤٢٣، ٤٢٤). وبتركيزه على العدو الذي يحمِّله طواعية كل المصائب يسعى اليمين المسيحي إلى الوصول لأكبر عدد ممكن من الناس وإثارة حماسة أتباعه وتوحيد الصفوف.

ليس لليمين المسيحي عدوًا واحدًا وإنما عدة أعداء وهم الإرهاب، الحركة الإسلامية، التعددية الثقافية، التعددية السياسية، الشيوعية....غير أن اختياره يتوجه نحو النزعة الإنسانية العلمانية ليجعل منها عدوه الداخلي. وعلى العكس من اليمين القديم المهووس بإمكانية وجود تخريب منظم من قبل الروس على الأرض الأمريكية، والذي جعل من المعركة مع الشيوعية معركته الرئيسية، يرى اليمين المسيحي الراهن في النزعة الإنسانية العلمانية العدو اللدود لله ولأمريكا. كيف يمكن تفسير هذا التوجه؟ إن الدعوة لإنقاذ أمريكا من عدو داخلي، ربما يكون في متناول اليد، وأكثر من ذلك يمكن التعرف عليه مباشرة من قبل المواطنين الأمريكيين. فالهجوم على المثليين جنسيًا والليبراليين وأنصار الحركة النسائية يبدو في الواقع أكثر سهولة وأكثر عملية وأقل تكلفة من الذهاب في حرب ضد الشيوعية عبر العالم. ففي هذه الحالة الأخيرة يكون ميدان المعركة بالضرورة أكثر اتساعًا والمهمة أكثر شدة والنجاح بالتالي أقل احتمالاً. بينما تقدم سهولة تناول العدو المزيد من المصداقية والمزيد من إمكانيات التحقق لمشروع اليمين المسيحي.

يعود مفهوم النزعة الإنسانية العلمانية إلى سنوات الخمسينيات غير أن انتشار المفهوم وشعبيته في سنوات السبعينيات فيعود إلى الأيديولوجي الأصولي صاحب الشهرة الكبيرة فرانسيس شيفر من خلال كتبه لا سيما (١٩٨٣) – HOW SHOULD WE LIVE THEN, WHATEVER HAPPENED TO HUMAN RACE 1976 حيث يصف النزعة الإنسانية العلمانية كقوة شيطانية ومؤامرة مخيفة ومنظمة هدفها تخريب القيم الأخلاقية والعائلية التقليدية وإضعاف البلد. ويصف النزعة الإنسانية العلمانية كمصطلح مشين في نظر اليمين المسيحي، وكنموذج مضاد للنزعة الأمريكية، وللقيم المؤسسة لأمريكا أي العقيدة المسيحية والرأسمالية

والوطنية. بالنسبة لليمين المسيحي تنشر النزعة الإنسانية العلمانية الفساد في البلاد من خلال عملائها الموجودين في كل مكان أي الملحدين، والمؤسسة، والتقدميين، ومنتجي أفلام العري، والاتحاد الأمريكي للحركات المدنية، والنقابات، والناشطات النسائيات، والمجالس القومية والعالمية للكنائس. ويعمل كل هؤلاء العملاء للنزعة الإنسانية الأمريكية، في لحظة أو أخرى، على إبعاد أمريكا عن الله وعن القيم اليهودية ـ المسيحية. وحتى اللجنة الثلاثية الأطراف ومجلس العلاقات الخارجية واليونسكو واليونيسيف ومنظمة الصحة العالمية، هم وفقًا لليمين المسيحي متهمون باستخدام المساهمات المالية للأمريكيين من أجل العمل على تعزيز القضية الشيطانية للنزعة الإنسانية العلمانية. ومن فرط نفوذهم ـ كما يرى قادة اليمين المسيحي ـ وصل الإنسانيون إلى الاستيلاء على كل مواقع المجال الاجتماعي والسياسي والثقافي والعلمي والاقتصادي. وإضافة إلى ذلك يمارس الإنسانيون شبه احتكار على أجهزة الإعلام والمدارس والجامعات والنقابات والأجهزة الحكومية الرئيسية ولا سيما المحكمة العليا.

في كتابه «المعركة من أجل العقل» يندفع القس تيم لاهاي في مرافعة حماسية ضد النزعة الإنسانية العلمانية التي يحملها مسئولية فساد المجتمع الأمريكي. وإنه ليس هناك ما يثير الدهشة في انهيار القيم الأخلاقية والثقافية بما أن «هدف النزعة الإنسانية هو العدمية» (ص٢٦). والرسالة المستخلصة من هذه الدراسة المفصلة لمساوئ النزعة الإنسانية واضحة: على المسيحيين أن يعبئوا أنفسهم ضد القيم السائدة للنزعة الإنسانية والعمل على إنقاذ المجتمع بالضغط على السلطات حتى تفرض احترام إرادة الله. ونجد نغمة التحذير نفسها لدى جيري فالويل وآخرين من قادة اليمين المسيحي الذين عبر كتاباتهم ومواعظهم وبرامجهم المذاعة والمتلفزة يحثون أقرانهم في الدين على خوض معركة ضد «أقلية صارخة من الرجال والنساء الذين يقودون أمريكا نحو الهاوية». ويصل فالويل إلى: « لقد حان الوقت الآن لكي يجمع الأمريكيون الأخلاقيون (هكذا حرفيًا) قواهم من أجل إنقاذ أمتنا المحبوسة!» (فالويل، ١٩٨١م، صXI).

يميز تيم لاهاي، في كتابه، خمس سمات للنزعة الإنسانية يعتبرها عناصر اتهام. أولاً تبدو له النزعة الإنسانية خطرة ؛ لأنها حاملة لنزعة إلحادية، فهي تنكر الطابع الموحى به للكتاب المقدس، والطبيعة الإلهية لعيسى ـ المسيح، وتنكر وجود الله والحياة بعد الموت والخلاص والعذاب في الجحيم. ويؤكد تيم لاهاي :«إن حجر الزاوية في فكر النزعة الإنسانية هو الإلحاد أي الاعتقاد بان

الله غير موجود» (لاهاي، ١٩٨٠م،ص ٥٩). وفي المقام الثاني يعيب هذا الواعظ على النزعة الإنسانية أنها تشجع تعليم نظرية التطور الداروينية عن أصل العالم والإنسانية، وهي نظرية كافرة تدمر العصب الأخلاقي للمجتمع. وثالث سمة أو عنصر اتهام هو اللاأخلاقية، فالنزعة الإنسانية تعمل على تعزيز الإجهاض وأفلام العري والإقرار بحقوق النساء والمثليين جنسيًا وحرية تناول المخدرات، فهكذا تؤدي النسبية الأخلاقية والحرية الكاملة إلى التدهور والفجور واللاأخلاقية. وعلى حد قول تيم لاهاي يسعى الإنسانيون إلى خلق هوس جنسي بين الشباب حتى لا يصبح لديهم الوقت أو الرغبة للاهتمام بالمسائل الروحية. ويرى أن النزعة الإنسانية تكبح ـ على الصعيد الاجتماعي الاقتصادي ـ حرية الفرد في المشروع الخاص، وتخنقه في شبكة من الإكراهات القانونية والبيروقراطية التي ليس لها أي هدف سوى تعزيز سلطة الدولة (ص٧٣).

كان الانتقاد الرابع الذي صاغه تيم لاهاي ضد الإنسانيين يتعلق برغبتهم - كما يرى- في فصل الإنسان عن الله والدعوة إلى تحرر العقل والرغبات والغرائز في مواجهة الإيمان وطاعة أوامر الله. فأن يكون هناك إنسان يريد الابتعاد عن الله فهذا موقف غير محتمل لكل أولئك الذين يعتقدون أن العالم بدون أساس متعالي هو ضلال. بالنسبة لتيم لاهاي ورفاقه من اليمين المسيحي فإن ارتفاع نسبة الجرائم، وتزايد نزعة المتعية(*) وأعداد المطلقين والأطفال غير الشرعيين يشهد على كارثة عالم مفصول عن الله. وفي الوقت الذي يتحرك فيه الإنسانيون من خلال إيمان قوي بالإنسان والتقدم والعلم والمبادئ الفلسفية الكبرى وتطوير مجتمع أكثر عدلاً، كان قادة اليمين المسيحي يعتقدون أن الله وحده، بحبه ونعمته، يمكن له أن يوقف ضياع العالم وينقذ الكائن الإنساني من الدمار (ص١١٧).

يتمثل النقد الأخير، الذي يوجهه تيم لاهاي ضد النزعة الإنسانية، أنها تعمل على خلق «نظام جديد» اشتراكي حيث لا مجال لذكر الله. وكي يدعم اتهاماته يعزو تيم لاهاي إلى الإنسانيين المسئولية عن هزيمة أمريكا في سنوات الخمسينيات، والهزيمة في فيتنام في سنوات السبعينيات، وكذلك تخلي أمريكا عن قناة بنما في عام (١٩٧٨م).

تحجب هذه المعالجة تمامًا المغزى الأول للنزعة الإنسانية التي هي مرادفة للتعمق في البحث، وعشق الآداب الجميلة والرغبة في المعرفة. كما تتجاهل أيضًا إسهاماتها المتنوعة. وبدلاً من الاعتراف

(*) المتعية : مذهب: يقول إن اللذة والسعادة هي الخير الرئيسي في الحياة .. (المترجم).

بأن النزعة الإنسانية قد ألهمت شخصيات مسيحية كبرى مثل أرامس ولو فيفر دي إيتامبل الذين عملوا على تعميق معنى الكتاب المقدس، قام تيم لاهاي بتشويه معنى «النزعة الإنسانية» من أجل تقديمها كفلسفة ملحدة وخطيرة، هدفها تدمير العصب الأخلاقي للبلد، وبالتالي إضعافها.

ينتهج تيم لاهاي أسلوبًا آخر يماثل بين النزعة الإنسانية ودين لا يريد أن يفصح عن اسمه. وفضلاً عن ذلك فهو دين مميت ومرادف لفقدان الهوية: «في أيامنا هذه، إنه الدين الأكثر خطورة في المعمورة» (ص٢٥). وهدفه، بدون شك، إظهار أن النزعة الإنسانية ـ على الصعيد القانوني ـ تخالف التعديل الأول للدستور. ويعود استخدام كلمة «دين» في هذا السياق إلى مذكرة ألحقت بالقرار المعلن في عام (١٩٦١م) من قبل المحكمة العليا أثناء قضية توراسكو/ واتكينز، حيث أشارت: «من بين أديان هذا البلد التي لا تعلم ما اتفق على تسميته الإيمان بالله هناك البوذية والتاوية والأخلاق الثقافية والنزعة الإنسانية العلمانية وغيرها». ويستخدم اليمين المسيحي هذه المذكرة للتأكيد على أن المحكمة العليا أقرت بأن النزعة الإنسانية العلمانية هي الدين المدني لأمريكا: حيث إن التعديل الأول للدستور يمنع كل الأديان عن المدارس العامة.

هل من الصحيح تشبيه النزعة الإنسانية بدين؟ لا، فعلى عكس الأديان الكبرى لا تمتلك النزعة الإنسانية هيئة دوغماطيقية فعلية متسقة، يكون من شأنها تحقيق إجماع، بين المنتمين لها. بالنسبة لليمين المسيحي تشكل النزعة الإنسانية مشجبًا يعلق عليه استيهاماته ومخاوفه ووسيلة يستخدمها لوضع موضع المساءلة كل التغيرات التي حدثت على مدار هذه العقود الأخيرة، والتي تنال من الأخلاق الجنسية والسلطة العامة والأبوية والأرثوذكسية الدينية. فالمسألة على وجه الدقة هي رد فعل على أفول القيم الدينية، الذي هو أحد الآثار الكبرى للحداثة. ويدين اليمين المسيحي في العمق عبر هذه المحاكمة للإنسانية العلمانية التهميش الفكري والثقافي للقيم الأخلاقية القديمة، «والدين على الطريقة القديمة»، الذي لم يعد يتوصل إلى إمداد المجتمع الحديث بمرجعيات جماعية.

المحاور الكبرى للبرنامج

تنتهي الأطروحات التي يدافع عنها اليمين المسيحي، بصورة عامة، إلى خليط مكون من النزعة الأخلاقية والليبرالية الاقتصادية الكلاسيكية (بالمعنى الأوروبي للكلمة) ومن كراهية

الدولة، ونزعة قومية منفلتة من عقالها، والتي، في سياق خلفته أحداث «سبتمبر ٢٠٠١»، تجمع بين الكفاح ضد الإرهاب والعداوة للإسلام والمسلمين والدعم القوي لدولة إسرائيل.

(١) الدفاع عن القيم الأخلاقية والاجتماعية التقليدية

يتفرد برنامج اليمين المسيحي، المتمحور حول الدفاع عن النظام الأخلاقي ذي الأساس الديني، بصبغته الأخلاقية والتهذيبية القوية. في الواقع تشكل إعادة تمكين القيم الأخلاقية والعائلية التقليدية، كما رأينا، حجر الأساس الذي يبني عليه اليمين المسيحي برنامجه. ويعود هذا بالطبع إلى اختيار استراتيجي، من حيث أن الأحزاب الكبرى قد تجاهلت لفترات طويلة هذه القضايا التي تجد صدىً كبيرًا بين الفئات الاجتماعية، فيما يتعلق بارتباطها بخصوصية الفرد ولأنها تخاطب العواطف. وإذا كان اليمين المسيحي يستخدمها ليحصل على دعم أكبر عدد من الناخبين فإن ارتباطه بالقيم التقليدية يتسق مع قناعته بأنه البلد المحافظ على قيمه هو فقط الذي يمكنه أن يظل بلدًا حرًّا. وفي هذا الأفق، تبدو قضايا مثل: أفلام العري والزنا ومنع الصلاة في المدارس، وكذلك معارضة قانون الكتاب المقدس عن القصاص، وكأنها اعتداء على الله. ويتضمن الاهتمام الذي يحمله اليمين المسيحي للقيم، ضمن ما يحمله، الرغبة في إخضاع الحياة الاجتماعية لقانون الكتاب المقدس. ويؤكد قادة اليمين المسيحي، على غرار الإنجيليين، أن إصلاح المجتمع يمر عبر إصلاح الأخلاق والعادات السائدة. وفي النهاية يسعى اليمين المسيحي، عبر إعادة القيم التقليدية إلى الحفاظ على النظام واستقرار الهيئة الاجتماعية. ومن جهة أخرى، يرتبط حبه لنظام مستقر بحبه للطهارة.

يثير دفاع اليمين المسيحي عن القيم والأخلاق مجموعة من المطالب والمواقف التي يمكن تلخيصها على النحو التالي:

- ينطلق اليمين المسيحي، في معارضته الشديدة لتحرير العادات وتحديث المجتمع، في حرب ضد الطلاق والإجهاض والنزعة الإنسانية والتعليم الجنسي في المدارس وحقوق المثليين والمثليات جنسيًّا بما فيها الزواج، وبشكل أكثر اتساعًا حرب ضد كل ما يشجع على الأفول الأخلاقي. ويدعو إلى استخدام أكثر عنفًا يصل إلى حد عقوبة الإعدام في مواجهة الجرائم والجنح.
- يخوض في الوقت ذاته حملة من أجل فرض الصلاة، وتعليم نظرية الخلق الدينية في المدارس العامة، ومن أجل الحصول على دعم حكومي للمدارس الدينية، ومنع الإجهاض

وتحريم أفلام العري والإبقاء على عقوبة الإعدام وتعزيز مكانة الأسرة والعودة إلى النظام الأسري التقليدي.

(٢) الحفاظ على الأسرة التقليدية

ينظر أتباع اليمين المسيحي إلى الأسرة، على غرار جيري فالويل، بوصفها «المكون الرئيسي والوحدة الرئيسية للمجتمع» (فالويل،١٩٨١م، ص١٠٤). وبالإضافة للاهتمام الكبير بالأسرة فإن المجموعات العديدة كمجلس البحث العائلي والعائلات المتحدة لأمريكا والتركيز على الأسرة ولوبي حماية الأسرة، ودون أن نغفل شبكة الكابل وقناة الأسرة لبات روبرتسون - تشهد على الأهمية التي توليها الحركة للأسرة. بالنسبة لها تعتبر سلطة الأبوين الفضاء الاجتماعي الأول الذي يقابله الطفل، وتبرر هذه الأسبقية حديث الحركة عن الأسرة كرحم للحياة الاجتماعية. ويرى اليمين المسيحي أن الأسرة، في مجال التعليم، هي مدرسة أمريكا الشابة، حتى قبل الدولة والكنيسة. ونزع هذه الوظيفة الأساسية في التعليم عن الأسرة قد يحول بينها وبين أن تكون الوحدة الأخلاقية والدينية الأساسية.

ولأن أساسات الأسرة قد اهتزت فإن خطاب اليمين المسيحي يحاول تطوير سياسة الحفاظ على الأسرة التقليدية، التي يرأسها الإنسان على غرار الله بالنسبة للبشر. وينظر اليمين المسيحي لهذا النموذج الذي أقره الكتاب المقدس على أنه مكان لنقل القيم الإنسانية وجهاز أساسي للمجتمع. وتتم العودة للأسرة التقليدية بالضرورة عبر العودة إلى البطريركية بوصفها جهاز تنظيم الأسرة والمجتمع. ويتشكل هذا النظام المؤسس على خضوع المرأة والأطفال إلى نمط من التوزيع المتمايز للمهام، فالرجل الملتزم بالعمل خارج المنزل عليه أن يضطلع بوظيفته في إمداد الأسرة بالمواد، والمرأة عليها أن تبقى بالمنزل حتى تنشغل أكثر بالأطفال. وأي شكل مغاير للأسرة لا يمكن أن يكون مقبولاً إذا لم يكن مطابقًا للنموذج التقليدي. وتستمد هذه الرؤية منابعها من الأخلاق الفيكتورية والأيديولوجية الأسرية المتضمنة بها.

إذا كانت التأكيدات الجديدة للهوية النسائية قد رفضت بشدة، فإن ذلك لأنها تهدد، بصورة رئيسية المصادر المألوفة للثقة الجنسية الذكورية. وهكذا تم تصور الإجهاض على أنه نيل من الهيمنة الذكورية: فالرجال يتم تقليصهم إلى حالة من العجز أمام رغبة نسائهم في الحمل أو الإجهاض. والأمر كذلك بالنسبة لآباء الفتيات القاصرات. فالرجال مهما كانت قوتهم، ليسوا

أقل هشاشة وتعرضًا للخطر من النساء. بالنسبة لجورج جيلدر، وهو أحد كبار مفكري اليمين المسيحي، فإن الخطر يأتي من النساء العاملات خارج المنزل. ففي اللحظة التي يصرن فيها «تابعات لأزواجهن تثير النساء أزمة هوية حقيقية لدى الرجال وسيكون العنف مظهرها الرئيسي» (جليدر، ١٩٧٣م، ص٩٧).

يتأسس برنامج اليمين المسيحي، الذي يريد أن يكون صرخة تحذير، على ملاحظة مفادها أن الأسرة الأمريكية في أزمة حقيقية. وكما أشارت، عن حق، باميلا ابوت وكلير والاس، فإن مثل هذه الحجج ليس بها من جديد (ابوت وولاس، ١٩٩٢م، ص٥) طالما أن مثل هذا النمط من الخطاب قد انتشر بقوة منذ بداية القرن العشرين. ويؤكد بات روبرتسون في كتابه THE TURNING TIDE وهو مرافعة، بدون تمييز، ضد الفوضى المفترضة والخلل والفضائح التي تتفاقم في المجتمع الأمريكي، على أن تفكك الأسرة هو «العقبة الاقتصادية الرئيسية اليوم أمام أمريكا» (روبرتسون،١٩٩٣م، ص ٣٩). ويرى تيم لاهاي، أن نزع القداسة عن الأسرة هو مؤامرة موجهة ليس فقط ضد الأسرة وإنما أيضًا ضد الأمة بكاملها. ومن خلال استخدام نظام من القيم يصفه بأنه «مضاد لإرادة الله والأخلاق والنظام [الأمريكي] يسعى الليبراليون والإنسانيون والناشطات النسائيات والمثليون جنسيًا للنيل من استقرار الأسرة وسلامة الأمة الأمريكية» (تيم لاهاي، ١٩٨٢م، ٣١ و٣٢). ويمكن للمرء أن يجد أيضًا على مقعد المتهمين جيل الثقافة المضادة في سنوات الستينيات الذي يعيب عليه اليمين المسيحي أنه طور نزعة إباحية، موسيقى الروك واستخدام المخدرات، وأنه بهذا الأمر قد وجه ضربة شديدة للنموذج الأسري السائد في سنوات الخمسينيات.

يأسف اليمين المسيحي لاختفاء المعايير الأخلاقية والدينية التي سادت في سنوات الخمسينيات، التي تشكل العصر الذهبي للأسرة الأمريكية. ففي هذه السنوات كان للرخاء الاقتصادي وزيادة أعداد المتزوجين وارتفاع نسبة المواليد، دور كبير في إعادة الهياكل والقيم العائلية التقليدية التي كانت قد همشت من إجراء الانقلابات التي حدثت أثناء السنوات المجنونة وفي فترة الحربين العالميتين (مينروكيلوج، ١٩٨٨م، ص١٧٨). فمع الانفجار السكاني في فترة ما بعد الحرب استعادت المرأة من جديد دورها كربة منزل وكأم وعاد الأب كمصدر وحيد لدخل الأسرة. وكان الوجه الرمزي للأسرة الأمريكية في الخمسينيات مجسدًا في صورة المرأة الموضوعة على قاعدة تمثال. وفي الوقت الذي يعترف فيه بالسلطة الأعلى - الغائبة غالبًا -

للأب فإن الأم هي التي تدير عالم المنزل وتساعد في التنشئة الاجتماعية للأطفال وتطبخ وتدير شئون المنزل. وباختصار كانت ملكة المنزل[١]. وتم النظر لهذه المرأة بوصفها نموذجًا للأنوثة، وعلى الأقل، بوصفها النموذج الكامل لما أراده الله من خلق النساء.

ومثل الحركات المحافظة يميل اليمين المسيحي إلى التذكير بأن شعار الفترة كان «أسرة موحدة في الصلاة تظل دائمًا موحدة»، وأن النساء كانت تعرف في هذه الفترة أين هو مكانها. وأثناء هذه الفترة، الموصوفة طواعية بـ«العظيمة» كانت البلاغة التي يستخدمها الرئيس أيزنهاور في موضوع الحرب الباردة تتلخص في قوله إن الأسرة «الطبيعية» والأم «الحريصة» هما «خط الجبهة» في الكفاح ضد الشيوعية والخيانة. وكان كثير من الأمريكيين يربطون بين الشيوعية وبين الأسر المنحرفة وبين التمرد السياسي والسلوك المنحرف جنسيًا.

في بداية الستينيات، سجل النموذج العائلي السائد تراجعًا واضحًا سواء في الولايات المتحدة الأمريكية أو في معظم البلاد الاوروبية. ولم تعد تتكون مؤسسة الأسرة بالضرورة عبر الزواج الرسمي، وتزايد الاقتران الحر، وتزايد نسبة المواليد خارج أطر الزواج الرسمي، وكذلك ارتفع عدد الأسر أحادية الأبوين. ولم يعد الإنجاب يشكل الهدف الرئيسي من الزواج، ونتج عن ذلك انخفاض كبير في عدد الأطفال، الأمر الذي كان من شأنه تقليص حجم الأسرة. وتغيرت وضعية الأسرة ذاتها منذ أن صار الرجل والمرأة يمارسان نشاطًا مهنيًا.

لم تتوقف الحركة النسائية، في البداية، عن ترديد: «الأسرة، هي العدو». وفي شغفهم بالدفاع عن حقوق المرأة وتعزيز دورها في المجتمع، اتهمت الناشطات النسائيات الأسرة بأنها المكان الذي تتم فيه كل عمليات الاستلاب والقمع وأنها المسئولة عن إخضاع المرأة والابقاء على المحرمات الجنسية[٢] في آن معًا. وفي نهاية سنوات الستينيات من خلال التذكير بالاختلافات البيولوجية كدليل بديهي، كانت الناشطات النسائيات تسعين من جهة لإظهار أنه يمكن للنساء القيام بأعمال محجوزة للرجال تمامًا، ومن جهة أخرى إظهار أن الاختلافات بين الجنسين ليست سوى اختلافات ثقافية وتاريخية. وبعد هذه الإيضاحات يفقد الوضع القائم مشروعيته ويصبح من الممكن كسب المعركة باللجوء إلى الدستور. وبهذه الطريقة يتم تحقيق أغلب الانتصارات النسائية. وكانت الناشطات النسائيات الأمريكيات في طليعة الحركة التي ستهز الغرب بأسره. وكانت الانتقادات الأكثر عنفًا والموجهة ضد الحركة النسائية جاءت أيضًا من أمريكا ومن

المتقدة الكبرى، فليس شالافلاي التي وصفت الناشطات الأمريكيات بأنهن خطرات ويحملن أمراض معدية: «يمثل أعضاء حركة تحرير النساء مصدرًا للعدوى، إنهن يحملن جرثومة تدعي فقدان الهوية» (شالافلاي،١٩٨١م، ص٦٥). من المهم القول إنه رغم البداية الواعدة للتعديل الخاص بالمساواة بين الجنسين ـ الذي أقره الكونجرس في ١٩٧٢م ـ إلا أنه تم رفضه نهائيًّا، بعد عشر سنوات، في ٣٠ يونية عام (١٩٨٢م)، ويعود ذلك، في جزء كبير منه، إلى الحملة العنيفة التي قادتها فليس شالافلاي ضده. وكرد فعل على الحركة النسائية التي تزعم الحديث باسم كل النساء، وأيضًا كمعارضة للتعديل الدستوري الخاص بالمساواة بين الجنسين.

نشأت في نهاية السبعينيات حركة «نساء قلقات بأمريكا»، وهي اليوم إحدى مكونات اليمين المسيحي وتحتوي على خمسمائة ألف عضوة . وترى مؤسسة هذه الحركة بيفرلي لاهاي (زوجة القس تيم لاهاي) أن الناشطات النسائيات تمثلن خطرًا كبيرًا على قيم هذا البلد وعلى مؤسسة الأسرة . ابتعدنا عن المشروع الإلهي، كما تفعل الناشطات النسائيات والديمقراطية وكل أولئك الذين يدعون إلى التحرر الجنسي المزعوم، فوصلنا إلى كارثة: تزايد نسبة الطلاق والاجهاض وارتفاع معدلات الجريمة وتدهور الضمير الأخلاقي.

أما من ناحية جيري فالويل فيؤكد أن الحركة النسائية والتعديل الدستوري الخاص بالمساواة بين الجنسين، على وجه خاص، مناقض لمصالح النساء : «نحن ضد التعديل الدستوري للحقوق المتساوية؛ لأننا نعتقد أن هذا يؤدي إلى تدهور الأنوثة، وربما يفرض على نساءنا يومًا ما استخدام مراحيض مختلطة وأن يحاربن في خنادق على جبهة المعركة التي هي من المجالات المختصة بالرجال» (فالويل في مارين، ١٩٦٦م، ص ١٦٣).

وكما انتقد اليمين المسيحي الحركة النسائية، فهو ينتقد أيضًا الدولة ذات النفوذ الكبير والتي يرى في تدخلها في العلاقات العائلية الدنيا تأثيرات كارثية. فعندما تأخذ الدولة بعض الوظائف الموكولة سابقًا للأسرة (تعليم الأطفال، رعاية المرضى والعجائز) إنها بذلك قد تدمر النواة الأسرية وتسقط السلطة الأبوية. ويشارك في المسار ذاته عمليات إقرار قوانين ينظر لها اليمين المسيحي على أنها متساهلة وتسمح بالحمل غير الشرعي، والإجهاض وتتحدث عن حقوق المثليين جنسيًّا وكذلك تطبيق سياسات اجتماعية باتجاه الأسر وحيدة الأبوين، حيث يفضي كل ذلك إلى استبدال بالبطريركية العائلية بطريركية الدولة.

وكما أن النظام الاجتماعي ينتج عن التنظيم الجيد للأسرة، فإن قوة الأمة تعتمد بشكل كبير على استقرار الأسر المكونة لها. فالأسر المسنودة والمحاطة بالنظام الأخلاقي والقيم المسيحية هي التي تشكل الأساس لأمة قوية وسوية. «فالصحة الدائمة للأسرة، كما كتب جيري فالويل، ـ هي الشرط المسبق لرفاهية الأمة وصحتها الجيدة. فلم توجد أمة أكثر قوة من الأسرة المكونة لها» (فالويل،١٩٨١م، ص١٠٤). ومن أجل أن تكون هناك أمة قوية فإنها تحتاج لمرتكز أخلاقي قوي، وقيم ليست موضوع خلاف، ومجموعة من التصرفات محددة جيدًا ومقبولة من الجميع.

وعلى العكس، فإن انهيار الأسرة يمثل تهديدًا للنظام الاجتماعي، وبالتالي خطر الانهيار المادي والمعنوي، فانهيار الهياكل الأسرية التقليدية قد يكون المصدر لكل الأوجاع والمشاكل التي تصيب المجتمع الأمريكي. «فأمريكا، كما يقول القس الأصولي إدوارد هندسون، تجد نفسها في مرحلة سيئة ؛ لأن البيوت الأمريكية لديها مشاكل» (هندسون،١٩٨٠م ، ص٢٧). وأضاف أن الأمر لا يمكن أن يؤخذ بخفة، لأن بقاء الحضارة الغربية يعتمد عليها. وبالنظر لوظيفة الأسرة كأسطورة مؤسسة، فإنها اكتسبت مهمة إنقاذ وخلاص: فخلاص الأمة يمر، أكثر من أي وقت مضى، من خلال استعادة القيم الأسرية التقليدية.

من المهم هنا الإشارة إلى المقترحات الراهنة الهادفة إلى تعزيز مكانة الأسرة مثل القانون الذي يفرض على مديري الأعمال منح الآباء العاملين إجازة ثمانية عشر أسبوعًا بدون راتب حتى يتفرغوا للمولود الجديد، أو للاهتمام بطفل تم تبنيه حديثًا، أو بآباء يعانون من أمراض خطيرة. ومثل هذة المقترحات هي، مع ذلك، على اتفاق مع الأهداف التي أعلنتها، من قبل، الناشطات النسائيات والمدافعون الآخرون عن المساواة في الحقوق مع النساء.

يستلهم اليمين المسيحي جوهر حججه من الكتاب المقدس. وتتم الإشارة في الغالب إلى كتاب المزامير للتأكيد على أن الله هو الذي خلق الأسرة، وهو الذي أسس «خطة» نجاحها (المزامير١٠٣-١٧ : ١٨). وإذا تم تطبيق هذه الخطة بدقة فإن كل الأسرة ستستفيد من بركتها، وغير ذلك سيكون فشلاً للجميع. وفي هذا المعنى قال القس المعمداني لاري كريستنسوس: «تنتمي الأسرة لله، فهو الذي خلقها، وهو الذي أسس هياكلها الداخلية، وحدد لها هدفًا وهو تشريف الله وتمجيده» (كريستينسون،١٩٧٠م، ص١١). فالله خلق الإنسان بالطبع ليقود، غير أنه وضع على عاتقه أيضًا بعض المهام، فعليه أن يمد الأسرة باحتياجاتها (الرسالة الأولى إلى

تيماثاوس ٥: ٨) وحمايتها (مرقص،٢ : ٣) وأن يكون مرشدًا روحيًّا لها (التثنية ٦-١٢ : ٦). ومن واجبه إذن أن يفرض النظام في البيت والحفاظ عليه، وبدون أن يسرف مع ذلك في سلطته؛ لأنه قد حصل عليها من الله. وكذلك المسار ذاته مع خضوع المرأة الذي يعود، كما يقول، إلى الإرادة الإلهية (الرسالة إلى مؤمني أفسس ٢٢ - ٢٤ : ٥)، (رسالة إلى مؤمني كولوسي ١٨ : ٣) (الرسالة الأولى إلى تيماثاوس، ٢) (الأمثال١٠ - ٣١ :٣١).

من جهة أخرى، يستدعي اليمين المسيحي العلم، والبيولوجيا وحتى علم النفس، برغم أنه ينظر لها على أنها علوم كافرة، من أجل إعطاء المشروعية لسلطة الرجل. والهدف المنشود هو إثبات أن الرجل مهيأ جسديًّا ونفسيًّا لممارسة السلطة. وفي كتابها قوة المرأة المسيحية (١٩٨١م) تصنف فليس شالافلاي الرجال بأنهم «عقلانيون»، ونمط تفكيرهم بالتجريدي والمنظم والمنطقي بالمقارنة مع النساء، حيث تصنف نمط تفكيرهن بالشخصي والعاطفي (ص٢٦). وبفضل جرأتهم على التخيل فإن الرجال في إمكانهم، كما ترى شلافلاي، ممارسة «نشاطات ذات طبيعة عقلية عالية» (ص٢٧). ونظرًا لواقع أن النساء بالطبيعة أكثر امتثالية من الرجال فإنهن لا ينبغي عليهن التصرف مثل الرجال (ص٢٦).

لا تخلو رؤية اليمين المسيحي للمرأة من تناقضات: فالمرأة تقدم أحيانًا كمرتكبة للخطيئة وكغاوية، كما تقدم كأم متفانية وزوجة مخلصة. وينبع الغموض الذي يسم هذه الرؤية من اشتباه عميق تجاه المرأة بسبب سحرها، وبالتالي بسبب السلطة التي يمكن أن تمارسها على الرجل. والمرأة التي تختار البقاء بدون زواج، وتلك التي ترفض الإنجاب ينظر لها كامرأة مخيفة. فالمرأة، بالنسبة لليمين المسيحي، لا تمثل شيئًا خارج دورها كزوجة وكأم. فالمرأة المتزوجة ينبغي، في الواقع، أن تكرس نفسها للأمومة، فالإنجاب هو الوظيفة الوحيدة التي من خلالها يمكن أن تفتدي نفسها من خطيئتها الأصلية. وهنا أيضًا يستند اليمين المسيحي إلى أقوال القديس بولس: «ولم يكن آدم هو الذي انخدع (بمكر الشيطان) بل المرأة انخدعت فوقعت في المعصية. إلا أنها ستحفظ سالمة في ولادة الأولاد، على أن يثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع الرزانة» (الرسالة الأولى إلى تيماوثاوس ١٤ - ١٥). وبما أن الزواج والأمومة يعطيان للأنوثة مغزاها ومشروعيتها، فينتج عن ذلك أن المرأة التي ترفض الإنجاب ينظر لها على أنها «منحرفة»، وتلك التي لا تريد الزواج على أنها «غير طبيعية».

في هذا الأفق تكون المرأة المثالية هي تلك التي تنشغل ببيتها وتربي أولادها وتضحي من أجل الآخرين. وينبغي عليها كحارسة متفانية من أجل بيتها وكزوجة مثالية أن تخضع لسلطة زوجها. ومن خلال خضوعها تصير المرأة - كما يبدو - مبشرة إنجيلية، واضعة زوجها المعاند، في الغالب، على طريق الخلاص. وفي حالة عدم الاتفاق مع زوجها لا ينبغي عليها أن تقول شيئًا كما يرى تيم لاهاي (١٩٧٦م، ص١٨٤). *ولا يسمح أبدًا بالطلاق حتى في حالة العنف الزوجي. ومع ذلك،* فإن هذا العداء للطلاق يبدو أنه قد تعدل، حيث إن هناك دراسة ظهرت عام (٢٠٠٠م) توضح أن المطلقين بين المولودين ثانيَّة مسيحيًا وصلت إلى (٣٣٪) وهي نسبة تقترب من المعدل الأمريكي العام للطلاق وهو (٣٤٪). أما نسبة من يعيشون كأزواج عن طريق اقتران غير الزواج الرسمي فهي مذهلة إلى حد كبير (٢٥٪) بينما المعدل الأمريكي العام في هذا الشأن هو (٣٣٪) (بارنا، ٢٠٠٣م).

من جهة أخرى، وبصورة تدعو للمفارقة، نجد أن مناضلات اليمين المسيحي مثل فيلس شالافلاي وأنيتا بريانت وبيفرلي لاهاي وكوني مارشنر وجودي براونت يعملن خارج المنزل في الوقت الذي يطالبن فيه النساء بالتخلي عن مسارهم المهني والعودة إلى البيت (كلاتش، ١٩٩٨م). ونجدهم في السر، يقرون مبادئ حق تقرير المصير الذاتي والمساواة والحرية في الاختيار، وهي مباديء غالية على قلوب الناشطات النسائيات، وهن هاربات بذلك من النموذج المثالي للسلبية الذي يزعمن الدفاع عنه، ومع ذلك يؤكدن أنه لا يوجد هنا أي تناقضات وهكذا، ترى كوني مارشنر أن الكفاح ضد الحركة النسائية يعتبر امتدادًا لدورهن «الطبيعي» داخل الأسرة، مع أنها ترى أيضًا أن نساء الحركة أكثر كفاءة من الرجال في إعطاء العبر للنساء الأخريات (مارشنر،١٩٨٢، ص ١و٦م). ومهما كان أمر ما يقلنه، فإن نساء اليمين المسيحي في الغالب أكثر قربًا من الأيديولوجية المفترض أنهن يحاربنها، وأكثر بعدًا عن ذي يدافعن عنه.

فيما يتعلق بالأطفال، يدعو اليمين المسيحي إلى تربية صارمة مستلهمة من الكتاب المقدس. ويستشهد على ذلك، في الغالب، بكتاب الأمثال من العهد القديم (٢٤ :١٣، ٦: ٢٢، ٢٢:١٣). والرسالة واضحة: على الآباء السهر على تعليم أطفالهم. ومن جهة أخرى، يعتبر كثير من المحافظين أن الطفل منحرف منذ ميلاده وأنه لا يستحق إذن الحنان. وأن على الآباء أمام عناد أطفالهم، كما يرى المحافظون، أن يعلموهم التحكم في الذات. وأن التدريب ينبغي أن يتم في

مرحلة مبكرة ـ أثناء السنوات الثمانية الأولى ـ قبل أن تجعل التغيرات البيولوجية والهرمونية أي تعليم مستحيلاً. بالطبع ينبغي على الأطفال طاعة آبائهم ؛ لأن في طاعتهم استقرار الأسرة. والضرب على الأرداف طبعًا هو العقاب المطلوب أكثر من غيره (كتاب الأمثال ١٣ : ٢٢)، لكن معاملتهم بصورة سيئة أمر غير مطروح للنقاش. على العكس، ينبغي على الآباء أن يتحلوا بالهدوء والتفهم تجاه ذريتهم «فالأب الجيد هو الذي يعرف كيف يفسر المعنى الكامن لتصرفاتهم»، كما يقول جيمس دوبسون (١٩٧٧م، ص ٢٢). وبالدعوة إلى تعزيز التراتبية العائلية كما وردت بالكتاب المقدس، يرغب اليمين المسيحي في أن يكون الضامن للاستقرار الاجتماعي وكذلك يعمل كمنظم للتربية الاجتماعية.

غير أن «الاستخدام الانتخابي» للأسرة ليس حكرًا على اليمين المسيحي. فمنذ عدة عقود لم تكن هناك حملة انتخابية دون أن تتمحور على تعزيز القيم الأسرية. لكن الجديد لدى اليمين المسيحي أن جعل من إعادة الأسرة التقليدية شرطًا يعادل رفاهية أمريكا.

(٣) ادانة الإجهاض

مع شعوره بأنه يمتلك خطابًا يدعو إلى احترام الحياة، يأخذ اليمين المسيحي مواقف واضحة ضد الإجهاض ولا يسمح بحدوثه في أي حالة، حتى لو كانت حالة اغتصاب أو حالة تعرض صحة الأم للخطر. وهو في هذا يسير في سياق موقف الكنائس المسيحية التي تستند في ذلك إلى المشاهد المروية في سفر الخروج[٣] (١٣:٢٠)، المؤكدة على أن الحياة تعود لله وحده، وهوالذي خلقها، وأن الإجهاض بصراحة هو عملية قتل حقيقية. ويركز قادة اليمين المسيحي في الغالب على هذه الحجة. ويمكن للمرء أن يقرأ بقلم جيري فالويل أن « الحياة معجزة. وحده الله العلي القدير يمكنه أن يخلق الحياة. والله قال «لا تقتل» ولا شيء يمكن أن يغير واقع أن الإجهاض هو عملية قتل» (فالويل،١٩٨١م، ص١٤).

تتأسس البلاغة المناهضة للإجهاض على مبدأ أن الحياة تبدأ مع بداية الحمل وأنها مقدسة منذ هذه اللحظة فإن نمو هذا الكائن الإنساني هو ببساطة مسألة وقت ومسألة تطور ونضج (ص١٤٥). وفي هذه الأوضاع، يعني الإجهاض ذبح أطفال أبرياء في دور التكوين، وهم كائنات إنسانية بالمعنى الكامل للكلمة ومزودين بروح. ولهذه الأسباب يؤيد اليمين المسيحي والجماعات المناهضة للإجهاض، منع البحث حول خلايا السلالات؛ لأنه يتضمن الاستنساخ،

وتدمير أجنة إنسانية. بالنسبة لهم، يمثل جمع الأجنة عملية تصنيع غير محتملة للإجهاض، بينما هذا الأمر، بالنسبة للعلماء، لا يخرج عن كونه بحثًا ينبغي أن يسمح بمعالجة أمراض خطيرة واستبدال أعضاء تالفة في جسد الإنسان وحتى وقف الشيخوخة. وبقيامه بالمماثلة بين الجنين/المضغة والطفل، لا يقبل خطاب اليمين المسيحي سوى تعزيز التطابق بين عملية الإجهاض وعملية القتل. وكما أشارت إليه عن حق كارولين فورست، «إن مصطلحات مثل مضغة أو جنين يتم استبدال بها بصورة منظمة كلمة طفل أو «طفل صغير» بغرض إضفاء الشخصية الإنسانية عليهم ووضعهم في سياق جماعة الكائنات الإنسانية» (فورست، ٢٠٠١م، ص١١٨).

انطلاقًا من هذا نجد عددًا من المعارضين للإجهاض يطالبون بالمنع المطلق وبلا شروط للحق في الإجهاض، ويناضلون من خلال جمعيات مثل: مؤسسة الحق القومي في الحياة، لجنة العمل السياسي المؤيدة للحياة، رابطة الحياة الأمريكية، الحياة الإنسانية الدولية. وهذه المجموعات التي تشكل حركة «المؤيدين للحياة»، وهي إحدى أعمدة اليمين المسيحي، تنتقد بشدة الليبراليين والمناصرين للإجهاض وتتهمهم بأنهم مسئولون عن تدمير مليون ونصف من الكائنات الإنسانية كل عام. وبعض هذه الجماعات على درجة كبيرة من العنف ولا يترددون صراحة في استخدام السلاح ضد المدافعين عن الحق في الإجهاض.

في كتاباته كما في برامجه التليفزيونية يخوض جيري فالويل معركة عنيفة ضد ما يدينه على أنه «خطيئة قومية أمريكية» و«حل نهائي» مماثل لحل هتلر، و«هولوكوست بيولوجي» ضد الأمة (فالويل،١٨٨٧م، ص٣٥٩). ولم تأت المقارنة المستمرة بين الإجهاض والهولوكوست على سبيل المصادفة، بل هي إحدى وسائل الخطابة المعروفة جيدًا عن الجماعات المناهضة للإجهاض، والتي تتمثل في مقارنة الإجهاض بإبادة النازية لليهود، وبما أن الأجنة صارت يهودًا مضطهدين فإن من يحاولون إنقاذهم صاروا مقاومين، والمناصرين للإجهاض صاروا نازيين. ويظهرتعبير «الإجهاض الهولوكوستي»، بصورة منتظمة في الدعاية المناهضة للإجهاض. وهو تعبير يعود إلى كتاب وليام بريتان :«الإجهاض الهولوكوستي: الحل النهائي اليوم» الصادر في عام (١٩٨٣م). ونجد فيه سلسلة من اللوحات التي تقارن اضطهاد اليهود بالأطفال الذين سيولدون. وتعتبر فرضية برتيان أن الأجنة ضحايا لهولوكوست جديد، ويرى أن المناصرين للإجهاض يعاملون الأجنة كما يعامل النازي اليهودي.

ينبغي معرفة أنه وفقًا لقرار المحكمة العليا بالولايات المتحدة في قضية رو/ واد (١٩٧٣م) يعتبر الإجهاض شرعيًا في البلاد كلها طالما مارسه طبيب مؤهل قبل الأسبوع الواحد والعشرون من الحمل. ويسمح بعد هذه الفترة بتدخلات للإجهاض فقط في الحالات التي تكون فيها صحة الأم مهددة. وينص القرار على أنه أثناء الشهور الثلاثة الأولى للحمل يحق للمرأة أن تقرر بحرية مع طبيبها. وأثناء الفصل الثاني من الحمل يمكن للدولة تقنين الإجهاض بأخذها في الاعتبار «بصورة معقولة» المخاطر التي يجسدها. وفي الفصل الأخير من الحمل يمكن أن يمنع الإجهاض إلا إذا كان ضروريًا لإنقاذ حياة الأم. وشجّع قرار المحكمة هذا على ظهور حملة معادية للإجهاض تميزت بأحداث عنيفة. على سبيل المثال، عزا جيري فالويل للتشريع المؤيد للوقف الاختياري للحمل المسئولية في دخوله عالم سياسة: «للمرة الأولى في حياتي شعرت أن الله كان يطلب مني أن أنضم إليه، غير أن هذا النمط من العمل كان مغايرًا تمامًا لطبيعتي» كما كتب فالويل في سيرته الذاتية (فالويل،١٩٨٧م، ص٣٦). وإنه عن طريق قرار المحكمة العليا هذا قد تكون الدولة الفيدرالية قد أعلنت الحرب بتشريعها للإجهاض ـ وأسوأ من ذلك ـ وبتمويله. وفي السياق نفسه، أكد فالويل أن القادة البروتستانت كانوا فعلاً متأخرين في موقفهم مقارنة مع الكنيسة الكاثوليكية « لقد تحدث القادة الكاثوليك بشجاعة وعارضوا قرار المحكمة العليا، لكن أصوات أشقائنا البروتستانت والأصوليين والإنجيليين ظلت صامتة حقًا» (فالويل،١٨٨٧م، ص٣٥٨).

ظل الرأي العام الأمريكي منقسمًا بشدة حول مسألة الإجهاض، كما حوَّل قضايا أخرى ذات طبيعة اجتماعية وأخلاقية. وبينما كان المدافعون عن القيم الأخلاقية التقليدية يرون في قرار المحكمة العليا حول الإجهاض تراجعًا غير مقبول، كانت هناك أغلبية من الأمريكيين (الليبرالين، ناشطات نسائيات، ولكن أيضًا كثير من النساء وأغلب الجمهوريين المعتدلين) يرون أن الحق في الإجهاض كحرية لا يمكن استلابها وكحق جوهري للمرأة. ووفقًا لمعهد جالوب للاستطلاعات فإن ٤٨٪ من الأمريكيين يصرحون أنهم مع حق الإجهاض مقابل٤٥٪ يرفضون. غير أن٥٥٪ يؤكدون أن الإيقاف الطوعي للحمل ينبغي أن يسمح به «في بعض الحالات». (جارو، ٢٠٠٤م،ص١). من جهة أخرى، شارك لا يقل عن٢٥٠ ألف شخص في مسيرة تأييدًا للحق في الإجهاض في ٢٥ أبريل عام (٢٠٠٤م) في واشنطن دي سي. وهي أول مسيرة مؤيدة للإجهاض منذ عام (١٩٩٢م).

غير أن خطاب اليمين المسيحي المناهض للإجهاض يميل إلى مزيد من التطابق مع رفض إعادة

تعريف الأدوار الاجتماعية للجنسين. وزيادة على الأسباب اللاهوتية فإنها آثار التحرر التي يجلبها الإجهاض للمرأة والتشكيك في النظام الأبوي الناتج عن الإجهاض هي التي يبدو أنها تزعج اليمين المسيحي والمناهضين للإجهاض. فهم لا يطيقون أن المراة يمكنها التحكم في خصوبتها، والتحرر من «هويتها الإجبارية» كأم. وما يأملونه، في النهاية، هو فرض نموذج للممارسة الجنسية الإنجابية. ويرفضون كل ما من شأنه تعديل عملية الإخصاب، أي حبوب منع الحمل والواقي والتعليم الجنسي. وبديلاً عن طرق الإجهاض يفضل معارضو الإجهاض التركيز على الامتناع الجنسي والعفة قبل الزواج. وبدلاً من النظر إليه كأداة لتحرير النساء ينظرون إلى تحديد النسل كانتهاك للخطة التي وضعها الله للأسرة. وباسم الأخلاق الدينية يسعى اليمين المسيحي إلى حرمان المرأة من حقوقها الإنجابية والجنسية. ومن هنا يمكن أن ندرك لماذا يتعرض تنظيم الأسرة والجمعيات النسائية لهجوم حركة اليمين المسيحي. وفوق ذلك، يمكن أن نرى، ويا للغرابة، أن الذين يعارضون الإجهاض باسم احترام الحياة هم أنفسهم الذين يؤيدون عقوبة الإعدام.

إذا كانت الحجج الاجتماعية والأخلاقية ـ الدينية غير مقنعة بقدر كاف فإن اليمين المسيحي يلجأ إلى تفسيرات ذات طبيعة طبية مزعومة. فأحيانًا يركز على «أعراض ما بعد الإجهاض» التي تتجلى في القلق والحزن والاكتئاب والكوابيس واندفاعات التدمير الذاتي. وأحيانًا أخرى يرى أن الإجهاض مصدر لأعراض مرضية كثيرة مثل: تلف العقل، والعقم والعفن والتهاب الرحم. وأكثر من ذلك يشتبه في أن الإجهاض يفضي إلى سرطان الثدي وعبر هذا الخطاب المثير للقلق يسعى اليمين المسيحي والجماعات المناهضة للإجهاض إلى إخافة النساء. وبعملها هذا تظهر هذه الحركات بوصفها الوحيدة المهمومة بصحة النساء.

يترافق مع الخطابة المناهضة للإجهاض نزعة معادية للحركة النسائية بصورة واضحة. وبما أن الناشطات النسائيات يطالبن بحق المرأة في ألا تجبر على الأمومة، وبالتالي الخروج من الدور الذي تحيطهم به الأسرة التقليدية، فإنهن مكروهات من قبل المدافعين عن النظام الإلهي والأبوي. «فالعداء للنزعة النسائية ومعارضة الإجهاض وكراهية المثليين جنسيًّا تعود، كما تشير كارولين فورست، إلى رؤية ذات صيغة دينية وحيدة وذات مركزية ذكورية لما ينبغي أن يكون عليه الرجال والنساء، ولما ينبغي أن تكون عليه حياتهم الجنسية» (فورست،٢٠٠١م، ص ١٢٥). في الحقيقة، يخوض اليمين المسيحي حملة ضد حق النساء في الاختيار وكذلك ضد المثليين جنسيًّا.

هل حققت النزعة المعادية للإجهاض نجاحًا؟ فقط جزئيًا إذا نظرنا إلى إصدار المحكمة العليا قرارات متنوعة تحد من حرية الإجهاض[٤]. ومن جهة أخرى، توصل السيناتور الكاثوليكي والجمهوري هنري هايد، في عام (١٩٧٦م)، إلى إقرار تعديل ينهى تمويل الإجهاض في إطار «ميدكيد»، وهو نظام تأمين صحي يسمح للأكثر فقرًا الاستفادة من تأمين اجتماعي. ودخل تعديل هايد حيز التطبيق في ١٤ أغسطس عام (١٩٧٧م). وهكذا، وقبل مرور أربع سنوات على قرار المحكمة العليا في قضية رو/ واد وجدت النساء الأكثر فقرًا أنفسهن من جديد تحت رحمة الحمل غير المرغوب فيه. وقد أشعل هذا الانتصار غضب الحركة المعادية للإجهاض والذي تجلى في أعمال عنف عديدة، إزاء العيادات التي تمارس الإجهاض.

في بداية الثمانينيات، قدم المحافظون مشروعات قوانين لتعديل الدستور باتجاه منع الإجهاض. وطوال هذا العقد هدد عدد من غلاة السيناتورات الجمهوريين المحافظين مثل جيس هيلمس وأورين هاتش بإلغاء القرار الصادر في قضية رو/ واد، باستعادة أمنية الجمعيات المناهضة للإجهاض تقديم تعديل يدافع عن الحياة الإنسانية منذ بداية التخلق أثناء الحمل، لكن بدون أن تكلل جهودهم بالنجاح. وتحت تأثير ضغوط اليمين المسيحي والجماعات المناهضة للإجهاض أوقفت الحكومة وصول حبات منع الحمل RU٤٨٦ (حبات منع الحمل قام البروفيسور بوليو بتحديثها) ومنعت استخدام أنسجة الأجنة في البحث العلمي. ومع أن المحاكم المحلية مستقلة نظريًا عن السلطة السياسية القومية إلا أنها اتخذت قرارات تميل أكثر فأكثر إلى الحق في الاختيار. وفي النهاية، وتحديدًا شجَّع المنتخبون المحافظون عديدًا من الجماعات المناهضة للإجهاض للعمل على الساحة.

وبرغم كل الإجراءات المقيدة التي اتخذت على مدار العقود الثلاثة الأخيرة إلا أن الإجهاض لا يزال شرعيًا: فلم تقبل المحكمة العليا إلغاء قرار عام (١٩٧٣م). والإمكانية الوحيدة للعودة عن هذا القرار «من أعلى» قد تعطلت نهائيًا بتعيين ساندرا داي أوكنور بالمحكمة العليا. وكانت مرتبطه ارتباطًا وثيقًا بوظيفتها كقاضية واستقالت في عام (٢٠٠٥م) رافضة أن تضع نفسها في خدمة نشاط الجماعات المعارضة للإجهاض. من جهة أخرى، إذا كان اليمين المسيحي لم يتوصل إلى تحقيق أهدافه، فذلك لأن تطرف حملته ضد الإجهاض قاد حركات مختلفة من الناشطات النسائيات والمثليين جنسيًا والمناهضين للعنصرية إلى التحرك وتشكيل جبهة مشتركة. وأمام إخفاقاته نظر بعض أعضاء الكونجرس، من غلاة المحافظين في استخدام المادة الثالثة من

الدستور التى تسمح للكونجرس، في شروط معينة، بالتراجع عن قرار المحكمة العليا. لكن الأغلبية الساحقة من السياسيين والقانونيين، سواء أكانوا جمهوريين أم ديمقراطيين، عارضوا بالإجماع مثل هذه المحاولة، التي إذا نفذت ستضع التوازن الدستوري للنظام القضائي الأمريكي بأسره موضع خطر.

(٤) مكافحة المثالية الجنسية

بالنظر إلى مواقفه من الأسرة ومن الإجهاض لا يمكن لليمين المسيحي إلا أن يكون مناهضًا للمثلية الجنسية وزواج المثليين. وفضلاً عن ذلك فهو الخصم اللدود والعلني للمثليين (جلاجير، بول، ١٩٩٦م) وانتهت أول حملة مناهضة للمثليين، والتي صممتها وقادتها أنيتا بريانت في فلوريدا في عام (١٩٧٧م)، إلى التخلي، عن طريق استفتاء، عن مرسوم محلي يسمح للمثليين بالمساواة في الحقوق فيما يتعلق بالإسكان والعمل. وفي عام (١٩٧٦م) أثار اغتيال أحد المثليين الشبان مشاعر الرأي العام. وبينما كانت المناقشة مشتعلة حول تعديل الحقوق المتساوية للجنسين (ERA) كانت مقاطعة داد في فلوريدا تبحث منع التمييز إزاء المثليين. وفي هذه اللحظة ظهرت أنيتا بريانت على الساحة السياسية، وجابت الولايات المتحدة للمطالبة بإستفتاء.وقادت بين عامي ١٩٧٧م و١٩٧٨م حملة في فلوريدا وكاليفورنيا. غير أن حركتها وصلت لنهايتها في عام (١٩٧٩م)، بعد أن انهارت إثنتان من منظماتها الرئيسية: حماية أطفال أمريكا، ومؤسسة أنيتا بريانت.

في كتاب مهم بعنوان: «الأجندة المناهضة للمثليين ـ الرؤية الأرثوذكسية واليمين المسيحي» يشير ديدي هيرمان، وهو كاتب كبير ويعرف جيدًا الموضوعات التي يكتب عنها، إلى المساحة الكبيرة التي أخذها موضوع المثليين في صفوف اليمين المسيحي طوال سنوات التسعينيات «مسألة المثليين ليست مسألة هامشية تستدعي قليلاً من الجهد، بل على العكس تظل مناهضة المثليين والمثليات اليوم من بين الأهداف الأكثر أهمية لدى اليمين المسيحي» (هيرمان،١٩٧٧م، ص٦٠). وأن يكون اليمين المسيحي مناهضًا للمثلية الجنسية فليس في هذا شيء استثنائي: ففي الولايات المتحدة، كما في أي مكان آخر نجد أن الفروع المحافظة في كل الطوائف تدين المثلية الجنسية بالقوة نفسها . لكن ما يميز اليمين المسيحي هو دوره في القيام بحملات ضد المثليين جنسيًا، والذي يظل إلى اليوم رأس الحربة في الهجوم عليهم. وبمقدار ما يطالب المثليون بحقوق جديدة وبمقدار ما تحركه مسألة المثليين من المناقشات السياسية بمقدار ما تتجذر مواقف اليمين

المسيحي وتميل إلى مزيد من الافصاح عن نفسها. وينعكس هذا في خطابات تميل إلى التشدد ويرافقها حملة [صليبية] تكشف عن عضلاتها.

كيف يمكن تفسير هذا العنف وهذا الحقد؟ لن يندهش المرء من استناد اليمين المسيحي على القانون الإلهي والطبيعي في البداية. بالنسبة له ليست المثلية الجنسية قضية خاصة كما يحاول أن يقنعنا بذلك المثليون والمثليات والناشطات النسائيات والليبراليون الذين يساندونهم. بل إنها خطيئة كبرى وتحد لله. وعلى نقيض ممارسات اشتهاء الجنس الآخر لدى حواء وآدم المخلوقين من الله من أجل «التكاثر وملء الأرض بالنسل» (التكوين ١٨ :١)، فإن الممارسات المثلية تعود لأصل شيطاني يتحدى إرادة الله وينتهك تجانس الحياة وكذلك إعادة تحديد الأدوار بين الرجال والنساء الذي يتضمن مثل هذه الممارسات ويدفع بالكائن البشري نحو إزدواجية وغموض لا يمكن للأخلاق أن تسمح بوجودهما. وعبر المثلية الجنسية يرصد اليمين المسيحي حضور الشيطان الذي، في تمرده الأبدي ضد الله، يحاول باستمرار وبكل الوسائل تخريب النظام الطبيعي.

يستدعي اليمين المسيحي الكتاب المقدس ولا سيما وقائع تدميرمدينتي سدوم وعمورة التي ورد ذكرهما كثيرًا لإيضاح أسباب معارضته للمثلية الجنسية. ولنأخذ مقالاً كتبه جيري فالويل: «لقد اعتبر الله المثلية الجنسية خطيئة خطيرة جدًّا وشنيعة جدًّا إلى درجة أنه دمر سدوم وعمورة بسبب هذه الخطيئة المرعبة» (فالويل، ١٩٨١م، ص ١٥٧). ومع ذلك، فإن هذه الواقعة المروية في سفر التكوين (٢٠ -١: ١٩) لا تشير صراحة إلى المثلية الجنسية. ولم يأت هذا إلا بعد جهود طويلة من التأويل الذي صار المبرر الأسمى للمعركة الكارهة للمثلية. ويأتي تصوير الرعب، لدى أغلب المؤمنين، من انتشار المثلية الجنسية إلى درجة لعنة العقاب على الكون كله، من الخوف من التعرض للمصير ذاته الذي لحق بسدوم وعمورة. وتتحدد الأمور بشكل أوضح في سفر اللاويين: «لا تضاجع ذكرًا مضاجعة امرأة، إنها رجاسة» (سفر اللاويين:٢٢ : ١٨). وهناك إشارات أخرى إلى رسالة القديس بولس الأولى إلى مؤمني كورنثوس، حيث يدين فيها صراحة المثلية الجنسية: « [...] أما تعلمون أن الظالمين لن يرثوا ملكوت الله ؟ لا تضلوا، فإن ملكوت الله لن يرثه الزناة ولا عابدو الأصنام ولا الفاسقون ولا المتخنثون ولا مضاجعو الذكور. ولا السراقون ولا الطماعون ولا السكيرون ولا الشتامون ولا المغتصبون» (٩-١٠ : ٥).

وإلى جوار التركيز على الطابع العاصي للمثلية الجنسية يسعى اليمين المسيحي لمنح خطابه بعدًا

عمليًّا، أو على الاقل بعدًا دنيويًّا بهدف إعطاء المشروعية لأطروحاته. وبينما يكافح المثليون جنسيًّا من أجل الاعتراف بالمثلية الجنسية كحالة طبيعية ومحددة وراثيًّا، يؤكد اليمين المسيحي أنها على العكس تمثل حالة اختيار لنمط حياة متعمد، ويفضي إلى سلوك مثير للعار ومدان. وكي يفند نظرية أن سلوك المثليين تحدده عوامل بيولوجية ووراثية يركز اليمين المسيحي على أعمال علماء نفس، معروف عنهم انتمائهم للمسيحية، وهما إليزابيت موبرلي وجوزيف نيكولوسي. في كتاب: «الجنسية المثلية: نحو أخلاق مسيحية» تؤكد موبرلي أن الجنسية المثلية هي نتيجة لخلل في علاقات الآباء / الأبناء عاشه الأبناء في طفولتهم المبكرة. وترى أن المثليين هم ضحايا لـ تماهي زائد بأمهاتهم، عائد لغياب الأب جسديًّا ومعنويًّا. أما بالنسبة للمثليات فإن هذا يعود، كما ترى موبرلي، إلى تعرضهن لاستغلال جنسي أو لعدم قدرة الأم على لعب دور النموذج»، (موبرلي،١٩٨٣م). وبالإضافة إلى وجهات النظر المشتركة هذه مع إليزابيث موبرلي يقوم جوزيف نيكولوسي بنقد عنيف للنظريات التي تتحدث عن الأصل الهورموني للمثلية الجنسية بتأكيده على أن المثلية الجنسية يمكن معالجتها عبر برنامج «علاج إصلاحي» (نيكولوسي، ١٩٩١م، نيكولوسي،١٩٩٣م).

يقدم هذا «العلاج» في شكل دورات تدريبية منظمة بواسطة الكنائس والجمعيات القريبة من اليمين المسيحي، مثل: أديرة التجديد المسيحي ومجلس البحث العائلي. وتدعى النساء أثناء هذه الدورات للتصالح مع الثياب والمكياج بينما يطلب من الرجال استعادة طريق رجولتهم. وحسب رأي كارولين فورست وفياميتا فينر «يثير هذا النمط من الدورات التدريبية أضرارًا جسدية درامية في الغالب» (فورست وفينر،٢٠٠٣م، ص١٢٣). وبالاستناد إلى أدلة تطرح المؤلفتان، نقلاً عن تقرير نشرته حملة حقوق الإنسان، الطابع الخطير لهذا الأمر: بعض المرضى خضعوا لجلسات كهربية، وإخصاء كيمائي وتناول هرمونات. وهناك إشارة أيضًا للجمعية الطبية الأمريكية ونقابة الأطباء الأميريكيين، والتي برغم توجهها المحافظ إلا أنها اتخذت مواقف ضد هذه «العلاجات» (ص١٢٣). غير أن اليمين المسيحي لا يبدو أنه تخلى عن هذه الطرق في «العلاج».

والحجة الأخرى التي أثارها اليمين المسيحي ضد المثلية الجنسية هي أنها تساهم في تدمير الأسرة. ليس فقط لأن الأمر يتعلق بممارسة جنسية خارج الزواج الشرعي، طالما أن الزواج مدرك على أنه اشتهاء الجنس الآخر، بل أيضًا لأن الأمر يتعلق تحديدًا بممارسة جنسية تنشد اللذة أكثر من الإنجاب، وهو ما يجعلها ممارسة حمقاء في نظر أنصار اليمين المسيحي الذين اعتادوا على

الأ يسمحوا بالنكاح إلا بما يسمح ببقاء الجنس. وفي هذا الأفق تمثل المثليات الشر المطلق لأنهن يدمرن أسطورة المرأة الخاضعة، طبيعيًّا، للرجل والتي مهمتها الوحيدة هي أن تكون «حاملة أبناء». وكذلك ينتقدون بعنف المثلية الجنسية الذكورية، التي تم تقليصها إلى مضاجعة شرجية. وحتى إذا كان الباعث على اشتهاء الجنس الآخر، في أغلب الأحوال، ليس باعث الإنجاب وإنما البحث عن اللذة والانشراح، فإن المثلية الجنسية تستخدم، في العمق، كشكل تكفيري عن نزعة متعية ونرجسية يراها اليمين المسيحي بالضرورة مخالفة لقيم المجتمع الأمريكي.

من جهة أخرى، تثير المثلية الجنسية لدى اليمين المسيحي معاني، مثل: الدنس،و الميوعة، والإنحراف،و الفساد والمرض ولا سيما الإيدز المنظور له كعقاب نابع من الغضب الإلهي. ويتهم اليمين المسيحي المثلين جنسيًّا بعمليات اختطاف يكون هدفها المفضل الأطفال. وبما أن المثليين جنسيًّا لا يمكنهم الإنجاب فإنهم يجندون أتباع شبان كطريقة وحيدة بالنسبة لهم لـ«التكاثر»!. وحتى يتم التأكد من ذلك يقول جيري فالويل: «يكفي قراءة أي جريدة أميريكية حتى تعثر على نماذج لاستغلال حقير من قبل المثليين جنسيًّا لأطفال وفتيات قصر» (فالويل،١٩٨١م، ص١٦٠). ويمثل الأطفال غنيمة سهلة ليس فقط لأنهم «ضعفاء» وإنما أيضًا لأن حالتهم الجنسية «قابلة للتطويع». وعلى المسار نفسه «تعيد أطروحات المرض والغواية والتذكير بالخطابات القديمة المناهضة للسامية» (هيرمان، ١٩٩٧م، ص٧٩) وكانت تظهر أيضًا بطريقة تعبوية في الخطابة الشيوعية. في الحقيقة ولفترات طويلة، كانت الأيديولوجية الشيوعية تتحدث عن المثلية الجنسية بوصفها « بذرة تصيب الأبرياء».

وبما أنهم مقتنعون بأن المثلية الجنسية يمكن أن تدرس بالمدارس بل حتى يمكن أن توقع في الفخ آخرين، لا سيما أن التلاميذ ينهمر عليهم سيل من المطبوعات التي تدعو إلى نمط حياة المثليين جنسيًّا فإن عددًا من أفرع اليمين المسيحي يخوض ملاحقة فعلية لطرد أو حتى مراقبة المعلمين المثليين جنسيًّا والمشتبه في أنهم يقومون بالتبشير بنمط حياتهم داخل الفصول الدراسية. وربما تكون «الشبكة التعليمية للمثليين والمثليات والمشتهين للجنس الآخر» قد نشرت دليلاً تربويًّا لاستخدام الأساتذة مزودًا بخطة منهج من ست نقاط موجهة إلى «إقناع الطلاب أن علاقات المثلية الجنسية هي علاقات معادلة للعلاقات التقليدية بين الرجل والمرأة». وكان تأثير مثل هذه الأقوال كبيرًا بما تتركه من اضطراب داخل أوساط المسئولين السياسيين، وكذلك بسبب تأثيرها على المواطنين ولا سيما آباء الطلاب. وهكذا، في عام (١٩٨٨م) وتحت ضغط

اليمين المسيحي وافق مجلس النواب في ولاية أوكلاهوما على قانون يمنع المدارس من توقيع عقود مع مؤسسات يعمل بها مثليون جنسيًا خوفًا من مضاجعة الغلمان.

يؤكد اليمين المسيحي على أن الجيش والإعلام يقع تحت سيطرة حركة المثليين والمثليات جنسيًا. والأسوأ من ذلك أن لا المؤسسات المدرسية والجامعات ولا الحكومة تفلت من ذلك. وبإعطاء مثل هذه القوة لحركة المثليين جنسيًا يسعى اليمين المسيحي، بدون شك، إلى زرع الاعتقاد بأن هذه الحركة تشكل خطرًا على المجتمع بأسره مع هدف إثارة ردود أفعال مملوءة بالحقد والضغينة ضد المثليين جنسيًا. وكما يؤكد ديدي هيرمان: «تشكل فكرة أن السلطة يمكن أن يستولي عليها المثليون، إحدى مكونات الخطابة المعادية للمثليين» (ص٨٤) في الواقع يتعلق الأمر هنا بإستراتيجية من الإستراتيجيات الأكثر قدمًا.

يتوافق الخطاب الكاره للمثليين لدى اليمين المسيحي مع ظهور حركة مثلية جنسية مناضلة في بداية سنوات السبعينيات. وفي أعقاب هجوم البوليس، في نهاية الستينيات على بارات المثليين تشكلت جمعيات للمثليين والمثليات بغرض هيكلة وتنظيم مطالبهم والتأثير على المقررين السياسيين من أجل الاعتراف الدستوري بهوية وثقافة المثليين. وفي هذا السياق، وكرد على الظهور المتعاظم للمثليين، وكرد أيضًا على ما يطرحه الإعلان عن مطالبهم من خطر على النظام الأخلاقي والاجتماعي تحالفت القوى المحافظة ضد جماعة المثليين والمثليات.

كان المحافظون السياسيون والدينيون، قبل ذلك، صامتين بصورة تقل أحيانًا وتكثر أحيانًا أخرى: طالما كان المثليون صامتين لم يكن هناك من شيء يدفع إلى الانشغال بهم. والآن، وقد خرجوا من الكهف[(٥)]، يطالبون بالحق في الكرامة والاعتراف بهم، فلم يعد أمام القوى المحافظة إلا أن تتحرك.«وكلما كسبت حركة حقوق المثليين والمثليات أراضي جديدة وحققت انتصارات ـ كما يقول ديدي هيرمان ـ زاد قلق المتدينون من غلاة المحافظين» (ص٤). ويعبر جيري فالويل عن هذا القلق الذي يثيره تحرك المثليين المتزايد: «لا يشكل المثليون أقلية صامتة، وإنما أقلية تريد إسماع مطالبها في أن تكون أقلية شرعية» (فالويل،١٩٨١م، ص ١٥٩). ونتيجة ذلك تعالت المواعظ والخطب الكارهة للمثليين، مشعلة مناخًا من الحقد سيفضي إلى وقوع ضحايا. كما ظهر أيضًا أدب غزير (كتب، شرائط فيديو، مجلات، صحف) تهدف إلى إيضاح ما هي المثلية الجنسية فعلاً، والتي تتمحور في النهاية حول مرافعة ضد حقوق المثليين والمثليات وتحريض على التحرك

ضدهم. ويعتبر النموذج الأوضح على ذلك كتاب تيم لاهاي المعنون: «ما الذي ينبغي على كل شخص أن يعرفه عن المثلية الجنسية» (١٩٧٨م).

ونظرًا لانتشار الإيدز، عاشت جماعه المثليين، سنوات الثمانينيات، كحالة حصار وصدمة أكثر من أي جماعة أخرى. كما شهد الخطاب الكاره لهم تشددًا كبيرًا. واقترح عدد من القادة الأصوليين وضع مرضى الإيدز في الحجر الصحي. واندفعت منظمات قريبة من اليمين المسيحي، مثل اتحاد الأسرة الأمريكية ومجلس البحث العائلي والتركيز على الأسرة، في اعتداءات أكثر عنفًا على المثليين وهم ينسبون إليهم كل الرذائل (مضاجعة الغلمان ومضاجعة ما هو محرم)[٦]. ويعزو وليام ران ماير ـ وهو متعاطف مع اليمين المسيحي وعضو بالكونجرس، حيث حاول حذف طابع السرية عن اختبار الإيدز(hiv- ظهور الإيدز إلى أسلوب الحياة «المنحرف» للمثليين. كما ساوى بين المثليين والمثليات و«الأعداء الخطرين» (دان ماير،١٩٨٩م، ص١٣٤) أو مثل «جيش جنكيزخان» (ص١٣٩) وأعلن: «علينا مكافحة المناضلين المثليين جنسيًّا، وإلا سيتم غزونا» (ص١٨).

منذ عام (١٩٩٣م) برزت مناقشات قومية، بمناسبة إصلاح النظام العسكري، حول المثلية الجنسية، والتي كان رهانها، في الحقيقة، يتعلق بوضعية المثليين في المجتمع بكامله. في الواقع، أراد الرئيس كلينتون رفع الحظر عن المثليين بالخدمة في الجيش، وهو منع قائم منذ عام (١٩٤٣م) وتعزز في فترة رئاسة رونالد ريجان في عام (١٩٨٢م). لكنه كان يواجه بمعارضة حازمة من جانب القيادات العسكرية المدعومة من قطاع كبير من أعضاء الكونجرس وعدد من الجمعيات النشطة. وتعددت الأعمال الإجرامية ضد جماعة المثليين بعد إعلان بيل كلينتون عن مقصده برفع هذا الحظر عن طريق مرسوم رئاسي بدون أن يسبق ذلك باستشارة قادة الكونجرس، أو أعلى المسئولين في رئاسة الأركان. وبعد نصف عام من الجدال، اضطر الرئيس كلينتون للتراجع خطوة للوراء، وفرض على المؤسسة كما على الجنود تجاهل هذا الأمر، أي لا تسأل عنه لدى البعض، ولا تفصح عنه لدى البعض الآخر، أي لا استجواب ولا إعلان [من قبل الطرفين].

طوال فترة التسعينيات اتخذ المحافظون، مدفوعين من قبل اليمين، المثليين كهدف لهم. ومع اقتراب الانتخابات، يتم استعادة الهجوم كل مرة، «برغم ما يسببه من ضرر لجمهوريين معتدلين، غير مهتمين كثيرًا بأن يتركوا أنفسهم ينغلقون ـ باسم حرب ثقافية ـ في نزعة متطرفة تكلفهم انتخابيا أكثر مما تفيدهم» (فاسين، ١٩٩٨م، ص٦٧). وحاول رئيس الأغلبية الجمهورية بمجلس

الشيوخ، ترنت لوت، أن يوقد شعلة المحافظين بتأكيده على أن المثلية الجنسية مرض ينبغي أن يعالج. والأكثر خطورة أيضًا، أنه في شهر أكتوبر من العام ذاته، وأثناء دفن ماتيوشيبارد الذي اغتيل بوحشية في ويمونج، لسبب وحيد هو أنه كان طالبًا مثليًّا يبلغ من العمر ٢١ سنة، قامت مجموعة من المتعاطفين مع جمعية الأسرة الأمريكية، مثل القس فردفليس مؤسس كنيسة ويستبورو المعمدانية، بحمل لوحات أمام آباء الضحية صارت شعارًا شائعًا «الله يكره المثليين»(٧).

أدت المطالب التي أعلنها المثليون، في بداية التسعينيات من أجل الاعتراف بالزواج بين أشخاص من الجنس نفسه، إلى اندلاع معركة عنيفة بين اليمين المسيحي وجماعة المثليين والمثليات(٨). واليوم تتركز سياسة المثليين، بصورة رئيسية، في العمل من أجل الاعتراف الاجتماعي والقانوني بالزوجين من الجنس ذاته. ويتأسس هذا المطلب الذي يشغل منذ سنوات مركز المناقشة والحوار في أمريكا على المساواة في الأوضاع والحقوق بين الأقلية المثلية والأغلبية التي تشتهي الجنس الآخر.

يعتبر المثليون النشيطون أن معركتهم هي امتداد لمعركة السود والهنود الحمر. ولم يكن هذا موقف اليمين المسيحي فاتحاد الرجل والمرأة هو المؤسسة الإنسانية الأكثر قدمًا، والتي كرمتها وشجعتها كل الثقافات وكل الأديان. وينبغي إذن منع زواج المثليين،لأنه يفضي إلى تفكيك الروابط التي تجمع بين الممارسة الجنسية والزواج وبين الإنجاب وتعليم الأطفال، كما أنه يفضي إلى التشكيك الجذري في وضعية الأسرة. وهنا أيضًا يركز اليمين المسيحي على «الغايات الفعلية » للزواج أي الإنجاب. وإذا أصبح الزواج مفتوحًا للمثليين، فإن هذا يعني أنه لم يعد مرحلة ضرورية للإنجاب، وإنما صار عقدًا موجهًا لتنظيم الحياة المشتركة لشخصين متفاهمين. ويطالب اليمين المسيحي في مواجهة هذا الخطر بالتصويت على تعديل دستوري يمنع الزواج بين الأشخاص من الجنس نفسه. غير أن العالم الديني يبدو منقسمًا بشدة : فسلطات دينية عديدة (يهودية، مشيخية وأيضًا بوذية) تبدو أكثر انفتاحًا حول هذه المسألة. وتحاول ليس فقط تعزيز المساندة الدينية للكفاح من أجل زواج المثليين وإنما يصل الأمر بهم أيضًا إلى المشاركة بحفلات الزواج التي توحد بين اثنين من الجنس نفسه.

انفجرت مسألة زواج المثليين، في وضح النهار، في ٥ مايو عام (١٩٩٣م)، بالولايات المتحدة، عندما قررت المحكمة العليا بولاية هاواي إعلان الحكم في قضية بيهير لوين، وكان

قرارًا تاريخيًّا يفتح الطريق إلى بعض الأمل للمرة الأولى لدى البعض بحدوث تطور نحو تشريع يسمح بالزواج بين المثليين. وفي كل الأحوال يقر هذا الحكم بأن رفض المحكمة الابتدائية في هذه القضية بالتحديد بإعطاء تصريح الزواج (لثلاثة أزواج من المثليين) يعتبر خرقًا للدستور بالاستناد إلى واقع أن التمييز على أساس الجنس ممنوع بنص الدستور. غير أن هذه القضية أعيد النظر فيها من قبل محكمة أدنى بطلب من الولاية التي كان عليها أن تثبت أن لديها أسبابًا وجيهة للتمييز وفقًا للجنس ذاته باسم مبدأ عدم التمييز، غير أن القرار قد تم تعليقه أثناء استئناف الولاية لدى المحكمة العليا بهاواي(٩).

بعد هذا الحكم في عام (١٩٩٣م) شهدت أكثر من ثلاثة أرباع الولايات مقترحات قانونية تحد من زواج المثليين. وفي يونيو ٢٠٠٣، احتوت سبع وثلاثون ولاية على مثل هذه القوانين أو التعديلات بدستورهم. من جهه أخرى صوت الكونجرس، على المستوى الفيدرالي، في عام (١٩٩٦م)، على قانون حماية الزواج الذي يسمح مقدمًا للولايات بألا تقر زواج المثليين الذي يكون قد أبرم في ولاية هاواي أو غيرها. ويمنع هذا القانون أيضًا أى وكالة فيدرالية أن تقر هذا الزواج بين رجلين أو امرأتين. ووقع الرئيس كلينتون، في سبتمبر عام (١٩٩٦م)، القانون بدون أن يستخدم حقه في الاعتراض. وفي هذه الفترة كان جون كيري من ضمن أربعة عشر سيناتورًا من الذين أعلنوا معارضتهم. ومؤخرًا أصدر الكونجرس مرسومًا يشير إلى أن «أى ولاية لا يمكن أن ترغم على أن تقتفي أثر ولاية أخرى بصدد العلاقات بين أشخاص من نفس الجنس». والنتيجة أن المثليين والمثليات الأمريكيين والأمريكيات لم يكن لهم دائمًا الحق في الزواج، باستثناء ولاية ريفية صغيرة هي ولاية فيرمونت (تحتوى ما يقرب من ستمائة ألف ساكن)، حيث أعلنت المحكمة العليا في ٢٠ ديسمبر عام (١٩٩٩م)، في قضية ولاية فيرمونت/ بيكر، أن على الولاية أن تعطي للأزواج من الجنس نفسه، إذا أرادوا الحقوق نفسها التي تمنحها للأزواج [العاديين].

صار ملف زواج المثليين ملفًا ساخنًا ورهانًا قويًّا في حملة انتخابات عام (٢٠٠٤م)، وذلك منذ أن صرحت المحكمة العليا بولاية ماساشوستس(بأربعة أصوات مقابل ثلاثة)، في ١٨ نوفمبر عام (٢٠٠٣م)، بإمكانية الاتحاد [الزواج] بين أشخاص من الجنس نفسه مؤكدة «على أن المثليين ينبغي أن يتمتعوا الحقوق نفسها التي يتمتع بها الأزواج العاديون». بالنسبة للقضاة، فالزواج كان مؤسسة تطورية: فحقيقة الزواج إذن لم تكن موصي بها من الأديان وإنما أملتها ظروف اجتماعية، وأدى تغير المجتمع إلى تغير الزواج. من جهه أخرى استندت قرارات

المحكمة على نص من دستور ولاية ماساشوستس،حيث يرى القضاة أنه لا يحدد بدقة إن كان الزواج ينبغي أن يكون بين أشخاص من جنسين مغايرين. وأعطت المحكمة مهلة ١٨٠ يوما لكونجرس الولاية للتصديق على ذلك.

أمام العداوة الغالبة لدى الرأي العام اقترح النواب حلاً وسطًا على قاعدة عقد اتحاد [زواج] مدني (مشابه لنظيره الفرنسي) يكون له وضعية تسمح بالاستفادة من بعض المزايا، غير أنه لم يكن معترفًا به إلا في الولاية آلتي صدر منها. وهو ما رفضته المحكمة في ٤ فبراير عام (٢٠٠٤م) مع تحديد يسمح هذا القرار للمثليين بالزواج بدءً من شهر مايو. وفي الواقع، صدرت أول شهادة زواج للمثليين في ١٧ مايو عام (٢٠٠٤م) في كامبردج بولاية ماساشوستس(ميهرن ٢٠٠٤م). وكما هو متوقع أثار هذا القرار رد فعل معاد من قبل المحافظين، الذين يطالبون ـ مع مساندة الرئيس جورج بوش ـ بتعديل الدستور الفيدرالي بغرض منع زواج المثليين.

في سان فرانسيسكو، في ١٢ فبراير عام (٢٠٠٤م) صدرت شهادات زواج لأكثر من ثلاثة آلاف زواج من الجنس نفسه . وإضافة للبلبلة، في قرية صغيرة بولاية نيويورك هي باليتس الجديدة، بدأ العمدة الديمقراطي الشاب بالاحتفال، عبر حفلات قصيرة، بالزواج من الجنس نفسه. وفي الولايات المعنية تحرك الرئيس بوش مصرحًا أن المسافة القائمة بالمقارنة مع القانون كانت نتيجة لعمل «مجموعة من القضاة المعبئين»،وأن الزواج في نظره، كان «المؤسسة الأكثر جوهرية في العالم المتحضر» .

أثناء الحملة الانتخابية في عام (٢٠٠٤م)، حظر عدة قضاة إنجيليين جورج بوش بأنه إذا لم يدعم تعديل الدستور لمنع الزواج بين أشخاص من الجنس نفسه في كل أنحاء البلاد فانهم سيمتنعون، عندما تحين اللحظة، عن الذهاب إلى صناديق الانتخابات. ووجد الرئيس نفسه بين نارين، فإذا دعم هذا التعديل فهو يعرف أنه سيبعد عنه على الفور جانب مهم من الناخبين الجمهوريين المعتدلين. ومع أن برنامج الحزب الجمهوري الذي أقر أثناء المؤتمر القومي كان واضحًا في هذا الأمر: أثناء فترة رئاسته الثانية وعد جورج بوش بالعمل من أجل دفع الكونجرس على إعلان إجراء إصلاح دستوري يحد ويحمى مؤسسة الزواج.

كانت مبادرة الرئيس ذات طبيعه سياسية تمامًا، إذ قرر دعم التعديل الدستورى الذي ليس فقط يقصر الزواج على الاقتران بين رجل وامرأة، وإنما فضلاً عن ذلك، يمنع أيضًا عقود الاقتران

[الزواج] المدني، وذلك حتى يضمن ولاء القاعدة المحافظة ولا سيما اليمين المسيحي الذي بدونه لا يمكنه الفوز بانتخابات ٢ نوفمبر عام (٢٠٠٤م). وكان يعرف أنه من غير المحتمل أن مثل هذا التعديل الدستوري يمكن التصويت له، وذلك لأسباب ثلاث : فهذه عملية معقدة وتتطلب دعمًا واسعًا، لأنه ينبغي أن يتم إقرار التعديل من قبل ثلثي أعضاء الكونجرس ثم التصديق عليه من قبل ثلاثة وثلاثين ولاية من الخمسين: وكثير من النواب، من ضمنهم جمهوريون، يرون أن الدستور ليس هو المكان المناسب لتقنين فعل خاص مثل الزواج، وكثير من النواب، بما فيهم جمهوريون مرة أخرى، ليس لديهم أى رغبة في أن يتورطوا في مثل هذه المناقشة التى توجه ضربات أكثر مما تعطي زهورًا. غير أنه إذا تم إقرار هذا التعديل الدستوري فإن ذلك سيكون ثورة قانونية : إذ لأول مرة بالولايات المتحدة سيكون هناك تمييز دستوري. وحتى الآن فإن ولاية ماساشوستس هي الولاية التي تسمح بزواج المثليين، بينما ولاية فيرمونت وكونيكتكويت، منذ إبريل عام (٢٠٠٤)، تسمح بالاقتران بين المثليين. وعلى العكس،هناك ثماني وثلاثون ولاية مزودة بتشريعات تحرم الزواج بين أشخاص من الجنس نفسه. وأخيرًا ينبغي معرفة أن مجلس الشيوخ قد رفض، في ١٤ يوليو عام (٢٠٠٤م) مبدأ التعديل بالدستور.

يأمل جورج بوش من خلال اليمين المسيحي أن يحقق مصداقية موقف أخلاقي متشدد، وفي الوقت نفسه لا يريد أن يتحمل مسئولية ردود الأفعال التي يمكن أن تحدث عن تعديل يمنع زواج المثليين، لأنه إذا كانت استطلاعات الرأى اليوم توضح أن أغلبية ضعيفة (٣٥٪ وفقًا لصحيفة واشنطن بوست) من الأمريكيين يعارضون زواج المثليين، فإن هذا يعنى أنها مسألة في حالة تطور كامل. وهذا يعنى أن المعركة بعيدة عن أن تكون قد إنتهت.

(٥) إضعاف الدولة والرهان على اقتصاد السوق

يتمسك اليمين المسيحي بخطاب عنيف، بشكل خاص، ضد الدولة التي يرون أنها قوية أكثر من اللازم. وإحدى الحجج التي ركز عليها بإلحاح تتمثل في القول إن تعاظم دور الحكومة الفيدرالية يفضي بالضرورة إلى انتهاك استقلال وحرية الفرد. وتستلهم وجهه النظر هذه، والتي ليست بالجديدة، جذورها من نزعة بدائية في مناهضة الدولة والتي تركز على تبني نزعة فردية متطرفة وعلى الدفاع المستميت عن الحريات الفردية. في الواقع، يمكن فهم الانتقادات التي يواجهها اليمين المسيحي ضد الدولة فهمًا جيدًا بالرجوع إلى القناعة المنتشرة على نطاق واسع

داخل المجتمع الأمريكي، والتى مفادها أن لا مكان للدولة في الحلم الأمريكي طالما أنه من الحقيقي أن الولايات المتحدة هي منتج مستمر يخلقه الأفراد وليست من إنتاج السلطات المركزية كما هو الحال بالنسبة للأمم الأوروبية. ووفق هذه الطريقة من التفكير فإن المواطن المتوسط ليس في حاجة إلى نجدة الدولة حتى ينجح في حياته. وينظرون إلى الفقراء بوصفهم نتيجة للتواطؤ المذنب للحكومات آلتي تميل إلى رعاية المواطنين بدلاً من تشجيع روح المبادرة لديهم. وليس هناك شيء يعلو على الحرية والاستحقاق الفردي الذي ينظر إليهما على أنهما من القيم الجوهرية. فتدخل الدولة يظل في نظرهم أمرًا مشتبهًا فيه: وخارج قضايا الأمن الداخلي والخارجي يفضل كثير من الأمريكيين السوق على الدولة، التي وفقًا لوجهة النظر هذه ينبغي أن تكون الدولة وسيلة وليست غاية. أما فيما يتعلق بالسوق فينبغي أن يظل بدون تقنين أو معوقات، و هكذا يمكن للمرء أن يدرك أن تضخم البيروقراطية وإدارة واشنطن يستشعر بهما بشدة على أنهما يشكلان خطرًا على الحريات الفردية ونيلاً من الأخلاق القومية.

تعود النزعة الأمريكية المعادية للدولة إلى جذور بعيدة تصل إلى المرحلة الاستعمارية. في الواقع نشأت هذه النزعة كرد فعل على الطغيان الذي كانت بريطانيا تفرضه على مستعمراتها في أمريكا اللاتينية ولأسباب سياسية، وخاصة اقتصادية، لم يتردد التاج البريطاني عن ممارسة سلطته بصورة فيها تجاوز، على رعاياه فيما وراء البحار. وأدرك هؤلاء مبكرًا أنه يعود للمجتمع العمل على تشجيع الخير العام وفقًا للإرادة العامة أكثر من حكومة مستنزفة من خارج المجتمع. وكان العامل الآخر الذي ساهم في تصاعد الشك تجاه الدولة يعود إلى الفكرة التي طورتها الجماعات البيوريتانية الأولى التي ترى أن الله لا يمكن أن يعبد حق العبادة إلا من خلال جماعة صغيرة الحجم، تعيش تحت ظل الضمير الأخلاقي الموجود داخل كل فرد.

كان هذا العداء للدولة المركزية يؤيده أيضًا بقوة أغلب الآباء المؤسسين المتأثرين بفلسفة الأنوار(١٠)، وبالمفكرين الإنجليز كوليام جودوين ولا سيما جون لوك الذي يرى أن «أفضل حكومة هي تلك الحكومة التي تحكم بصورة أقل». وكان الآباء المؤسسين يؤكدون، في إثر المفكرين، أن وظيفة الحكومة ينبغي أن تنحصر في حماية الفرد من اعتداءات أقرانه، وكذلك في ميدان السياسة الخارجية .

ينتقد كثير من الأمريكيين واقع أن الدولة الفيدرالية لم تعد في أيدي الشعب كما أراد

المؤسسون للبلد. لقد صارت آلة غير إنسانية يديرها بيروقراطيون لا يهتمون كثيرًا بمصالح الشعب طالما هم معزولون عنه. وفي النهاية، يمكن أن نعزو التشكك في الدولة ـ متتبعين في هذا تحليل المؤرخ فيدرك جاكسون تيرنر ـ إلى التراث الفردي للحدود. في دراسته الشهيرة: مغزى الحدود في تاريخ أمريكا عام (١٨٩٣م) يفسر تيرنر الدور الحاسم للحدود في تشكيل الطابع الأمريكي، الذي تكون النزعة الفردية إحدى عناصره الجوهرية: «هذه البساطة الفجة، وهذه القوة الموصولة بحدة الذهن، وهذا التطلع الجريء، ودهاء العقل العملي، الذي يجيد التصرف، وهذه الوسيلة في التعامل مع ما هو غير متوقع، وهذه السيطرة على العالم المادي، وهذا الغياب للحس الفنى، لكن هذه الطاقة التي لا تهدأ عندما يتعلق المرء بإنجاز مشروعات كبيرة، وهذه النزعة الفردية، قادرة في السراء والضراء، وإلى جوار هذا، تلك الخفة وهذه الحيوية المنطلقة من الحرية» (تيرنر، ١٩٦٢م، ص٥٢).

يشهد تاريخ الولايات المتحدة، منذ بدايته، على أن الأجهزة الحكومية صممت على أن يعهد بها إلى وكلاء من القطاع الخاص. وكان هذا هو الحال، من بين آخرين، في السكك الحديدية والاتصالات. وحتى الأمن القومى، الذي ينتمي أكثرمن غيره للدولة، وقد تم النظر إليه اختياريًّا على أنه يدار بشكل أفضل من خلال بعض أفراد. وبالنسبة للكثير من الأمريكيين فإن خصصة الإعانات الاجتماعية بدأت في السنوات الأخيرة تشكل نوعاً من التصحيح أكثر منه شيئًا غير طبيعي. ويبدو إذن أن أصل العداء للدولة يوجد في الحقد على الدولة الفيدرالية وكل ما تمثله. وكانت المؤشرات الأولى مثيرة للغاية. «إن تقليص صلاحيات الدولة الفيدرالية وتخفيض الضرائب، كما يؤكد أنطوان موريس، يعنى إعادة اكتشاف الطموحات المؤسسة للديموقراطية الأمريكية التي ترفض السلطة والحكومة في شكلهـا الحديث كآلات استبدادية مركزية وتعسفية. ولم يكن هناك قبول للدولة إلا حينما تكون الخدمات التى تقدمهـا لا يمكن للآخـرين أن يقوموا بها» (موريس، ١٩٩٨م، ص٣٥-٣٦).

يعيب اليمين المسيحي على الليبراليين أنهم ساهموا في تعزيز الحكومة الفيدرالية، كظاهرة يعتبرونها مسئولة عن أحد الانحرافات الكبرى في النظام السياسي الأمريكي. ففي القرن العشرين وبفضل الحركة التقدمية (١٩٠١ - ١٩١٤م) و الصفقة الجديدة لفرانكلين روزفلت (سنوات الثلاثينيات) رأت الحكومة الفيدرالية دورها يتعاظم وبشكل جوهري بطريقة غير مألوفة. وفي فترة أكثر قربًا منا كان لنمو سلطان الدولة وكذلك تكون بيروقراطية واسعة

متحكمة في مساحات كبيرة من المعلومات والمعارف أن أعطى لها نفوذًا متعاظمًا في نظام حرية التعبير. «هذا التدخل من الدولة في سوق الأفكار قد دعمه الاتجاه الحديث إلى جعل الرقابة الاجتماعية أقل عسفًا وأكثر إقناعًا» (مايالي،٢٠٠٢م، ص٧٧). وفي أيامنا هذه تجند الدولة أفرادًا للقوات المسلحة وتعلم المواطنين في ميادين الصحة والأمن. وتتدخل أيضًا في الرأي العام مع إنشاء الجامعات وقنوات التليفزيون والراديو وتنفيذ برامج إرشادية مثل برامج تنظيم الأسرة. وتتحكم الدولة في بعض الأماكن العامة مثل الحدائق والميادين والأندية الكبيرة والبيوت العامة المفتوحة تقليديًا للجميع، وتحصل هذه المنتديات على أموال عامة من أجل البناء والصيانة. والحال أنه ليس من النادر أن نجد بعض دافعي الضرائب يحتجون على الآراء التي يعبر عنها في هذه الأماكن الممولة من الخزينة العامة.

لا يترك اليمين المسيحي فرصة إلا ويدين فيها دولة الرعاية (دولة ويلفار) التي تأسست مع «الصفقة الجديدة» والتي تعززت بالمجتمع الكبير. فهي تمثل بالنسبة له إنتهاكاً خطيراً للقيم الأمريكية ولا سيما الأخلاق السامية وأخلاق العمل.

وهكذا ينادي خطابه بتقليص برامج المساعدة الاجتماعية للفقراء (المعونات العائلية والغذائية وكوبونات المواصلات المجانية) وتقليص الميزانية الموجهة للتمويل العام لنظام الضمان الاجتماعي. كما أدان اليمين المسيحي أيضًا نظام التمييز الايجابي، وهو سياسة تفرض على المؤسسات العامة والخاصة توظيف نسبة معينة من أبناء الأقليات مساوية لنسبتهم بين السكان المحليين.

لكن ماذا يعيب اليمين المسيحي تحديدًا على دولة الرعاية ؟ ليس فقط أن برامج المساعدة الاجتماعية، التي تشكل حجر الأساس في دولة الرعاية مكلفة، وفي تناقض مع الفكرة التقليدية للمساواة في الفرص، وإنما أيضًا تشجع التبعية الشخصية وتفكك النزعة الفردية وتخرب شخصية المستفيدين منها وتقلل من قيمة العمل وفائدة الأسرة. ويرى خصوم دولة الرعاية أن المساعدة الاجتماعية ترفع مستوى الإعانات أعلى من مستوى الدخول الأكثر تواضعًا، وتشجع بذلك على البطالة والتبعية أكثر من العمل. ويوضح شارل موري، وهو من غلاة المحافظين، في كتابه، LOSING GROUND، أن المساعدات العامة للفقراء لا تخرجهم من الفقر، وإنما تسجنهم في حالة تبعية دائمة (موري، ١٩٨٦م). ومن بين المساعدات الأكثر شرًا، كما يرى موري، المساعدات للأمهات غير المتزوجات، فهذه المساعدة تشجع الشابات في سن مبكرة جدًا على الإنجاب خارج مؤسسة الزواج وعلى ألا يعملن. فالدولة التي تنظم تبعية الأفراد لها، كما

يرى اليمين المسيحي، لا يمكن إلا أن تضعف قدرة الشعب على تنظيم نفسه. ووفق هذا المنطق «كلما اتسعت الدولة واندمجت كان السكان في حالة تبعية والعرض يخلق بالتالي الطلب» (موريس، ١٩٨٨م، ص٤٥). وبما أن الإعانات الاجتماعية تخلق الفقر فإنه يكفي حذفها حتى لا يعد هناك فقراء. ولا يمكن إلغاء الإعانات العامة إلا أن يكون عملا منقذاً طالما يسمح للمستفيدين القدامى منها أن يستعيدوا استقلالهم ويكافحوا من أجل استعادة مكانتهم. فلا يوجد إذن مخرج من الفقر، وكما يرى اليمين المسيحي، بدون مساهمة فعالة من الفرد . وبالإضافة إلى ذلك فإن الأموال المكرسة للإعانات العامة يمكن أن يستفاد منها بصورة أفضل عبر الصناعات التي لم ـ كما يقولون ـ أكثر تنافسية بسبب نقص الأموال للاستثمار وتحديث الآلات.

وبالتوازي مع تقليص النفقات الاجتماعية يلح اليمين المسيحي على تخفيض الضرائب وتخفيض عدد الموظفين [الحكوميين]. وكذلك تمكين اقتصاد السوق. ويشهد برنامجه على عزمه إعطاء السوق الخاصة كل أهميتها وسلطتها. وينبغي أن يحرر المشروع الخاص من كل المعوقات الإدارية والضرائب المفرطة . وتعتبر العودة إلى القطاع الخاص والخصخصة وإلغاء كل ما يعوق المشروع الخاص، وتخفيض القواعد التنظيمية الملزمة للسياسة الاقتصادية من الأساسيات التي يدعو إليها اليمين المسيحي. والهدف هو إعادة وظيفة السوق إلى مكانتها بعد أن أصابها الاضطراب نتيجة تعاظم نزعة التدخل الفيدرالية.

وبالتأكيد على أن المشروع الخاص «مذكور بشكل واضح في سفر الأمثال» يريد فالويل إعطاء مشروعية للرأسمالية وآلية النمو الاقتصادي (فالويل، ١٩٨١م، ص١٢). ويشدد على أن الحكومة تبتعد عن دورها في حماية حقوق وحريات المواطنين عندما تتدخل في غير ما يجب في الحياة الاقتصادية. ويصل إلى أن الدولة عندما «لم تعد على ظهر المشروعات الخاصة» فان النمو والاستقرار والأسعار والعمل يعودون إلى الحالة الطبيعية. ومن خلال النظر من هذه الزاوية فإن الاقتصاد الدينامي مع النمو القوي يصيران التعبير الأسمى عن النزعة الوطنية والإيمان بالديمقراطية والإيمان بالله. وبالنسبة لليمين المسيحي فالأفراد المستقلون[غير الحكومين] فقط هم العقلانيون. أما الدولة فليست كذلك أبدا. والأسوأ من ذلك أنها تقتل المشروع الخاص والمبادرة الحرة . ولجعلها غير هجومية ولكن فعالة أيضًا يكفي إدارتها كمشروع خاص. ويكفي أيضًا منح إمكانية العمل بحرية لكل فرد حتى يستعاد الحلم الأمريكي الذي دمره النموذج

الكينزي(*) المهيمن على الحياة الاقتصادية. وفي أحلامهم، نجد عدداً من أنصار اليمين المسيحي «يتنبؤون، على غرار الماركسيين، بزوال الدولة التي قد تصير وهمية من خلال مجيء مجتمع تابع بصورة ملائمة لقوى السوق» (موريس،١٩٩٨م، ص٤٥).

مع صعود رونالد ريجان إلى السلطة في عام (١٩٨٠م) ومجيء «الثورة المحافظة» شهدت وجهات نظر اليمين المسيحي، فيما يتعلق بالاقتصاد، أول تجسيد عملي لها. وعندما تكلم بمناسبة اضطلاعه بمهام عمله، في يناير عام (١٩٨١م)، تحدث الرئيس ريجان عن الاقتصاد قبل أي شيء. وعدد الأوجاع التي يعاني منها وطنه: التضخم، والبطالة، والضرائب المسرفة، وعجز الميزانية. ثم لخص تحليله في عبارة أخاذة: «في الأزمة الراهنة ليس اللجوء إلى الحكومة حلاً للمشكلة. المشكلة هي الحكومة» . و يكمن كل برنامج ريجان، الذي جعل من الاسرة والعمل والقيم الأخلاقية الشعارات الأساسية لحملته الانتخابية في هذه السطور: الابتعاد عن خمسين عاماً من التدخل المتعاظم للدوله الفيدرالية في الاقتصاد والمجتمع، والتمسك من جديد بالقيم التي صنعت قوة ومجد أمريكا، تحرير قوى السوق والرهان عليها لاستعادة، الرفاهية.

يتضمن البرنامج الاقتصادى للرئيس ريجان، والذي عرف باسم، «ريجانوميك»،خليطًا من النزعة النقدية واقتصاد العرض وتقليص الضرائب ودور الدولة والإدارة المتسببة لعجز الميزانية. وتحت تأثير هذا البرنامج (ريجانوميك) صار تكوين الثروة هو المرتكز الرئيسي للفعالية الاقتصادية وفى الوقت نفسه واجبًا أخلاقيًّا. ولم يعد هدف الحياة الاقتصادية هو سعادة جميع الأفراد وإنما النجاح المادي للأكثر قدرة. وفى تفكير أنصار اقتصاد السوق فإن نجاح بعض الأفراد ينبغى أن يعود بالخيرعلى الأغلبية ولا سيما المهمشين.

من بين ما حققه الرئيس ريجان سيسجل التاريخ بالتاكيد انخفاض التضخم المالي الذي انتهى المرء إلى استبعاد حدوثه. وفضلاً عن ذلك، فهذا الازدهار الاقتصادي للولايات المتحدة وقدرة اقتصادها على خلق وظائف جديدة جعل العالم بأسره، في الثمانينيات، يتطلع إلى تحقيق ما حققته. ولا سيما أن استئناف الازدهار الاقتصادى قد تم بسهولة جعلت أصحاب المشروعات يحصلون

(*) النموذج الكينزي : يعود إلى الاقتصادي البريطاني جون مينارد كينز (١٨٨٣ – ١٩٤٦م) مؤلف كتاب: «النظرية العامة في التشغيل والفائدة والنفوذ» (١٩٣٦م)، والذي عارض فيه النظرية الكلاسيكية التي كانت من المسلمات آنذاك. ومن أهم ما تقوم ـ عليه نظريته أن الدولة تستطيع من خلال سياسة الضرائب والسياسة المالية والنقدية أن تتحكم بما يسمى الدورات الاقتصادية. (المترجم).

من جديد على تسهيلات كبيرة فى الحركة، حيث إن إدارة ريجان قلصت قوة نقابات العمال، وكذلك قلصت تدخلات الدولة الفيدرالية خاصة من خلال تخفيف اللوائح والقيود الإدارية (بيزانى ـ فيرى، ١٩٨٨م). غير أن ريجان سيظل الرئيس الذى قلص بصورة كبيرة الميزانيات الاجتماعية وخاصة المساعدات الاجتماعية للأكثر تهميشًا، وكذلك الميزانيات الخاصة ببرامج الصحة. وتم أيضًا، إلغاء كثير من اللوائح والقوانين التي نفذها جونسون وكارتر لتسهيل الاندماج الاجتماعى للمهمشين والأقليات. وفاقم تخفيض النفقات الاجتماعية للحكومة الفيدرالية من وضع المهمَّشين أثناء التحسن الاقتصادى. ووجد كثير من الفقراء أنفسهم محرومين من الرفاهية المستعادة. ووفقًا لتقرير مكتب الإحصاء والمنشور في أغسطس عام (١٩٨٣م)، ارتفع عدد الفقراء إلى٤, ٣٤ مليونًا. ولنضف إلى ذلك أن النفقات العسكرية ارتفعت بصورة كبيرة، بينما تم تخفيض الميزانيات الاجتماعية إلى درجة كبيرة.

امتدت فترة ريجان مع نائب الرئيس السابق جورج بوش الذى سيخلفه فى عام (١٩٨٨م). ولم يتوقف «تأثير ريجان» إلا في عام (١٩٩٢م) وهو تاريخ انتخاب الديمقراطي بيل كلينتون للرئاسة الأمريكية. وأيضًا لم يتردد هذا الاخير رغم أنه ديمقراطى أن يستعيد بعض عناصر خطاب الحزب الجمهورى، وذلك تحت تأثير ضغط الجمهوريين وهم أغلبية بالكونجرس منذ عام (١٩٩٤م). فى الواقع، تميزت رئاسة كلينتون بمواجهة عنيفة بينه وبين نيوت جنجريتش الرئيس الجمهورى لمجلس النواب، كما تميزت، فى الوقت نفسه، بتوجه الرئيس الديمقراطي نحو اليمين. وكان نيوت جنجريتش وثلاثة وسبعون من المنتخبين الجمهوريين، ومن أعلام، «الثورة الجمهورية» ، على قناعة بأن الطريق الأمريكي نحو التقدم يمر عبر تخفيض بل الحذف الجزئي لسلطات الإدارة المركزية باستثناء صلاحياتها فى مسألة السيادة. وكانوا يرون أنه من الضرورى «تخسيس» الدولة لتحرير الاقتصاد، والعودة بالمهام العامة إلى المستوى المحلي، واستثمار المواطنين والمجتمع بقدرات لم يكن واجبًا قط أن تنزع عنهم. ووفقًا لـ «العقد مع أمريكا» الذي أعده نيوت جنجريتش هاجم النواب الجمهوريون الشبان الضمان الاجتماعي (وكذلك أيضًا الإعانات المكرسة للفقراء في مجال التأمين الصحي والمعاشات). وكان من نتيجة الفشل المدوي لبرنامج إصلاح التأمين الصحى الذى عهد به الرئيس كلينتون إلى زوجته هيلارى أن منح هذه الانطلاقة مظهرًا لا يقاوم(١١).

فى خطابه حول حالة الاتحاد فى عام (١٩٩٦م) صرح بيل كلينتون بأن (عصر الدولة المكلفة

بكل شيء قد رحل). وبعد ذلك بعدة أشهر أيد مشروعًا يفرض تقييدات على المساعدات المكرسة للأسر التي ترعى أطفالاً (AFDC) وللأمهات بدون زواج الأقل من ثمانية عشر عامًا. وهذه الإعانة التي تعود لسنوات الثلاثينيات، والتي كانت تستفيد منها الأرامل في البداية، لم تكن مصحوبة بأي شرط. غير أن المستفيدات الرئيسيات منها ابتداء من سنوات الستينيات كانوا من الأمهات غير المتزوجات مع نسبة كبيرة من الزنجيات. وقد حرم تصديق بيل كليتون على هذا المشروع عددًا كبيرًا من الأمهات والأطفال والفقراء من الإعانة.

نظرا لاقتناعه بالآثار السيئة للدولة القوية أكثر من اللازم اعتبر جورج دبليو بوش أن تشجيع المبادرات الفردية والكنسية يمكن أن يكون أكثر فعالية من الدولة في معالجة المطالب الاجتماعية. وفى عام (٢٠٠٢م)، وكان قد وصل لتوه إلى البيت الأبيض أسس مكتبًا للمبادرات ذات الطبيعة الدينية والطائفية موجه لإدماج مبادرات قديمة ذات طبيعة طائفية ترعاها الدولة في مجالات الخدمات الاجتماعية والتعليم. وفى السابق عندما كان حاكما لولاية تكساس اقترح منذ عام (١٩٩٦م) مشروعًا لـ «الاختيار الإحساني» (مدمج في مرسوم إصلاح ويلفار)(*) يسمح للولايات منح جمعيات إنسانية وتنظيمات طائفية مهام عمل هيئات اجتماعية مختلفة مقابل أموال فيدرالية. وسنرى في الفصل التالي أن المبادرات المؤسسة على الإيمان تثير جدلاً كبيرًا، فكثير من المراقبين يؤكدون على أنها قد تفضي إلى إبطال التعديل الدستوري الأول وإلغاء الفصل بين الكنيسة والدولة.

لكن بلاغة اليمين المسيحى المناهضة للدولة تقف عند حدود معينة. وبينما لا يحبذ نزعة التدخل لدى الدولة الفيدرالية التى يطالب بإزالتها، يطلب اليمين المسيحي من السلطات العامة التدخل في الاختيارات الشخصية ولا سيما في مسالة الإجهاض. وفوق ذلك يطالب الإنجيليون والأصوليون بمدراس دينية ممولة من الدولة.

في الحقيقة لا اليمين المسيحي ولا السياسيون المحافظون توصلوا إلى تغير الاتجاه المركزي المستمر منذ قرن. وحتى في فترة ريجان تضاعفت ميزانية الضمان الاجتماعى. والأكثر من ذلك أن «اعتداءات ١١ سبتمبر كانت عاملاً مشجعًا على تعزيز كل أنواع التحكم والمركزيات، فتخفيف

(*) دولة ويلفار[الرعاية] : نظام يرى أن حماية رفاهية السكان فيما يتعلق بالصحة والضمان الاجتماعي والإسكان وحتى العمل تقع ضمن مسئوليات السلطات العامة (المترجم).

القوانين الحامية للمواطنين والفقدان المتزايد لأي وسيلة للرقابة على أنشطة الحكومات - لإجراءات ضرورية كما يراها قصيرو النظر - تم تبريرها بفكرة أن الأمن يتطلب تقليص الحريات وإقرار حدودها» (ويست، ٢٠٠٥م، ص٢٧) .وتجدر الإشارة إلى ملاحظة أخرى وهى أن الولايات التي صوتّت لصالح جورج دبليو بوش في أغلبها هي الأقل إنتاجا للثروات، وهي التي تتلقى دعمًا قويًا من الدولة الفيدرالية. وأخيرًا يمكن القول إن رؤية جورج دبليو بوش لدور الدولة هي رؤية ملتبسة، حيث إنه كما سنرى في الفصل القادم - قبل طواعية تدخل الدولة الفيدرالية فى حياة الأمريكيين باسم «النزعة المحافظة الرحيمة».

السخرية الأخيرة هي أن اليمين المسيحي بمفارقة غريبة يشجع الرأسمالية، بينما آليات النظام الرأسمالي تحديدًا هي التي تهدد بالذوبان القيم الدينية والثقافية التقليدية التي يدافع عنها هذا اليمين المسيحي .

(٦) رفض الرقابة على حمل الأسلحة النارية:

الحقد على الدولة هو الموحد الرئيسى الذى يجمع بين جماعات متفرقة - فى الأغلب متطرفة - كثورة على الحكومة الفيدرالية ووكلائها المكلفين بتطبيق القوانين. وسواء كانوا طوائف مشاغبة أو مليشيات مسلحة أو مجموعات مناهضة للضرائب، فإن كل هذه الحركات تعلن تمردها ضد تدخل الدولة في الحريات الفردية. ويصف قادة جبهة الرفض هذه أنفسهم بأنهم من المواطنين الشرفاء والمسيحيين الطيبين، وكل ما هناك أنهم أكثر وعيًا قليلاً من الآخرين بالأخطار التى تهدد الولايات المتحدة. والأكثر من ذلك إنهم يقولون انهم مستعدون فى لحظة لمقاومة تجاوزات الحكومة. ويبدو أن الدعوة للمقاومة المسلحة، وهى شعارهم، قد وجدت آذانًا صاغية، حيث إن تحدى السلطات الشرعية يتزايد باستمرار. ومن مونتانا إلى تكساس مرورًا بكلورادو والمقاطعات الريفية لكاليفورنيا يتعرض قضاة ومحصلو الضرائب وحراس الغابات وماسحو الأراضي إلى عمليات تهديد وأحيانا اعتداءات. (ديس وكوركوران، ١٩٩٦م، سيتون، ١٩٩٧م، دورهام،٢٠٠٠م).

تحمل الدعوة المناهضة للحكومة رنينًا خاصًا لدى كل أولئك الذين يرون في الرقابة على استخدام الأسلحة النارية، المفروضة بالقانون، برهانًا لا يدحض على أن الحكومة الفيدرالية تتجاوز سلطتها ضد المواطنين الذين يريدون العيش حسب إرادتهم. وكل الأعضاء المعارضين

لإجراءات الرقابة على استخدام الأسلحة النارية هم أعضاء في الاتحاد القومي لحمل البنادق، وهو لوبي مهمته الأولى مقاومة أي عائق أمام حرية امتلاك السلاح. وليس هناك أي مجال للشك في أن فرضيات الإتحاد القومي لحمل البنادق (NRA) تجد ترحيبًا واسعًا في صفوف اليمين المسيحي (سوجمان،١٩٩٢م، دافيدسون،١٩٩٣م) لكن هذا لا يسمح لنا، مع ذلك، بالخلط بين الحركتين، فكل قادة اليمين المسيحي ليسوا أعضاء في الاتحاد القومي لحمل البنادق، وليسوا أيضًا، على اتفاق مع الإستراتيجيات التي يدعو إليها هذا الاتحاد. ونظرًا لأسباب تتعلق بالسمعة والمشروعية تقتصر الروابط بين الحركتين على الصعيد المحلي، وتكون في الأغلب سرية. وبصورة عامة يحتاط اليمين المسيحي من أى إشارة صريحة للتمرد المسلح، حتى لقد كان البعض من مكونيه لم يجدوا حرجًا في الانتقال إلى الفعل. غير أنه من الحقيقي القول إن الاتحاد القومي لحمل البنادق واليمين المسيحي يشتركان في بعض القناعات، أى النظر إلى اللوائح والقيود القادمة من واشنطن على أنها تدخل غير محتمل من قبل السلطة الفيدرالية في المجال الخاص، وأنها انتهاك للدستور ونيل من الحركات الفردية. ويشترك أعضاء الحركتين أيضًا في الاعتقاد بوجود مؤامرة كبرى، مخطط لها في واشنطن تستهدف نزع سلاح المواطنين. وهما يشتركان، أخيرًا في الاستياء من الأفول الأخلاقي الذي يهدد، في نظرهم، أمريكا، ويعلنون عن عزمهم على إنقاذ أمريكا بكل الوسائل.

من أجل إدراك طبيعة التفكير السائد حول الرقابة على الأسلحة النارية، من الضروري التذكير بأنها مع وجود مائتي مليون سلاح شخصي في المجتمع تعتبر أمريكا البلد الأكثر تسلحًا في العالم بالنسبة للأفراد. ومن جراء انتشار المسدسات والمدافع الرشاشة لدى الأفراد زادت جرائم الأسلحة النارية بشكل كبير، ففي كل سنة يقتل ستة وثلاثون ألف شخص بالرصاص. وهناك مؤشر آخر ذو دلالة، وهو أن نسبة القتل بأسلحة نارية لدى الشباب الأقل من خمسة عشر عامًا أعلى اثنتي عشرة مرة من نسبتها في الدول الصناعية المتقدمة الأخرى. وعرفت الولايات المتحدة الأمريكية في السنوات العشرين الأخيرة ارتفاعًا سريعًا للعنف المسلح في المدارس(*).

رغم خطورة الوضع لا يوجد أى إجماع قومى حول المشكلة الأولى في المجتمع الأمريكي. بل على العكس تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية ـ بصورة مفارقه للغاية ـ البلد الذي يوجد فيه أكثر

(*) انظر كتاب Les États-unis, civilisation de la violence? دانيل رويو: الولايات المتحدة حضارة عنف؟، دار أرمان كولان الفرنسية، (٢٠٠٣). (المترجم)

المعارضين ضراوة لأى تقييد لبيع الأسلحة، منظورًا له كانتهاك غير مسموح به للحريات الأساسية التى ضمنها الدستور. وفي مواجهتهم هناك، كل أولئك الذين يقلقهم سهولة الحصول على الأسلحة النارية بكل أشكالها، وانتشارها، ويناضلون لتعزيز الرقابة عليها. وبتأكيدهم على أن هناك علاقة قوية بين إنتشار الأسلحة في المجتمع بين أيدى الأفراد وتصاعد العنف الإجرامى الذي صار «غير متحكم فيه تمامًا» يصل أنصار فرض الرقابة إلى أن الجرائم تكون أقل عددًا لو أن الأسلحة النارية لاتباع بمثل هذه الحرية. وطالب بعض هذه الجماعات، مثل تحالف ضد عنف الرصاص، بشكل واضح ومحدد بمنع الأسلحه النارية. غير أنهم واجهوا عقبة كبيرة تتمثل في الاتحاد القومى لحمل البنادق. وهذا اللوبي يشكل أحد أكبر جماعات الضغط قوة، ويشمل ما يقرب من ثلاثة ملايين شخص، من بينهم رونالد ريجان وجورج بوش الأب الذي هو عضو مدى الحياة. ونظرًا لما يتمتع به هذا اللوبي من دعم مالي وسياسي لأعضائه ولمصنعي الأسلحة، فقد نجح حتى عام (١٩٩٣م) في إيطال أغلب المبادرات التشريعية على المستوي الفيدرالي وداخل الولايات المختلفة على حد سواء. واستخدمت الحكومة الفيدرالية لعدة سنوات لغة قريبة جدًّا من اللغة التى يستخدمها أنصار لوبي الاتحاد القومي لحمل البنادق . وصرح بوش الأب: «إن الرجال والنساء الأحرار لديهم الحق في امتلاك أسلحة نارية لحماية منزلهم» (كورش،١٩٨٩م) .

أثار أعضاء الاتحاذ القومي لحمل البنادق التعديل الثاني للدستور الذي قاموا بقراءة حرفية له بدون أن يضعوا في الاعتبار السياق الذي صدرت فيه هذه الوثيقه التأسيسية. وبرغم مواقف متكررة للمحكمة العليا استمرت مسألة التعديل الثاني للدستور مصدرًا لمناقشات ساخنة(١٢) . والحال أنه بين عامي ١٨٣٣م و ١٩٨٣م كان للمحكمة العليا فرصة الإعلان عن موقفها خمس مرات حول مغزى هذا التعديل الدستوري. وقامت بتفسيره في كل مرة بصورة قاطعة بوصفه تعبيرًا عن الحق لكل ولاية في الإبقاء على ميلشيات مسلحة وليس بوصفه سماحًا لكل فرد على حمل السلاح. غير أن قناعة المدافعين عن حمل السلاح لم تتزعزع: فحرية ملكية السلاح الناري هي حق فردي جوهري. ويعتقدون، من جهه أخرى، أن امتلاك الأسلحة النارية يساهم في الحفاظ على أمن الأمة، وأن البلاد التي لا يوجد فيها ذلك معرضه للغزو. ويعزو الاتحاد القومى لحمل البنادق مسألة انتشار الأسلحة النارية إلى ميل الأمريكيين المتزايد إلى رياضة الصيد. وهناك حجة أخيرة للمدافعين عن امتلاك الأسلحة النارية تشير إلى قول مكرر: «ليست الأسلحة هى التى تقتل، وإنما الاستخدام السيء لها».

في عام (١٩٩٣م) تعرض الاتحاد القومى لحمل البنادق لهزيمة مع إقرار قانون برادي، الذي نُظِرَ له على أنه استفزاز وبداية لطغيان غير محتمل. ولتحجيم تجارة الأسلحة النارية دعا قانون برادي إلى تطبيق فترة انتظار في كل أنحاد البلاد لأية عملية شراء لسلاح ناري. وهذه الفترة الإجبارية لمدة أسبوع تسمح للبائع بالتحقق من هوية المشتري، وكذلك الأشخاص الذين أدينوا في جرائم، والمهاجرين السريين والمدمنين والذين يعانون من اضطرابات عقلية إذ لا يمكنهم شراء مثل هذه الأسلحة. وفوق ذلك يمنع القانون البيع الحر أو امتلاك تسعة عشر نوعًا من الأسلحة شبه الأتوماتيكية.

كان قانون برادي ـ باسم الوزير السابق لرونالد ريجان والذي أصيب أثناء الاعتداء على الرئيس في عام (١٩٨١م) ـ جاهزًا في عام (١٩٨٧م)، لكنه رفضه في عام (١٩٨٨م) تم في مجلس النواب. وفي عام (١٩٩١م) سيدعم رونالد ريجان القانون علانية. وسيطلق كل ذلك نداء إلى الرئيس بوش الأب الذي قابله في البيت الأبيض. لكن مرة أخرى لم يكن هذا كافيًا لإقرار مشروع القانون. وكان ينبغي الانتظار حتى انتخاب الديموقراطي بيل كليتون في عام (١٩٩٢م). وأخيرًا تم إقرار القانون من مجلسي الكونجرس، وتم توقيع قانون برادي في ٣٠ نوفمبر عام (١٩٩٣م) من قبل الرئيس كليتون. كان ينبغي الانتظار سبعة أعوام حتى يقره الكونجرس. وبالطبع كان نصرًا رمزيًّا، لكن بفضل الرأى العام المستاء بشدة من تزايد الجريمة تم تحطيم هذا التابو الذي كان يجسده الإتحاد القومى لحمل البنادق. وبالنسبة لمعارضي القانون تجسد الحكومة عملاً من أعمال الطغيان بحرمانها مواطنيها، من خلال قانون برادي، من حقهم في امتلاك الأسلحة بغرض حماية أمنهم . في كل الأحوال، ظلوا متشددين، ويقولون إنهم على أهبة الإستعداد في أى لحظة لكي لا ينزع عنهم سلاحهم.

(٧) لا نظام دولي جديد، ولا عولمة

مصطلح النظام العالمي الجديد مصطلح أمريكي يعود بجذوره إلى التعاليم القديمة لعصبة الأمم و«النقاط الأربع عشرة» للرئيس ويلسون. ومع نهاية الحرب الباردة أطلق الرئيس جورج بوش الأب فكرة «نظام عالمي جديد»، وترتيب جديد للقضايا والشئون الدولية التى ستكون مؤسسة على القانون بدلاً من استخدام القوة. وعرفت الفكرة لحظة ازدهارها في عام (١٩٩١م) مع انتصار المجتمع الدولي في حرب الخليج الأولى. وأشار جورج بوش عدة مرات إلى تعبير النظام العالمي الجديد بهدف تبرير التدخلات الأمريكية في العراق.

في الوقت نفسه الذي أعلن فيه عن الدخول في عالم القطب الواحد، حيث أمريكا هي القوة العظمى الوحيدة، كان تفكك الإمبراطورية السوفيتية وما تلاها من نهاية الحرب الباردة من عوامل تسريع العولمة، وهي تسمية لا بد أن يفهم منها ظهور موجه من «تحرير التبادلات والاستثمارات وتدفق رءوس الأموال وكذلك الأهمية المتعاظمة لكل هذه التدفقات والمنافسات الدولية في الاقتصاد العالمي» (دوسوناركلينتز،١٩٩٨م، ص٧١). فالعولمة كظاهرة اقتصادية تعني عملية تمدد جارية منذ نهاية القرن التاسع عشر تجعل الاقتصاديات أكثر من أى وقت مضى، في حالة تبعية الواحد تجاه الأخر. وأدى تكثيف التبادلات الاقتصادية بين الدول الذي شجعته الابتكارات التكنولوجية الكبرى، إلى دمج المجال الدولي من خلال تكوين تداخلات أكثر كثافة بين معظم بلاد العالم. وباسم العولمة تتجه الدولة نحو المشاركة والاقتراب والاندماج في نفس المجال الاقتصادي والمالي وحتى السياسي. وتثير العولمة بشأنها وجهات نظر متباينة ونقاشات عنيفة داخل الولايات المتحة الأمريكية كما في بقية أنحاء العالم. وإذا كان البعض يعتقدون أن العولمة والانفجار التكنولوجي للمعلومات سيحملان السلام والاستقرار والرخاء لكل أنحاء المعمورة، فإن البعض الآخر على العكس يقلقون من تزايد قوة الشركات الدولية ومتعدده الجنسيات ولا سيما المتجاوزة للقوميات التى سيكون من نتائجها اختفاء الخصوصيات القومية ونهاية الدولة ـ الأمة.

يرى أنصار العولمة في الولايات المتحدة أن المنافسة تدفع للابتكار، وأن توطين الشركات الكبرى في الخارج سيعمل على خفض الأسعار أمام المستهلك الأمريكي، وأن المؤسسات سترفع من أرباحها . وهو أمر جيد بالنسبة لإدخارات المساهمين الأمريكيين، وأن هذه الأرباح ستسمح بدورها بخلق نشاطات جديدة في الولايات المتحدة. أما بالنسة لمناهضي العولمة فإن هذه الميزة الاقتصادية العامة، إن وجدت، فإنها لن تفيد في القضاء على المعاناة على المستوى المحلي والفردي. فالأمريكي الذي يفقد عمله لصالح هندي أو صيني لن يحصل على اى استفادة من العولمة، ولا يوجد أي شيء يضمن انه سيجد مهنة مشابهة. في عام (٢٠٠٤م) تم القضاء على أربعمائة ألف وظيفة في الولايات المتحدة في قطاع المعلوماتية الذي يحتوي على ٢,٢ مليون وظيفة بالإجمال. بالتأكيد يعتبر هذا الرقم محدودًا بالنسبة لمجمل الاقتصاد الأمريكي، لكنه رقم مهم ضمن هذه الصناعات، فالصناعات المتخصصة تتوقع أن يتزايد عدد هذه الوظائف، التى تنزع من الإطار المحلي، إلى ٤٠٪ في السنوات الخمس القادمة.

يعترض اليمين المسيحي بشدة على النظام العالمي الجديد والعولمة ويعتبرهما على التوالي كوهم خطير وكمؤامرة على سيادة الشعب الأمريكي. وفي صفوف اليمين المسيحي يعتبر القس بات روبرتسون، بدون شك، المهاجم الأكثر شراسة كما تشهد على ذلك انتقاداته الدائمة سواء في مواعظه أو برامجه التلفزيونية الشهيرة أو في كتبه. ويتضمن كتاب «النظام العالمي الجديد» (١٩٩١م)، على وجه التحديد، والذي ظل لعدة أشهر في أعلى قائمة مبيعات الكتب وفقًا لإحصاء «نيويورك تايمز»، والذي يتضمن نقد بات روبرتسون العنيف تجاه النظام العالمي الجديد والعولمة. ويبدأ الكتاب بهذا التصريح: العالم بشكل عام والولايات المتحدة بشكل خاص في خطر، وهما في طريقهما للانتقال تحت سيطرة حكومة كونية والانتقال، من خلال هذا الواقع الجديد، إلى النزعة الجماعية الماركسية. وإذا تأكد هذا التطور فإنه سيضع موضع الخطر حياة وحرية كل موطن (بات روبرتسون،١٩٩١م، ص١٤). وحينما منح قيام النظام العالمي الجديد بعدًا ألفيًّا وأخرويًّا فهو يسعى إلى إثارة الفزع لدى قارئه. ويعتبر الأمر مسألة حياة أو موت (ص١٧) يحث بات روبرتسون مواطنيه على التحرك ضد القيم السائدة في النظام العالمي الجديد والذي يعطي نفسه مهمة مكافحتها.

في مرافعته، يتهم بات روبرتسون أنصار النظام العالمى الجديد بإضعاف المعتقدات التقليدية، ومهاجمة القيم الروحية بعنف وتعزيز دنيوية العلاقات الاجتماعية. والحال، بالنسبة له، أن القضاء على الإيمان بالكتاب المقدس يفضي إلى وضع المعمورة بأسرها في حالة تبعية للنظام العالمي الجديد وديناميااته. وبرؤيته قوة أمريكا على أنها قوة روحية قبل أي شيء آخر فإن سقوط أمريكا يمر لا محاله عبر أفول قيمها وأعداءها يعرفون ذلك جيدًا. وفي هذا الصدد لا ينسى القس بات روبرتسون التركيز على أن مصير المعمورة يعتمد على مصير الولايات المتحده: «إذا كانت أمريكا حرة فكل الشعوب الأخرى يمكنها أن تأمل في هذه الحرية، وإذا غرقت فإن كل أمال بقية العالم ستذهب أدراج الرياح» (ص٢٥٦).

في السياق نفسه يعيب بات روبرتسون على العولميين سحقهم للمبادرة الخاصة، وتعويق المسار الحميد للرأسمالية وانتهاك الحق المقدس في الملكية الخاصة. وبقدر ما يتملك روبرتسون اليقين بأن منطق النظام العالمي الجديد يتجذر في الماركسية بقدر ما يترسخ لديه اليقين بأن المشروع الخاص يعود بجذوره إلى الكتاب المقدس، ويزدهر بفضل الحرية الفردية في الأسواق الحرة. وبتأكيده: «أنا أؤمن بالحرية، أؤمن بالمساواة في الفرص للجميع، أؤمن برأسمالية مؤسسة

على المشـروع الحر، أؤمن بحكمـة السوق» (ص١٢٦) يتحرك بوصفه حارس الليبرالية الجديدة الصحيحة ويقدم نفسه بوصفه المدافع عن القيم التقليدية والهوية القومية.

يتوجه بات روبرتسون بانتقاداته، بعد ذلك، إلى العولمة - كمترادف رئيسي للنظام العالمي الجديد - لأنها تقوض مغزى التصورات التقليدية للسلطة والدولة وتضع موضع خطر السيادة الوطنية. ومثل كثيرين، يتمرد على الاتفاقات الدولية سواء كانت اقتصادية، مالية أو سياسية، والتي تأثيرها يتلخص في تقليص حرية العمل الوطني. فتبعية الأسواق الصناعية، التجارية والمالية تضمن ظهور سلطات جديدة تتجاوز الهياكل الوطنية. وعندما تعتمد الرأسمالية فقط على المنطق المالي فإنها تنحرف. وفي مرافعته لصالح سيادة مطلقة يدعو مواطنيه إلى مقاومة المحاولات الهادفة إلى تقويض سيادة «هذه الأمة العظيمة بغرض وضعها تحت سيطرة نظام عالمي وحيد واشتراكي» (ص٩٢).

يمكن أن يبدو للوهلة الاولي أمرًا غريبًا أن القس روبرتسون يشابه بين الاشتراكية والهيمنة علي العالم من قبل الأوساط المالية. لكن ليس في الأمر غرابة ؛ لأن الاشتراكيين - كما يقول - وأصحاب البنوك يتآمرون معًا ضد الشعب الأمريكي. في الحقيقة، يكرس بات روبرتسون جزءًا كبيرًا من كتابه لعرض فرضية المؤامرة الدولية. ووفق هذه الفرضية، التي تتأسس على رؤية باراناوية للتاريخ، فإن المشروع الكوني لمجتمع شامل يعود إلى «مؤامرة شيطانية» يقودها معًا الماسونيون وأنصار العصر الجديد، ورجال المال اليهود، واللجنة الثلاثية الأطراف، ومجلس السياسة الخارجية وأجهزة التنظيم الدولي مثل الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي.

يجتهد مؤلف «النظام العالمي الجديد»، عبر سياحة في التاريخ، لإظهار أن فكرة النظام العالمي الجديد هي فكرة يوتوبية قديمة، وأنها خطة شيطانية تعود بجذورها بعيداً في الماضي. وهكذا فإن الثورة الفرنسية، والتي كان منورو القرن الثامن عشر والماسونيون ورجال المال اليهود يشتبه بأنهم وراءها، ستكون مصدرًا مهمًا للفوضى في تاريخ العال . وكل ما تلاها، فترة الرعب في فرنسا، وثورات عام (١٨٤٨م) في أوروبا، والانتصار الدموي للبولشفيك في روسيا بمساعدة المنظرين اليهود، واستئثار عائلات روتشيلد اليهودية باقتصاديات الغرب، والإفراط في التسليح تحت الادعاء الزائف بالحرب الباردة، تشكل كلها جزءًا من مؤامرة نزعة دولية للاستيلاء المطلق على العالم عبر حكومة وحيدة. ولن تتأخر كثيرًا المرحلة التالية في تحقق المؤامرة، كما يرى المؤلف، «وهي هولوكوست لمسيحيي أمريكا الشمالية» (ص٢٥٧)[١٣] .

والاحتقار الذي يكنه روبرتسون لعصبة الأمم المتحدة ليس له نظير إلا في كراهيته الشديدة للأمم المتحدة، والتي يعتبرها تجسيدًا للشيطان ويتهم بالتورط في مؤامرة عالمية هدفها خلق حكومة واحدة عالمية اشتراكية يكون نتيجتها إعادة تحديد البنية الأخلاقية للبلد. ومثل كل المحافظين الأمريكين يرفض بات روبرتسون الأخذ في الاعتبار واقع أن الأمم المتحدة تأسست في عام (١٩٤٥م) بمبادرة من الولايات المتحدة، وأن لها دائمًا مهمة الحفاظ على السلام. وفي الخلفية البعيدة لعداء بات روبرتسون للأمم المتحدة والنظام العالمي الجديد والعولمة نجد أن أصوليي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مثل: دبليوبي ريلي وتوري يهاجمان بشدة النزعة الدولية، حصان طروادة المسيح الدجال (روتسيليا، ٢٠٠٣م، ص٥٩٤) بينما يؤكد الكالفينيون المتشددون، مثل جون جريشهام ميشين، على أن عصبة الأمم المتحدة تستنزف سلطات الكنيسة (ص٦٠٣). وبعيدًا عن أن يكونوا طرفًا، ساهم موقفهم مباشرة في رفض مجلس الشيوخ التصديق على دخول الولايات المتحدة في عصبة الأمم المتحدة (ص٦١٤). كما يحيل التشكك المتكرر من قبل جورج بوش تجاه الأمم المتحدة إلى هذا التراث الثقيل .

في صبيحة أحداث ١١ سبتمبر عام (٢٠٠١م) اعتقد المحافظون السياسيون والدينيون بأن هناك عدة حكومات متواطئة مع الإرهاب ولها مقر بالأمم المتحدة وأن مشروعية هذه الهيئة للتحرك في الشرق الأوسط تعتبر منعدمة. ويختلف الأوربيون والأمريكيون في تصورهم للأمم المتحدة: ففي الرؤية الأوربية السائدة تحتفظ الأمم المتحدة بمصلحة عامة تتجاوز نقائص الهيئة، فهي تمثل مجتمعًا دوليًا يتجاوز الخصوصيات القومية. بينما في الفلسفة الساسية الأمريكية ليس هناك مصدر آخر ممكن للمشروعية سوى الديمقراطية المؤسسة على الدستور. وبما أن أغلب الدول الفاشلة التي تشكل الأمم المتحدة لا يتوفر لها مبدأ الديمقراطية فإن مشروعية الأمم المتحدة إذن مشكوك فيها. والحل؟ يدعو بات روبرتسون إلى تأسيس «جماعة الامم الديمقراطية» التي ستكون قد تخلصت من كل الدكتاتوريات التي تأويها الأمم المتحدة حاليًا داخل حرمها (روبرتسون،١٩٩١م، ص٥٦).

ويرى أن علامات انتشار القوى الشريرة للنظام العالمي الجديد واضحة في كل مكان، وأن الولايات المتحدة لن تفلت منها. وعلى غرار عدد كبير من أقرانه في الدين، والمبهورين بأسطورة الانهيار، يعطي مؤلف «النظام العالمي الجديد» صورة لأمريكا تعكس صورة أمة متفسخة. وإذا كان قادة النظام العالمي الجديد نجحوا في زعزعة أمريكا، فإن ذلك، كما يقول، لأن لهم حلفاء في

الداخل: أنصار الحركة النسائية، اليسار الليبراليون، المثليون جنسيًا والإنسانيون العلمانيون والدوليون وأصحاب المصالح الكبيرة والدولة الفيدرالية. غير أن الخطر الحقيقي يأتي من أن الدولة قررت أن تنزع سلاح مواطنيها : «ستكون أمريكا منزوعة السلاح وستتحكم الأمم المتحدة في كل الأسلحة والجيوش» (ص٢٠٧). وليس فقط الأمم المتحدة هيئة غير فعَّالة وإنما تسعى إلى «وضع القيود الحديدية » في أيدي السلطة الأمريكية. وستكون إذن سيادة الولايات المتحدة هي المهددة. وفي خطاب أمام التحالف المسيحي، في ١٨ سبتمبر عام (١٩٩٨م)، هاجمت فليس شالافاي بشدة التزام بيل كليتنون بعدد معين من الاتفاقات الدولية «مؤتمرات واتفاقيات شاملة تهدد مباشرة كل مواطن أمريكي، وينبغي على مجلس الشيوخ الأمريكي أن يرفض بصورة آلية كل معاهدات الأمم المتحدة» (شالافلاي في ليفين، ٢٠٠٥م، ص٥٠). وهذا الشعور بالخوف من العدوان، كما عبر عنه كل من بات روبرتسون وفليس شالافلاي يعزز اتجاهًا أمريكيًا تمامًا يطلق عليه عالم السياسة ريتشارد هوفستادتير الأسلوب البارانويي (هوفستاديتر،١٩٩٥م).

كيف نفلت من النظام العالمي الجديد؟ ستكون النتيجة المنطقية لدى القس بات روبرتسون هي إعلان تأسيس نظام أخلاقي مؤسس على كلام الله وعلى القيم العائلية. وفقط « العودة إلى القوانين الأخلاقية لله وليعقوب، هي التي ستسمح لأمريكا باستعادة رسالتها التي لم تكن تتوقف أبدًا عن تكون رسالتها» (روبرتسون،١٩٩١م، ص٢٣٠ - ٢٣٣). وفي السياق نفسه لإعادة فرض الطابع المسيحي على المجتمع المدني يتم تعميد المشروع الخاص الحر كمصدر وكضامن للحرية والخلاص. وفي النهاية، يسعى الدعاة الدينيون ورجال السياسة في اليمين المسيحي إلى فرض نزعة أحادية الطرف تتجاهل تمامًا القواعد الدولية وتنحو نحو عسكرة الاختلافات. وبدلاً من نزعة متعددة الأطراف يفضلون الزعامة.

وامتدادًا لمعارضته النظام الدولي الجديد ينتقد اليمين المسيحي الاتحاد الأوروبي بوصفه مملكة المسيح الدجال ـ وحش سفر الرؤيا ـ نذير نهاية العالم. في كتابه THE 9' S :DECADE OF THE APOCALYPSE. THE EUROPEON COMMON MARKET. THE END HAS BEGIN (1992): يرى سيتف تيريل، وهو مقرب من اليمين المسيحي، في وجود الاتحاد الأوروبي إكتمال نبوءات الكتاب المقدس حول نهاية الزمان، فهي تنبئ، كما يرى عن عودة الإمبراطورية كمقدمة لمعركة هرمجدون. ولن يتأخر سقوط أوروبا؛ لأن الحكومة الاوروبية ـ الاشتراكية ـ كما يقول، شرعت في تدمير منظم للأسرة، ولا سيما بتشجيعها زواج المثليين

جنسيًّا، وإقرار قوانين سعى إليها خصوم الأخلاق المسيحية. ومثل العديد من الأمريكيين يكره قادة اليمين المسيحي أمم أوروبا الغربية، والمنظور لها بوصفها أممًا ملحدة، منهارة ومخنثة .

وصل الخلاف بين ضفتي الأطلنطي إلى ذروته مع صدمة ١١ سبتمبر عام (٢٠٠١م) والأزمة العراقية. ويوجد الآن تيار فكري في الولايات المتحدة ينظر لأوروبا ليس كشريك وإنما كخصم. وهو «تيار ذو مغزى لأنه يوحد بين الصقور الجمهوريين والقادة الإنجيليين في رؤية المساندة الأوروبية للقضية الفلسطينية بوصفها ليست سوي عمل من أعمال الشيطان» (تيرتيرا، ٢٠٠٥م، ص٧٩). وتشهد على ذلك تلك العبارة للأصولي هال ليندسي: «تعلمنا نبوءات الكتاب المقدس أن أوروبا ستقف ضد الولايات المتحدة»(ليندسي في تيرتيرا، ص٧٩ ملاحظة رقم ٤).

(٨) أمريكا قوية في مواجهة « أمبراطورية الشر »

إلى وقت انهيار الإمبراطورية السوفيتية ـ الخصم اللدود للولايات المتحدة زهاء نصف قرن ـ لم يتوقف اليمين المسيحي عن المطالبة بسياسة خارجية حازمة وتشديد الدفاع الوطني وتفوق الولايات المتحدة في مجال التسليح الإستراتجي وإرادة لا تهتز في هزيمة الشيوعية. وتحت هذه المواقف النضالية تكمن رؤية عن أمريكا قوية وإذن، قادرة على إلحاق الهزيمة بالشيوعيين. وتشهد على هذه النزعة القومية الراديكاليه لليمين المسيحي حملات جيري فالويل المغطاة إعلاميًّا بشكل مكثف والتي كان شعارها : «أحب أمريكا» .

يرى اليمين المسيحي أن أي سياسة خارجية لا يمكن أن تكون إلا وهمية إذا لم تكن حازمة وإذا لم تدافع بشدة عن المصلحة الوطنية. ومثل اليمين الجديد كان اليمين المسيحي معارضًا للمفاوضات حول الرقابة على الأسلحة، وكان معارضًا بشدة للتخلي الأميركي عن التحكم في قناة بنما، وكان يطالب تجاه إيران، بعد الثورة الإسلامية، بسياسة أقصى تشدد ممكن. وبدلاً من الحوار بين الشرق والغرب وسياسة الانفراج الدولي كان يفضل الحرب الباردة. وكان ينظر إلى سياسة حماية حقوق الإنسان، وهي إحدى المعارك الرئيسية للسياسة الخارجية للرئيس جيمي كارتر، على أنها من علامات الضعف الحكومية.

يؤكد جيري فالويل وأقرانه على أن القوة وحدها والتشدد هو ما يسمح للولايات المتحدة بمحاصرة التوسع السوفييتي في العالم . ويدعم اليمين المسيحي علانية ـ في الافق نفسه ـ أنظمة الحكم اليمينية ضد شعب نيكارجوا وسلفادور وضد كل العصابات المسلحة الحمراء في أمريكا

اللاتينية . وهكذا تم إرسال أموال وأسلحة كثيرة إلى كل الحركات الأكثر تطرفًا في مقاومة الأنظمة الشيوعية. وكان بعض قادة اليمين المسيحي أعضاء في رابطة العالم المناهض للشيوعية (WACL)، وهي تنظيم لليمين المتطرف ـ أنشئ في نهاية الستينيات بمبادرة من طائفة مون ـ التي أقسمت على استئصال الشيوعية بلعب دور المايسترو في ترتيب اللقاءات بين القادة الرجعيين (دياموند،١٩٩٥م، ص٢١٩).

وعند وصول رونالد ريجان إلى البيت الابيض كان هناك شيء واحد يشغل تفكيره: الولايات المتحدة في مركز ضعيف أمام الاتحاد السوفيتي، وهي مهددة في أمنها ووجودها، وينبغي إذن وبالدرجة الاولى إعادة تأسيس تفوق القوة العسكرية الأمريكية. وبهذا الصدد، كان جيري فالويل يستشهد بآيات من الرسالة إلى مؤمني إفسيس، وينسب ضعف الدفاع الأمريكي إلى الظلامية الروحية للقادة السياسيين. وكما هو مألوف أكد على أن فقدان السلطة في العالم راجع إلى الابتعاد عن الله، ومن هنا تبدو الرابطة واضحة بين ضرورة اعادة بناء القوة العسكرية وإعادة بناء الأخلاق في المجتمع.

ونظرًا لاقتناعة الراسخ بالمهمة الإلهية المعهود بها للولايات المتحدة استخدم رونالد ريجان كل الوسائل لمقاومة الاتحاد السوفيتي بدءًا من الخطابة الأكثر عنفًا: في أغسطس عام (١٩٨٢م)، وصف القادة السوفييت بـ«عصابة المخادعين». في يونية عام (١٩٨٢م) من العام ذاتة في بون، وأثناء اجتماع قادة دول الأطلنطي، سيذهب إلى حد التصريح، في جلساته الخاصة، إلى أن الاتحاد السوفيتي في حالة حرب مع الولايات المتحدة. وفي مارس عام (١٩٨٣م)، وأمام مؤتمر الإنجيليين بفلوريدا، أدان الاتحاد السوفيتي بوصفة «إمبراطورية الشر». وبرغم ذلك كانت علاقاته بالاتحاد السوفيتي متسمة بسياسة التكيف والحذر في أن واحد. وكان البعض يرى أن براجماتية ريجان تغلبت على أيديولوجيته. ولا يمنع هذا من القول إن أكبر نجاحات ريجان بدون شك هي معايشته وحتى، ربما، مساهمته غير المباشرة، من خلال إطلاق سباق التسلح، في التصدعات الأولى المثيرة لإمبراطورية سوفيتية كان مهاجمها الأكثر ضراوة منذ عقود.

بالتأكيد كانت جهود إعادة التسليح في الولايات المتحدة أثناء رئاسة ريجان الأولى كبيرة الحجم. ففي فترة أربع سنوات تضاعفت الميزانية ثلاثة أضعاف، وتم تخصيص ألف مليار دولار للدفاع. وتم التركيز على تصنيع الأسلحة المتقدمة المواكبة لأحدث درجات التقدم التكنولوجي.

ولا ستعادة التفوق العسكري قرر، من بين قرارات أخرى، بناء صواريخ (MX) وإطلاق القاذفات الأولى من (B.B1) وتسريع برنامج الغواصات تريدنت(*). وتشكيل الدرع الفضائي الذي تم تسميته بسرعة ب«حرب النجوم» التي كانت الأوساط الرسمية الأمريكية تسميها «مبادرة الدفاع الاستراتيجي» (SDI). وهي شكل جديد من الردع النووي ليس مؤسا على الرد الشامل وإنما على القدرة على التقاط صواريخ الأعداء في الجو.

ليست السياسة المناهضة للشيوعية التي يطالب بها اليمين المسيحي بعيدة عن المكارثية في وسائلها وغايتها. فالملاحقات التي نفذها السيناتور جوزيف مكارثي في عامي١٩٥٠م وعام١٩٥٤م تظهر من جديد على السطح في الثمانينيات لا سيما عندما يثير جيري فالويل بحنين «فترة مكارثي حيث كان كل الشيوعيين مسجلين»، وأضاف: «لا ينبغي فقط أن يكون [الشيوعيون] مسجلين وإنما أيضًا إرسالهم إلى روسيا موسومين على الجبهة» (فالويل في فيتزجبيرالد، ١٩٨١م، ص١١٦). ومن آثار المكارثية الأخرى إقتراح اليمين المسيحي إعادة تشكيل لجان التحقيق بالكونجرس حول قضايا الأمن، ووضع الرئيس ريجان قيودًا على الاتصالات بين الصحفيين والمسئولين الحكوميين. وكان هناك قاسم مشترك آخر بين اليمين المسيحي والمكارثية وهو القلق والشعور بانعدام الأمن المفضيان إلى الهستيريا والبارنوايا. ويرى فالويل وأقرانه أن الليبراليين الذين لعبوا لعبة السوفييت قد أضعفو أمريكا أخلاقيًا، وعسكريًّا، وأن الشيوعية تهددهم: « لقد أدرك قادتنا أخيرًا ما كان كثيرون يحاولون إظهاره منذ سنوات، وهو أن السوفيت كذابون ومخادعون، وأنهم مصممون على غزو بلدنا ونشر الشيوعية الملحدة عبر مواطنينا الأمريكيين. فأمن بلدنا مهدد وتوازن القوى صار موضع خطر وينبغي أن نعيد إنشاء برنامج صلب للدفاع الوطني» (فالويل، دويسون وهندسون، ١٩٨١م). وكان قادة اليمين المسيحي على قناعة بأن الشيوعيين قد وصلوا فعلاً إلى الحكومة: نيكسون وكينسنجر وكارتر، من بين آخرين، كان يشتبه في تعاطفهم مع الاتحاد السوفيتي، وكانوا يعيبون عليهم أيضا مواقفهم الدولية والسلمية.

كان سقوط الشيوعية وانهيار الإمبراطورية السوفيتية، والذي تم الاحتفال به بوصفه «نصر الله على الكفار، ترك الولايات المتحدة بدون خصم من مستواها. وبالفعل فقد شهد

(*) الغواصة تريدينت: بلغت تكلفتها ٥ر١ بليون دولار، وهي قادرة على إطلاق مئات الرءوس النووية، ولم تكن هناك حاجة لها إلا في حالة نشوب حرب نووية . انظر كتاب «التاريخ الشعبي للولايات المتحدة الأمريكية»، الترجمة العربية، الجزء الثاني . المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (٢٠٠٥م). (المترجم).

نصف القرن الأخير انتقال الولايات المتحدة من مجرد قوة إقليمية إلى القوة الأعظم في العالم. ومع ذلك، وبرغم حالة الرضا الذاتي لا يطيق اليمين المسيحي اختفاء خصمه السوفيتي. وذلك نظرًا كما لاحظنا من قبل، إلى أنه كان دائمًا بحاجة إلى عدو حتى يؤكد ذاته من خلاله. وكان من نتائج انهيار الشيوعية أن وضع حركة اليمين المسيحي في أزمة توجهات، وحطم إنطلاقتها وهدم بنائها، لا سيما بإطلاق جرس الإنذار للعديد من مكونيه الذين لم يعد لهم شرعية وجود. ثم جاءت أحداث ١١ سبتمبر عام (٢٠٠١م) لتحدد ملامح عدو خارجي جديد هو الارهاب الإسلامي. ويلخص كورنيل وست الوضع الراهن بصورة جيدة: «من الآن فصاعدًا، وبدلاً من الشيوعية، صار لدينا الخطر الاسلامي كعدو خارجي، كما جعلت الثقافة المحافظة المهيمنة من اليسار التقدمي والليبراليين معًا عدوًا داخليًا» (وست،٢٠٠٥، ص٣٠).

(٩) الاسلام ،العدو الجديد الذي ينبغي القضاء عليه

في ١١ سبتمبر عام (٢٠٠١م)، ضرب الإرهاب قلب أمريكا ذاته، التي فقدت، في ساعة واحدة، ما يقرب من ثلاثة آلاف من مواطنيها[١٤]، مثيرًا بذلك لدى أغلب الأمريكين شعورًا قويًا بالكراهية والرغبة في الانتقام. ونادرًا ما كان هناك من يحاول فهم أسباب الهجوم الإرهابي. وأمام هول الكارثة ترك الحقد والغضب الباب مفتوحًا أمام نزعة وطنية كتابية [من الكتاب المقدس]: فأمريكا المنقبضة من اللعنة التي حلت بها شعرت بالحاجة سريعًا إلى العودة إلى الله، معتبرة نفسها ضحية نبيلة. وهذه الإرادة المعلنة للشعب الأمريكي بالتحول نحو الله كانت كاشفة عن اتجاه راسخ، أي نزعة دينية من نمط أصولي صارت أساس العمل السياسي، الأمر الذي لا يمكن إلا أن يفرح اليمين المسيحي.

وبعد أن كان يعيش قلقًا منذ غياب الاتحاد السوفيتي وجد اليمين المسيحي أخيرًا عدوًا عالميًا ينبغي القضاء عليه، ومهمة ينبغي إنجازها أي مكافحة الإسلام. وبمزجهم المتعمد بين عشرين إرهابيًا إرتكبوا أحداث١١ سبتمبر ومعظم المسلمين، سيسمحون لكراهية الإسلام بالظهور بل وحتى الإزدهار. ويمكن لـ «حرب الأديان» حينئذ أن تبدأ: فالكفاح ضد الإرهاب يتم ربطه بالمسيح والمسيحية، والصراع في العراق ينظر إليه كحرب مقدسة تخاض باسم القيم اليهودية ـ المسيحية ضد «امبراطورية الشر» الجديدة. وخرجت النزعة القومية الراديكالية لليمين المسيحي معززة نتيجة لصدمة١١ سبتمبر، وتجذرت في العداء للإسلام والمسلمين .

كان الاعتداء على الأراضي الأمريكية الذي ارتكبه عشرون من الشبان المسلمين الذين تحركوا باسم الاسلام قد أدخل أمريكا في فصل جديد من علاقاتها، المعقدة أصلاً، مع الدين الاسلامي. فالتاريخ المعاصر للعالم العربي والولايات المتحدة قد خلف، من جانب لآخر أحكامًا جديدة مسبقة تعزز التعارض القديم بين غرب مسيحي وشرق عربي مسلم. ومنذ الأزمة البترولية في السبعينيات مرورًا باعتداءات عام (١٩٩٣م) و١١ سبتمبر عام (٢٠٠١م) فإن كل ما هو عربي يمثل، في عيون شريحة واسعة من الرأي العام الأمريكي، تهديدًا جديًّا ضد الديمقراطية الأمريكية. وكتب جون اسبوزيتو في «الخطر الإسلامي: وهم أم حقيقة؟» (١٩٩٦م) ـ متابعًا ردود أفعال مواطنيه ضد الهجمات على مركز التجارة العالمي في فبراير عام (١٩٩٣م) ـ: «للمرة الأولى، لدى المرء الانطباع بأن الخطر الإسلامي وصل إلى سواحل الشيطان الأكبر[أي أمريكا بالنسبة للإسلاميين] ص١٤. وهكذا بينما بعض القادة العرب «يشيطنون» الولايات المتحدة كان الرأي العام الأمريكي «يشيطن» الثقافة العربية الإسلامية. وأصبحت العقيدة الجديدة اليوم تتمثل في دعوة العالم اليهودي ـ المسيحي إلى التوحد ضد العالم الإسلامي. وبالإجمال كان لصدمة ١١ سبتمبر دور المسرع في إيقاظ الضغائن القديمة.

في العمق يتطابق رد فعل اليمين المسيحي مع رد فعل غالبية الرأي العام الأمريكي الذي صار منذ عدة عقود معاديًا بصورة صريحة للمسلمين والعالم العربي بشكل عام. وما يميز رد فعل اليمين المسيحي، مع ذلك هو جذريته وتطرفه، فالنقد على ألسنة قادته يتحول بسهولة إلى شتائم. وحتى إذا كان العداء للإسلام يشترك فيه قطاع كبير من الرأي العام الأمريكي إلا أن الأمر لدى ممثلي اليمين المسيحي يأخذ أبعادًا متطرفة .

في صبيحة أحداث١١ سبتمبر لم يفعل جورج دبليو بوش شيئًا لتهدئة الحمى التي أثارتها أحداث سبتمبر. وبإعلانه أن العالم منقسم إلى «من هم معنا ومن هم ضدنا» (وأضاف «نحن الأخيار») عزز خطابًا مانويًا يتوافق مع مسار فكر اليمين المسيحي. من جهة أخرى، سمحت أحداث سبتمبر للرئيس بوش بإطلاق حربه على الإرهاب، وأن ينفذ، في السياق ذاته، برامج طموحة كانت حتى هذا الوقت لا تحظى بدعم كاف من الرأي العام. وعلى الصعيد الدولي، استخدم الاعتداء الإرهابي ليبرر النزعة الأحادية القطب للسياسة الأمريكية كي يتجاهل القانون الدولي، ويحتقر الرأي العام العالمي. ووفقًا له، على الولايات المتحدة أن تبقي على قيادتها

للعالم وأن تحافظ، إذن، على تفوقها العسكري. ويؤيد اليمين المسيحي تمامًا وجهة نظر الرئيس في هذا الشأن مؤكداً على أن الهيمنة الأمريكية ضرورية.

ويرغم بلاغته الحربية، كما يشهد على ذلك استخدامه كلمة الحرب الصليبية، اجتهد الرئيس بوش، مرات عديدة، في فصل الإسلام عن الإرهاب، ومسلمي العالم عن الأحداث التي ارتكبها عدد محدود من المتعصبين. وصرح أيضًا أن الأحداث كانت من «عمل أقلية هامشية» ومقترحًا التعاون مع الدول الإسلامية التي تقبل مكافحة الإرهاب، وداعيًا الشخصيات الإسلامية إلى البيت الأبيض. وعلاوة على ذلك، فقد تم انتقاده بشدة من بعض شرائح اليمين المسيحي إثر خطابه في ١٧ سبتمبر بالمركز الإسلامي بواشنطن، حيث أشاد بالإسلام واصفًا إياه بأنه «دين سلام» بل إنه ذهب إلى بعض المساجد، وأحيانًا قام بقراءة بعض آيات القرآن لإظهار ارتباطه بالإسلام المعتدل. ويثبت كل هذا، أن جورج بوش، في هذه النقطة بالتحديد، لم تتحكم فيه إندفاعاته وقد عرف كيف يقاوم غواية الأحكام الصارخة.

على النقيض من جورج بوش أعلن جيري فالويل ويات روبرتسون عن فرحتهما بأحداث ١١ سبتمبر بوصفها عقابًا إلهيًا، في نظرهم، لبلد مذنب بابتعاده عن دينه، وتركه اللاأخلاقية تعيث فسادًا، وفصله بين السياسة والقوانين والقيم المسيحية التقليدية. وصرح جيري فالويل في ١٣ سبتمبر في برنامج استعراضي لبات روبرتسون: «لقد سمح الله لأعداء أمريكا أن يلحقوا بنا ما قد نستحقه » . وأضاف : «أنهم الوثنيون، ودعاة الإجهاض، ودعاة الحركة النسائية والمثليون والمثليات جنسيًا والاتحاد المدني الأمريكي للحريات، هم الذين شجعوا على حدوث هذا الحدث بمحاولتهم فرض الطابع العلماني على أمريكا، وأنا أقول لهم ذلك في وجوههم» (فالويل في هاريس،٢٠٠١م). بينما أكد روبرتسون ذاته أن الهجمات كانت الثمن الذي ينبغي دفعه نظرًا " للحالة اللاأخلاقية للبلد [أمريكا] والمسئولة عن أربعين مليون اغتيال (كان يتحدث عن عمليات الإجهاض).

من الأمور المثيرة للدهشة أن وجهة النظر هذه قريبة من وجهة نظر الإرهابيين الإسلاميين الذين اقترفوا المأساة ضد الثقافة الأمريكية التي كانوا يشيرون إلى طابعها «المنحل ». وفي ١٨ سبتمبر اضطر فالويل إلى تقديم اعتذاراته بعد أن تعرض لضغوط شديدة من البيت الأبيض.

في ٦ أكتوبر عام (٢٠٠٢م) صرح جيري فالويل ذاته، وكان مدعوًا إلى برنامج «ستون دقيقة»

على قناة CBS أن « محمداً كان إرهابيًا. لقد قرأت بقدر كاف تاريخه المكتوب من قبل مسلمين وغير المسلمين، لقد كان رجلاً عنيفاً، رجل حرب. ومن وجهة نظري قدم المسيح نموذجًا للحب مثل موسى. وأعتقد أن محمدًا قدم النموذج العكسي لذلك ». وبرغم أنه اعتذر عن ذلك في ١٢ أكتوبر عام (٢٠٠٢م) إلا أن تصريحاته عن الإسلام أثارت ردود فعل عنيفة في العالم الإسلامي (كوبرمان، ٢٠٠٢م).

منذ هجمات سبتمبر اشتعل غضب روبرتسون ضد المسلمين الذين، كما يقول، «يريدون التعايش حتى اللحظة التي يتمكنون فيها من التحكم والهيمنة ثم التدمير[أمريكا]» وفي سبتمبر عام (٢٠٠٢م) صرح بات روبرتسون أن « المسلمين أسوأ من النازيين. وما فعله هتلر مع اليهود كان سيئًا لكن ما يفعله المسلمون لهم أسوأ» (روبرتسون في سالاميه،٢٠٠٥م، ص٤٦٣ - ٤٦٤). وبعد شهرين من هجمات نيويورك وواشنطن صرح القس فرانكلين جراهام تصريحات مدوية، وهو داعية إنجيلي مشهور خلف والده المسن والمريض، أثناء مقابلة تيلفزيونية: «إله الإسلام ليس هو ذات الإله الذي نعبده. إنه إله مختلف. وأعتقد أن الإسلام دين شرير وظالم»[(١٥)]. وربما كان الشخصية الأكثر تأثيرًا اليوم في الأوساط، الإنجيلية المحافظة، وهو الذي بارك ترشيح جورج بوش. وهو مقرب، منه. ويقابله بصورة منتظمة داخل البنتاجون. وكشفت الصدفة بعد عدة أسابيع للجمهور الأمريكي أن والده القس بيلي جراهام، الداعية الأكثر احترامًا في البلد، بدون شك، كان يصرح دائمًا تصريحات قاسية، لا سيما تجاه اليهود، وهناك تسجيل لمحادثة خاصة جرت في عام (١٩٧٢م) مع ريتشار نيكسون في المكتب البيضاوي أذيعت، في سبتمبر عام (٢٠٠٢م)، وفي هذه المحادثة يشكو القس، من بين أشياء أخرى، من سيطرة اليهود على أجهزة الإعلام. وقد تحمل بيلي جراهام المسئولية كاملة عن ملاحظاته المعادية للسامية وقدم اعتذاراته عن أقوال، كما أشار، لم تكن تعكس في شيء حقيقة فكره، وأعاد التذكير بأنه قدم دائمًا دعمًا بلا كلل لدولة إسرائيل. أما فيما يتعلق بابنه فلم يبحث قط عن طريقة يخفف بها من أقواله المعادية للمسلمين، بل على العكس تشدد في هذه الأقوال.

وحتى لا يعبأ كل المسلمين ضده ابتعد الرئيس بصوره رسمية عن أصحاب كل هذه التصريحات، مؤكداً على أن « الأقوال التي صدرت ضد الإسلام لا تعبر عن موقف حكومي ولا عن موقف أغلب الأمريكيين». قبل أن يضيف: «الإسلام كما يمارسه أغلب المسلمين هو دين سلمي وهو دين يحترم الآخرين (مانسفيلد ٢٠٠٣م، ص ١٣٩ - ١٤٢). وكان ذلك موقف

كولن باول أيضًا، « هذا النوع من الحقد ينبغي أن يدان». وسعي الرئيس بوش ووزير خارجيته إلى تجنب الخلط بين المتطرفين والمعتدلين بالتذكير بأن الإسلام دين شوهه المتطرفون.

وبرغم تصريحات جورج بوش وكولن باول يصر فالويل ورفاقه على القول بأن الإرهابيين ينتمون إلى التيار الغالب في الإسلام. إنهم يجيبون على نداء القرآن، وأن بعض المسيحيين، سذج أو أعمتهم الأيديولوجية الليبرالية والنسبية، لا يعرفون القراءة. وقد صاغ هذا الاتهام هال ليندسي، وهو ألفي النزعة ومؤثر ومؤلف «جذور الجهاد»، وهو كتاب يغذيه الحقد واحتقار الإسلام: «الإسلام في جوهره، كما يقول، يدعو إلى العنف ويبرره ولا سيما العنف الذي يستهدف الكفار والمسيحيين واليهود» (ليندسي، ٢٠٠٢م). أما تيم لاهاي فيرى أن الإسلام «دين شيطاني». في ١٠ نوفمبر عام (٢٠٠٢م)، وصف جيمي سواجارات ـ من الدعاة الإنجيليين التليفزيونين والذي «تمَّ شلحه دينيًا» إثر قضية أخلاقية منذ عشرين عاما خلت ـ النبي محمدا بأنه «فاسد» و«منحرف جنسيًا(*)». وهناك إنجيلي آخر تعيس (أمضى عدة سنوات في السجن بسبب اختلاسات) هو جيم باكير الذي صرح بأن الإسلام «دين سيئ جدًا وشرير» وأثار جدالا صاخبًا بإلصاق وصف «الإرهابي» على [النبي] محمد. كما أكد القس فنسون سينان، من أعلى مدرسته اللاهوتية، أن «المسلمين هم المعركة الكبرى في الأزمنة الحديثة. إنهم يقتلون المسيحيين في كل أنحاء العالم، وهم يتناسلون بصورة كبيرة وسترون ما سيحدث في فرنسا خلال عشر سنوات» (سينان في ديسيرت، ٢٠٠٤م). ينبغي إنقاذ أمريكا، كما يقول، حتى تتمكن، بدورها، من إنقاذ العالم، لأن الضربة الإرهابية في ١١ سبتمبر هي أيضًا، في نظره، هجومًا على المسيحية كمرحلة أولى حاسمة قبل الصراع النهائي.

وبدوره وصف القس جيري فاين، راعي أول كنيسة معمدانية في جاكسو نفيل بفلوريدا ورئيس سابق للمؤتمر الجنوبي المعمداني، النبي محمدا بأنه «مغرم بالغلمان وبه مس من الشيطان» (ساكس،٢٠٠٢م). ومهما كان عدم اتفاق الرئيس بوش مع هذه الأقوال إلا أنه لم يرغب في أن يزعج معمدانيي الجنوب كثيرًا. ففي اليوم التالي لتصريحات جيري فاين شارك في المؤتمر السنوي المعمداني الجنوب، الذي انعقد في ١١ و١٢ يونيه عام (٢٠٠٢م)، في سان لويس بولاية ميسوري، وأشاد بطائفة أفرادها، كما قال، هم « رواد التسامح». وفي ١٥ فبراير عام (٢٠٠٣م)

(*) كان من الممكن أن نحذف هذه الفقرات البذيئة؛ لكنَّا فضلنا تركها كما هي احترامًا لأمانة الترجمة وحتى يعرف القارئ أيضًا إلى أي مدى يحقدون على رمز الإسلام الأول وعلى المسلمين. (المترجم)

نظم التحالف المسيحي ندوة عن الإسلام وصفها أناتول ليفين بأنها هذيان حاقد (ليفين، ٢٠٠٥م، ص٣٩٣).

ولم يكن قادة اليمين المسيحي وحدهم الذين افترضوا، أن أسباب الإرهاب وجذوره توجد في الإسلام ذاته. فقد صرح وزير العدل الأمريكي الأسبق جون إشكروفت للراديو في ٩ نوفمبر ٢٠٠١م : «في المسيحية ضحى ابن الله بنفسه من أجل خلاص العالم. وفي الدين الإسلامي يأمركم الله بإرسال أولادكم للتضحية من أجله» (ميتري، ٢٠٠٤، ص١١٨). وفي كتابهما «نهاية شر. كيف نكسب الحرب ضد الإرهاب»، قدم ريتشارد بيرل ودافيد فروم ـ وهما من المحافظين الجدد ومن المقربين لجورج بوش ـ النماذج الأكثر عنفا إزاء الإسلام والعالم الإسلامي.

ولم ينطلق اليمين المسيحي في حرب ضد الإسلام والإسلاميين فقط، وإنما حاول أيضًا تحويل المسلمين إلى المسيحية. وهناك على الإنترنت عشرات الجمعيات الإنجيلية تحاول دفع المؤمنين للذهاب إلى الأراضي الإسلامية. وهناك جامعات مثل جامعة كولومبيا في ولاية كارولينا الجنوبية خرجت مبشرين جددا . ونظمت دورات تدريبية لاكتساب «التقنيات الجديدة للإقناع» وتعليمهم طرق الانخراط في الثقافة الإسلامية. ورافق القوات الأمريكية في العراق مبشرون معمدانيون تكساسيون تحت ذريعة أنهم يحملون مساعدة إنسانية للسكان وبغرض إنشاء مراكز لمهام التبشير.

وبعد اندلاع الاشتباكات مباشرة في العراق زار فرانكلين جراهام هذا البلد لنجدة العراقيين ماديًا وروحيًا تحت راية منظمته الإنسانية المسّماة « منحة سماراتين ». ووزعت هذه المنظمة الأغذية والأدوية والملابس ومعها نسخ من الكتاب المقدس للعراقيين، على أمل تحويلهم إلى المسيحية (والدمان،٢٠٠٣م، بيجوس،٢٠٠٣م). وقبل رحيل جراهام إلى العراق بقليل فسر بهذه المصطلحات هدف زيارته في إحدى المقابلات: «عملية تحرير العراق فرصة للمسيح. سنذهب هناك لمد أيدينا للعراقيين لإنقاذهم. وكمسيحي أتحرك على هذا النحو باسم المسيح» (جراهام في فكتور،٢٠٠٤م). كان الأمر بالنسبة له يتعلق بإنقاذ الإنسان من «دين منحرف وشيطاني» وفق مصطلحاته.

ولا يقتصر الهجوم الإنجيلي على تنصير المسلمين وإنما يستهدف الجنود الأمريكيين أنفسهم. ويعرض القساوسة في بغداد على الجنود الأمريكيين حمايتهم إذا قبلوا أن يعمدوهم. وكان قساوسة آخرون يوزعون حقيبة صغيرة بها نسخة من العهد الجديد «في محفظة من الوتربروف

يتم وضعها في جيب الجندي». وبرغم حصيلة الضحايا التي لا تتوقف عن الارتفاع يغلق اليمين المسيحي عيونه طواعية عن حالة الانهيار التي أعقبت نهاية المعركة،لأنه على قناعة بأن قوى الرب ستكسبها في النهاية. وكان مبعث قلقهم الوحيد هو هؤلاء الأمريكيين الذين يعارضون الرئيس بوش وعزمه على إدخال الديمقراطية إلى العراق.

وفضلاً عن ذلك، فإن التصريحات التي أدلى بها بوش، والتي تستهدف فصل الإسلام عن الإرهاب الإسلامي، لم تمنع إدارته من تشجيع منهج صاغه أساسًا المحافظون الجدد والساعي إلى توجيه الانتباه ليس نحو فحص سياسات أمريكا تجاه العالم الإسلامي، وإنما نحو التركيز على نوع من تخلف بنيوي للدين الإسلامي ذاته. وفي هذا المعنى يشدد غسان سلامة على أن أحداث ١١ سبتمبر، كان من نتائجها أيضًا تحويل هذا المنهج المنحاز إلى فرضية مركزية للحكومة الأمريكية ولقطاع مهم من المؤسسة السياسية والثقافية للبلد (سلامة،٢٠٠٥م، ص٤٤١) . ومع إقراره بأن النجاح أو الفشل ضد الإرهاب الإسلامي يعتبر بدون شك مسألة حيوية للديمقراطيات الغربية، الليبرالية والتعددية، يشدد كورنيل ويست على أن « العصابات المتشددة للإسلام » [...] تتقدم في قوتها بسبب سياستنا الخارجية في المنطقة ». ويؤكد أناتول ليفين الملاحظة ذاتها: أدى رفض الأمريكيين فهم من أين يأتي غضب المسلمين، مثل الدعم الأمريكي لإسرائيل والهيمنة العسكرية الأمريكية في الشرق الأوسط، إلى ابتعاد المسلمين العاديين وتكوين مجندون جدد للإرهاب الإسلامي» (ليفين،٢٠٠٥م، ص١٦٦).

(١٠) دعم دائم لإسرائيل

كان من تأثير انتخاب جورج بوش وأحداث ١١ سبتمبر أن تعاظمت مساندة اليمين المسيحي لدولة إسرئيل (جروس، ١٩٨٤م، فيبر ١٩٩٨م). بالفعل اكتشف فالويل وأصدقاؤه في أحداث ١١ سبتمبر سببًا إضافيًا لانخراط أمريكا إلى جوار الدولة العبرية. ويحتل الصراع الإسرائيلي ـ الفلسطيني أيضًا مكانة مركزية في الصداقة الجديدة بين إسرائيل واليمين المسيحي الذي يساند بصورة كبيرة سياسة رئيس الوزراء الإسرائيلي آريل شارون .

السؤال الذي يطرح نفسه منذ البداية لماذا اليمين المسيحي والطائفة الإنجيلية على ارتباط وثيق بالدولة العبرية؟ يرجع السبب الأول إلى طبيعة لاهوتية كما يوضح جيري فالويل: «البرهان الأكثر وضوحًا على العودة الوشيكة للمسيح هو ميلاد دولة إسرئيل» (فالويل في

جورنيرج،٢٠٠٢م، ص١٠). وبالاستناد إلى الكتاب المقدس المقروء بوصفه سلسلة من النبوءات المتقاطعة ينسب الإنجيليون والمسيحيون المولودون ثانية دوراً خاصًا للشعب اليهودي ودولة إسرائيل في المشروع الإلهي لنهاية الزمن. ويعتقدون أن استعادة سلطة إسرائيل على معظم مملكة دافيد، كما وردت بالكتاب المقدس، هي مقدمة ضرورية لرؤيا آخر الزمان وعودة المسيح. ويفترض تحقيق النبوءة أن المسيح سيعود إلى الأرض ليس لدى المسيحيين الذين تعرفوا عليه من قبل، وإنما لدى اليهود الذين ينتظرون دائمًا. وتفترض أيضًا أن عودة المسيح لن تحدث إلا بشرط لازم وهو عودة كل اليهود إلى الأرض المقدسة. في هذا الأفق عاش الإنجيليون أحداث عام (١٩٦٧م) ـ حرب الأيام الستة ـ كخطوة كبيرة، وكل انتصار إسرائيلي تلاها كان ينظر له كمرحلة متقدمة في السيناريو الذي يفضي إلى نهاية الزمان .

وفي انتظار تحقق نبوءة نهاية الزمان يناضل الإنجيليون الأمريكيون من أجل مجيء إسرائيل الكبرى . ويريدون أن تعود فلسطين مطابقة لما كانت عليه عندما عاش ومات بها المسيح. ولهذا السبب يرفضون أي إمكانية لقيام دولة فلسطينية ويدعون إلى تهجير فلسطينيي الأراضي المحتلة والضفة وقطاع غزة وتوزيعهم في أنحاء العالم العربي. وبما أنهم على قناعة بأن الأراضي التوراتية لإسرائيل الكبرى تعود لليهود وفقًا للعهد الإبراهيمي المذكور في سفر التكوين، ومن خلاله يمنح الله هذه الأرض الدنيوية لسلالة إبراهيم العبرية، ويعارض اليمين المسيحي بشكل حازم «خارطة الطريق» وأي اتفاق آخر مؤيد لإنشاء دولتين . ليس هناك إذن ما يدعو إلى الدهشة في أن الإنجيليين كانوا على عداء مع وزير الخارجية الأمريكي الأسبق كولن باول الذي ظل ملتزمًا ببرنامج مكرس لإعادة السلام في الشرق الأوسط وتشجيع إنشاء دولة فلسطينية[١٦] .

ومن الضروري الإشارة إلى أن انتشار التفسيرات الحرفية للميراث الإبراهيمي لدى الإنجيليين المحافظين يتوفق مع صعود اليمين الديني في إسرائيل، والإشارات المتعاظمة داخل المجتمع الإسرائيلي إلى تبريرات اثنيه ـ دينية. وبادعائهم أن الله قد أعطاهم الأرض التي يقيمون بها يدعم اليمين الإسرائيلي إيمان الإنجيليين المحافظين باكتمال النبوءات. وبعيدًا عن أن تحدث إجماعًا داخل الطائفة اليهودية الأمريكية والإسرائيلية تفضي النظريات الألفية، وهي أساس الدعم الإنجيلي لإسرائيل، إلى ظهور ملامح قلق ستنعكس في ردود فعل حادة. يرى عدد من اليهود في نهاية الشعب اليهودي، كما هي مبرمجة لدى هؤلاء الألفيين، دليلاً إضافيًا على نزعة العداء للسامية لدى المسيحيين الإنجيليين. «إنهم لا يحبون اليهود، كما يكتب مستاءً الكاتب

الأمريكي الإسرائيلي جيرشوم جورينبرج، مؤلف كتاب نهاية الزمان. فالعقيدة الإنجيلية في الخلاص تشكل عملاً من خمسة فصول، حيث يختفي اليهود في الفصل الخامس» (جروينبرج، ٢٠٠٠م، ص٣٩). ويكشف الجدال حول فيلم ميل جيبسون «آلام المسيح» عن قلق المثقفين اليهود اليساريين من ظهور نزعة عداء للسامية لدى المسيحية التقليدية بين الإنجيليين المحافظين والتي لم تختف تمامًا. وبينما كان اليهود يرون الفيلم معاديا للسامية وذا طبيعة تفاقم التناقضات، كانت الطائفة الإنجيلية التي تصرح برغم ذلك أنها تحب اليهود، تنظر للفيلم بوصفه «حدثا استثنائيًا للإنسانية، والذي سيحث على الهداية [إلى المسيحية]». وكذلك فإن تحالف اليهود الأمريكيين المساند لإسرائيل مع المسيحيين الإنجيلين يضع اليهود الأمريكيين اليساريين في حالة غير مريحة. وكما لاحظت عن حق روبرتا فوير لشت، وهي مؤلفة أمريكية يسارية «في تاريخ الشعب اليهودي عندما تأتي الأصولية فإن متحجري القلب (القوزاقيين) ليسوا ببعيدين عنها» (فوير لشت،١٩٨٣م، ص١٦٦).

يمتلك إنجيليو الشمال الأمريكي إزاء اليهود مشاعر معقدة وغامضة في الوقت نفسه. فمن جهة يعتبرون أن وعد الله لإبراهيم في الكتاب المقدس (سفر التكوين، ١٢ – ١٧) غير قابل للمناقشة، وكوعد يجعل التزامهم نحو إسرائيل غير مشروط. ومن جهة أخرى، يعتقدون أن اليهود [يعيشون] في الخطأ، وانطلاقًا من هذا يعتقدون باهتدائهم النهائي . ووفقًا لسيناريو نهاية الزمان كما يتخيله الإنجيليون فإن اليهود عليهم أن يقبلوا المسيح - أي التحول إلى الدين المسيحي - عندما يعود إلى إسرائيل. ويؤكد عديد من اليهود (ولكن أيضًا من المسيحيين) أن الإنجيليين الذين يعتقدون بمعصومية الكتاب المقدس لا يمكنهم مطلقًا أن يتنازلوا عن ضرورة تحويل اليهود إلى المسيحية. ويرى طارق متري «بالنسبة للإنجيليين المحافظين فإن التعاون مع الإسرائيليين، تحت راية الوفاء لوعود الكتاب المقدس، ليس متوافقًا مع ضرورة التبشير التي يدعو إليها الكتاب المقدس ذاته. بالنسبة لهم هناك توتر لم يحل» (متري ٢٠٠٤م، ص١٨٠). وينتج عن ذلك أن أغلب الإنجيليين يتحولون ببصرهم عن عدة قضايا لاهوتية، بما فيها إمكانية المصالحة بين التأكيد على أبدية تحالف الله مع إسرائيل، والرؤيا (الكارثية لنهاية الزمان) للتاريخ، حيث يدعى اليهود للاختفاء أو التحول للمسيحية (ص١٨١).

وبالإضافة إلى ذلك، فإن تعزيز العلاقات الإسرائيلية - الأمريكية يقع في سياق حرب شاملة ضد الإرهاب والحركة الإسلامية. وصارت إسرائيل الحليف الإستراتيجي للولايات المتحدة

وجدارًا ضد الإرهاب الإسلامي. ويرى قطاع كبير من الطبقة السياسية الأمريكية أن الإرهاب في إسرائيل ليس سوى بداية للخطر الإرهابي العالمي الذي يمتلك الوسائل لإيذاء أمريكا ومواطنيها. وبإجراء رابطة بين الإرهاب المناهض لأمريكا والإرهاب المناهض لإسرائيل يعتبر كثيرون أن أفعال إسرائيل ضد الفلسطينيين مشابهة للمشاركة في الحرب على الإرهاب. وهذا يجعل الولايات المتحدة . متواطئة بصورة حتمية مع جرائم إسرائيل، ليس فقط في نظر العالم وإنما أيضًا في الوقائع .

ودفعت فكرة العودة اليهودية إلى فلسطين، كشرط للمجيء الثاني للمسيح، قادة إنجيليين، مثل بيلي جراهام وابنه فرانكلين، وجيري فالويل ورالف ريد وبات روبرتسون إلى إطلاق إستراتيجية متمثلة في إرسال إنجيليين إلى إسرائيل. وهكذا مولت لوبيات إنجيلية مختلفة مثل السفارة الدولية المسيحية بالقدس ومسيحيون من أجل إسرائيل، الهجرة إلى إسرئيل، وساعدت على إقامة مستوطنات، ودافعت في واشنطن عن مشروع إسرائيل الكبرى. وكان نتيجة ذلك أن استقر عدد متعاظم من الإنجيليين في إسرائيل لتعلم العبرية وتأسيس هياكل تعاون يهودية ـ مسيحية. واليوم يقدر عدد المسيحيين الإنجيليين الذين استقروا في إسرائيل بشكل شبه دائم بخمسة وعشرين ألفا.

من جانبهم، لم يتردد اليهود الملتزمون بالدفاع عن مصالح إسرائيل في تقديم المساعدة المالية إلى المرشحين في مجلس الكونجرس، والذين ينتمون إلى يمين أغلبية طائفتهم. ومن جانبهم، أدرك سياسيو اليمين أن تعزيز دعم إسرائيل لهم يزيد من فرص حصولهم على دعم بعض اليهـود بدون أن يكـون ضروريًا الاعتدال في آرائهم في القضـايا الأخـرى ليجذبوهم إليهم.

أثناء فترة رئاسة رئيس الوزراء مناحم بيجين بدأ التحالف النشط بين الانجيليين، والمنظمات اليهودية الأمريكية والقادة الإسرائيليين المحافظين . وانطلاقًا من ١٩٧٧م، غازل مناحم بيجين وحزبه، الليكود، الشرائح المناضلة من السكان اليهود والمسيحيين بتقديمهم مصادرة الأراضي العربية كحق أعطاه الكتاب المقدس للشعب اليهودي. وبدعوة حكومة بيجين لجيري فالويل لزيارة إسرائيل في عامي ١٩٧٨ و١٩٧٩م كان أول غير يهودي يحصل على ميدالية فيلاديميرجابوتنسكي (مؤسس الحركة القومية التي يعتبر الليكودامتدادًا لها) نظرًا لخدماته لإسرائيل (بيراني، ٢٠٠٤م، ص٨٠). وفيما بعد، سيجد أمامه كهدية من الحكومة الإسرائيلية طائرة خاصة. ومنذ هذه الفترة، لا يمكن أن تكون هناك زيارة لرؤساء الوزراء الإسرائيليين إلى الولايات المتحدة بدون أن يلتقوا علانية، أو سرًا، بقادة اليمين المسيحي.

لقد أخذ التحالف بين اليمين المسيحي الأمريكي والإسرائيلي زخمًا جديدًا مع اعتلاء رونالد ريجان السلطة في عام (١٩٨٠م)، فصعد معه عددًا من الإنجيليين وكذلك بعض المحافظين الجدد وأغلبهم كانوا من اليهود. ويشهد على تعزيز العلاقات مع إسرئيل أن اليمين المسيحي الأمريكي ساند علانية سياسة انتشار المستوطنات في الأراضي [المحتلة] وغزة، وأيد في عام (١٩٨٢م) غزو إسرائيل للبنان. وكانت الروابط الوثيقة لجيري فالويل مع إدارة ريجان قد حثته على أن يقدم لموشيه ارينز، وكان آنذاك وزير الخارجية الإسرائيلية، مهمة الحديث أمام المؤتمر السنوي الخامس للأغلبية الأخلاقية بالقدس.

منذ أواسط التسعينيات اعتمدت حكومات الليكود على اليمين المسيحي أكثر من اعتمادها على اليهود الأمريكيين اليساريين، المنظور لهم على أنهم «محدودو المصداقية»، وذلك في محاولات للحصوال على دعم الولايات المتحدة. وكان بينيامين نتانياهو، أحد السياسيين اليمينيين الإسرائيليين، وقد كان رئيسًا للوزارة لفترة قصيرة، هو أحد أكبر صانعي التقارب بين اليمين المسيحي الأمريكي واليمين الإسرائيلي. والتزم جيري فالويل - فاعل رئيسي في الاتصالات الأولى بين نتانياهو وإنجيليي شمال أمريكا - مع أصدقائه بتعبئة الإنجيليين ضد الضغوط التي يمكن أن تمارسها حكومة كلينتون على الدولة العبرية حتى تعيد للفلسطينيين جزءًا من الأراضي المحتلة.

وحتى بعد أن ترك نتانياهو الحكومة ظل يتلقى الدعوات، في الغالب إلى برامج بات روبرتسون الذي حصل في يوليو عام (٢٠٠٢م) على جائزة أصدقاء إسرائيل الممنوحة من منظمة يهودية يمينية تُدعَى المنظمة الصهيونية بأمريكا. وفي سبتمبر عام (٢٠٠٢م) ارتبط عمدة القدس إيهود أولمرت مع بات روبرتسون والإنجيلي مايك إيفانز لإطلاق حملة سميت (صلاة من أجل القدس)، وكان الهدف تعبئة أكثر من مليون من المسيحيين من أجل (الصلاة كل يوم من أجل أن تكون القدس في سلام)، وبعدها بشهر انطلقت حملة إنجيلية باسم (مسيحيين متضامنين مع إسرائيل)، وجمعت عشرات الآلاف من الأشخاص أمام البيت الأبيض، ومن بين الذين تحدثوا أمام المجتمعين كان هناك توم ديلاي الرئيس السابق للأغلبية في مجلس النواب وجبري فالويل وبات روبرتسون وأيهود أولمرت.

وكان لالتزام القادة الإنجيليين إلى جوار الدولة العبرية أن سمح لدعم قوى منظمة للغاية ومناضلة بشدة. ولها القدرة على تعبئة مئات الآلاف من الأشخاص، ولا سيما بفضل شبكاتهم في

الراديو وقنوات التليفزيون المطورة للغاية، تقديم (صورة عن إسرائيل يكون للأمريكيين الرغبة في الدفاع عنها) (بيراني٢٠٠٤م، ص٨٣). ويبدو أن المساندة الفعلية للقادة الإنجيليين والسياسيين المحافظين إلى إسرائيل لها تداعيات على الانتخابات الأمريكية. في عام (٢٠٠٠م) أكد انتخاب جورج دبليو بوش اتجاه شريحة متعاظمة من الناخبين اليهود في التوجه نحو الحزب الجمهوري. وحصل على ٣٪ زيادة من الأصوات اليهودية أكثر من الجمهوري بوب دول في عام (١٩٩٦م). وبعد أكثر من ثلاثين سنة من التصويت شبه الآلي لصالح الحزب الديمقراطي مال عدد متعاظم من الناخبين اليهود نحو المرشحين الجمهوريين. وفي عام (٢٠٠٤م) رأى بوش الكتلة الانتخابية اليهودية تصوت ست نقاط أكثر مما كان عليه الأمر في انتخابات عام (٢٠٠٠م)، الأمر الذي من المحتمل أنه ساعد الرئيس على الفوز في فلوريدا وأوهايو. ومنذ هذا الوقت يصوت اثنان من كل ثلاثة يهود للحزب الديمقراطي مقابل ثلاثة من كل أربعة منذ عشرين سنة على الأقل.

وهكذا كما أوضح طارق متري عبر تاريخ الولايات المتحدة كشفت المنظمات اليهودية الرئيسية عداوة مفتوحة تارة وتارة أخرى عن تحفظ شديد إزاء المنظمات والشخصيات الدينية. فمساندة هؤلاء لدولة إسرائيل لم يكن كافيًا في حد ذاته لتأسيس صداقة تقليدية دائمة مع الطائفة اليهودية (متري، ٢٠٠٤م، ص١٥٥) ولم تحبذ الطائفة اليهودية، وهى ليبرالية بصورة تقليدية ، أغلب مواقف اليمين المسيحى حول الإجهاض وحقوق المثليين جنسيًا والتحكم في الأسلحة النارية وفصل الكنيسة عن الدولة والقضايا الأخرى الداخلية والحساسة فقط. فمنذ عدة سنوات كان تأثير الإنجيليين داخل الحزب الجمهوري واحدًا من الأسباب الرئيسية التى أبعدت الكتلة الانتخابية اليهودية عنه. وكان رالف ريد، في نظر أغلبية اليهود، المناضل الذي لا يكل في الدفاع عن الصلوات الإجبارية في المدارس العامة وإلغاء القانون الخاص بالإجهاض، وهي أمور كانوا يعارضونها. وكانت الإشارات إلى (أمة مسيحية) و (القيم العائلية) التى يطلقها المؤسس المشارك للتحالف المسيحي تثير الريبة داخلهم. ومع ذلك، وفي أعقاب أحداث ١١ سبتمبر وتأثيرها على العلاقات بين الولايات المتحدة والعالم العربي الإسلامى وكذلك على الصراع الإسرائيلي الفلسطيني تخلت الطائفة اليهودية عن برنامجها الخاص في السياسة الداخلية، كى تضمن دعمًا بلا توقف من المسيحيين إلى إسرائيل. وهكذا غيرت[١٧] رابطة مناهضة للتشهير،

وهي منظمة مؤثرة، موقفها بعد إن كانت لسنوات طويلة تسخر من أولئك الذين تسميهم (مسيحيون ثيوقراطيون). وما هو أكثر من ذلك، أن المرء شاهد تقاربًا بين رالف ريد وإبراهام فوكسمان وهما شخصيتان مؤثرتان ولهما طبيعة تمثيلية داخل معسكراتهما ركز فوكسمان على انتقال العداء السامية في الولايات المتحدة من أوساط اليمين إلى اليسار (فوكسمان ٢٠٠٢). وفي بيان صحفي منشور في ٢٠ يونيو عام (٢٠٠٢م) دعا الحاخام الأرثوذوكسي البارز دانيل لابين اليهود للدفاع عن اليمين المسيحي، والتوقف عن دعم المنظمات اليهودية التي تهاجم بانتظام المنظمات الإنجيلية المسيحية. وبكلمتين دعا أقرانه في الدين إلى تجاوز تحفظاتهم ضد برنامج السياسة الداخلية لليمين المسيحي حبًا في إسرائيل، لأن الدولة اليهودية في خطر، بينما الحق في الإجهاض أو التحكم في الأسلحة النارية الشخصية هي قضايا يمكن أن تناقش.

وكما سنرى، في الفصل القادم، فإن دور بعض الأعضاء المؤثرين في اللوبي الموالي لإسرائيل، والذين هم أيضًا من المحافظين الجدد، يعتبر من الأمور المؤكدة في تعزيز العلاقات اليهودية الإنجيلية ـ وبفضل حملة علاقات عامة ممولة ومدعمة من سياسيين في مراكز مهمة في العاصمة الفيدرالية مثل اليوت ابرامز والحاخام دانيل لا بين مدير منظمة (نحو التراث)، ومقرها في واشنطن، حاول المحافظون الجدد إقناع اليهود أن اليمين المسيحي ليس معاديًا للسامية، وأنه فوق ذلك يعتبر أفضل حليف لإسرائيل المرفوضة اليوم من قطاع كبير في أوروبا والعالم العربي.

ومع ذلك، فإن تشكك يهود أمريكا في أصدقاء إسرائيل الإنجيليين بعيد عن أن يكون قد اختفي تمامًا. فكل التغيرات الحاصلة في النصف الثاني من السبعينيات لم تنجح في إقناع بعض اليهود اليساريين في أن التحالف مع اليمين المسيحي يمكن أن يكون دائمًا وأنه يستحق الاهتمام الذي توليه له المنظمات المناضلة. وبعض الشخصيات مثل روبرت زيمرمان رئيس الكونجرس اليهودي الأمريكي، لم تتوقف عن التذكير بأن صعود الإنجيليين، في نهاية المطاف، يشكل تهديدًا للحريات السياسية التي أعطت اليهود في الولايات المتحدة أمانًا لا نظير له (متري، ٢٠٠٤م، ص١٦٣). بالنسبة لهؤلاء اليهود الليبراليين، القضية هي ألا يكون هناك سوء تقدير لإصرار الإنجيليين على الهوية المسيحية ـ وبشكل ثانوي الهوية اليهودية المسيحية ـ ولرفضهم مبدأ الفصل بين الدين والدولة. والأكثر من ذلك أنهم لم يستشعروا الطمأنينة مع تعليق النشاط التبشيري والإنجيلي تجاه اليهود، والذي لن يكون إلا مؤقتًا.

لكن، لا يبدو أن صيحات التحذير التى أطلقها اليهود الليبراليون الأمريكيون والديموقراطيون مثقفو اليسار قد وجدت آذاناً صاغية. وذلك نظرًا ـ على حد قول أناتول ليفين ـ لأن معارضي الصداقة الإنجيلية اليهودية قد منعوا من تقديم "معارضة قوية ومنسقة» للأفكار المتطرفة لليمين الإسرائيلي والأمريكي. «وبالتالي، كما يرى ليفين، لا يوجد أى بديل سياسي محدد ولا معارضة في الولايات المتحدة فيما يتعلق بالصراع الإسرائيلي ـ الفلسطينى والسياسة الأمريكية في هذا الشأن» (ليفين، ٢٠٠٥م، ص٣٩٥).

اختيارات استراتيجية متنوعة

يسعى اليمين المسيحي بكل الوسائل إلى تنفيذ الإجراءات التى يدعو إليها. ولكي يحقق أهدافه يلجأ إلى استراتيجيات متنوعه للغاية. ومن التنويع الكبير لأنماط العمل التى يسلكها يمكن إدراك أنه عرف كيف يستفيد من التكنولوجيات الجديدة في وسائل الاتصالات في معركته ضد الإجهاض والمثليين جنسيًّا ومن أجل استعادة القيم الأخلاقية ينظم اليمين المسيحي المظاهرات المضادة والمسيرات والمقاطعات. وهكذا، في كل عام، ينظم العديد من المجموعات مظاهرات مضادة في كل مكان تقريباً لا سيما في نيويورك وسان فرانسيسكو، بمناسبة احتفالات طائفة المثليّين جنسيًّا باستعراضهم السنوي. وهناك منذ عام (١٩٧٣م)، ينظمون حملات ضد العيادات والمستشفيات التى تمارس الإجهاض، تبدأ من فرق المراقبة بتمييز العاملين بالمؤسسات الطبية عن النساء الراغبات في الإجهاض، وحتى عمليات كوماندوز ضد هذه الأماكن. وأحيانًا يتدخلون في قلب هذه المؤسسات لمحاولة ردع النساء في صالات الانتظار، أو للصلاة والغناء في الممرات أي حراستها. وأثبتت هذه الأعمال أنها مرعبة حيث هربت الزبائن من هذه العيادات، التي انتهت في الغالب إلى الإغلاق بعد شهور من الحصار. ولم تتوقف هذه الأعمال الاستعراضية والعنيفة أحيانًا عن احتلال صدارة الأحداث: «لم نعد نستطيع إحصاء عدد هذه الأعمال ـ كما تقول كارولين فورست ـ التي تؤدي إلى الموت والتي يرتكبها مناضلو جمعيات «من أجل الحياة». كما تعرض الأطباء للاعتداءات، وكانت هناك أيضًا خطابات مفخخة، وقنابل تنفجر، واعتداءات بالحامض، وإطلاق نار على العاملين بغرف الاستقبال وتم أخذ زبائن كرهائن» (فورست، ٢٠٠١م، ص١٤٠).

ومنذ عام (١٩٧٤م)، في ٢٢ يناير من كل عام ذكرى قرار المحكمة في قضية رو/ واد، تتجمع المنظمات المناهضة للإجهاض. والقادمة من شتى أركان البلاد للسير نحو مبنى الكونجرس في واشنطن. وكان هذا القرار قد أدى إلى نشأة جمعية « مسيرة من أجل الحياة» التى تنشغل، علاوة على ذلك، بتنظيم لقاءات ين المجموعات المناهضة للإجهاض والبرلمانيين المعارضين لممارسة الإجهاض. وعندما تحل ذكري ٢٢ يناير من كل عام يتلقى كل فرد من أعضاء جمعيات «من أجل الحياة» وردة (رمز المسيرة) مع كلمة شكر لما يبذلونه من جهد مع المطالبة ببذل المزيد من الجهد ضد عمليات الإجهاض (ص١٢٨) .

يعتبر هذا اليوم/ الحدث إذن لحظة لقاء، وفي الوقت نفسه ممارسة للضغوط. ويرسل الرئيس ريجان والرئيس بوش(الأب) رسالة مساندة للحركة في يوم «مسيرة من أجل الحياة».

يتمثل أكثر أشكال العمل شيوعًا في تهديد المؤسسة أو الجهاز الإعلامى الذي قد يتوقف عن التمييز في عملائه بين المثليين جنسيًا وغير المثليين، أو الذي قد يذيع برنامجًا متسامحًا مع المثليين جنسيًا. وبفضل قاعدة معلومات كاملة لشركات (شركات التأمين ـ صيدليات) تمول، من بعيد أو قريب، الرقابة على المواليد، تعمل الجماعات المناهضة للإجهاض على ردع المستثمرين الذين يضعون أموالهم في الشركات المجرمة . وبالفعل فإن هذا التهديد بالمقاطعة هو الذي أرعب ولفترة طويلة الشركة المنتجة لحبة الإجهاض Ru 486 من توزيعها في الأسواق بالولايات المتحدة. وظلت بعيدة عن التسويق زهاء عشر سنوات خوفًا من الانتقام. ومثال آخر على هذه الضغوط، في عام (١٩٩٨م) حصل النائب مايك فارمر على عقد تحديث جامعة كنساس مقابل وعد بأن يمنع طلابه في كلية الطب من عمل دورات تدريبية في معامل أو مع جمعيات مؤيدة للإجهاض، وبعد عامين من تجميد التمويل اضطرت الجامعة للخضوع (ص١٣٢).

كذلك تضمنت الجهود، التي بذلها اليمين المسيحي لإسماع صوته، عملاً ميدانيًا هادفًا إلى «الانتشار من أسفل». وشملت هذه الإستراتيجية تنظيم مؤتمرات وحلقات نقاش، وزيارات للمنازل. وبيع ملابس عليها شعارات وعلامات التسجيل، ونشر إعلانات بالراديو والتليفزيون وتوزيع البيانات والمنشورات، والملصقات، ونشرات المعلومات وشرائط الفيديو. غير أن هجوم اليمين المسيحي لا يتوقف عند هذا الحد: فالقنوات المحلية تتلقى قوائم بإرقام تليفونات وكذلك الدليل السنوي وأشياء مساعدة لتعلم القيام بحملات تليفونية. وإذا بدا أن الأشخاص الذين تم

الاتصال بهم مؤيدون لقضايا المحافظين، يتم الاحتفاظ بأرقامهم وإعداد بطاقات شخصية لهم حتى يتم الاتصال بهؤلاء الأنصار الجدد وفق احتياجات الانتخابات القادمة.

ومن أجل برنامجه يجتهد اليمين المسيحي لامتلاك هياكله الخاصة. ومن أجل تشجيع التبني كبديل للإجهاض (متبعين في ذلك شعار«التبني اختيار»)، أسست عدة كنائس مراكز الاستقبال للراغبات في تبني أطفال مثل مركز «إنقاذ الأطفال» الذي أسسه جيري فالويل. ووصل الأمر إلى أن بعض الكنائس اقترحت إجراء تحليل الحمل مجانًا لمن ترغب. وقام القساوسة بدور المستشارين المشجعين على تبني المولود الجديد الذي لا ترغب أو لا تقدر الأمهات الشابات على الاحتفاظ به. وأسس جيري فالويل، من بين قساوسة آخرين برنامجًا للتبني يدعى «الحرية لأقارب الله».

وفي المجال السياسي يتدخل اليمين المسيحي بطرق مختلفة. ومن أجل أن يضع في الأمام مرشحيه ـ ليس فقط في الكونجرس والرئاسة، لكن أيضًا على مستوى مجالس الدولة والمقاطعات ـ يجند اليمين المسيحي مرشحين واعدين ويقودهم إلى واشنطن لتدريبهم. وهنا يعلمهم كيف يقودون حملة انتخابية ويقدم لهم دعمًا ماليًّا كبيرًا. وتنتمي هذه المحاولة إلى استراتيجية «السيطرة من أعلى» والتى هدفها الاستيلاء على مواقع السلطة على قمة الهرم السياسي .

ومثل كل الاتجاهات السياسية الأخرى، يمارس اليمين المسيحي سياسة الضغوط (اللوبي)، التى تدور في الجوهري منها في أروقة الكونجرس، حيث، كما رأينا، يمتلك العديد من الحلفاء. وعندما لا يمارس سياسة اللوبى، تذهب بعض المجموعات، في كل إنحاء البلد، إلى تعليق ملصقات ذات رسائل سياسية تشير بوضوح إلى كيفية التصويت على قضايا محددة تمامًا في السياسة الداخلية أو الخارجية. ولممارسة الضغوط على المشرعين على الصعيد الفيدرالي أو على صعيد الولايات، والتأثيرعلى قراراتهم ينظم اليمين المسيحي حملات تليفونية، جمع توقيعات، بريد إلكتروني .

وعلى أمل إعادة الصلاة إلى المدارس العامة ومنع الإجهاض يسعى اليمين المسيحي إلى تعديل الدستور عن طريق برلمانييه. وتم تقديم ليس أقل من ثمانية عشر تعديلاً واقتراحًا بقوانين إلى الكونجرس من خلال هؤلاء البرلمانيين. ومن هذه المقترحات تظهر مقترحات جيس هيلمز الهادفة إلى إلغاء قرار المحكمة العليا المؤيد للإجهاض. ومع ذلك ذهبت جهوده أدراج الرياح. وتحت ضغط اليمين المسيحي، أخذ جورج دبليو بوش موقفاً، أثناء حملته الانتخابية في عام (٢٠٠٤م)، من أجل مراجعة الدستور ليجعل من المستحيل زواج المثليين جنسيًّا، لكن المشروع

فشل من أول قراءة له بالكونجرس، حيث رفض مجلس الشيوخ في ١٤ يوليو عام (٢٠٠٤م)، فكرة تعديل الدستور. فمراجعة الدستور التى يطالب بها اليمين المسيحي مسألة حساسة قد لا تحدث أبدًا .

كذلك لا يتجاهل اليمين المسيحي العملية الانتخابية. في الثمانينيات عمل على تعبئة الناخبين الإنجيليين والأصوليين. ونظرًا لنزعة الامتناع عن الانتخاب، وهى علامة على فتور سياسي يصل إلى نسبة مهمة في الولايات المتحدة، تصبح عملية تعبئة الجماهير مراهنة كبيرة. ومنذ زمن بعيد، لم تتجاوز نسب المشاركين في الانتخابات الرئاسية ٥٥٪ من الكتلة الانتخابية المفترضة. وأثناء انتخابات عام (١٩٨٠م) وعام (١٩٨٤م) بذل جيري فالويل ورفاقه جهودًا ضخمة بغرض تعبئة أولئك الإنجيليين والأصوليين الذين لا يزالون متحفظين إزاء أى التزام سياسي. وكانت مهمتهم تسجيل أكبر عدد ممكن من الإنجيليين على القوائم الانتخابية، وجعلهم يصوتون، إلى درجة القيام بتأمين مواصلاتهم حتى صناديق الاقتراع. وفي نهاية المطاف ما يقرب من أربعة ملايين من الناخبين «المسيحيين» قد تم تسجيلهم على القوائم الانتخابية.

التحالف مع مراكز الفكر اليميني

أدرك قادة اليمين المسيحي أيضًا الدور الذي يمكن أن تلعبة المؤسسات [البحثية] في الاستيلاء على الرأى العام. وتم إنشاء ما يقرب من أربعين «مركز فكر»، وذلك بفضل مساعدات رجال أعمال كبار وصناعيين مشهورين. وقد ظهر مصطلح «مراكز الفكر» أثناء الحرب العالمية الثانية لوصف صالة اجتماعات معزولة، حيث يمكن للعسكريين الأمريكيين أن يعملوا وأن يأخذوا قراراتهم بمنتهى الأمان. وصار المصطلح شائع الاستخدام إبتداءً من الخمسينيات واكتسب معنى أكثر اتساعًا، وصار منذ هذا الوقت يعنى مركز تفكير - ما بين المؤسسة والجامعة - متخصص في السياسة العامة، وبغرض غير تجاري ومزود باستقلال تنظيمى كبير.

ومن بين مراكز الفكر المحافظة يمكن أن نشير إلى مؤسسة هيرتاج ومعهد هدسون ومعهد روكفورد. وفي فترة الحرب الباردة كانت مؤسسة هيرتاج رأس الحربة في مناهضة الشيوعية بصورة مطلقة. واليوم يؤكدون داخلها على أن سقوط إمبراطورية الشر، لم يلغ المخاطر، وإنما على العكس فاقمها، لأنها صارت منذ هذا الوقت متفرقة. وعلى صعيد آخر، نجد مؤسسة

هيرتاج، المنشغلة بتكوين «مخزن محافظين» قد أنشأت بنك معلومات يندرج فيه عدة آلاف من المتخصصين الذين يمكن أن يعملوا بفاعلية في إدارة يمينية . وظل بطلها رونالد ريجان كما يضم مجلس إدارتها بعض أعلى قيادات «المؤسسة » السياسية مثل جب بوش شقيق الرئيس الحالي.

أما معهد هدسون الذي أسسه، في عام (١٩٦١م)، قدامى مؤسسة راند مع الدعم المالي من غلاة المجموعات المحافظة، فقد تخصص في نقد دولة الرعاية. غير أن معهد روكفورد، بدون شك، هوالأكثر قربًا من اليمين المسيحي. وعلاوة على بلاغته المميزة، ذات الصبغة الشعبوية الشديدة، يركز معهد روكفورد على القضايا الأخلاقية والتى لا يمكن لمراكز الفكر الأكثر مكانة وسمعة، مثل معهد الانتربرايزر ومعهد مانهاتن، أن تتناولها بالطريقة نفسها نظرًا لتنوع جمهورها (سميث،١٩٩١م، ص٢١٨).

ويعتبر تحالف قادة اليمين المسيحي مع مراكز الفكر المحافظة من الأمور الطبيعية جدًا، حيث هؤلاء وأولئك يؤمنون بنزعة محافظة مؤسسة على المشروع الخاص وحكومة فيدرالية محدودة والحرية الفردية، والقيم التقليدية، ودفاع وطني قوي . وعلاوة على ذلك، يدرك ممثلو اليمين المسيحي دور مراكز الفكر في تطور الرأي العام من خلال مجلات مثل POLICY REVIEW, PUBLIC OPINION وكذلك من خلال التليفزيون والإنترنت. فالباحثون الذين يعملون في هذه المراكز يعدون فرضيات ويصيغون توجهات ويعملون على إيصالها إلى مواقع السلطة. وهم يستهدفون أولاً وقبل أى شيء آخر ممثلي مجلس النواب ومجلس الشيوخ، حيث يغمرونهم بالحجج ووثائق العمل وغالباً بمقترحات قوانين وتعديلات للدستور.

البريد الإلكترونى الشخصي وحملات التشويه

كما أسلفنا، يستخدم اليمين المسيحي على نطاق واسع التكنولوجيا الحديثة : التليفون، التليفزيون، المعلوماتية التى يستخدمها بكثافة في الحملات الانتخابية الفيدرالية والمحلية. من أجل أن ينزع المصداقية عن المؤسسة الليبرالية، التى قد تكون متحكمة في المعلوماتية، طور ريشارفيجري استراتيجية استخدمت للمرة الأولى في بداية الستينيات وهى الإعلان المباشر أو البريد الإلكتروني الشخصي. لا يتعلق الأمر فقط بتقنية الإعلان السياسي، وإنما أيضًا أحد الأدوات المميزة التى يعتمدها اليوم المرشحون والأحزاب من أجل جمع التبرعات. وقد عرف

تطور البريد الإلكترونى الشخصي في السبعينيات نموًّا ملحوظًا من جراء تقنين تمويل الحملات الانتخابية في عام (١٩٧٤م)، الذي شجع على الدعوة إلى تبرعات صغيرة. وهذا التقنين المرافق للثورة التكنولوجية ـ كمبيوتر، طباعة حديثة عن بعد، سرعة ونوعية المطابع ـ أعطى لهذه التقنية في جمع الأموال زخمًا كبيرًا. وتستهدف الرسائل الشخصية التى يتضمنها البريد الإلكترونى الشخصي، حث المرسل إليهم على التبرع . وبإرسالها إلى ملايين من المتبرعين المفترضين يعود هذا البريد الشخصي بمبالغ معتبرة، خاصة وأنه يخاطب ردود أفعال عاطفية تتعلق بتحديات نوعية مثل الإجهاض، المثلية الجنسية وإعادة الصلاة في المدارس. ويعتبر سلاحًا مخيفًا، لأنه يعتمد على ضعف المستوى الثقافي لقطاع من الناخبين. وهكذا كما يقـول جان بيير لاسال، «بساطة الرسالة مصدر قوتها، أما الجانب الدلالي للبريد الشخصي فيأتى في مرتبة ثانية» (لاسال، ١٩٩١م، ص٢٢٤). ويعتمد خبراء جمع التبرعات كثيرًا على الغضب الذي ينبغي أن تثيره رسالتهم لدى المرسل إليهم كرد فعل على هذه المشاكل الإخلاقية. وتعتبر«الشخصنة» هى القاعدة الذهبية للبريد الإلكترونى الشخصي. وإلى جوار صياغتها من نوع: «صديقي العزيز »، «أنت وأنا» وكذلك «نحن »، تشير في الغالب إلى الأسرة والأطفال والأقارب. والرسالة ينبغي فوق ذلك أن تعالج قضايا راهنة تشغل المرسل إليه. والهدف الأكبر لهذه التقنية هو إعطاء الانطباع ـ وعادة ما يكون زائفًا في الحقيقة ـ بأن هناك علاقة مباشرة وشخصية بين المرسل والمرسل إليه. وتبدو فاعلية البريد الإلكترونى الشخصي بشكل خاص عندما يتعلق الأمر بالقيام بحملة تشويه. وهى استراتيجية تتركز أساسًا على نقد برامج الخصم ومناطق الضعف المفترضة في شخصيته. ولا يستثنى الحياة الخاصة من ذلك مطلقًا، بل كان الضرب تحت الحزام هو القاعدة. وكان الهدف المنشود بالطبع هو تدمير مصداقية الخصم وهزيمته في نهاية المطاف. وهذه الإستراتيجية التى اتخذت أشكالاً متعددة ـ بريد إلكتروني شخصي، ملصقات، فقرات إعلانية بالراديو وخاصة التليفزيون ـ ليست حديثة تمامًا. فحملة التشويه التى قادها جورج بوش الأب ضد المرشح الديمقراطي مايكل دوكاكيس، ساعدت بوش في تحقيق الانتصار في الانتخابات عام (١٩٨٨م). غير أنه في عام (١٩٩٨م) شهد هذا النمط من الإستراتيجية ذروته، فكانت هناك فقرات تليفزيونية منظمة وممولة من قبل جمهوريين مصممين على الاستفادة من قضية مونيكا لوينسكي. ومن جهه أخرى، يمكن القول إن أفلام مايكل مور ضد جورج دبليو بوش، أثناء انتخابات عام (٢٠٠٤م)، تنتمي إلى الإستراتيجية ذاتها.

ملف المؤشرات الأخلاقية: أداة فعالة

استخدم اليمين المسيحي استراتيجية أخرى من أجل السيطرة على اللعبة السياسية، وهي استراتيجية تسمى ملف المؤشرات الأخلاقية، والتى تهدف إلى التأثير المباشر على أعضاء الكونجرس. وهي بطاقة تحوى تقريرًا شخصياً للمسيرة السياسية، وعن كل تصويت فردي لأربعمائة وخمسة وثلاثين نائباً في مجلس النواب وأعضاء مجلس الشيوخ حول كل القوانين، فتصويت الكونجرس ليس سريًا كما هو الحال في فرنسا. ويخبر اليمين المسيحي الجمهور، بصورة دورية، عن آراء ومواقف البرلمانيين من خلال منشوراته. ويوجه هذا السجل الدقيق الى الناخبين «المسيحيين» لمساعدتهم على اتخاذ القرار يوم الانتخابات. وبمنطق واضح، يتعرض أعضاء مجلس النواب والشيوخ إلى حملات معادية عندما تكون مواقفهم غير ملائمة لمواقف اليمين المسيحي. ووفقًا للتحالف المسيحي، فإن هناك تسعة وعشرين من أصل مائة من أعضاء مجلس الشيوخ، ومائة وعشرين من أصل أربعمائة وخمسة وثلاثين من أعضاء مجلس النواب قد صوتوا بصورة منتظمة في عام (٢٠٠١م) (وهى السنة الأخيرة التى كانت أرقام سجل المؤشرات الأخلاقية متوفرة متفقين مع مبادئ التحالف المسيحي، وهو رقم يمثل أكثر من ربع أعضاء الكونجرس بمجلسيه معًا[١٨].

خطب ومواعظ تليفزيونية في خدمة السياسة

بالنسبة لقادة اليمين المسيحي، والذين هم في أغلبهم من الوعاظ (أو الوعاظ التليفزيونيين)، فإن الاتصال المباشر مع المؤمنين يعتبر وسيلة فعالة لنقل المعلومات إليهم، لكن أيضًا وخاصة لتعبئتهم. وفي فترة الانتخابات، يستفيد هؤلاء الدعاة من صلاة الأحد لتشجيع أتباعهم على مساندة بعض المرشحين الجمهوريين ضد آخرين، والذين هم في أغلبهم من الديمقراطيين، والمتهمين بخيانة القيم المسيحية لأمريكا. وثمة تفسيرات ونصائح مدرجة في دليل الناخب الذي يوزع في الوقت نفسة مع نشرة الأسبوع. ومن الواضح أن هذا المزج بين السياسي والديني الذي يمارسه القساوسة الإنجيليون يتعرض لنقد شديد طالما ينتهك مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة الذي شرعه الدستور. ويعتبر التليفزيون وسيلة أخرى هامة يستخدمها اليمين المسيحي لتمرير رسائله السياسية وليجمع التبرعات. وكذلك التكنولوجيا المتقدمة التى يستخدمها الوعاظ

التليفزيونيون التى تجمع عمليات كل وسائل الاتصال الحديثة ـ شبكات تليفزيون بالكابل، إرسال فضائي عبر الأقمار الصناعية ـ تعتبر أدوات مهمة لترسيخ نفوذهم السياسي. وهناك شبكات قنوات ضخمة بالكابل، منها (TBN) وداي ستار ومقراتها في ضواحى دالاس، تنشر رسالة اليمين المسيحي لدى ملايين المنازل. وكرمز لإرادة عمل توافق بين السلطات السياسية والدينية اتخذت قناة TBN شكلاً لمقرها نسخة طبق الأصل من البيت الأبيض. وتعالج أغلب الأفلام التى تنتجها هذه القناة قضية رؤيا آخر الزمان، والصراع النهائي بين المسيح والمسيح الدجال، وهو ما يكشف أثر النفوذ الأصولى.

وأثناء طقوس العبادة التى صارت موضوعًا لحلقات تليفزيونية أيام الأحد، لم يجد الإنجيليون التليفزيونيون، مثل جيري فالويل، بات روبرتسون، بينى هين، جيمس روبيسون، حرجًا في إعلان مواقفهم حول قضايا سياسية محضة، وتعبئة مستمعيهم لمساندة مرشحي اليمين المحافظ . وصارت البرامج الدينية، التى كانت أساس «الكنيسة الإلكترونية»، السند لمشروعات سياسية كبيرة أحيانًا. وأثناء أحد الاجتماعات مع الوعاظ الإنجيليين الأصوليين أطلق جيري فالويل شعار «اهدوهم، عمدوهم، سجلوهم على القوائم الانتخابية» (فالويل، في بدوهورتيز، ص٧٢).

وتعتبر عمليات جمع التبرعات إحدى النشاطات الأكثر أهمية للكنيسة الإلكترونية. وحتى صار «التليفزيون الديني» ماكينة ضخمة لجذب الأموال. كما أن شخصنة الرسالة وطابعها الدرامي وشحنتها الانفعالية القوية تسمح بإحصاء المتعاطفين والوصول بصورة فردية إليهم. وتنفق الأموال التى تم الحصول عليها في مجالات مختلفة، بدءًا من الأعمال التبشيرية والخيرية وحتى صيانة بعض الجامعات. وسيذهب قسم مهم من هذه الأموال للعمل السياسي : فالقس روبرتسون أنشأ لجنته الخاصة للعمل السياسي (PAC)، ولجنة الحرية كشكل من أشكال المجلس المدني. وهذان التنظيمان الأخيران تم دعمهما ماليًا من قبل مائتى ألف متبرع فردي، تمكن برنامج روبرتسون، نادى السبعمائة، من التعرف عليهم. وهذه التنظيمات هى التى مولت قسمًا كبيرًا من الحملة الانتخابية أثناء الانتخابات التمهيدية في عام (١٩٨٨م). «إنها هي، كما يقول جان بيير لاسال، التى سمحت له بالقيام بعمل مصبوغ بالأيديولوجية المؤسسة على أطروحات اليمين الديني، وممارسة تأثير على الحزب الجمهوري» (لاسال، ١٩٩١م، ص٢٣٥).

التعليم: وسيلة دعاية وتجنيد ضرورية

ويمكن النظر إلى كثرة مؤسسات التعليم العالي المكرسة لتكوين كوادر الغد، وعلى نحو أكثر تحديدًا «تكوين القادة المسيحيين لتغيير المجتمع»، على أنها إحدى العلامات الأكثر وضوحًا على استراتيجية الاستيلاء من أعلى. والآن، يوجد في الولايات المتحدة ما يقرب من تسعمائة جامعة وكوليج ذات توجه إنجيلي وأصولي، والتي في بعض الحالات، تقدم نفسها كمسيحية تمامًا[١٩]. وتعود أولى هذه المؤسسات إلى القرن التاسع عشر، بينما الأحدث عهدًا يعود إلى الستينيات والسبعينيات. ففي هذين العقدين أنشئت خمسون جامعه أصولية، ومن بينها جامعة ليبرتي (التي أسسها جيري فالويل في لينشبرج بفرجينيا)، وجامعة أورال ربرتس (أسسها أورال روبرتس في تولسا بأوكلاهوما)، وجامعة ريجينت (أسسها روبرتسون في فرجينيا بتش بفرجينا). ويعود تفرد هذه الجامعات إلى الجهد الذي تبذله للمصالحة بين ضرورات الزمن الحديث فيما يتعلق بالتكوين العالي المستوى مع ضرورات الإيمان المسيحي. وبدون التخلي عن قناعتهم اللاهوتية المناهضة للتحديثيين وافق فالويل وروبرتسون وروبرتس على تكييف مؤسساتهم مع حاجات المجتمع المعاصر في تكوينات متخصصة ومتوجهة نحو المسارات المهنية. وجاء إنشاء هذه الجامعات كرد على عدد متزايد من الآباء الذين يريدون أفضل تعليم يمكن لأبنائهم، أي تعليم يؤهلهم لدخول الحياة المهنية . بالإضافة إلى أنهم يشترطون أن يكون هذا الإعداد في إطار ديني، بطريقة «لا يفقد فيها الأطفال روحهم». وكان هؤلاء الآباء في الأغلب، من المحافظين الذين يرفضون التعليم العام، وبدون أن يكونوا مع ذلك منغلقين. ومن أجل الحصول على رضاهم ومن أجل الوصول إلى الجمهور الأكثر اتساعا قدمت هذه الجامعات دراسات مهنية مثل الطب، التجارة، القانون، إدارة المشروعات، الحسابات، وفي الوقت الذي تعزز فيه أيضًا دراسة اللاهوت الأصولي. وبقيامها بهذا تقدم الدليل على أن التعليم الجيد والفعال والمفيد لا يتعارض مع الأخلاق المسيحية التقليدية. وبتلبيتها حاجات الجمهور تحقق جامعة ليبرتي وريجينت والأخريات أرباحًا مالية. وعلى غرار المشروعات التجارية تعتمد هذه الجامعات على القوانين الاقتصادية للعرض والطلب، وتسعى لغزو أماكن في السوق حتى تستمر. ويقتضي الأمر إذن أن يعترف بها وأن تحصل على مصداقيتها من مؤسسات دنيوية، مع معرفة أن المصداقية تمنح ضمانة رسمية لشهادات الخريجين.

وتعتبر جامعة ليبرتي أكثر من مجرد مدرسة لأعداد القساوسة، فهى تشمل سبعة معاهد: معهد دراسات عامة، كلية العلوم الدينية، معهد التجارة والعلوم السياسية، معهد الاتصالات، معهد المعلوماتية، دار المعلمين، معهد الفنون والعلوم[٢٠] . وفي هذا الأخير تدرس ـ إلى جانب النظم الدنيوية مثل الكيمياء والرياضيات ـ مواد التاريخ والفلسفة والبيولوجيا التى تعكس توجهات أصولية بشكل صريح. وينبغي على كل الطلاب دراسة مقرر إلزامى بعنوان «تاريخ الحياة» الذي يعرض نظرية الخلق الإلهي للإنسان كتعبير عن الحقيقة. والأمر ذاته بالنسبة لمركز دراسات الخلق ومتحف تاريخ الأرض والحياة حيث يعملون بنشاط على تعزيز رؤية الكتاب المقدس لأصل الإنسان.

ولا يندرج مشروع جيري فالويل ضمن منطق رهبنة، فهو لا ينقطع عن العالم بل يريد تحويله، ولا يرفض الحداثة وإنما يسعى إلى السيطرة عليها ومسحنتها [إضفاء الطابع المسيحي عليها]. ويرى فالويل أن جامعة ليبرتي ينبغي عليها أن تشكل رأس جسر يرفع راية المسيح . وفي الوقت الذي يدرب فيه الطلاب على مهن علمانية ـ أطباء، صحفيون، رجال ونساء أعمال ـ فإنه يطبعهم بالأيديولوجية والقيم الأصولية. وعندما يتخرج هؤلاء الكوادر الأصوليون من الجامعة، فإنهم سينطلقون في غزو المجتمع من أجل إعادة مسحنته. وسيشكلون نخبة مضادة ستنتج القيم المهنية والمعايير الأخلاقية لـ «المؤسسة». وهنا أيضًا نجد رفضًا لحداثة ينظر لمنطقها على أنه غريب ومغترب ومدمر للهوية الفردية والعائلية. ويشير اختيار بات روبرتسون إلى اسم ريجينت، الذي يعني من يحكم في غياب السيد، إلى رغبته في إختراق الكوادر المسيحية للمجتمع بأسره، فهم بمنزلة «ممثلي الله على الأرض» وينبغي أن يستولوا على السلطة وعلى الحكم حتى عودة المسيح، السيد الغائب، ويظهر هذا بوضوح على الشعار المعلق في موقع الويب لجامعة رجنت الذي يدعو إلى «قيادة مسيحية لتغيير العالم» (http://www.regent.ed.go). ويرى اليمين المسيحي أن التعليم ما هو إلا وسيلة نقل وأداة دعاية وتجنيد لا مندوحة عنها. كما يرى، بالنسبة للإنجيليين المسيحيين الشبان أنهم يمكنهم، بفضل تعليم متكيف، هجر هامشيتهم التى تركهم عليها آباؤهم والاندماج في محيط مدنى لمجتمع ما بعد صناعى. وأن تعليم عدد متزايد من الأصوليين والإنجيليين سيسمح، على الأمد البعيد، بتأمين استمرار البروتستانتية المحافظة. وبالتوازي مع تكوين الكوادر المسيحية المستقبلية، تتحرك جمعيات كثيرة قريبة من اليمين

المسيحي ضد علمنة التعليم بالتشكيك، على نحو خاص، في مضمون المقررات واختيار الكتب المدرسية ومحتوى المكتبات . وعلى نحو متصاعد يتجمع متطوعون لتهذيب الكتب المدرسية من آثار الحركات الإنسانية والنسائية ووضعها أمام المجالس المدرسية (التي تدار في الولايات المتحدة من قبل المعلمين وأيضاً من قبل المتبرعين المحليين) والمطالبة بعودة الصلاة إلى المدارس والمطالبة بتدريس نظرية الخلق الإلهي في المدارس العامة. ونشاهد اليوم، في الولايات المتحدة، حربًا أهلية في الأوساط المدرسية. وتتعرض نظرية داروين حول أصل الأنواع إلى هجوم من اليمين المسيحي في كل أنحاء البلاد، والذي يريد إدخال فرضية الأصل الإلهي للخلق إلى المدارس. ويستهدف الهجوم على داروين التعليم في المدارس العامة خاصة حتى المرحلة الثانوية. ونتيجة ذلك تزايدت الشكاوى ورفعت دعاوى قضائية على كل الأصعدة. وكما أشرنا، من قبل، إلى أن النقاش حول نظرية التطور ليس جديدا. ويمكن أن نميز في هذا الجدال الدائر منذ قرن ونصف ثلاث مراحل: أولاً ناضل معارضو داروين من أجل منع تعليم نظرية التطور في المدارس العامة. وتميزت المرحلة الثانية بمطلب معالجة متوازنة في المدارس العامة لتعليم نظرية الخلق الإلهي ونظرية التطور، ثم جاءت نظرية «التصميم الذكي» لتميز المرحلة الأخيرة من هذا الجدال. ويحاول أعداء نظرية التطور إظهار أن «التصميم الذكي» ينتمي إلى العلم وليس إلى الدين.والحال أنه، في عام (١٩٨٧م)، أصدرت المحكمة العليا حكمًا بعدم دستورية تعليم النظريات البديلة لنظرية التطور، مثل نظرية الخلق الإلهي، لأن ذلك يتعارض مع القانون الدستورى القائل بالفصل بين الكنيسة والدولة. لكن لم يمنع هذا مجموعات من آباء الطلاب المدعومين من جمعيات قريبة من اليمين المسيحي، من ممارسة الضغوط حتى تتغير الأمور وأن يكون للنظريات البديلة الحق في أن يشار إليها ـ في ـ المقررات المدرسية. وفي عام (٢٠٠٤م) وافق المجلس المدرسي بدوفر، في بنسلفانيا. المتكون من المواطنين المنتخبين، على تدريس نظرية «التصميم الذكي» للخلق كبديل عن الداروينية . وكان أبرز القائلين بهذه النظرية يريدون أن يكونوا أكثر مرونة وفطنة من أصحاب نظرية الخلق التقليديين: وبدلاً من الدفاع عن قراءة حرفية للكتاب المقدس، أو احترام الحرية الدينية في المدارس، تقدموا بأدلة علمية أو شبه علمية بغرض تفجير نظرية داروين. فهم يرون أن الكائنات التى نعرفها متقدمة جدًّا بحيث لا يمكن إيعازها إلى المصادفات، وأنها تحمل إذن آثار تصميم وذكاء. وعلى الفور تعرضت المنطقة

المدرسية بدوفر إلى شكوى قضائية رفعها آباء الطلاب والجمعيات التي تريد منع تدريس نظرية «التصميم الذكي». واستمر الجدال في الاتساع، وغذته أجهزة الإعلام والرئيس بوش ذاته . فقد صرح للصحفيين، في أول أغسطس عام (٢٠٠٥م)، «أنه من المشروع تقديم أفكار مختلفة للأطفال وأن يدرس لهم إذن نظرية [التصميم الذكي] بالتوازى مع نظرية داروين» (باكير سيلفان، ٢٠٠٥م). وسيدخل هذا التصريح السرور إلى قلب قادة وأنصار «التصميم الذكي»، بينما رأت الأغلبية الشاسعة للجماعة العلمية في هذه النظرية نوعًا من التسويق المقبول لنظرية الخلق الإلهي يتحاشى الحديث عن الدين، حصان طروادة الجديد لليمين المسيحي الذي انطلق في الهجوم على نظرية التطور . وفي ٢٠ ديسمبر عام (٢٠٠٥م)، صرح القاضي الفيدرالي جون جونز بعدم دستورية قرار المجلس المدرسي بدوفر بإدراج عقيدة «التصميم الذكي» في مقرر البيولوجيا. ولم يغلق الملف بعد، حيث ظل قرار المحكمة قابلاً للاستئناف.

عالم الإنترنت الدينى

ومثل عالم الأعمال والمؤسسات المدرسية والجامعية والهيئات الحكومية، فإن المكونات المختلفة لليمين المسيحي اقتحمت سريعًا وبصورة مكثفة الشبكة الواسعة للجماعات الافتراضية التى تملأ الفضاء المعلوماتى، واجدة فيه موجة متميزة لتسجيل رسائلها على الخريطة الإعلامية والاجتماعية. والجميع على وعي بضرورة أن يكونوا في هذا الفضاء المعلوماتى الإلكترونى، وهذا ما يفسر لماذا لا يوجد اليوم أى مركز تجمع مرتبط باليمين المسيحي دون أن يكون له موقعه الخاص على الويب. ويحاول اليمين المسيحي ـ من خلال تقديم خدمات تفاعلية (مجموعات دردشة، رسائل إلكترونية) إمدادات وإذاعة نشرات ـ توسيع مظلة تأثيره أبعد من حدوده التقليدية. وبالإجمال، صار «النظام المتعدد الوسائل الإعلامية» سلاحًا استراتيجيًّا في كل الميادين. وصار الإنترنت، بالنسبة لليمين المسيحي، أداة لا يمكن الاستغناء عنها وميزة عظمى. وهو يستخدمها بكثرة، حيث إنها تعمل على تسريع كل عملية الاتصال والتشاور والتعبئة وممارسة الضغوط. وبمساعدة قوائم النشر التى يمتلكها ترسل مواقعه المختلفة يوميًّا معلومات وبيانات صحفية أو حتى أفكارا للعمل حول موضوعات لها صلة بالسياسة الداخلية والخارجية معاً. وعند الضرورة، تتم دعوة المشتركين لإغراق صناديق البريد الإلكتروني لأعضائهم في

مجلس النواب الشيوخ. وهناك ما لا يقل عن مليون رسالة إلكترونية أرسلها جاري بوير ورالف ريد إلى مسيحيين إنجيليين في كل أنحاء البلاد يطلبان فيها ممارسة الضغوط على البيت الأبيض بغرض الاحتجاج ضد «خارطة الطريق» لجورج دبليو بوش.

ويخوض اليمين المسيحي، عبر الإنترنت، أعمالاً عديدة، وغالبًا ما تكون ذات طبيعة درامية. ومع ذلك، لا أحد قد أجرى لها تقييما ليدرك مداها. يكفي التذكير بأن الحملة المناهضة لبيل كليتون، في أعقاب قضية لوينسكي ـ قد بدأت على الإنترنت. وكذلك ـ ودائمًا في القضية نفسها ـ أذيع تقرير «ستار» على الإنترنت فقط بعد عدة ساعات من تسليم المدعي المستقل «ستار» تقريره للكونجرس. وبالطبع، فإن الإنترنت نظرًا لكل إمكاناته الثورية كان محل تقدير، بشكل خاص، من المناضلين المناهضين للإجهاض . وعلى سبيل المثال، يمتلك التحالف الأمريكي من أجل الحياة صفحة على الويب عنوانها «أبناء نورمبرج» ومزينة بصورة أجنة دامية والموقع لا يخفي سرًّا: ويدعو المشتركين في الإنترنت إلى تعقب «المجهضين» و«المتهمين بجرائم ضد الإنسانية». ولهذا الغرض يقدم صورًا، أسماءًا، عناوين وأرقام تليفونات لأشخاص تم تجريمهم (أطباء و ممرضات و ملاك عيادات تمارس الإجهاض وحراس و قضاة سياسيين).وأخيراً يعتمد مسئولوا الموقع كثيرًا على الوشايات لتحديث المعطيات المتوفرة لديهم.

الفصل الرابع

اليمين المسيحي وإدارة بوش

في الواقع، لم تأتِ ظاهرة تديين السياسة، التي ينظر لها في الغالب على أنها ظاهرة جديدة والتي تلاحظ منذ عدة سنوات في الولايات المتحدة، مع وصول جورج دبليو بوش إلى السلطة. فلجوء رؤساء أمريكيين إلى الخطابة الدينية هو تقليد قديم تغذى من ثقافة ومرجعيات الكتاب المقدس. ومن لينكولن إلى كلينتون مرورًا بروزفلت وريجان ،جميعهم يندرجون في هذا التقليد. وفي تدخلاتهم العامة يشيرون جميعًا إلى الله وإلى علاقاتهم بالدين[1].

لكن أبدًا، قبل وصول جورج دبليو بوش للبيت الأبيض، لم يكن للدين مثل هذا الوزن الضخم. وأبدًا لم يكن تداخل القناعات الدينية في الشئون السياسية بمثل هذه الكثافة وبمثل هذا الوضوح كما حدث في ظل رئاسة جورج دبليو بوش. ويلخص ستيفان مانسفيلد هذه الخصوصية: «صار للأمريكيين الفرصة لمعرفة المزيد عن اهتداء الرئيس، حياته في الصلاة، الكتاب المقدس الذي يقرؤه، كتاب العبادة الذي يستخدمه، والأشخاص الذين أثروا فيه على الصعيد الروحي. ولم يشهد البيت الأبيض في ظل أي حكومة أخرى ما شهده من اجتماعات للصلاة ودراسات للكتاب المقدس، ولم يحظ رجال الدين قط بمثل هذا الاستقبال كما حدث في فترة جورج دبليو بوش» (مانسفيلد، ٢٠٠٣م، صXIV) . ومن الأمور ذات الدلالة أيضًا، كون الرئيس الحالي، منذ وصوله إلى واشنطن في ٢٠ يناير عام (٢٠٠١م)، قد أشار في مئات المرات، إلى الله. ولم يضع فقط ترشيحه الأول تحت راية الله، وإنما استمر في تبرير قراراته عبر الإرادة الإلهية.

في وجدان جورج دبليو بوش، لن يكون هناك تعارض بين ممارسة مهنته كرجل سياسي وقناعته برسالة قد تلقاها من الله. والحال أن نزوعه نحو تلاوة الصلوات أمام الجمهور، ووصفه في كل مكان الآثار الإيجابية للمساعدة المباشرة التي يتلقاها يوميًا من الله في إدارة الشئون الأمريكية والعالمية، أزعج قطاعًا مهمًا من الرأي العام الذي لم يتردد في وصفه بأنه «خليفة الله» (كورتمانش، ٢٠٠٤م)، وكذلك وصفه بـ«آية الله الأمريكي» (كوهين، ٢٠٠٤م). وبالإضافة إلى ذلك فإن التعبيرات العامة للتدين الرئاسي تقلق بشكل كبير الأمريكيين الأكثر

علمانية، وتساهم في حدوث انشقاق سياسي وثقافي متعاظم داخل المجتمع الأمريكي . وفي بقية أنحاء العالم تثير هذه الظاهرة مخاوف جديدة ونوعًا من التشكك والحذر تجاه الولايات المتحدة.

ومهما يكن هذا الإعلان الديني الذي يجسده الرئيس الثالث والأربعين للولايات المتحدة، فإنه يشكل علامة واضحة تمامًا على تجذره في الحركة الإنجيلية. ويرى دافيد فروم، الذي كان واحدًا من الفريق الذي يحرر خطب الرئيس بوش الابن، أنه «جاء يتحدث ثقافة مختلفة جدًّا عن تلك النزعة الفردية التي كان يتحدث بها ريجان. ثقافة بوش هي ثقافة الإنجيلية الحديثة. ولكي تفهم البيت الأبيض عليك أن تفهم سيطرة هذا المعتقد» (فروم، ٢٠٠٣م، ص١).

تدين معلن .. وسياسي

من المتعذر أن نفهم شيئًا عن الرئيس الحالي للولايات المتحدة ما لم نعرف مساره الشخصي: مسار ابن عائلة تعرف على الإيمان في العام الأربعين من عمره. نشأ في أسرة أسقفية تؤدي الفروض الدينية، وكان مولده في ٦ يولية عام (١٩٤٦م) في نيوهافن في كونيكتيكويت. وهو الابن الأكبر لباربارا وجورج هوبير ووكر بوش، الرئيس الواحد والأربعين للولايات المتحدة والبطل السابق في الحرب. وفي عام (١٩٤٨م) عندما وصل آل بوش إلى تكساس اقتربوا من المشيخيين. وبفضل زوجته لورا انضم جورج دبليو بوش في بداية الثمانينيات إلى الكنيسة الميثودية ذات التقليد الإنجيلي وهي الكنيسة الميثودية المتحدة بدالاس.

في تكساس، اختار آل بوش الاستقرار، في الفترة الأولى، في ميدلاند وهي مدينة بترولية صغيرة تائهة في وسط تكساس وتتميز، بوضوح، بثقافة أعماق الجنوب، تلك الثقافة البروتستانتية المتشددة والمحافظة لولايات الجنوب التي سيكون لها تأثير حاسم على حياة ومسيرة الشاب «دبليو» ـ «دوبيا» كما يسميه التكساسيون فحماسته المعلنة ومعتقداته الصارمة، بدون تمييز أو مساومة، تعود بجذورها إلى ثقافة الجنوب البروتستانتية والتي يعتبر أحد منتجاتها الخام. ومنذ اهتدائه الدينى بدأ جورج دبليو بوش أيامه بالصلاة راكعًا، والدراسة اليومية لفقرات من الكتاب المقدس. وبالإضافة للكتاب المقدس، يقرأ كتاب التقوى اليومية لأوزالف شامبر المعنون MY UTMOST FOR HIS HIGHEST.

كان الناس في ميدلاند يتحدثون عن الشاب جورج دبليو بوش كـ«طفل محبوب له وجه

كبير» (مانسفيلد، ٢٠٠٣م، ص ٣٤). ومثل كل الأطفال في عمره، كان يلعب البيسبول ويتجول في الشوارع على الدراجة. وفي المدرسة، كان يمزح مع رفاقه، في الغالب، أكثر مما يعمل حقًا، وكان يتشاجر، في العادة، مع الأطفال الآخرين . وكما يرى ستيفان مانسفيلد كان بوش «متغطرسًا، وعدوانيًا ومتسرعًا، وساخرًا» (ص ٣٤). وعندما وصل إلى سن الخامسة العشرة أرسله والداه إلى أندفر، بالقرب من بوسطن، ليتابع دراسته داخل ليسيه مرموق هو «أكاديمية فيلبس»، وهو الليسيه ذاته الذي تخرج منه والده وجده. وهو أقرب إلى مدرسة عسكرية ولها سمعة في أنها حازمة جدًا وتراعي بدقة النظام والتعليم المسيحي. وكان هذا تغييرًا كبيرًا بالنسبة لهذا التكساسي الذي كان يتلمس طريقه قبل أن يجد مكانه. وهو كتلميذ متوسط اهتم كثيرًا بالرياضة، وحصل على ميداليات في لعبة البيسبول، ولعب في الفرق الصغرى بالليسيه في كرة القدم والسلة قبل أن ينتخب قائدًا رئيسيًا للعبة[٢].

في عام (١٩٦٤م) دخل جورج دبليو بوش جامعة ييل، التي تخرج منها والده وبعض أفراد أسرته . ويزعم البعض أن قبوله بالجامعة قد تم بسهولة نظرًا لوجود جده، بريسكوت، في مجلس إدارة هذه الجامعة، وهو رجل أعمال وبنوك في وول إستريت، وكان أيضًا سيناتورًا في ولاية كونيكتويت من عام (١٩٥٢م) إلى عام (١٩٦٣م). وبدون شك تعتبر الفترة التي قضاها جورج بوش في جامعة ييل الأكثر انحلالاً في حياته. وصار في السنة الثانية ـ بسبب شعبيته وبساطة مزاجه ـ رئيسًا لأخوية الطلاب «دلتاكابا إيسيلون » المتميزة بالبار والميل نحو الاحتفالات. وقد دفع هذا المناخ السائد من الاحتفالات والمهرجانات والصداقات إلى غرق بوش في أهوائه: الكرة وتناول الكحول والدخان والسعي وراء مغامرات نسائية. وكانت تجاوزاته الشبابية كثيرة. وهو ما يعترف به اليوم: «عندما كنت شابًا كنت أتصرف كشاب لا يشعر بالمسئولية» (بوش، ١٩٩٩م، ص ١٣٣). وفي عام (١٩٦٨م)، وأثناء عامه الأخير بالجامعة، إنضم جورج دبليو بوش إلى جماعة «الجمجمة والعظام»، وهي منظمة سرية تأسست في عام (١٨٣٢م)[٣] .

كذلك تميزت هذه الفترة من حياة جورج دبليو بوش بأولى تورطاته مع العدالة. وتم توقيفه مرتين : المرة الأولى في عام (١٩٦٦م) بعد أن سرق إحدى ديكورات نويل من فترينة محل، والمرة الثانية لأنه نزع قوائم مرمى فريق برنستون بمساعدة بعض رفاقه إثر مباراة كرة قدم. وفي هذه الحالة أو تلك كان جورج دبليو بوش في حالة سُكْر. ولم يكن هذا إلا بداية المتاعب التي

سيراكمها حتى وصوله للأربعين من عمره. وليس هناك ما يثير الدهشة إذًا «كان كثيرون يعتبرونه حتى لحظة وصوله لسن الأربعين إنسانًا فاشلاً» (مانسفيلد، ٢٠٠٣م، ص ٤١). وأضاف ستيفان مانسفيلد: «كان بوش يعيش حياة بلا هدف، وفشل تقريبًا في كل ما شرع في القيام به» (ص ٤١).

وعلى مشارف الأربعين، وكان آنذاك أبًا لطفلين، كاد تناوله للخمور أن يقضي على زواجه. وكان يمضي نهاره كيفما كان، وفي المساء يعكف على الخمر. ومع مرور السنوات أصبحت زوجته لورا ـ التي تزوجها في عام (١٩٧٧م)، ضجرة وساخطة على هذا الانحراف. وفضلاً عن ذلك كان يعاني من صعوبات مهنية: فقد استثمر في صناعة البترول، وكانت مؤسسة «بوش للتصدير» على حافة الإفلاس (غير أنه نجح في بيعها بشروط جيدة بواسطة أصدقائه). ومشاكل أخرى كثيرة جعلت جورج دبليو بوش يغرق في أزمات عميقة من الاكتئاب والإسراف في شرب الخمور.

وآنذاك حدثت حادثتان رئيسيتان: لقاؤه مع بيلي جراهام عام (١٩٨٥م) وقراره بالتوقف عن شرب الخمور عام (١٩٨٦م)، لحظتان حاسمتان ستشهدان على تحول فعلي في حياة الرئيس الثالث والأربعين للولايات المتحدة. وأثناء عودته في صيف عام (١٩٨٥م) إلى والديه في منطقة المين تحادث على شاطىء كينبو كبورت مع بيلي جراهام، الذي ظل مقربًا من القادة الأمريكيين، ولا سيما أسرة بوش. وأثناء هذه المحادثة زرع القس جراهام بذرة في روحه (بوش، ١٩٩٩م، ص١٣٦). ويقول بوش إن بيلي جراهام «حرك قلبي[..] وكان هذا بداية التغيير في حياتي» (ص ١٣٦). وعندما سأله القس إذا كان «في حالة استقامة مع الله»، اعترف جورج دبليو بوش بأنه لم يكن «يتبع دائمًا الطريق القويم»، وأنه كان لديه الشعور بأن شيئًا ما ينقصه. وآنذاك طلب منه بيلي جراهام أن «يضع حياته بين يدي الله» حتى ينقذه. ولم يكن هذا «الميلاد الجديد» فوريًّا، ففي العام التالي، وصبيحة عيد ميلاده الأربعين، الذي احتفل به في كولورادو مع مجموعة من أصدقائه، قرر التوقف عن الخمور. وعندما صار من «المولدين ثانية مسيحيًّا» أكد بوش على أن الإيمان أنقذ حياته وحرره وجعله قادرًا على «وضع المشكلة الراهنة في أفق ملائم» (ص ٦).

وهناك أيضًا ـ أبعد من محادثة بيلي جراهام ـ دونالد إيفانز، أحد المقربين من بوش والذي صار وزيره للتجارة، قد لعب دورًا مهمًّا في الصحوة الدينية لدى جورج دبليو بوش، والتي وصفها بـ «اللحظة الأكثر حسمًا في حياتي». وفي تحقيق نشرته مجلة نيوزويك في ١٠ مارس عام

(٢٠٠٣م) تحت عنوان «بوش والرب»، يحكي الصحفي هوارد فينهان كيف خرج جورج دبليو بوش من الأزمة التي كان يعاني منها بفضل دونالد إيفانز. في هذه الفترة كان إيفانز يواجه أيضًا مصاعب شخصية ومهنية، وانضم في عام (١٩٨٤م) إلى مجموعة تدرس الكتاب المقدس تُدعى جماعة دراسة الكتاب المقدس. وكانت لقاءات هذه الجماعة تتم في حلقات صغيرة وتكرس لدراسة أحد كتب العهد الجديد وذلك زهاء سنة كاملة. وأقنع دونالد إيفانز صديقه جورج دبليو بوش بالانضمام إليه، ولفترة عامين عكف الاثنان على الإنجيل كما يرويه القديس لوقا وتعمقًا في اهتداء بولس على طريق دمشق وتأسيس الكنيسة المسيحية. ويرى هوارد فينهان أن «بوش، الذي لم يكن لديه ميل نحو التجريد وإنما فضول فعلي نحو الأفراد، قد تفاعل بقدر كبير من الاهتمام مع رواية اهتداء القديس بولس، وكان يحب فكرة معرفة المسيح بوصفه صديقًا» (فينهان،٢٠٠٣م، ص ١٨). وبقبوله، على وجه التحديد، بعلاقة مميزة ومباشرة مع المسيح أنجز جورج دبليو بوش اهتداءه الديني.

كان هذا البرنامج، بالنسبة لجورج دبليو بوش، مرحلة حاسمة: فهي المرة الأولى التي كان يقرأ فيها كتابًا بمثل هذا الاهتمام العميق، ومنحته هذه القراءة النظام العقلي والروحي الذي سمح له بالانقطاع عن الخمور . وميزت هذه الخبرة الشخصية بصمته وطريقته في إدراك دوره في السياسة وفي الحديث عنها. وبالإضافة إلى أنه ساعده على التوقف عن تناول الخمور وجعله زوجًا مخلصًا، فإن الإيمان سيحدد أيضًا وجهته السياسية، فمنذ الآن فصاعدًا أصبحت لديه قناعة راسخة بأن سياسته يرعاها الله. وتعود أفكاره، وأعماله، ورؤيته للعالم، ونظامه في القيم إلى هذه القناعة. وأثناء إفطار صلاة، بعد عدة أشهر من انتخابه صرح بـ:«دعمني الإيمان في لحظات النجاح وفي لحظات الإحباط. وبدونه سأكون شخصًا مختلفًا وبدونه لم أكن، بدون شك، قد وصلت إلى هذا المكان اليوم» (بوش في لوران، ٢٠٠٣م، ص ١٤). وقال وودورد، في معرض تعليقه على رد فعل الرئيس بوش على أحداث ١١ سبتمبر« يُدرِج الرئيس رسالته ورسالة البلد في السياق العام لخطة إلهية »(وودورد، ٢٠٠٢م، ص٦٧).

وبعد أن تحرر من مشكلة إدمان الخمور وأنشطته المهنية غير الموفقة قرر بوش المهتدي مساعدة والده في حملته من أجل انتخابات الرئاسة عام (١٩٨٨م). ومن أجل هذا الغرض تحرك في اتجاه تعبئة المخزون الانتخابي الضخم الذي يمثله الإنجيليون ولا سيما في الجنوب، ناهيك عن

أنه منذ اهتدائه يشعر أنه قريب جدًا من هؤلاء البروتستانت المحافظين. هل يعني ذلك أن اهتداء جورج دبليو بوش لم يكن نزيهًا تمامًا ؟ وهل يمكن أن نرى فيه نوعًا من التواطؤ بين التقوى والسياسة؟ وهنا أيضًا ليست الآراء متوافقة. فبالنسبة لكرستيوفر أندرسون ينتمي اهتداء جورج دبليو بوش إلى نوع من الحسابات الإستراتيجية. ويرى أندرسون أنه من الأمور المثيرة للدهشة أن إعادة ميلاده كمسيحي قد جرت في لحظة محددة كان والده فيها لا يحظى بترحيب كبير داخل اليمين المسيحي، وكان يستعد لخوض الانتخابات الرئاسية في عام (١٩٨٨م) :« قبل أن ينهض بهذه المهمة [المتمثلة في تعبئة اليمين المسيحي] بدا من الملائم أن يعلن عن اهتداءه». ويركز أندرسون بشكل واضح: «أعلن بوش بشكل وصولي، اهتداءه كمسيحي مولود ثانية في اللحظة التي كان يحاول فيها جذب الإنجيليين إلى معسكر والده» (أندرسون، ٢٠٠٣م، ص ١٩٤). ينبغي القول إن التحدي كان كبيرًا. «لأن بات روبرتسون كان مرشحًا للرئاسة، وكان ريجان في الوقت نفسه قد عبأهم. وكما يقر ستيفان مانسفيلد، صار المسيحيون المحافظون، أكثر من أي وقت مضى، قوة ينبغي أن يحسب لها حساب أثناء الانتخابات عام (١٩٨٨م)» (مانسفيلد، ٢٠٠٣م، ص ٨٢). لكن بعيدًا عن أي جدال، فإن جورج دبليو بوش مؤمن بإخلاص ولا يمكن الشك في حسه الديني.

وكانت مهمة جورج دبليو بوش مهمة مزدوجة، فمن جهة عليه أن يحل محل والده في لقاءات انتخابية عديدة ولدى الصحافة، ومن جهة أخرى كان يؤدي مهمة الوسيط بين فريق حملة انتخابات والده واليمين المسيحي. وقد قام بواجبه بمساعدة دوج وايد، وهو خمسيني الاتجاه ومقرب من الدعاة الإنجيليين التليفزيونيين جيم وتامي باكير. وكان في العادة يصطحب دوج وايد في جولاته عبر البلاد «متحدثًا إلى قادة التيار الديني بلغتهم، مصليًا معهم، شارحًا إيمان والده ومقدمًا الضمانات لهم» (ص٨٤) . ونجحا في مهمتهما: وانتخب بوش، في النهاية، في عام (١٩٨٨م). ومع ذلك لم ينجح في الحصول على مدة رئاسية ثانية، ويعود ذلك، في قسم كبير منه، إلى ابتعاد المتعاطفين مع اليمين المسيحي عنه. وإذا كان هؤلاء الأخيرون قد أعاقوا إعادة انتخابه رئيسًا مرة ثانية، فذلك لأنه كان قد قرر الابتعاد عنهم في القضايا الأخلاقية والاجتماعية التي من شأنها إزعاج الأعضاء المعتدلين بالحزب الجمهوري. وقد أدرك جورج دبليو بوش الدرس جيدًا . فمنذ عام (١٩٩٣م)، لحظة ترشيحه لمنصب حاكم تكساس، اهتم مستشاروه

دائما بألا يقعوا في الخطأ ذاته. ولقناعته الراسخة بالوزن الإنتخابي للإنجيليين لم يتردد كارل روف (مستشاره السياسي)، الذي ترك منصبه مؤخرًا، في تذكيره بأنه «لا ينبغي المزاح مع هؤلاء الناس، إنهم يريدون أن تكون مثلهم تمامًا» (روف في لوران، ٢٠٠٣م، ص ١٦).

في عام (١٩٩٤م) تم انتخاب جورج دبليو بوش حاكمًا لتكساس بعد أن هزم المرشحة الديمقراطية آن ريتشارد. وعندما انتخب، بعد انتصار كبير بعد أربع سنوات لاحقة، فكر بجدية في متابعة مسيرته السياسية بنهوضه فقط بأعباء فترة الحكم المحلية هذه. حتى أدرك «رسالته الفعلية» وهو يستمع إلى موعظة مارك كريج وهو قس بالكنيسة الميثودية بهاي لاند بارك بدالاس. وكانت الموعظة تشير إلى تحفظات [النبي] موسى عندما عينه ربه لتحرير اليهود من نير المصريين. وبما أن الشعب كان في حاجة تامة لقائد والرب لمتطوع ينهض بهذه المهمة، انتهى النبي إلى قبول المهمة. وشعر بوش بأنه معنى بإلحاح القس في وصف انتظار الناس وحاجتهم لقادة شجعان على الصعيد الأخلاقي. الرسالة كانت موجهة إليه بدون شك (بوش، ١٩٩٩م، ص٨-٩). بعدها مباشرة أفضى إلى جيمس روبسيون، وهو قس إنجيلي ذو سمعة عالية وقريب منه، أنه استمع إلى نداء وأنه يعتقد أن الله يريد منه أن يقدم ترشيحه للرئاسة. وبعدها بعدة أسابيع جمع حاكم تكساس في مقره القساوسة الرئيسيين وقادة اليمين المسيحي ليقول لهم إنه شعر بالنداء «للبحث عن أكثر الوظائف علوًا». وكانت قناعته راسخة إلى درجة الاعتقاد بـ: «تخطيط إنساني يتجاوز كل التخطيطات الإنسانية» (ص ٦).

أثناء حملة الانتخابات التمهيدية، في ديسمبر عام (١٩٩٩م)، سُئِل جورج دبليو بوش عمن يكون فيلسوفه المفضل؟ وكانت إجابته:«المسيح لأنه أنقذ روحي». وطوال فترة هذه الحملة، وحيث فرض الدين نفسه كرهان فعلي، سلم بوش نفسه إلى القساوسة والكتاب المقدس كما إلى مستشاريه. وكما قيل فإن فرانكلين جراهام هو الذي بارك حفلة استلام وظيفة الرئيس الثالث والأربعين في ٢١ يناير عام (٢٠٠١م).

ومنذ اعتلائه السلطة، أخذ على نفسه إقامة نظام روحي معين للبيت الأبيض: قراءة يومية للكتاب المقدس والصلاة في بداية كل مجلس وزراء. وفي البيت الأبيض، الذي صار المناخ فيه لا يربطه شيء بما كان عليه الأمر في فترة كليتون، أصبحت القاعدة الجديدة فيه أن كل إنسان عليه أن يذهب إلى الفراش في العاشرة مساءً. كما كان ينظم إفطار صلاة أسبوعي بالكونجرس.

وعلاوة على دراسة الكتاب المقدس التي تشغل مكانًا مهمًا فى الحياة اليومية للبيت الأبيض، كانت تعقد بصفة منتظمة اجتماعات وقداسات دينية استثنائية يشرف عليها أعضاء إنجيليون آخرون بالحكومة. وينقل دافيد فروم الكلمات التي وجهها له الرئيس ذات صباح عندما وصل للعمل بالبيت الأبيض إلى جانبه: «لم أشاهدك في جلسة دراسة الكتاب المقدس». ويوضح أن دراسة الكتاب المقدس إذا لم تكن إجبارية فهي ليست أيضًا اختيارية» (فروم، ٢٠٠٣م، ص ١).

وفي مبادرة «تهدف إلى إعادة الشرف إلى البيت الأبيض» فرض الرئيس بوش على أعضاء إدارته نظامًا أخلاقيًّا يتطلب درجة عالية من الاستقامة والتخلي أيضًا عن الصراعات الشخصية والممارسات التمييزية. وهو تكتيك يستخدمه في العادة الرؤساء الجدد لفرض أسلوبهم الخاص وتجنب أي تداخل مع الفترة السابقة.

ويوم دخوله رسميًّا إلى البيت الأبيض أعلن الرئيس بوش من خلال مرسوم عن يوم قومي للصلاة حتى يضع فترة رئاسته تحت رمز الإيمان، بينما كان هناك يوم مماثل لذلك في شهر مايو. فالقاطن الجديد للبيت الأبيض على قناعة بأن النصر الذي حققه إنما يدين به لله: «لا يوجد هناك سوى سبب واحد يفسر أننى موجود الآن في المكتب البيضاوي وليس في بار: إنني وجدت الإيمان. وجدت الله. إنني هنا بسبب قوة الصلاة»(٤). وصرح في ٢٣ يناير أنه يريد إلغاء صرف الأموال الفيدرالية الأمريكية الموجهة للمنظمات الدولية التي تعمل في مجال تنظيم النسل، أو التي تنصح أو تسهِّل عمليات الإجهاض في برامجها. ويتعلق الأمر هنا بأول مبادرة لتهدئة عناصر اليمين الأكثر تشددًا، وتشير إلى معظم المجتمع الأمريكي أن هذه العناصر المحافظة سيكون لها نفوذ داخل حكومته. بالطبع كانت مبادرة رمزية لكن سيكون لها بالتأكيد انعكاسات على سياسة التنمية والمساعدات الدولية التي تقدمها الولايات المتحدة. وفي اليوم ذاته، تجمَّع آلاف المناضلين من أفراد اليمين المسيحي في واشنطن للمطالبة بإلغاء قرار المحكمة العليا المشرع للإجهاض. وبعدها بفترة قليلة أعلن الرئيس بوش خطة موجهة لمساعدة الأطفال الذين يواجهون صعوبات مدرسية في المدارس العامة، حتى يتمكنوا من الاندماج في المؤسسات الدينية.

وفي صبيحة ١١ سبتمبر تحدث الرئيس بوش عن حرب صليبية كتحديد لرد فعله على الهجمات. واحتج العالم الإسلامي الذي يذكره هذا المصطلح بحملات عديدة تعرض لها من العالم المسيحي على مدار التاريخ، وسعى بوش إلى تجاهل هذا المصطلح غير أن ما عرضه في

مؤتمره الصحفي يشير إلى حملة صليبية أمريكية تستهدف استئصال الإرهاب. وباختصار «تغيير العالم» وهي مهمة استدعيت الولايات المتحدة للقيام بها كما يرى الرئيس.

من جهة أخرى، أقنعت أحداث ١١ سبتمبر الرئيس بوش أن الله قد اختاره لضمان أمن الولايات المتحدة وإنقاذها من الأعاصير الأخرى. وتمتلئ خطاباته بهذه الإشارات إلى «المهمة الإلهية». ويلاحظ ستيفان مانسفيلد أن بوش، بعد ١١ سبتمبر، «يصلي أمام الجمهور، ويتحدث عن إيمانه، والمصير الإلهي، والميراث الديني للأمة أكثر مما فعله قبل ذلك. وكان مستشاروه يجدونه في حالة صلاة أمام الحائط في المكتب البيضاوي» (مانسفيلد،٢٠٠٣م، ص ١٧٢-١٧٣). وهناك نتيجة أخرى مهمة: فمنذ ١١ سبتمبر صارت خطاباته تميل أكثر فأكثر إلى نزعة حربية صريحة، كما تكثفت بوضوح النغمة الدينية لرسائله. وكانت نتيجة ذلك خليط غريب من التهديدات، ومن الدعوة إلى الله، ومن النزعة المسيانية والمانوية والتعطش للانتقام. ومن الأمور ذات الدلالة أيضًا، أنه بعد ثلاثة أيام فقط من هذه الأحداث، طلب بوش من بيلي جراهام أن يخطب في كاتدرائية واشنطن في حضور النخبة السياسية للبلد. وكان لهذه الدعوة قيمة عمل إيماني، لكنها في الوقت نفسه، كانت مبادرة سياسية قوية باتجاه الإنجيليين واليمين المسيحي.

في رسالته عن حالة الاتحاد، في يناير عام (٢٠٠٢م)، أدان بوش «محور الشر» المكون من العراق وإيران وكوريا الشمالية، نظرًا لامتلاكهم أسلحة الدمار الشامل ورغبتهم في امتلاك أسلحة نووية. وفوق ذلك، فإن إيران والعراق متهمتان بمساعدة أسامة بن لادن والإسلاميين بشكل عام. وأن هذه الدول وحلفاؤها من الإرهابيين يهددون سلام العالم. وقد تم اختيار مصطلح «محور الشر» الشهير، الذي صاغه مايكل جيرسون ودافيد فروم وهما محرران للخطب الرئاسية، عن عمد، لإيحاءاته الدينية. وفي كتابه « الرجل المستقيم » أو «الرجل الحق » يوضح فروم أنه بحث عن تعبير يمكن أن يصف كل بلدان الشرق الأدنى والأوسط وما تعكسه الحركة الإسلامية المناضلة من حقد على الغرب وعلى نجاحاته المادية. وهو يبحث عن الإلهام توجه إلى رفوف مكتبته وأخذ كتابًا يتضمن خطابات روزفلت. ووقع نظره على كلمة « محور» التي كانت تطلق على ألمانيا وإيطاليا واليابان وابتكر «محور الحقد» (فروم، ٢٠٠٣م، ص ٢٢٤-٢٤٥). ودافيد فروم، وهو يهودي من أصول كندية، لا يعمل بوصفه إنجيليًّا، وإنما كان للتعبير في، نظره، ملامح تاريخية وثقافية. وأضاف أن مايكل جيرسون، إنجيلي، هو الذي استبدل بكلمة الحقد

كلمة الشر: قد «أراد استخدام المفردات اللاهوتية التي كان يستخدمها بوش منذ ١١ سبتمبر وصار محور الحقد إذن محور الشر. وأضيفت كوريا الشمالية إليه حتى يكون جامعًا. وحيث إنها أيضًا كانت تصنع السلاح النووي [...] وكانت في حاجة لأن يوجه إليها التحذير» (ص٢٣٨).

في ٢٦ يونية، عام (٢٠٠٢م)، وقبل الانتخابات التمهيدية بعدة أشهر صرح الرئيس بوش بدون مواربة، وهو يتحدث أمام القضاة الفيدراليين «نحن في حاجة إلى قضاة [محافظين] [...] يفهمون أن قوانيننا تأتي من الله. ومثل هؤلاء القضاة هم من أنوي تعيينهم». وفي العام التالي، في خطابه حول حالة الاتحاد، تحدث عن «سلطة طبيعتها معجزة، وخيرة، ومثالية ومؤمنة بالشعب الأمريكي». وليس هناك ما يثير الدهشة إذا كان مؤلف هذه الخطابات، مايكل جيرسون الذي كان يختار هذه المصطلحات المألوفة لدى كل فرد في الحركة الإنجيلية، والتي تقول أحد أناشيدها القوة في الدم». وفي خطابه عن حالة الاتحاد، في عام (٢٠٠٤م)، أشار بوش إلى «القوة التي تصنع المعجزات» للشعب الأمريكي، كلمات تشير إلى «حمل الله» عيسى المسيح.

وكلما اقتربت انتخابات الرئاسة في عام (٢٠٠٤م) واصل جورج دبليو بوش التأكيد على أن الله أعلن له مباشرة أنه مرشحه المفضل في انتخابات رئاسة الولايات المتحدة. وقد صرح الرئيس بوش في ديسمبر عام (٢٠٠٣م): «اختارني الله حتى أكمل هذه المهمة لكل الأمريكيين، سواء كانوا من الديمقراطيين أم من الجمهوريين، وسواء كانوا من المسيحيين أم من اليهود. وبالتالي أنا بين يدي الله». وفي ٣ فبراير صرح جورج دبليو بوش التصريح التالي: «لا يمكن للمرء أن يكون رئيسًا لهذا البلد دون أن يؤمن بالله، ودون أن يكون على قناعة راسخة بأننا نشكل أمة واحدة تحت أوامر الله ... الله هو صخرتنا وهو خلاصنا. ينبغي أن نثق به ونؤمن به ... واليوم أطلب أن يكون الأحد ٣ فبراير يومًا قوميًّا للصلاة». وهذه الإحالات المتكررة إلى الله قد أزعجت نيويورك تايمز التي علقت مشيرة إلى أن جورج دبليو بوش في إحالاته الكثيرة إلى الله قد جعل منه رفيقًا له في قوائم الانتخابات عام (٢٠٠٤م)» (فريلنج، ٢٠٠٤م، ص ١٢).

وإلى جانب الورع المعلن للرئيس ورؤيته المانوية والمسيانية للعالم، ويقينه أنه أداة العناية الإلهية، هناك عدد من القرارات والإجراءات المرتبطة بالسياسة الداخلية والخارجية معًا توضح إلى أي حد يحضر الدين بقوة في الحياة السياسية منذ وصول جورج دبليو بوش إلى السلطة. وعلى الفور، فإن السؤال الذي يطرح نفسه ـ وهو ما سنعود إليه ـ هو معرفة إذا كانت الاختيارات السياسية

للرئيس الأمريكي تتأسس بصورة فعلية واستثنائية على الإيمان. وبتعبير آخر هل يكون: «مجنون الله» متعصبًا أيضًا مثل أولئك الذين هاجموا الولايات المتحدة في سبتمبر عام (٢٠٠١م)؟. غير أنه من المهم أولاً توجيه النظر نحو قرارين كبيرين ويحملان دلالات قوية : إقامة برامج «مؤسسة على الإيمان»، ومطابقة للنزعة المحافظة الرحيمة، وقرار الحرب على العراق.

سلطة الإيمان في خدمة الدولة في المجال الاجتماعي

على صعيد الجبهة الداخلية، يعتبر المرسوم الرئاسي رقم (١٣١٩٩) الموقع في ٢٩ يناير عام (٢٠٠١)، والذي يسمح بإنشاء مكتب مكلف بالمبادرات ذات الطبيعة الدينية والطائفية، واحدًا من الإجراءات البارزة التي توضح تأثير الدين في الحياة السياسية منذ وصول جورج دبليو بوش للسلطة. وسيكون هدف هذا المكتب، الذي وضع تحت رئاسة جون ديلوليوا، وهو كاثوليكي من علماء الجريمة قبل أن يستبدل به بعد عام جيم تواي، «مساعدة الحكومة الفيدرالية على تنظيم الجهود ـ على المستوى القومي ـ الهادفة إلى توسيع الإمكانات المقدمة إلى المنظمات الدينية والطائفية وتعزيز قدراتها على القيام بتلبية أفضل للحاجات الاجتماعية لجماعات مختلفة في كل أنحاء البلاد»(٥).

وفي اليوم ذاته، وقع الرئيس الجديد مرسومًا ثانيًا بتكوين خمس وكالات لتعزيز مشاركة المنظمات الاجتماعية المرتبطة بالكنائس (مراكز الإيمان ـ المبادرات الأساسية) داخل خمس وزارات بالحكومة الفيدرالية: وزارة الصحة والشئون الاجتماعية، ووزارة العدل، ووزارة العمل، ووزارة التعليم، ووزارة الإسكان. وفي هذا الزخم، تم إنشاء «صندوق الرحمة» بميزانية ثمانين مليون دولار لتعليم المنظمات التطوعية على كيفية المشاركة في التنافس من أجل الحصول على العقود العامة. وإلى جانب هذا المكتب المكلف بالبرامج المؤسسة على الإيمان، أنشأ جورج دبليو بوش تنظيمًا آخر مكلفًا بالخدمات الاجتماعية (مؤسسة الخدمة الاجتماعية) وعهد برئاسته ليهودي أرثوذكسي يُدعى ستيفان جولد سميث. كان هدف الجهازين هو السهر على تنفيذ المشروع الرئاسي.

وبصورة جوهرية، تستهدف خطة الرئيس إلغاء كل المعوقات البيروقراطية التي تمنع الجماعات الدينية من الحصول على عقود فيدرالية والعمل إذن في تعاون وثيق مع الدولة. ومع إلغاء هذه القيود يمكن للجماعات الطائفية الحصول على نفس الدعم الفيدرالي الذي تحصل عليه جمعيات خيرية علمانية، بدءًا من الصليب الأحمر وحتى جمعيات الحساء الشعبي، بهدف إدماج

المبادرات ذات الطبيعة الطائفية في البرامج المختلفة لوزارات الحكومة الفيدرالية. ويرى بوش أن المنظمات الخيرية، سواء أكانت دينية أم دنيوية، ينبغي أن تتمكن من التنافس بقدرات متكافئة من أجل الحصول على الأموال العامة المكرسة لحل المشاكل الاجتماعية ولا سيما مشكلة الفقر. ويكشف إلحاح الرئيس على التنافس بين الوكالات الدينية والعلمانية في الحصول على دعم الحكومات، عن إرادته في توجيه المنظمات الدينية ووكالاتها الاجتماعية نحو استلام راية العمل العام في هذا المجال. لماذا؟

تبدو فلسفة الرئيس واضحة تمامًا: بما أن الدولة في الغالب لديها إجابات بيروقراطية، ولا يمكنها ولا ينبغي لها أن تقوم بكل شيء، فإن عليها أن تنيب عنها «جيوش الرحمة»، في مساعدة المهمَّشين، والنهوض بالعلاج الطبي والروحي للمؤمنين ومكافحة جرائم الشباب من خلال معالجة روحية مفتوحة لكل العبادات. ونظرًا لتشككه مع المحافظين في نجاح عمل الدولة في هذا الميدان يؤكد جورج دبليو بوش على أن رجال الإيمان، وليس الحكومة، هم الأكثر فعالية، وإذن الأفضل حتى في تقديم الخدمات الاجتماعية والمساعدة المادية للمحتاجين. وأمام عدم فعالية العمل الحكومي والبيروقراطي يثمن عاليًا فضائل العمل التطوعي الخاص، وكما يشهد على ذلك خطابه الافتتاحي:«لمعالجة المسائل الاجتماعية في هذا البلد ستتوجه حكومتي في المقام الأول إلى المنظمات المؤسسة على الإيمان التي أثبتت شجاعتها في إنقاذ الأرواح وتغيير حياة الناس» (http://www.whitehouse.gov).

وكانت الحجة الأخرى التي ركز عليها الرئيس بوش هي قدرة الإيمان: فإذا كانت المنظمات المرتبطة بالكنيسة هي الأكثر فعالية من الحكومة، فإن ذلك – كما يقول – لأنها تساعد في إعادة اكتشاف الإيمان المنظور له كحل للمشاكل الاجتماعية. فبفضل الخلاص المرافق للإيمان يمكن تغيير حياة الأفراد، بإخراجهم من الفقر الذي هو نتيجة الضعف الأخلاقي. «من أجل النجاح، تملك الكنائس ما لم يمكن أن تملكه الحكومة الفيدرالية قط: الإيمان»، وفقًا لتصريحات الرئيس بوش. فهو يرى أنه من الممكن تشييد مجتمع أفضل مبني على الإيمان الديني. ومن الواضح، أنه بسعيه إلى نقل هذه المهمة إلى الفاعلين المحليين، ولا سيما الجماعات الخيرية، يسعى جورج دبليو بوش، بصورة لا مفر منها، إلى تكثيف «خصخصة» المساعدة الاجتماعية التي هي نتيجة طبيعية لتفاقم العزل الاجتماعي على المستوى الفيدرالي.

ليس هناك ما يثير الدهشة في السرعة التي أعلن بها الرئيس بوش عن إنشاء مكتب مكلف بالمبادرات ذات الطبيعة الدينية والطائفية، حيث إن هذه الخطة تندرج في مشروع أكثر اتساعًا يدعى «النزعة المحافظة الرحيمة» . بالفعل، بمناسبة الانتخابات الرئاسية في عام (٢٠٠٠م)، اختار المرشح الجمهوري جورج دبليو بوش ـ تحت تأثير كارل روف ودوج وايد ـ «النزعة المحافظة الرحيمة» كمحور رئيسي لحملته الانتخابية. وباستعادته هذا الشعار أراد، بالتأكيد، التمايز عن المرشحين الآخرين للحزب الجمهوري، ولا سيما أولئك الذين انخرطوا إلى جانب الرئيس السابق لمجلس النواب نيوت جينجريتش و«ثورته المحافظة ـ المضادة» التي راكمت فشلين مدويين: رفض تصويت الميزانية الذي أفضى إلى شلل الحكومة الفيدرالية في عام (١٩٩٥م)، ومحاولة توجيه اتهام لبيل كلينتون في عام (١٩٩٨م). وظهرت هاتان العمليتان بصورة غير محببة شعبيًا وساهمتا في حالة غياب المصداقية التي نالت من الجمهوريين.

من الملائم الإشارة إلى أن المرشحين الرئيسيين في سباق الانتخابات الرئاسية عام (٢٠٠٠م) نحو البيت الأبيض، وهما جورج دبليو بوش عن الحزب الجمهوري وآل جور عن الديمقراطيين، استخدما هذه الحجة لصالحهما، فكلاهما أراد أن يعهد للجمعيات الدينية بمهمة علاج ـ على الأقل قسم منها ـ الأمراض الاجتماعية للبلد. وفي واحد من أوائل خطاباته في الحملة الانتخابية دافع آل جور عن شراكة وثيقة الصلة في مجال الخدمات بين الدولة والمجموعات الدينية. وفي المعسكر الجمهوري جعل جورج دبليو بوش من «النزعة المحافظة الرحيمة» شعارًا لحملته. غير أن العنصر المميز لمقترحات آل جور عن تلك التي يعلن عنها بوش يكمن في أن دعوة الأخير لنزعة محافظة رحيمة تجعل من الاهتداء إلى المسيحية بمنزلة النقطة المركزية في أي عمل خيرى خاص.

ما هي «النزعة المحافظة الرحيمة»؟ إنها تتمثل في اقتسام المسئوليات الاجتماعية للدولة مع المؤسسات الدينية. ومن أجل هذا الهدف، من الضروري تمكين هذه المؤسسات من الاستفادة من الأموال العامة الموجهة لتمويل برامج المساعدة الاجتماعية. وفي هذا الأفق، سيكون هناك تدخل أقل للدولة ومبادرات خاصة أكثر باسم مشاركة الوعي الفردي، «النزعة المحافظة الرحيمة هي عمل الأمة بأسرها وليس عمل حكومة، كما يقول الرئيس أمام حشد من الكهنة والقساوسة والحاخامات. ولن تحل الأعمال الخيرة أبدًا محل عمل الحكومة. وإنما للإجابة على

نقائص المجتمع ستتوجه إدارتي أولاً إلى المنظمات الطائفية والجماعات المجتمعية . فعندما يتعلق الأمر بتغيير معنى حياة فإنهم يعرفون ...» (بوش في ميفال، ٢٠٠١م، ص ٤).

ويعود هذا الشعار الانتخابي الذي استعاده بوش عن النزعة المحافظة الرحيمة إلى مارفين أولاسكي، والذي صار منذ عام (١٩٩٣م) عضوًا في لجنة الحملة الانتخابية للرئيس. وظل إلى اليوم مسموع الكلمة من قبل الرئيس الأمريكي، ودائمًا على أهبة الدفاع عنه. وكان يهوديًّا يمارس العبادة، غير أنه تخلى عن اليهودية ليصير عضوًا فعالاً في الحزب الشيوعي عام (١٩٦٨م). ثم تحول إلى البروتستانتية الأصولية فيما بعد بعدة سنوات، ودافع عن إلغاء كل البرامج الاجتماعية العامة وكل قوانين الحماية الاجتماعية. ويدعو أيضًا إلى نقل مسئولية الانشغال بالفقراء والمحتاجين إلى الجمعيات الخيرية المسيحية. غير أنه يصل إلى حقيقة أن التحول الشخصي، إن لم يكن نتيجة اهتداء ديني، فإن أي مساعدة مادية لا فائدة منها. فهو يرى أن الفقر يصدر بصورة كبيرة من غياب القيم الأخلاقية، وأكثر مما يعود إلى عدم المساواة الاجتماعية نتيجة النظام القائم. وصارت هذه الأفكار المنشورة في كتب واسعة الانتشار في نهاية العقد بمنزلة الصياغة الرسمية المعتمدة لكل مناقشة حول السياسة الاجتماعية (أولاسكي، ١٩٩٢م، ١٩٩٦م، ٢٠٠٠م) .

ينبغي الإشارة أيضًا إلى مايرون مانييه، وهو مثقف محافظ آخر، ويعتبر أيضًا منظرًا كبيرًا لـ «النزعة المحافظة الرحيمة» (مانييه، ١٩٩٣م). في كتابه «الحلم والكابوس» يوضح أن كل برامج مكافحة الفقر في سنوات الستينيات قد ساهمت في تدمير إرادة الفقراء على الخروج من الفقر بأنفسهم. وبالإضافة إلى ذلك ساعد هذا الكتاب على رواج تفسير الفقر بوصفه نتيجة لانهيار القيم العائلية، فالبطالة لاتؤدي إلى الفقر وإنما غياب الأخلاق وفقدان معنى الزواج هو الذي قد يفضي إلى البطالة. ومثل هذه النظرية التي ترتبط عمدًا مع الكالفينية وفكر فيكتوري سابق على الماركسية هي قاسم مشترك بين جميع المحافظين.

ولم يكن جورج بوش عند تقديمه برنامجه الاجتماعي لحظة وصوله للبيت الأبيض، قد أضاف جديدًا حقًّا، كما يشهد بذلك الماضي الخيري للبلد. وبالفعل فإن الإحسان في الولايات المتحدة تجاه الأكثر تهميشًا هو واحد من أكثر التقاليد قدمًا. وبرغم الفصل الدستوري بين الكنيسة والدولة، لعبت المؤسسات الطائفية دورًا من الدرجة الأولى، طوال فترات التاريخ

الأمريكي، في تطبيق برامج مساعدة اجتماعية وخاصة نحو الفقراء. وكانت جهودها، التي لا يمكن إنكارها، قد ساهمت على نطاق واسع في اندماج موجات متتالية من المهاجرين الذين استوطنوا البلاد. ويعتبر «جيش الخلاص»[٦] و«الإحسان الكاثوليكي»[٧] هما، بدون شك، أكثر المنظمات الطائفية الخيرية التي استفادت من الدعم المالي للحكومة الفيدرالية.

وفي عام (٢٠٠٠م)، كان ٦٧٪ تقريبًا من إعانات البرامج التي تقوم بها وكالات الإحسان الكاثوليكية آتية من الحكومات المحلية ومن الولايات ومن الحكومة الفيدرالية. وكانت الميزانية المعتمدة لـ «جيش الخلاص» بالنسبة للسنة المالية (٢٠٠٣م) وصلت إلى ٣,٠٤٠ مليون دولار، منها ١١٪ آتية من الحكومة الفيدرالية (جيش الخلاص، ٢٠٠٤م، ص ١٧).

وتكثف حضور المجموعات الدينية في الهيئات الاجتماعية الطائفية في سنوات الستينيات. في هذه الفترة كانت الحاجة إلى مواجهة المشاكل الاجتماعية المتزايدة بشكل كبير على المستوى المحلي، وقد دفعت الحكومة الفيدرالية للاعتماد على المنظمات الطائفية وجمعيات الأحياء. وتم التركيز على مشاركة المنظمات ذات الطبيعة الدينية في الحياة الاجتماعية للطوائف، والتي تم دعمها من خلال تعزيز إعانات الأموال القادمة من الحكومة الفيدرالية والولايات والموجهة إلى دعم وتحسين البرامج المحلية. ولم تكن هذه الإعانات تثير اعتراضات تقريبًا؛ لأن الدعم الفيدرالي لم يكن موجهًا مباشرة إلى المنظمات الدينية.

في الثمانينيات اعتمدت إدارة ريجان على المبادرة الخاصة لتلافي النقص في هيئات العمل الاجتماعي والتي صارت هيكلية أكثر فأكثر. ولكي يمول التخفيضات الكبيرة على الضرائب بالنسبة للمشروعات الخاصة وأصحاب الدخول الكبيرة وسباق التسلح، سعى الرئيس ريجان إلى إجراء تخفيضات كبيرة في ميزانية النفقات الاجتماعية. ومنذ البداية، كان نداء الرئيس للكنائس أكثر إلحاحًا، ولا سيما «داخل القطاع الواسع للمحسنين الذين يتوجه عملهم، في المقام الأول نحو الثقافة، التعليم، الصحة، فهم وحدهم عليهم أن ينسقوا أعمالهم في خدمة المهمشين» (ريشيه، ٢٠٠٤م، ص ٩٩). وعلى سبيل المثال، أنشأ جيم باكير مائة من مراكز توزيع الملابس والأغذية، وذلك تحت اسم «مراكز الحب». وكما تشير إلى ذلك إيزابيل ريشيه «هذا الخطاب يسمح للرئيس بتوحيد التيارات المختلفة للأغلبية التي حملته إلى السلطة. وبينما يتهم المحافظون التقليديون الضمان الاجتماعي بإضعاف أخلاق العمل لدى الأمريكيين، كان أيديولوجيو اليمين

الجديد وحلفاؤه من الأصوليين المسيحيين يتهمونه بإضعاف الحس الأخلاقي بتشجيعهم على سلبية قد تقود البلد إلى حافة الهاوية. (ص٩٩). لكن، في النهاية، ظلت الإعانات للجمعيات الخيرية الدينية والعلمانية متواضعة، ومن هنا عدم قدرتها على ملء الفراغ الذي خلفه الانسحاب الاجتماعي للدولة.

شهدت مشاركة المنظمات الدينية في البرامج والخدمات الاجتماعية ازدهارًا جديدًا تحت رئاسة بيل كلينتون. ولأسباب انتخابية واضحة ـ لكن ربما أيضًا عن قناعة ـ أعلن هذا الأخير، أثناء حملة الانتخابات الرئاسية في عام (١٩٩٢م)، عن رغبته في «وضع نهاية لنظام ويلفار كما عرفناه». وعندما انتخب جعل من وعده الانتخابي أحد الركائز الرئيسية لسياسته الاجتماعية، مدعمًا فكرة صارت منتشرة على نطاق واسع منذ هذا الوقت، وهي أن الحرب التي أعلنها الرئيس جونسون على الفقر كانت مسئولة عن كثير من مشاكل الفقراء. ويشهد قانون عام (١٩٩٦م) حول إصلاح المساعدة الاجتماعية عن رغبة الرئيس كلينتون في القضاء على دولة الرعاية، وعلى الأقل ميله إلى أفكار خصومه السياسيين، والذين يعتبرون المصادر الروحية للأفراد أكثر أهمية من المصادر المادية للمجتمع في حل المشاكل الاجتماعية. وتمامًا مثل أنصار اليمين المسيحي ألح الرئيس الديمقراطي على ضرورة تغيير عقلية الفقراء.

يشمل قانون إصلاح المساعدة الاجتماعية الموقع في ٢٢ أغسطس عام (١٩٩٦م)، إجراءً تحت اسم (الاختيار الإحساني) قدمه سيناتور ميسوري في هذه الفترة وهو جون إشكروفت. ويشجع هذا الإجراء السلطات المحلية على اللجوء إلى المنظمات التطوعية لتمويل خدمات اجتماعية للفقراء. كما يسمح أيضًا للمنظمات ذات الطبيعة الدينية بالمشاركة في بعض مشروعات المساعدة الاجتماعية. وإذا كان من جانب آخر، يجبر السلطات المحلية على احترام الاستقامة الدينية لهذه المنظمات فإن هذا الاختيار الإحساني يمنع، بالمقابل، استخدام الأموال العامة مباشرة في التبشير بين المستفيدين من الإعانات الاجتماعية. وعلى مدار السنوات الماضية، امتد «الاختيار الإحساني»، بموافقة من قبل الكونجرس. وهنا أيضًا باقتراح من إشكروفت، إلى كل الميادين الكبرى بالأجهزة الفيدرالية ولا سيما في مجال الإسكان وإعادة تأهيل المساجين ومساعدة من لا مأوى لهم والمدمنين والمتقدمين في السن. ومع ذلك، فإن هذا الاختيار قلما عرف مجال التطبيق، وذلك نظرًا للانتقادات العنيفة التي يتعرض لها. ويطلق معارضو الاختيار الإحساني وقانون عام (١٩٩٦م)

مجموعة من الانتقادات الرئيسية المتمثلة في أنهما يهددان مبدأ الفصل الدستوري بين الدولة والكنيسة، ويدخلان التنافس الخبيث بين المؤسسات الدينية في الحصول على عطايا الدولة، والخشية من الانحرافات التبشيرية الممكنة والتمويل الإجباري من قبل دافعي الضرائب لشكل جديد من التمييز. وبالطريقة ذاتها التي تم بها انتقاد قانون ١٩٩٦. تم أيضًا انتقاد شديد للبرنامج الاجتماعي الذي دعا إليه جورج دبليو بوش. ومن بين منتقديه هناك أولاً الديمقراطيون والليبراليون الذين يؤكدون على أن هذا البرنامج يمثل خليطًا من الأنواع الخطرة؛ لأنه ينتهك التعديل الأول بالدستور ويفتح الباب أمام تمويل مباشر للمنظمات الدينية. وفي السياق نفسه أثار القس باري لاين ـ مدير المنظمة الأمريكية المتحدة من أجل الفصل بين الدولة والكنيسة ـ الطابع غير الدستوري لتمويل الدولة لجمعيات تختار موظفيها على قواعد دينية.

وبشكل أكثر تحديدًا، شعر باري لاين بالقلق من ميل الرئيس جورج دبليو بوش نحو تقديم الإيمان كعلاج لعدد لا يحصى من المشاكل الاجتماعية، واعتباره الجماعات التبشيرية بشكل صريح على أنها الأكثر فعالية. ويشعر كثيرون بالقلق أيضًا من أن منح منظمات خيرية دينية أموالاً من الخزينة العامة قد يفضي بالحكومة إلى تخفيض القروض الموجهة في العادة إلى الهيئات الاجتماعية العامة، التي لن تتمكن من تقديم المساعدة إلى أولئك الذين يفضلون التعامل مع منظمات علمانية. وهناك آخرون يتساءلون إذا كان السماح بنقل أموال الدولة المخصصة للمساعدات الاجتماعية إلى المنظمات الدينية، يريد الرئيس بوش من خلاله فرض الإيمان على أولئك الذين يستفيدون من برامج هذه المساعدة. وهناك تساؤل آخر: كيف يمكن للمرء ـ دون أن يتهم بالتمييز ـ رفض منح أموال إلى جماعات أو طوائف مثل «أمة الإسلام» التي يقودها لوي فراخان، والتي تقوم بعمل اجتماعي، إلا أنها متهمة بنزعة مضادة للبيض؟.

ومن الضروري الإشارة إلى أنه حتى إذا كانت فكرة استخدام المنظمات الطائفية لأهداف اجتماعية تثير حماسة اليمين المحافظ، فإن هناك أصواتًا عديدة من اليمين تنهض ضد خطة الرئيس بوش التي يرونها مليئة بالعقبات والمكائد. فهذا البرنامج يزعج أغلب المسئولين الدينيين المحافظين القلقين من المخاطر التي تسببها مثل هذه الهبات، حتى مع الترحيب بها، أي أن إعانات الخزانة العامة ستتضمن، كما يرون، رقابات إدارية على استخدام هذه الأموال، بينما أغلب الكنائس لا ترغب في أن تتدخل الدولة في شئونها. وبينما الكنائس التقدمية، ولا سيما

كنائس السود تبدي استعدادًا أكبر في طلب المعونات الفيدرالية لدعم نشاطها، فإن طوائف إنجيلية وأصولية تعلن عن حذرها الشديد، نظرًا لأنها لا تريد أن تغرق في البيروقراطية والقيود الإدارية. ويخشى آخرون أن تحدث علاقة تبعية بين المؤسسات الدينية والدولة، مهددة حرية العمل وكذلك الحق في نقد السياسة الحكومية. ويخشى آخرون، كذلك، من التنافس الخبيث بين الطوائف من أجل الحصول على إعانات الدولة.

حرب العراق

تشهد الحرب في العراق، كنموذج مهم آخر، على تأثير القناعات الدينية للرئيس الأمريكي على سياسته الخارجية. وأبعد من الاعتبارات الجيوسياسية التي أثارت كثيرًا من الكتابات، والتي سنفصلها هنا، تعكس هذه الحرب سيطرة النزعة المانوية والمسيانية في رؤية جورج دبليو بوش للعالم. ومنذ ١١ سبتمبر رأى هذا الأخير السياسة من منظور أبيض وأسود، وأخيار وأشرار. فبعد أيام قليلة على هجمات نيويورك وواشنطن تحدث إلى العالم بهذه المصطلحات: «أن تكون معنا أو أن تكون ضدنا في معركتنا ضد الإرهاب»[٨]. وفي نظره، ينقسم العالم إلى قسمين، الأخيار، الذين يتجمعون تحت راية الولايات المتحدة، والأشرار الذين ينبغي القضاء عليهم بالحرب. وليس فقط الإرهابيون هم الذين يجسدون الشر، هناك أيضًا البلاد التي تحميهم أو التي تشجع على الإرهاب. ونتيجة لذلك قرر الرئيس الأمريكي أن الحكومة لن تميز بعد الآن بين الذين يخططون للأعمال الإرهابية والبلاد التي تأوي الإرهابيين. وصارت الحرب على الإرهاب، منذ هذا الوقت، حربًا شاملة. وأكد في السياق نفسه، أن الولايات المتحدة «مدعوة لحمل نعمة الله، وهي الحرية، إلى كل إنسان في العالم» ونشر «الخير» ولا سيما تحت صيغة الديمقراطية.

بالتأكيد ليست ثنائية الخير والشر شيئًا جديدًا في الحياة السياسية الأمريكية. وكان هناك رؤساء آخرون قد وصفوا خصومهم بأنهم «أشرار». غير أن هذه الثنائية الشعبية المانوية لم تعد تعرف حدودًا مع جورج دبليو بوش. وينطبق الأمر ذاته على الرؤية المسيانية لدور الولايات المتحدة في العالم، التي وصلت في ظل بوش إلى مستوى لم تصل إليه قط من قبل. وهو أمر يجد ترحيبًا لدى الإنجيليين الذين يرون في تثمين الروح المسيانية ذات الطبيعة الدينية خطوة نحو استعادة الهوية المسيحية لأمريكا التي ينادون بها من كل قلوبهم.

وكما نعرف جميعًا، فإن المرحلة الأولى في مقاومة الإرهاب كانت الهجوم على أفغانستان. وتم تقديم غزو هذا البلد، في خريف عام (٢٠٠١م)، من خلال مصطلحات إستراتيجية بحتة، كهجوم مضاد، على نقيض الحرب على العراق. وبعد عام ونصف على انطلاق المعارك في أفغانستان كانت النتيجة غير حاسمة: فإذا كان الطالبان، وهم الداعمون للقاعدة قد تمت هزيمتهم وإزاحتهم من السلطة، فإن الجيوش الأمريكية لم تستطع، مع ذلك، القبض على زعيم القاعدة أسامة بن لادن. وحينئذ اتخذ حـ ج دبليو بوش من الإرهاب هدفًا وخاصة صدام حسين الذي وضعته الولايات المتحدة مـ ـة طويلة على خريطة الاستهداف (مشروع إزاحته تم إقراره منذ فترة بعيدة). وبعد ١١ سبتمبر صار غزو العراق وإزاحة صدام أمرًا عاجلاً بالنسبة للرئيس الأمريكي. وكانت الأسباب التي قدمتها الولايات المتحدة لشن الحرب ثلاثة أسباب: القضاء على أسلحة الدمار الشامل والمواد الضرورية لصناعتها، معاقبة صدام حسين المنظور له على أنه ديكتاتور مرعب وعلى أنه يشكل في الوقت نفسه تهديدًا لأمن الولايات المتحدة ـ ومن هنا ضرورة إطلاق «ضربات وقائية» كما يقول بوش ـ، وثالثًا إعادة صياغة الخريطة الإستراتيجية للشرق الأوسط بتطعيم شعوب المنطقة بـ «فيروس» الديمقراطية.

وعلى نقيض الوضع في عام (١٩٩١م)، حيث أغلبية الإنجيليين قد ساندوا إدارة بوش الأب، فإن موقفهم من الغزو الوقائي الذي قاده بوش الابن في عام (٢٠٠٣م)، لم يحظ بإجماع الإنجيليين. وداخل التيار الإنجيلي كان المؤتمر المعمداني الجنوبي هو الوحيد الذي أيد غزو العراق، مما أدى إلى خروج جيمي كارتر من هذا الفصيل الإنجيلي. وينبغي أن نضيف لهذا الفصل الأخير الرموز الكبرى لليمين المسيحي ـ القساوسة بات روبرتسون، فرانكلين جراهام وجيري فالويل ـ الذين يعظون في الاتجاه نفسه. من بين الإنجيليين المعارضين [للحرب] هناك كنيسة جورج دبليو بوش ذاته، الكنيسة الميثودية المتحدة، التي اتهمته بأنه قاد حربًا غير عادلة وغير مفيدة في العراق. غير أنه في نهاية المطاف أيد الإنجيليون، في معظمهم، رئيس الولايات المتحدة في هذا الشأن. وأظهر استطلاع رأي على موقع الاتحاد القومي للإنجيليين أن٥٥٪ من الإنجيليين مؤيدون لاستخدام القوة [في العراق] في مقابل ٤٥٪ وفيما يتعلق ببروتستانت آخرين، أخذ مجلس الكنائس الأمريكية موقفًا ضد التدخل في العراق، وفضلاً عن ذلك، فقد رفض التبرير الديني الذي أعلنه الرئيس بوش. ولهذا السبب رفض الرئيس استقبال وفد منهم. أما فيما يتعلق بالكنيسة الكاثوليكية فإنها

تعيش توترات مختلفة. فقد قدمت المجموعات الكاثوليكية المحافظة (مثل: «الجماعة الأمريكية للدفاع عن التراث» و«الأسرة والملكية») دعمها لجورج دبليو بوش واصفة الحرب على العراق بأنها «حرب عادلة» برغم موقف البابا والهيرارشية الأمريكية. وبرغم معارضة سلطات دينية توصل الرئيس بوش، بسرعة، إلى ضم أغلبية الأمريكيين إلى وجهة نظره. ولا يبدو أن هناك من يمكنه تحويل بوش عن قناعته المطلقة: ينبغي القضاء على «محور الشر».

سياسة يقودها الإيمان حصريًا

هل يمكن القول إن مواقف جورج دبليو بوش، في السياسة الداخلية كما في السياسة الخارجية، مبنية بشكل حصري على الإيمان؟ هذا السؤال يفرض نفسه على ساحة الحوار في العالم بأسره منذ ١١ سبتمبر عام (٢٠٠١م). وتناولت الصحف هذه القضية في صدر صفحاتها. في هذا الجانب من الأطلنطي، هناك مزيد من الميل نحو المبالغة في أهمية البعد الديني في إعداد الإستراتيجية الأمريكية. وأبعد من أي جدال، سيكون من الصعب إنكار أن الإحالات للكتاب المقدس ترصع خطبه. ومن الأمور التي لا يمكن التشكك فيها أيضًا أن الدين ساهم في دعم جورج دبليو بوش على الفوز بالانتخابات الرئاسية في عام (٢٠٠٠م)، وخاصة في انتخابات عام (٢٠٠٤م). وعلى الفور عرف هذا الرئيس الطارئ، الذي انتخب بصعوبة، والذي لم يكن يقدر جيدًا قبل ١١ سبتمبر، كيف يجد النغمة النبوئية التي تلائم أمريكا، والتحدث مع مواطنيه نفس اللغة التي يسمعها قسم كبير منهم في كنائسهم دائمًا. وهكذا قام بنجاح بتحويل هذا الاعتداء إلى حملة صليبية لقوى الخير ضد قوى الشر. وفي النهاية، قاد أمريكا وجزءًا من العالم إلى الحرب لأنه، كما قال،«استُدْعِي» [إلهيًا] للقيام بها.

ومع ذلك، يبدو من الإسراف القول إنه ترك نفسه يقاد فقط بالعقيدة . في الواقع، إن الرئيس الأمريكي رجل أكثر عمقًا وأكثر تعقيدًا مما يتخيله البعض. وعلى الرغم من التركيز الإعلامي على مظاهر تقواه، فإنه يسبح بحذر بين قناعاته الدينية والواقعية السياسية. فهو رجل سياسي محنك وتكتيكي ماهر، وفي الغالب شرس، بل وميكافيللي. وتجلت هذه الميكافيلية في يونية عام (٢٠٠٤م)، في ذروة الحملة الانتخابية، عندما قابل البابا جان بول الثاني بالفاتيكان، ساخرًا من خصمه الديمقراطي الكاثوليكي جون كيري .

وأظهر أنه قادر على تجاوز أي نصيحة بما فيها نصائح الكنيسة، والابتعاد عن ممثلي اليمين المسيحي، وهو ما حدث إثر الإهانات التي وجهها القساوسة فالويل وروبرتسون وجراهام ضد الإسلام. ألم يتجاهل أيضًا النداء الذي أطلقه عدد من الأصوات الإنجيلية طالبين التخلي عن ضرب العراق؟. وكما أشرنا سابقًا، فإن تعبير «محور الشر» الذي تم استخدامه في يناير عام (٢٠٠٢م)، لم يدم أكثر من فترة شتاء، واختفى تمامًا منذ هذا الوقت من خطابه. وفي النهاية ، على مدار الحملة الانتخابية في عام (٢٠٠٤م)، فرض موضوع أمن الأراضي الأمريكية نفسه كموضوع أول في اهتمامات الأمريكيين. ومن وجهة النظر هذه، فإن الصلابة التي يجسدها الرئيس بوش تظل ميزته السياسية الرئيسية.

وبالتالي ينبغي أن ينظر إلى دور الدين نظرة نسبية. فقد أظهر بوش نزعة براجماتية تعتبر على الأقل مساوية لنزعته في التدين والورع. فالإيمان يأمره بالسعي نحو عمل الخير، غير أنه لم يحدد له ما ينبغي أن يفعله على وجه التحديد. ومن أجل هذا يميل إلى غريزته واندفاعاته وخبرته وحسه العملي. من جهة أخرى، لا يواظب على ممارساته العبادية يوم الأحد مثل عدد من الرؤساء السابقين له. على سبيل المثال، كان كليتتون يواظب بصورة منتظمة على صلاة الأحد بكنيسة فوندري الميثودية، والكتاب المقدس تحت ذراعه . ويرى الصحفي بوب وودورد «من الواضح جدًّا أن دور بوش كسياسي، وكرئيس وقائد عام يحركه إيمان دنيوي بغريزته، ويكون استنتاجاته وأحكامه بصورة طبيعية وعفوية. فغريزته عمليًّا هي دينه الثاني» (وود ورد، ٢٠٠٢م، ١٠٩) .

في النهاية، ليست سياسة بوش دينية بحصر المعنى، غير أنها تستند إلى القيم الأخلاقية والدينية التي ينظر لها على أنها مفيدة للسياسة. ويقدم اللجوء للدين، بالنسبة لبوش، ميزتين: الأولى أنه يقدم إمكانية التخاطب مباشرة مع الشعب وهو ما لم يعرفه والده قط: «ولهذا السبب يعتبر الرئيس الحالي فى الغالب شعبوي، بدون أن يكون في هذا نغمة إساءة، حيث إن إحالاته وإشاراته يفهمها الأمريكيون بسهولة» (كورمونت، ٢٠٠٤م، ص ٢١٦) . فهو يستخدم لغة دينية تمامًا تتحدث غريزيًّا لقطاع كبير من السكان.

والميزة الأخرى، أن كل التعبيرات الدينية التي يستخدمها تسمح له، على وجه خاص، بتجنب أي شكل آخر من التفسير أو الاختلاف: «مع هذا الالتحام بين الدين والسياسة توصل بوش إلى إلغاء أي شكل من النقد يتعلق بقراراته، ولا سيما لدى الجمهور الذي يمارس العبادة.

وبما أن قرارات وأعمال الرئيس مؤسسة على الإيمان، فإنها لا يمكن أن تكون موضع نقاش بالنسبة للذين يؤمنون بالله ويمنحون الدين مكانة مهمة في حياتهم اليومية» (ص ٢١٦).

جورج دبليو بوش واليمين المسيحي

كما لاحظنا سابقًا، انطلقت العلاقات بين جورج دبليو بوش واليمين المسيحي حوالي عام (١٩٨٧م) بعد خبرته في التحول الروحي الجديد، عندما كلفه والده بتعبئة أصوات اليمين المسيحي توقعًا لإعلانه الترشيح لخلافة رونالد ريجان. وبمساعدة دوج وايد تعلم بوش الابن كيف يتعرف جيدًا على قطاع من اليمين المسيحي، وتمكن بذلك من نسج علاقات مع قادة الحركة الذين صاروا أقوى مسانديه. وفي المقابل تقبل فكرة إدماج بعض رموز الحركة في فريقه مثل رالف ريد المدير السابق للتحالف المسيحي وكذلك جون إشكروفت الخمسيني النزعة.

تبادل إجراءات مفيدة

في عام (١٩٩٣م) سعى جورج دبليو بوش إلى كسب قلوب وأصوات المسيحيين المحافظين، ولا سيما في تكساس. وطوال حملته استخدم القساوسة كنواب ووكلاء انتخابيين «يضمنون انتشارًا فعالاً، وقياسًا طبيعيًّا لاستطلاعات عفوية حول وضعية المصوتين المقبلين، وحول آمالهم وإحباطاتهم» (لوران، ٢٠٠٣م، ص ١٦ و١٧). وفي عام (١٩٩٩م)، عندما بدأ يفكر في الترشيح للانتخابات الرئاسية جمع القساوسة الرئيسيين وقادة اليمين المسيحي ليخبرهم بأنه كان ينظر لنفسه كـ (مستدعى من قبل الله لشغل أكثر الوظائف علوًّا، وطالبًا منهم: أن يباركوه بعقد الأيادي (فينمان، ٢٠٠٣م، ص ٢٠). وأثناء فترتي رئاسته كحاكم لتكساس اهتم جورج دبليو بوش بعقد علاقات جيدة مع الإنجيليين. وكان يظهر بصورة منتظمة في البرامج التليفزيونية مثل برنامج نادي السبعمائة. وكان يثمن بشكل خاص جيمس دوبسون (مدير منظمة التركيز على الأسرة) وجيمس روبسيون، وعندما أعيد انتخابه حاكمًا لتكساس في عام (١٩٩٨م) دعا هذا الأخير للحديث أثناء إفطار/ صلاة الذي كان يميز حفل تقلده المهام.

وحتى يدخل السرور إلى قلوب أفراد اليمين المسيحي حدد الحاكم بوش يوم ٢٠ يونية «يوم المسيح»، ومرر اثنى عشر قانونًا تحد من الحق في الإجهاض في ولايته، وأكثر من المبادرات

التي تهدف إلى السماح للمنظمات الدينية بالاستفادة من الأموال العامة، بغرض أن تصير نائبة عن الدولة في ميدان العمل الاجتماعي. ومنذ إقرار الرئيس كليتون في عام (١٩٩٦م) لقانون إصلاح «ويلفار» طالب بوش، كحاكم تكساس، وكالات الولاية بإدراج الكنائس في كل برامجها، ووقع في السنة التالية قانونًا يسمح للكنائس المحلية الصغيرة بالحصول على أموال عامة، بغرض معالجة المدمنين ومن أجل تمويل حضانات الأطفال، والتكوين المهني، وإعفائها من التقيد باللوائح الإدارية للولاية فيما يتعلق بأمن أماكنها والتكوين المهني لموظفيها. وعلى الرغم من رفض الكنائس الليبرالية بتكساس لهذا الإجراء، فإن حاكم الولاية، بوش، أباح لمجموعة إنجيلية في عام (١٩٩٧م)، بالشروع في برنامج إعادة تأهيل داخل السجن كان قد أعده وأشرف عليه شارلز كولسون، كما سمح أيضًا لسجن فورت وورث بفتح «جناح مبنى على العقيدة» للمساجين المؤمنين. «لكن في الحالتين ـ كما تقول إيزابيل ريشيه ـ فقط البروتستانتية الإنجيلية هي المسموح لها» (ريشيه، ٢٠٠٤م، ص ١٠٣). وظهرت برامج اجتماعية أخرى يديرها أصوليون وممولة من الدولة، غير أنها اعتبرت على الفور غير دستورية.

لإقناع الناخبين الإنجيليين بأنه واحد منهم، وللحصول على أصواتهم في انتخابات عام (٢٠٠٠م)، زار المرشح جورج دبليو بوش جامعة بوب جونز المشهورة بتعصبها وبنزعتها السياسية والدينية المحافظة المغالية وبممارساتها التمييزية. وفي ٢ فبراير أعلن خطابًا أثار استنكارًا فعليًا، ووجهت إليه انتقادات؛لأنه لم ينتقد الممارسات العنصرية لهذه الجامعة، ولم ينتقد العداء المعلن للكاثوليكية من أسرة جونز [أصحاب الجامعة]. ولمدة عدة أسابيع كانت هذه القضية إحدى الموضوعات الساخنة للحملة الانتخابية. ووصل الجدال إلى درجة دفعت بوش إلى تقديم اعتذار للكاثوليك.

وأثبتت إستراتيجية بوش فعاليتها، وهو ما تشهد عليه نتائج الانتخابات الرئاسية في عام (٢٠٠٠م) وخاصة في انتخابات عام (٢٠٠٤م). ويعود نجاحه في الواقع إلى أن الرئيس ابتعد عن طريقة المسيحيين الإنجيليين في الحديث. فلم يتردد، بذكائه في توظيف إيمانه عندما يستدعي الأمر ذلك. فعندما يجد نفسه في وسط مجموعة من المولودين ثانية مسيحيًا، يعرف كيف يجيبهم ويثير القضايا التي من شأنها أن ترفع مقداره لديهم. ويوضح هوارد فينمان كيف اجتذب بوش قادة اليمين المسيحي ليس بإعطائهم الحق في الموضوعات العزيزة على قلوبهم، وإنما بإعطائهم

الانطباع أنه واحد منهم «المرشحون الآخرون كانوا يسعون لاجتذاب هذه المجموعات بإظهارميل واضح نحو مواقفهم حول قضايا مثل الإجهاض وحقوق المثليين جنسيًّا. بينما بوش كان يتحدث فقط عن إيمانه [...] والناس كانوا يصدقونه ببساطة تامة ـ ويثقون به. كان هذا نوع من العبقرية» (فينمان، ٢٠٠٣م، ص ٢٠). وأيضًا صرح تشارلز كولسون، وهو أحد أكثر المؤمنين مساندة له بين اليمين المسيحي: «لقد كان ويظل واحدًا منا» (ص٢٠). ويرى جيري فالويل الرأي ذاته «نحن نتعرف عليه مباشرة كواحد منا من طريقته فقط في الكلام فقط . إنه مؤمن بصورة جلية حتى إذا لم يكن واعيًا دائما بعمق إيمانه. ربما يحدث له أحيانًا من وقت لآخر نسيان ما ورد في الكتاب المقدس» (فالويل في فيكتور، ٢٠٠٤م، ص ٣١٢).

يعتبر جورج دبليو بوش، في الواقع، من بين كل الرؤساء الأمريكيين منذ نهاية السبعينيات الأكثر قربًا من الشبكة الإنجيلية، حتى إذا كانت علاقاته معها معقدة في الواقع. وكان فرانكلين جراهام يدعى بانتظام إلى البيت الأبيض. وكان المرء يقابل فيه أيضًا الرموز الكبرى الأخرى لليمين المسيحي ـ جارى بوير، جيرى فالويل، بات روبرتسون، جيمس دوبسون، جيمس روبسيون، بوب جونز الثالث ـ وكذلك بعض أعضاء اللوبي الإنجيلي مثل: مايكل هوروتيس، من معهد هدسون، في إدارة ريجان سابقًا، وريتشارد لاند أحد قادة المؤتمر المعمداني الجنوبي، وتيد هاجارد رئيس الاتحاد القومي للإنجيليين، وكذلك شارلز كولسون.

مبادرة أخرى بارزة: تابع البيت الأبيض باهتمام كبير توسع الكنائس الإنجيلية. وأنشأ مكتبًا خاصًّا، وهو نوع من مرصد رسمي لحرية العبادات عبر العالم ينشر كل عام دليلاً سنويًا عن حالة «اضطهاد» الأديان، حيث يتجاور فيه من بين الذين يمارسون الاضطهاد، المملكة العربية السعودية، روسيا، الصين وفرنسا، وكلهم مهتمون بانتهاج ممارسات قاسية ضد المعتقدات الإنجيلية.

من جهتهم، يعتقد الإنجيليون أن الرئيس بوش هو أفضل مدافع عن الأسرة وعن الحق في الحياة. وأكثر من ذلك، يرونه مرشح الله. ولأن المسيحيين المحافظين يريدون تنظيف الحياة الأخلاقية والحياة العامة، قدم بوش نفسه، أثناء حملة انتخابات عام (٢٠٠٠م)، بوصفه المناهض لكلينتون، معلنًا أنه ينبغي «تنظيف المكتب البيضاوي». وقدم التحالف المسيحي واليمين المسيحي في معظمها مساندتها له. غير أن هذا لم يكن كافيًا. وواجه جورج دبليو بوش أمام المرشح الديمقراطي آل جور الصعوبات التي نعرفها، وكان كارل روف مقتنعًا أن جورج دبليو

بوش على وشك أن يفقد الانتخابات؛ لأن عددًا مهمًا من الإنجيليين امتنع ببساطة عن التصويت. وكان الحل دفعهم للتصويت بأعداد كبيرة. ومن أجل هذا الغرض قام قادة التيار الإنجيلي بجهد كبير في التعبئة بدءًا من النداءات التي أطلقوها من مواقعهم العالية. وحتى توزيع دليل للانتخابات أثناء صلوات الأحد.

ومن أجل اجتذاب أصوات اليمين لصالحه، وحتى يتم إعادة انتخابه بصورة قاطعة أعلن الرئيس بوش عن وعود كثيرة : دعم الزواج، الحث على العفة، تعديل الدستور لمنع زواج المثليين نهائيًا، مؤكدًا بذلك صورته كمدافع عن القيم الأخلاقية. وعلاوة على ذلك. عرف بعد الأحداث التي تلت ١١ سبتمبر كيف يؤكد صورته كقائد حرب. وكان انتصاره في عام (٢٠٠٤م) مؤكدًا.

هل البيت الأبيض في أيدي الإنجيليين؟

في ظل رئاسة بوش، لم تكن ممرات البيت الأبيض تخلو من مسيحيين راسخين في مسيحيتهم، وكان كل موظفي البيت الأبيض يشاركون في مجموعات دراسة الكتاب المقدس، إلى درجة أن الرئاسة أصبحت تشبه صالة صلاة كبيرة. في الحقيقة، يحمل كثير من أعضاء الحكومة بصورة طوعية لقب إنجيلي، بل وحتى أصولي. وكما أشارت عناوين واشنطن بوست: اليمين المسيحي جعل من المكتب البيضاوي مقره الرئيسي (ميلبانك،٢٠٠٢م). والبعض منهم لا يخفي قناعاته بأن الدولة الأمريكية تستند إلى ركائز دينية بصورة جوهرية وأن الخالق هو مصدر كل حرية وكرامة إنسانية (بينارت،٢٠٠٢م).

وأن يحيط الرئيس نفسه بعدد من أفراد هذا التيار، فهذا يقدم دليلاً إضافيًا على اهتمامه ليس فقط بعقيدتهم، وإنما أيضًا ـ وخاصة ـ بوزنهم الانتخابي. يتعلق الأمر، في الحقيقة، بمبادرة اعتراف: فمن الطبيعي أن يعين الرئيس ممثليهم في أماكن مهمة ليشكرهم على مساهمتهم في نجاحه. ففي فترة رئاسته الأولى عين جورج دبليو بوش كلاً من: كريستي تود وايتمان، حاكمة نيوجيرسي والمتحمسة لحق الإجهاض، في قيادة وكالة حماية البيئة. وفي منصب سكرتير وزارة المالية، اختار بول أونيل، رئيس شركة ألكوا للألومنيوم، والذي ينتقده اليمين، لأنه كان مؤيدًا في

الماضي لضريبة على البنزين، وهو اقتراح استعاده آل جور. وعلاوة على ذلك، أشار بوش، باستقباله آلان جرينسبان، الرئيس السابق للبنك الفيدرالي، إلى أنه ينوي ترك مقاليد الاقتصاد له، في الوقت الذي يرى فيه آخرون أن إدارته كانت متصلبة. وانتهى إلى تقديم تنازلات بتعيين إنجيليين راسخين ومقربين من اليمين المسيحي على رأس ثلاث وزارات. ولنذكر أخيرًا إلى أنه مع وصول هؤلاء الإنجيليين إلى دوائر السلطة، فإنها المرة الأولى في تاريخ الولايات المتحدة التي يلعب فيها الجنوب دورًا حاسمًا في إدارة شئون البلد : فالدائرة الأولى حول جورج دبليو بوش مؤسسة من رجال ونساء من هذه المنطقة. وعدد منهم أصدقاء منذ زمن بعيد، وتقابلوا في الفترة التي كان جورج دبليو بوش حاكمًا على تكساس.

هل يكون البيت الأبيض، لهذا السبب، «رهينة» في أيدي الإنجيليين كما يؤكد البعض؟ من المفيد محاولة التعرف على ملامح الأكثر شهرة من بينهم قبل أن نحدد مدى نفوذهم. من بين الإنجيليين المنتمين للدائرة المقربة من الرئيس، هناك أولاً كارل روف الملقب بـ «الإستراتيجي» أو«المخ» (دوبوز وريد، ٢٠٠٣م، جارو،٢٠٠٤م). وهذا الجمهوري من غلاة المحافظين، والذي روابطه مع التحالف المسيحي ليست في حاجة لأدلة، هو أكثر المستشارين قربًا من الرئيس. وهو من الأوفياء لجورج دبليو بوش منذ لقائهم الأول في عيد الشكر في عام (١٩٧٣م)، وهو صانع كل انتصاراته الانتخابية. وبقي في الظل لكنه شغل موقعًا لا سابق له حيث يوجد مكتبه في الجناح الأيسر من البيت الأبيض. وبوصفه تكتيكيًّا مشهودًا له، فإن نفوذه تجاوز كثيرًا السياسة الانتخابية ليمارس تأثيرًا حتى في توجهات الحكومة. ومع أنه لم يظهر بنفسه كمهتم بالقضايا الدينية بشكل خاص، فإنه يعرف أكثر من غيره كيف يتحدث إلى الأوساط المسيحية المحافظة، محاكيًا بلاغتهم وعاداتهم. وبفضله شعر اليمين المسيحي أنه استقبل في البيت الأبيض كما لم يستقبل قط من قبل.

عن الدائرة الأولى . . .

في الدائرة الأولى للرئيس، يمكن أن نشير إلى مايكل جيرسون، مؤلف الخطب الرئاسية والتعبير الشهير«محور الشر». وهو حاصل على دبلوم في اللاهوت من كوليج دايتون بولاية إيلينوا، ويلقب بـ «هارفارد الإنجيلي» الأمريكي، وهو أسقفي ذو اتجاه إنجيلي. وهو أيضًا مقرب

من التحالف المسيحي، وقارئ مولع بالكتاب المقدس. وآمن بالنبوءات الكتابية عن نهاية الزمان وقرب وقوع ما تنبأ به سفر الرؤيا. وهناك زوجة رئيس الموظفين بالبيت الأبيض، أندريه كارد، مسئولة العبادة الميثودية. ووزيرة الخارجية الحالية، كوندوليزا رايس، هي ابنة واعظ بولاية آلاباما. وينظر إلى كاي كولس جيمس، مديرة الموظفين بالإدارة، بوصفها أيضًا مقربة من الأوساط الإنجيلية. وهناك أيضًا مارفين أولاسكي، وهو عضو آخر في الدائرة المقربة من بوش، ومع أنه لا يشغل وظائف رسمية فإن هذا اليهودي الشيوعي سابقًا، والذي تحول إلى الإنجيلية قد أوحى لنيوت جينجريتش في عام (١٩٩٤م)، بـ «عقد مع أمريكا»، قبل أن يعزز سياسيًّا الحاكم السابق لولاية تكساس في عام (٢٠٠٠م) بإقناعه بإعطاء سلطة للجمعيات الدينية، متابعًا مفهوم «النزعة المحافظة الرحيمة» الذي ابتكره قبل ذلك. وحاليًّا يعمـل مديرًا لمجلة تضم غلاة المحافظين وهي مجلة «العالم».

وهناك رالف ريد أحد إستراتيجيي اليمين المسيحي، المقرب بشكل خاص من الدوائر الرئاسية. وكان رئيسًا سابقًا للتحالف المسيحي من عام (١٩٨٩م) إلى عام (١٩٩٧م)، ثم صار مستشارًا انتخابيًّا للرئيس بوش، وقاد حملته الانتخابية في عام (٢٠٠٤م). وبعد أن كشف عن مواهبه الأولى في أحد فروع الحزب الجمهوري، وهو الكوليج القومي الجمهوري، انخرط في ست حملات انتخابية رئاسية مختلفة. وصار عضوًا مؤثرًا في الجهاز الجمهوري وشغل رئاسة المؤتمر الجمهوري بجيورجيا منذ ربيع ٢٠٠١م. وهو أسقفي ذو اتجاه إنجيلي، قاد أيضًا «إستراتيجيات القرن»، وهي جمعية استشارية، أعدت خطة لتعبئة القاعدة المسيحية لصالح إسرائيل. ويعرف عنه ذكاؤه البارز وتقواه الظاهرة، وهو مؤلف عدة كتب وشرائط فيديو تدعو إلى «إيمان نشط يغير روح السياسة الأمريكية».

وفي إدارة بوش الأولى هناك ثلاثة وزراء على درجة كبيرة من التيار الإنجيلي، وهم: جاك نورثون(الداخلية)، تومي تومبسون (الصحة)، جون إشكروفت (العدل). والرمز الأكثر تفردًا والأكثر تمثيلية لهذا الثلاثي هو، بدون شك، جون إشكروفت. وهو ممارس ورع لطقوس العبادات ويعلن عن استقامته الأخلاقية ويصف وزارة العدل، بصورة علنية، على أنها أداة للانتقام الإلهي (لافام، ٢٠٠٢م، ص١١). واحتل صدارة الأحداث صبيحة تعيينه في عام (٢٠٠٠م)، عندما طالب بوضع قماش من الستان على تماثيل بدت له عارية أكثر من اللازم، تمثل

العدالة في أروقة وزارته، ومثيرًا انتقادات عنيفة في هذه الفترة من قبل التيارات الليبرالية. وداخل وزارته التي كان يقودها كواعظ يدير كنيسته، كان ثلاثة أرباع أعضاء فريقه أيضًا من المسيحيين الخمسينين، الذين يتواجدون كل صباح في جلسة صلاة تحت قيادته قبل أن يبدءوا يومهم في العمل. وباسم قناعاته الدينية وإيمانه أكد على أن الله عهد إليه بمهمة الدفاع عن الولايات المتحدة، وبالتالي عن الديمقراطية الغربية وعن العالم المسيحي ضد داء الإسلام. وكانت أعماله غالبًا تنتهك الحقوق الإنسانية الأساسية. وكان يؤكد أن الله قبل القانون المدني. ليس هناك ما يثير الدهشة إذن في أن كثير من الإنجيليين كانوا يقدرونه. وكان اليمين المسيحي يرى فيه نبيًّا حقيقيًّا لإعادة تأسيس أمريكا المسيحية.

وينتمي جون إشكروفت، ذو الأصول الجنوبية، إلى تجمعات الرب وهي أكثر تجمعات الحركة الخمسينية أهمية، وتشمل (٢,٣) مليون عضو في الولايات المتحدة. وكان والده رئيسًا لشئون العبادة ومكلفًا بالتعليم داخل قيادة الحركة الخمسينية التي مقرها في سبرنج فيلد في ميسوري. وأثناء كل مسيرته السياسية بمجلس الشيوخ كوزير للعدل في ولاية ميسوري ثم كحاكم بعد ذلك، كان دائمًا خصمًا لدودًا للحق في الإجهاض وحقوق المثليين جنسيًّا. وكان عضوًا مخلصًا للاتحاد القومي لحمل البنادق، ومن هنا تتضح معارضته لأي منع لبيع الأسلحة النارية للأفراد. وفي ميسوري أيضًا أوقف تعيين قاضي كان يشك في أنه غير مؤيد بما يكفي لتطبيق عقوبة الإعدام.

وإذا لم يكن إشكروفت أول أعضاء تجمعات الرب الذين خدموا في الفريق الرئاسي - حيث هناك جيمس وات الذي شغل وظيفة السكرتير العام في الداخلية في فريق الرئيس ريجان- فإنه قد مارس نفوذًا أكبر اتساعًا من سابقه على صعيد السياسة الداخلية. وحاول مرات عديدة، في الواقع، إزاحة القانون المدني تحت ذريعة تنفيذ إرادة الله. في عام (١٩٩٩م)، وأثناء خطاب منح دبلومات جامعة بوب جونز الأصولية في مدينة جرين فيل في ولاية كارولينا الجنوبية، صرح جون إشكروفت أن أمريكا لم تكن أمة علمانية: «نحن ليس لدينا ملك آخر سوى المسيح». وفي فبراير ٢٠٠٢م تحدث بعبارات مشابهة في ناشفيل بولاية تينسي، أمام تجمع من ستة آلاف من الإنجيليين التليفزيونيين، مؤكدًا على أن حريات أمريكا تأتي إليها من السماء :«ليست الحكومة أو الميثاق هو الذي يمنحنا هذه الحريات وإنما الله هو الذي زودنا بها» (ص١٢).

باختصار، فإن دستور الولايات المتحدة وإعلان حقوق الإنسان هما من صنع العلي القدير بنفسه كما يرى إشكروفت.

ونظرًا لاقتناعه الراسخ بالآثار السيئة للدولة القادرة أكثر من اللازم يرى إشكروفت، مثل بوش، أن روح المبادرات الفردية والكنسية يمكن أن تلبي بفعالية الحاجات الاجتماعية أكثر من الدولة. ولهذا السبب، اقترح منذ عام (١٩٩٦م) إدراج «الاختيار الإحساني» في «مرسوم إصلاح ويلفار».

ومنذ إعلان بوش الحرب على الإرهاب بادر الادعاء العام بإصدار قرارات توقيف جماعية، وتعليق اللجوء إلى قانون الإحضار، ورفض الالتماسات المقدمة للحكومة باسم الحق في الإعلام. وفي ٢٥ أكتوبر عام (٢٠٠١م)، أقر الكونجرس بأغلبية ساحقة قانون مقاومة الإرهاب المسمى قانون باتريوت الأمريكي، وكان إشكروفت وراء إصداره. ويوسع هذا القانون من سلطات الـ إف بي أى (FBI) وأجهزة المحافظة على النظام الأخرى، مثل أجهزة الكحوليات والتدخين والأسلحة النارية ـ وكلها أجهزة مرتبطة بوزارة العدل ـ بالسماح لها بتنويع عمليات التصنت التليفوني والاطلاع على التقارير الطبية والبنكية لملاحقة الأنشطة المشتبه فيها والمشروعات الإجرامية، وللقيام بتحقيقات واعتقال أو طرد، من كل الأراضي، كل الأشخاص (من المهاجرين أو من جذور أمريكية) المشتبه في أنهم متورطون في أنشطة إرهابية. ومنذ إعلان هذا القانون، وهو يثير انتقادات حادة من جانب المنظمات المدنية مثل الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية الذي يدين ما يعتبره انتهاكًا للحقوق الدستورية(٩). في المقابل لا يخفى اليمين المسيحي والمنظمات الحقوقية المحافظة رضاهم. ليس هناك إذن ما يثير الدهشة في أن رحيل جون إشكروفت كان خبرًا سيئًا للإنجيليين الذين كانوا ينظرون إليه كأفضل ممثل داخل الإدارة. وكان خلفه هو البرتوجونزاليس، وهو صاحب الإجراء الذي سمح بالالتفاف على اتفاقيات جنيف، عندما وصف مساجين الحرب في أفغانستان والعراق بـ «أعداء مقاومين».

وهناك جال نورثون، القريبة من خط إشكروفت، وهي أول امرأة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية تشغل مثل هذا المنصب بوزارة الداخلية، وتشترك في قناعات مماثلة. ويؤكد تعيينها على التحول نحو اليمين الذي انتهجته إدارة بوش. وهي معارضة لحقوق المثليين جنسيًا والتميز الإيجابي، ومؤيدة لعقوبة الإعدام واستغلال الموارد الطبيعية من المخزون الحيواني، لا سيما في

منطقة ألاسكا. كذلك تدافع عن «الحق» في صناعات ضارة بيئية. وفي عام (٢٠٠٤م)، بعد إعادة انتخاب جورج دبليو بوش، تعززت في موقعها.

وهناك تومي طومسون، الحاكم السابق لـ«ويزكنسين»، ضمن حكومة بوش الأولى بصفته وزيرًا للصحة والشئون الاجتماعية. وهو مدافع متحمس للأسرة التقليدية وكان أحد أوائل الحكام الذين أعادوا إصلاح المساعدات الاجتماعية بإقرار قانون (ويزكنسين للعمل) الذي نص على تحويل المساعدات الاجتماعية إلى دائرة تشجيع فرص العمل. وقد تم استخدام هذا القانون كنموذج قومي لإصلاح الضمان الاجتماعي من خلال إجبار المستفيدين من هذا الضمان الاجتماعي على العمل مع تأمين وصول هذه المساعدة، بغرض تسهيل انتقال دائم نحو الحياة الفاعلة. ومنذ تعيينه، أعلن أنه سيبذل قصارى جهده للتراجع عن قرار إدارة الأغذية والأدوية التي سمحت أخيرًا، بعد اثنتي عشرة سنة على أوروبا، بدخول حبة الإجهاض RU 486 إلى السوق الأمريكي. وبانتظار إلغاء هذا القرار عمل تدريجيًّا على قطع الأموال المكرسة لتعزيز استخدام «الواقي»، والإعلام حول حق الإجهاض. وأعلن نهاية تمويل الجمعيات غير الحكومية (ONG) الأجنبية التي تشجع تنظيم النسل، وهو الأمر الذي عرض عديدًا من وكالات تنظيم الأسرة في العالم إلى مشاكل حقيقية. بينما، على العكس، كانت هناك مساندة أكثر من أي وقت مضى لمجموعات اليمين المسيحي والحركات المناهضة للإجهاض. غير أنه في عام (٢٠٠٤م) جاء مايكل ليفيت ليخلفه في منصبه.

في بداية عام (٢٠٠٣م) تم تعيين الجنرال وليام «جيري» بويكن، وهو مؤمن خمسيني النزعة، في منصب نائب مساعد وزير الدفاع لشئون الاستخبارات. وفي أكتوبر من العام ذاته دوت فضيحة عندما كشفت شبكة إن. بي. سي عن بعض تصريحاته أمام جمع من المؤمنين الإنجيليين. وكان الجنرال قد صرح أن أمريكا دولة مسيحية. وأن الرئيس بوش وصل إلى الرئاسة بمعجزة. وقال عن بعض الأحكام التي صدرت عن المحكمة العليا والتي لا يوافق عليها: «لا ينبغي أن تقلقوا مما قد تقوله المحاكم. فإلهنا [المسيح] يسود كمعلم» (جراهام، ٢٠٠٣م). وأبلغ مستمعيه أنه عند فحص صور مقديشيو، عندما كان يخدم كضابط بالقوات الأمريكية الخاصة، رأى علامة سوداء غريبة، والتي فسرها على أنها تجسيد للشيطان، وأن الإرهابيين في الواقع اختطفوا طائرتين ولكن «يد الله تصدت لخططهم». وأكد على أن عدو أمريكا في الحرب على الإرهاب هو الشيطان

الذي لا يمكن أن يهزم إلا «إذا حاربنا باسم المسيح». وتعبيره فيما يتعلق بقائد حرب صومالي أصبح شهيرًا:«كنت أعلم أن ربي كان أكبر من ربك. وكنت أعرف أن ربي كان إلهًا حقيقيًا وأن إلهك وثن» (جراهام، ٢٠٠٣م). وفي النهاية أدان بوش أقوال الجنرال لكنه لم يبعده عن وظائفه، وهي وظائف، كما يلاحظ، تضمنت فيما بعد نوعًا من المسئولية في إستراتيجية جمع المعلومات التي أفضت إلى تجاوزات حدثت في سجن أبو غريب.

في الكونجرس

ولم يكن الكونجرس استثناءً في هذا الشأن، فأغلب قادة الحزب الجمهوري في هذه السنوات الأخيرة ينتمون إلى التيار الإنجيلي. فتوم دولاي، ووليام فرست (الزعيم الحالي للأغلبية بمجلس الشيوخ)، وديك آرمي، ودينيس هاسترت، وسام براونباك، وكثيرون من الإنجيليين الآخرين في قيادة البلد يملكون نفوذًا كبيرًا. ومن بين الرموز الكبيرة بالكونجرس يعتبر توم دولاي، بدون شك، الأكثر ميلاً لليمين، سواء من وجهة النظر الدينية أو السياسية. ويلقب توم دولاي بـ «المطرقة» نظرًا للنظام الحديدي الذي يفرضه على مجموعته البرلمانية. وهو مسيحي إنجيلي ورع وانتخب عن الحزب الجمهوري في تكساس، ورئيس سابق للأغلبية في مجلس النواب حتى ٢٨ سبتمبر عام (٢٠٠٥م)، وهو أحد المتحدثين الرسميين الأكثر التزامًا بالمطالب الأصولية، سواء في ميدان السياسة الداخلية (محاربة الإجهاض) أو الخارجية (مساندة غير مشروطة لإسرائيل باسم شرعيتها الكتابية)، وهو معمداني النزعة. وكان قد صرح أمام حشد من الممثلين الدينيين أن «المسيحية وحدها هي التي تقدم طريقًا للحياة، بامتلاكها إجابة على الوقائع التي نواجهها في الحياة» (دولاي في لوران،٢٠٠٣م، ص ٧٨). وفي عام (٢٠٠٢م) صرح توم دولاي أمام مؤتمر معمداني في هيوستون أن الله بنفسه هو الذي اختار جورج بوش في البيت الأبيض، وأن الله يوظفه اليوم من أجل «تعزيز رؤية كتابية للعالم». وهو كذلك مهتم بأن تنشر السياسة الأمريكية في كل مكان «رؤية كتابية للعالم». ويعتبر توم دولاي، أيضًا، من غلاة الليبراليين المؤيدين للمشروع الخاص، ويعادي أي تقنين ذي طبيعة اجتماعية أو بيئية.

وفي مجال العلاقات الدولية يعتبر توم دولاي من أشد المدافعين عن دولة إسرائيل، ولهذا السبب يعارض أي تنازلات في الأرض لصالح الفلسطينيين. وينظر له كثير من رجال اليمين

السياسي الإسرائيلي، واليمين المتطرف على أنه أحدهم . وتمت دعوته للحديث أمام لجنة الشئون العامة الأمريكية الإسرائيلية (الأيباك ـ AIPAC)، وهي أقوى منظمة ضغط موالية لإسرائيل في واشنطن. ومن جهة أخرى، عرفت عنه نزعته الحربية.

في ٢٨ سبتمبر عام (٢٠٠٥م)، تم توقيف توم دولاي من قبل محكمة في تكساس بسبب جمع أموال بطريقة غير شرعية، واستخدام غير قانوني لعطايا الشركات الخاصة، واضطر للاستقالة من منصبه كرئيس للأغلبية الجمهورية . وتم اتهامه، مع اثنين من معاونيه، بوضع نظام يسمح بتمويل حملات انتخابية لمرشحين في الانتخابات التشريعية في تكساس عام (٢٠٠٢م)، من خلال تلقي هبات الشركات الخاصة، بينما تمنع ولاية تكساس تمويل الحياة السياسية من قبل مثل هذه الشركات الخاصة. وكانت الأموال التي جمعت قد وصلت إلى مبلغ ١٩٠ ألف دولار . وإذا تم الاعتراف به مذنبًا، فإن توم دولاي قد يمضي مدة عامين في السجن وغرامة عشرة آلاف دولار. وفي ٣ أكتوبر تم توقيفه مرة أخرى من قبل هيئة محكمة بتكساس في عملية غسيل أموال. ومن سخرية القدر أن توم دولاي قاد إجراء عزل كلينتون، وقدم نفسه بوصفه المدافع الصلب عن الأخلاق.

لم يكن توم دولاي الوحيد الذي تورط في فضيحة مالية. فهناك أيضًا، وليام فرست، زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ الذي تعرض لملاحقات العدالة. ففي يونية عام (٢٠٠٥م) تم تقديمه للتحقيق؛ لأنه باع أسهم مشروعه العائلي الخاص قبل أن تنهار قيمة أسهمه. وقامت لجنة عمليات البورصة (COB) بفتح التحقيق لوجود أدلة قوية على تسريب معلومات استفاد منها. وحتى تكتمل الصورة، فهناك كارل روف الذي وجد نفسه أيضًا تحت أضواء أجهزة الإعلام الأمريكية. وكان التحقيق يهدف إلى معرفة إذا ما كان قد انتهك القانون بتركه اسم عميلة السي إي إيه فاليري بلام يتسرب علانية عقابًا لزوجها. وأثار تراكم كل هذه الفضائح قلق الجمهوريين.

ما هو نفوذهم حقًا؟

هل يسمح الحضور القوي للإنجيليين في أروقة السلطة العليا بالوصول إلى استنتاج أن جورج دبليو بوش يقع تحت تأثير رجال الدين هؤلاء؟ بتعبير آخر، هل يحركه حلفاؤه الإنجيليون؟ ليس هناك ما يسمح بالقول إن هناك من يقرر مكانه، فهو وحده الذي يقرر في نهاية المطاف «أنا على

قناعة راسخة، كما كتب الصحفي بيل كيلر، أننا سنضل الطريق تمامًا إذا اعتقدنا أن البيت الأبيض يقع تحت تأثير المسيحية الأصولية» (كيلر،٢٠٠٣م). وبرغم المظاهر، فإن جورج بوش يعرف جيدًا كيف يوظف هذه الكتلة الانتخابية المؤمنة. وبعد أن ساهموا بشكل فعَّال في انتصار المرشح التكساسي ما زال الإنجيليون ينتظرون ما يستحقونه: أي إجراءات سياسية تتواءم مع قناعاتهم، أي مطابقة لقيم الكتاب المقدس. وما زالوا ينتظرون دائمًا أن يقدم الكونجرس تعديلاً دستوريًا يمنع زواج المثليين جنسيًا. وأمام غياب قرار الرئيس بدءوا يشعرون بالقلق.

ولم يتردد بوب جونز الثالث في أن يتحدث إلى الرئيس بهذه الكلمات: «بإعادة انتخابك، قدم الله لأمريكا قفزة ضد المشروع الوثني. لا تكن غامضًا. امنح الأولوية القصوى لعملك. أنت لست مدينًا بشيء لليساريين» (شارتييه، ٢٠٠٥م، ص ٢٨). ويأخذ هذا التصريح ملمح التحذير. غير أن هناك من ذهبوا أبعد من ذلك. ووقعت أسماء كبيرة في التيار الإنجيلي، مثل جيري فالويل وجاري بوير على رسالة مفتوحة للرئيس في نهاية يناير عام (٢٠٠٥م) يهددون فيها، من خلال ضغط ممثليهم بالكونجرس، بمعارضة مشروعات مهمة أخرى للإدارات الجمهورية مثل خصخصة المعاشات، إذا لم يتقدم ملف التعديل الدستوري الذي يطالبون به. وأصبح الابتزاز من قواعد اللعبة. وبوضوح يقول ريتشارد لاند، وهو أحد ممثلي المؤتمر المعمداني الجنوبي: «تقبل الحركة المسيحية اليوم الفشل هنا لتحصل على النصر هناك» (ص ٢٨).

وإذا كان جورج دبليو بوش قد ظل على قناعة راسخة، مثل سابقيه من الجمهوريين، بالأهمية الانتخابية لبعض أطروحات اليمين المسيحي، فإنه لم يكن كذلك على وعي أقل بخطر أغلب هذه المطالب، وخاصة العائق الذي يجسده قادة اليمين المسيحي الأكثر تطرفًا من أغلب المسيحيين المحافظين . وبسبب نزعة التطرف الديني تلك، التي يتميز بها أصدقاؤه ترك رالف ريد في عام (١٩٩٧م) قيادة التحالف المسيحي. وتعتبر العلاقات بين جورج دبليو بوش واليمين المسيحي علاقات غامضة ومتغيرة: فتارة يقدم نفسه كمتحدث رسمي لهذه الحركة، وتارة أخرى يبتعد عنها، ويظهر بذلك أكثر اعتدالاً. ويجتهد جورج دبليو بوش، أمام تمزقه بين قناعاته العميقة ورغبته في البقاء بالسلطة، في إرضاء اللوبي الديني، أثناء الاستحقاقات الانتخابية الكبرى، وبدون أن يبعد الجمهوريين الأكثر اعتدالاً والذين ترعبهم نزعة التدين هذه. وكان عليه أن يقدم كل مرة صورة وخطابًا يمكنه، من وجهة نظر انتخابية، أن يجمع بين المعسكرين.

رغم كل شيء، لا يوجد ما يثير يأس الإنجيليين الذين، على العكس، كشفوا عن نزعة قتالية ومثابرة. منذ هذا الوقت والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل يريدون السلطة أم يسعون بوضوح إلى التأثير عليها؟. هناك وقائع عديدة تسمح بالدفاع عن الفرضية الأولى.عندما رفض ريجان في عام (١٩٨١م) تعيين ممثلي الحركة الإنجيلية في مواقع حكومية مهمة، أرسل له قادة اليمين المسيحي رسالة مفتوحة، يختلط فيها الاستياء مع التحذير. وبشكل أساسي قام جيري فالويل ورفاقه بتذكير الرئيس بأن الذين أوصلوه إلى الحكم ينتظرون أن يكافئوا ولا ينبغي عليه أن يثير إحباطهم وإلا «نظروا إليه كسياسي آخر ينضاف إلى مجموعة المنافقين» (فيجري، ١٩٨١م، ص ١٨٩). وكانت إجابة الرئيس سريعة وواضحة أيضًا: أنه لا يدين بأي دين سياسي نحو حركتهم، كما قال. وأثناء الانتخابات الرئاسية في عام (١٩٨٨م)، قدم بات روبرتسون نفسه كمرشح عن الحزب الجمهوري. وكذلك الأمر ذاته في المحاولات الرئاسية المتتالية لباتريك بوكانن(*) الذي استند بصورة رئيسية إلى اليمين المسيحي. وقبل أن يساند اليمين المسيحي جورج دبليو بوش، دعم، جاري بوير كمرشح للانتخابات الرئاسية في عام (٢٠٠٠م). ووصلوا إلى قناعة، بما أنه من المستحيل أن يضموا الديمقراطيين لقضيتهم، وبما أنهم يرون بوضوح أن الرؤساء الذين يستمرون في انتخابهم لا يريدون الوفاء بوعودهم، رأى قادة اليمين المسيحي أنه من الضروري، بل من العاجل، أن يقبضوا بأنفسهم على مفاصل السلطة من خلال انتخاب مرشحيهم على كل الأصعدة. وأن هذا هو الطريق الوحيد حتى تفرض الأخلاق على سلوك المجتمع، وحتى ترى دعوتهم النور. فهل من الحق اعتبار أن لهم توجهات ثيوقراطية؟. يمكن للمرء أن يعتقد ذلك. فما يحرك أتباع اليمين المسيحي هو جعل أمريكا أمة مسيحية. وأن تكون قوانين المدينة مستلهمة من الكتاب المقدس. وبرغم ذلك يدافع قادة اليمين المسيحي عن عدم وجود أي إغواء ثيوقراطي. لكن كيف نصدقهم عندما نرى واحدًا منهم يصرح: «فصل الكنيسة عن الدولة مسألة اخترعها واحد من غير المؤمنين». من جهة أخرى، نحن أمام حركة من الصعب القول إنها حركة مسكونية فعلاً، طالما أنها تنظر بتشكك، على الأقل، للتعددية اللاهوتية والدينية. فتعزيز النزعة المسكونية والتعددية ليس حاضرًا تمامًا في ثقافة الجنوب

(*) بات بوكانن : واحد من زعماء الحزب الجمهوري، ومن أشهر الأصوليين المسيحيين وقام بترشيح نفسه لرئاسة أمريكا، لكنه لم يوفق في مسعاه، وله تصريحات حادة عن الهوية المسيحية لأمريكا وروح أمريكا الضائعة والتي يريد استعادتها . (المترجم).

الأمريكي. ومن جهة ثانية، نجد في المنظور الإنجيلي، أن كل فرد هو مسيحي غير واع، من هنا هذا الإلحاح على التبشير، الذي ينبغي أن يفضي إلى الاهتداء. وواقع الحال دائمًا أن تطبيق نظام ثيوقراطي في الولايات المتحدة أمر لا يمكن التفكير فيه حتى ولو تمناه الإنجيليون.

تحالف اليمين المسيحي والمحافظين الجدد

إذا كان اليمين المسيحي قد استفاد اليوم من حضور سياسي، لا سابق له، في البيت الأبيض، فإن ممثليه ليسوا وحدهم الذين باشروا عملهم في إدارة بوش. فالرئيس الحالي يستند أيضًا إلى ما أطلق عليهم «المحافظون الجدد» أو «الصقور»، والذين يحتلون مراكز مهمة في حكومته. فمنذ وصول بوش على رأس السلطة التنفيذية، وتحديدًا منذ ١١ سبتمبر، فإنهم هم الذين كسبوا مكانة مقربة، بصورة مدهشة، إلى جوار الرئيس الذي كان يصغي إلى توصياتهم وأطروحاتهم. وكان دورهم في إعداد السياسة الخارجية الأمريكية أساسيًّا بدرجة كبيرة.

بدأ تحالف معقد، بدرجات مختلفة، بين اليمين المسيحي والمحافظين الجدد، وتركز بصورة أساسية حول دعمهم المشترك لدولة إسرائيل. وهو ما سيحدد السياسة التدخلية الأمريكية الجديدة في الشرق الأوسط.

من هم المحافظون الجـــدد؟

خرج المحافظون الجدد من جماعات يهودية ومسيحية بمدينة نيويورك، وهم ليسوا من السياسيين المحترفين أساسًا، وإنما من المثقفين والجامعيين والناشطين السياسيين. وكونوا، مع عددهم القليل، مدرسة فكرية صارت اليوم واحدة من مكونات اليمين الأمريكي. غير أن هؤلاء الرجال وعددًا قليلاً من النساء هم في الواقع، منشقون عن اليسار الليبرالي. وبعد أن كانوا تروتسكيين في شبابهم تحولوا، في أغلبهم، عن الماركسية ليلتحقوا، بعد الحرب العالمية الثانية، بيسار الحزب الديمقراطي. والحال أنه، في سنوات الستينيات، بدا كل شيء وكأنه في حالة انقلاب. في الخارج، أسفرت حرب فيتنام عن التشكيك في التفوق الأخلاقي لأمريكا. وفي الداخل، كانت البلد تهتز أمام الكفاح من أجل الحقوق المدنية والاحتجاجات الطلابية. وبرفضهم لما اعتبروه انحرافًا في النزعة الليبرالية التحقوا بقادة نظام أخلاقي معين بالحزب

الجمهوري، بدون أن يتخلوا كلية، بالضرورة، عن الأيديولوجية الليبرالية لفترة بداياتهم. وكثيرون منهم لم يكونوا معادين لدولة الرعاية (ويلفار) كما أسسها روزفلت وكما دعمها ترومان وأيزنهاور. وكانت أزمة الستينيات، بالنسبة لهم، أزمة ثقافية بصورة أساسية، وتعود إلى فساد الأخلاق والتشكيك في القيم السائدة، لا سيما من قبل الحركات الاحتجاجية. في بداياتها، اهتمت حركة المحافظين الجدد أساسًا بالسياسة الداخلية المتمحورة حول تعزيز التقدم الاجتماعي والدفاع عن الحريات الفردية. وجعل المحافظون الجدد معركتهم الرئيسية، في السبعينيات، مناهضة الشيوعية. وبعد الحرب الباردة لعبوا دورًا حاسمًا في التوجه الجديد للسياسة الخارجية. وصار شعارهم اليوم: «تصدير الديمقراطية بالقوة» (فايس، ٢٠٠٤م، ص ٥٦-٥٩).

حصل مؤسسو الحركة، مثل إيرفينج، على دراساتهم في نيويورك، ثم صاروا أساتذة في ألمع الجامعات الأمريكية (كولومبيا، هارفارد، شيكاجو، ستانفورد). وأدار بعضهم، أو أسس مجلات (كومنترى، بابليك إنترست). وعمل آخرون منهم في «مراكز تفكير» يمينية مثل مؤسسة المشروع الأمريكي ومعهد هيريتاج(*). لكن ينبغي الانتظار حتى سنوات السبعينيات ولا سيما الثمانينيات، حتى يصلوا إلى مواقع رسمية داخل الحكومة الأمريكية. وصار دانيل مايونيهان سفيرًا لدى الأمم المتحدة في عام (١٩٧٦م). وشغلت جين كيركباتريك المنصب ذاته في عام (١٩٨١م). وأيضًا عين مايكل نوفاك لدى لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان.

وصلت حركة المحافظين الجدد إلى قمة مجدها في ظل فترتي الرئاسة لرونالد ريجان. ونظرًا لعدائهم لسياسة الانفراج التي كان يقودها هنري كيسنجر، دافع المحافظون الجدد بشدة عن سياسة إعادة التسليح، ودعوا إلى سياسة عنيفة تجاه الاتحاد السوفيتي، تلك السياسة التي نفذها ريجان بطاقة عجيبة. ومن جهة أخرى، كان تعبير «إمبراطورية الشر» الشهير من ابتكار المحافظين الجدد. كما أنهم لم يروا في انتصار الولايات المتحدة وانهيار الكتلة الشيوعية ونهاية الحرب الباردة، نتيجة وحيدة للضغط العسكري الذي دمر الاقتصاد السوفيتي، وإنما أيضًا، وخاصة، نتيجة المعركة الأخلاقية ضد الشيوعية. وبعد فترة ريجان عاش المحافظون الجدد فترة

(*) هيريتاج : واحدة من كبريات مراكز الفكر اليمينية، نشأت في عام (١٩٧٣م) وتبلور عملها بشكل واضح بدءًا من (١٩٧٧م) وتقع في منتصف الطريق بين البحث العلمي الأكاديمي والعمل السياسي مثلها مثل كل مراكز الفكر اليمينية في أمريكا. (المترجم).

انكماش: فنهاية الحرب الباردة نزعت منهم بعضًا من حججهم. وعندما جاء جورج بوش الأب أقام مسافة بينه وبينهم، ومارس واقعية سياسية على طريقة كيسنجر. وكما أوضح جوستان فايس، «بعد سقوط حائط برلين، كان هناك اعتقاد بأن حركة المحافظين الجدد قد ماتت» (ص٥٨). وفي نهاية التسعينيات، ظهرت حركة المحافظين الجدد من جديد، وفي عام (٢٠٠٠م)، دخل المحافظون الجدد إلى إدارة جورج دبليو بوش، بأعداد كبيرة، وشغلوا مواقع مهمة وكذلك في البنتاجون. وتعزز تأثيرهم بعد أحداث ١١ سبتمبر، ولا سيما في قضايا الأمن . غير أن الحرب على العراق هي التي ستضعهم في موضع الصدارة.

ومن أعلام تيار المحافظين الجدد: ناثان جلاديز وهو فيلسوف وسياسي، ونورمان بودهورتيز وهو متخصص في قضايا الدفاع، وايرفينج كريستول وهو فيلسوف وعالم اجتماع، ودانيل بيل وهو عالم اجتماع ومتخصص في الماركسية، وسيمور مارتن ليبست وهو مؤرخ وسياسي وعالم اجتماع، ومايكل نوفاك وهو عالم اجتماع ولاهوتي كاثوليكي، وأليوت كوهين وهو جامعي، ومايكل هوارتيز وهو حقوقي ومدير مشارك لمعهد هدسون. والآن، هناك وليام كريستول، وهو ابن إيرفينج، الذي يعتبر أحد المفكرين الأكثر نفوذًا داخل إدارة بوش. وهو أيضًا مدير تحرير مجلة «ويكلي إستاندارد»، الممولة من ملياردير الصحافة روبيرت ميردوخ، وهو مقرب من عائلة بوش.

وإلى جوار مجلات كومنتري ونيو ريببليك وويكلي إستاندارد التي تنشر أفكارهم السياسية، هناك مجلات اليمين الأخرى التي تنشر أطروحاتهم مثل: الرأي العام والسياسة الخارجية والانكونتر. ويحدث أحيانًا أن يوقع المحافظون الجدد افتتاحيات في جورنال وول استريت وواشنطن تايمز وناشيونال ريفيو وكذلك اسبكتاتور أميريكان.

يمتلك المحافظون الجدد، المتأثرون بشدة بفكر ليوشتراوس الفلسفي المنقول لهم عبر تلميذه الان بلوم، تصورًا عنيفًا وسلطويًا للديمقراطية وحيث القوة تسمح بالوصول إلى غاياتها. وعلى عكس «الحمائم»، الذين ينادون بالسلام والتفاهم بين الأمم، يسلك المحافظون الجدد كصقور يستعدون للحرب التي يرون حتميتها. وهم معادون بشدة للمنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة، ويريدون تعزيز القوة العسكرية للولايات المتحدة من أجل إرساء الديمقراطية في العالم بأسره. ويبدو لهم أن تطبيق الديمقراطية بالقوة، إذا كان الأمر يقتضي ذلك، هو أفضل طريقة لضمان أمن الولايات المتحدة. وأفضت بهم هذه القناعة إلى الدعوة للتدخل في العراق منذ

أواسط التسعينيات. ونظرًا لتصميمهم على اتخاذ قرارات مستقلة عن بقية حلفاء أمريكا وكذلك عن الاتفاقيات الدولية، فقد وجهوا السياسة الأمريكية نحو نزعة أحادية الطرف.

وفي ظل رئاسة جورج دبليو بوش الأولى شغل عدد من المحافظين الجدد مراكز مهمة. فكان هناك بول ولفوويتز مساعد نائب وزير الدفاع في عهد بوش الأب، ثم مساعد وزير الدفاع في عهد بوش الإبن، ثم عين رئيسًا للبنك الدولي في عام (٢٠٠٥م) قبل أن تطيح به فضيحة أخلاقية العام الماضي. هناك جون بولتون الذي عين سفيرًا للولايات المتحدة في الأمم المتحدة في مارس (٢٠٠٥م). وكان يشغل نائب وزير الخارجية قبل ذلك. وكان دوجلاس فايث الرجل الثالث في البنتاجون قبل أن يستقيل في يناير عام (٢٠٠٥م). وكان ستيفان هادلي مستشارًا في الأمن القومي. كما تم تعيين أليوت إبرامز ـ من فريق ريجان سابقًا ـ مساعدًا لـ «ستيفان هادلي» في ١٤ فبراير عام (٢٠٠٥م)، بعد أن كان مسئول سياسة الشرق الأوسط بالمجلس القومي للأمن بالبيت الأبيض. وريتشارد بيرل الذي كان وزيرًا للدفاع في عهد ريجان ثم مستشارًا بوزارة الدفاع في عهد بوش قبل أن يستقيل منذ فترة (درو، ٢٠٠٣م). وما يعزز سلطة المحافظين الجدد داخل الحكومة أنهم كانوا يستفيدون من دعم نائب الرئيس ديك تشيني وكذلك وزير الدفاع رونالد رامسفيلد وذلك قبل أن يترك منصبه.

ومع ذلك، أفضت المشاكل الناتجة عن الحرب في العراق إلى توجيه ضربة شديدة للمحافظين الجدد، مؤكدة لهم أن قوة الأسلحة وحدها لا تكفي لفرض وجهات نظرهم. وتشير نتائج هذه المغامرة، المرتبطين بها، إلى قول مشهور وفقًا له «تنتج الدوغمائية المزواجة لشكل ما من البراءة كوارث، فالعالم معقد جدًا إلى درجة لا يمكن أن يترك لمنظرين يعلنون لا تقليدتهم، ويرفضون الأفكار المسبقة، ويدعون دائمًا أنهم في حالة تساؤل، غير أنهم يعتقدون في النهاية أن بإمكانهم إخضاع الواقع إلى تصوراتهم» (فراشون وفيرنيه، ٢٠٠٤، ص ١٠).

اليمين المسيحي والمحافظون الجدد، تحالف غامض

من الواضح أن المساندة غير المشروطة للدولة العبرية قد شجعت التقارب بين اليمين المسيحي والمحافظين الجدد. وكما نعرف فإن أغلب المحافظين الجدد من اليهود المدافعين عن دولة إسرائيل، والمؤيدين للطريقة العنيفة في مواجهة القضية الفلسطينية. وتجد هذه المساندة القوية للسياسة الإسرائيلية صدًى خاصًا لدى صفوف الليكود، حزب اليمين الإسرائيلي.

يمثل دوجلاس فايث، نائب سابق لوزير الدفاع، المثال النموذجي لهذا التآلف بين المحافظين الجدد واليمين الإسرائيلي. وكان مقربًا جدًّا من المنظمة الصهيونية الأمريكية (ZOA)، التي ألقى بها خطابات عديدة. وكذلك كان ريتشارد بيرل، كما تكشف مسيرته، قريبًا جدًّا من الدولة العبرية ومدافعًا شديدًا عن سياسة الليكود. وإلى جانب عمله مع سولتام وهي شركة إسرائيلية مصنعة للمدفعية المسحوبة على جرار، يعمل أيضًا كأحد المديرين لمؤسسة هولينجر، والمالكة للصحيفة اليومية جيروزاليم بوست الموالية لليكود بشكل صريح، والتي يعتبر ريتشارد بيرل أحد المسئولين في مجلس إدارتها (لوران، ٢٠٠٣م، ص١٠٩). وهناك مدافع آخر، بدون حدود، عن إسرائيل وهو إليوت إبرامز. وما يميزه عن فايث وبيرل أنه متدين. وتربطه علاقات وثيقة جدًّا مع لوبي يهودي أمريكي هو لجنة الشئون العامة الأمريكية الإسرائيلية (الأيباك ـ AIPAC). ويوضح إبرامز ـ وهو عضو مركز السياسة العامة، أحد مراكز الفكر اليمينية ـ أن الإيمان الديني هو الذي يضمن الرابطة الاجتماعية، وأنه ينبغي على اليهود أن يحافظوا على هويتهم في أمريكا ليس بالتركيز على روابط الدم، وإنما بالمواظبة على ممارسة الطقوس الدينية (ص١١٠). وكان يعمل بدأب على تخريب عملية السلام بكاملها مع الفلسطينيين بدافع أنهم لا يظهرون نوايا جيدة ومقاومة أكثر فعالية ضد الإرهاب.

وقليلة هي الدول التي يدعمها الرئيس بوش بمثل هذه القوة مثلما يفعل مع دولة إسرائيل. فاللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة يجد آذانًا صاغية تمامًا في البيت الأبيض. ويتحدث بعض الإسرائيليين عن شخصية سياسية جديدة هي «بوشرون» مؤلفة من بوش وشارون، طالما أن العلاقات بين رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون وجورج دبليو بوش على هذا القدر من القوة. وبعد أحداث سبتمبر بفترة قليلة أكد بوش على مساندته وتفهمه لما يقوم به آرييل شارون من محاربة للإرهاب. ويتطابق هذا الموقف مع قناعات الرئيس العميقة لكنه موقف تمليه أيضًا دوافع انتخابية. ففي عام (٢٠٠٠م)، حصل بوش على ١٩٪ من مجمل أصوات الناخبين اليهود الذين يصوتون بصورة تقليدية لصالح الديمقراطيين.

ونظرًا للمساندة التي قدمها للانسحاب الإسرائيلي من غزة حصل على ٢٥٪ من تصويت الناخبين اليهود في عام (٢٠٠٤م). ومع ذلك، فإن التصويت الكثيف (٧٥٪ صوتوا لجون كيري) ضد جورج دبليو بوش يشكك في مشروعية عدة منظمات تعلن تمثيلها لليهود الأمريكيين. ينبغي القول إن عددًا من هؤلاء الأخيرين عارضوا الاحتلال الإسرائيلي للأراضي

الفلسطينية. وفضلاً عن ذلك، فإن الأغلبية العظمى من اليهود كانوا من المعارضين للحرب على العراق، وهو ما يوضح أن المحافظين الجدد في محيط بوش لا يمثلون الطائفة اليهودية الأمريكية.

فيما يتعلق بالإنجيليين، لاحظنا في الفصل السابق أنهم، في شأن الشرق الأوسط، طوروا موقفًا موالٍ لإسرائيل بصورة حاسمة لم يكن يعرف عنهم إلا بصورة محدودة. وأثناء مؤتمر التحالف المسيحي المنعقد في ١١ و١٢ أكتوبر عام (٢٠٠٢م)، رفع عدد من المناضلين الأعلام الإسرائيلية. ومن على المنصة تحدث عدد من أعلام اليمين السياسي والمسيحي - جيس هيلمس، وهنري هايد، وجيري فالويل، وترنت لوت، وفليس شالافلاي، وتومي طومبسون - إلى جوار قادة اليمين الإسرائيلي مثل بنيامين نتانياهو وإيهود أولمرت وبيتي ألون، وهو وزير السياحة الإسرائيلي الأسبق من اليمين المتطرف والمناصر لتهجير الفلسطينيين إلى الأردن. وكان هناك أيضًا قادة يهود من المتشددين مثل الحاخام يشيل إيكستاين والحاخام دانيل لابين وهو من المشتركين في اجتماعات التحالف المسيحي.

يتفق الإنجيليون والمحافظون الجدد، إلى جوار المساندة غير المشروطة لدولة إسرائيل، على بعض الأطروحات ذات الطبيعة السياسية والاجتماعية والأخلاقية. فهؤلاء وأولئك يؤمنون بـ «الاستثناء الأمريكي»: فالديمقراطية أعلى من كل الأنظمة الأخرى، وأمريكا هي أفضل فرصة للبقاء. وهو ما يتطلب أن تكون الولايات المتحدة قوية على الصعيد العسكري. ونظرًا لاقتناعهم الراسخ بفكرة التفوق الأخلاقي للولايات المتحدة، فهم يعتقدون أن لأمريكا مهمة عليها أن تنجزها، وأنها حاملة لقيم عالمية يريدون لها أن تتحقق في العالم. ومثل الإنجيليين يدين المحافظون الجدد الانهيار الأخلاقي والثقافي النابع من تفكك القيم القديمة، ويدافعون عن المشروع الخاص والعمل الفردي والوطنية والتعليم والأسرة والدين ومكانته في المجتمع الأمريكي. ويقولون جميعًا إنهم يريدون مساعدة أمريكا على العودة إلى الثقافة اليهودية - المسيحية الغربية التي صنعت منها أمة كبيرة.

إذا كان المحافظون الجدد والإنجيليون اتفقوا حول عدد معين من القضايا، فإن تحالفهم، في العمق، لم يكن أقل غرابة وغموضًا، بل كان ضد طبائع الأمور. وبالفعل، هناك اختلافات أيديولوجية وعدم اتفاق حول بعض قضايا المجتمع تبعد هؤلاء عن أولئك. وما هو أكثر من ذلك، أن مثقفي المحافظين الجدد بالضفة الشرقية والمتدينين الأصوليين بالضفة الجنوبية قد أتوا

من أوساط مختلفة بصورة جذرية. لم يكن لهم الأصول ذاتها ولا المصالح ذاتها. وبينما كان الأولون يهودًا يعلنون عن يهودية غير طائفية، كان الآخرون خارجين من ثقافة جنوبية تهيمن عليها البروتستانتية المحافظة المتمحورة حول الكتاب المقدس ورؤية ما قبل ألفية للتاريخ. وبرغم أن المحافظين الجدد لم يخرجوا من بيئة دينية إلا أنهم يعرفون جيدًا أن دور المخزون الديني يعتبر حاسمًا في نجاح مشروعهم. ويعرفون عن ظهر قلب البلاغة الكتابية المقدسة ويستخدمونها لإعطاء شرعية لدورهم.

من جهة أخرى، فإن عملية تعزيز الديمقراطية، كما يؤكد برونو تيرتيرا،«ليست ممثلة تمامًا في ثقافة الجنوب. والشيء ذاته فيما يتعلق بولع ليوشتراوس بالفلسفة اليونانية وتمجيد الفضائل الوثنية والبربرية العزيزة على قلب تيودور روزفلت، والتي يحتفل بها في دوائر المحافظين الجدد، بينما ينظر لها بعين الريبة في جامعات الجنوب» (تيرترا، ٢٠٠٥م، ص ٣٤) وتتغلب في أوساط المحافظين الجدد نزعة تفاؤلية تتعارض مع النزعة التشاؤمية الأخروية للإنجيليين. وعلى النقيض من الإنجيليين الذين يعتقدون بقوة أن عودة عيسى المسيح لن تحدث إلا بعد معركة ضخمة بين قوى الخير والشر، يتحلى المحافظون الجدد بنزعة تفاؤلية بارزة تجاه فضائل النموذج الأمريكي، ويؤمنون ـ بقناعة راسخة ـ أن تقدم مبدأ الحكومة التمثيلية هو أمر حتمي، وأن الحرب في العراق ستفضي إلى حدوث موجة ديمقراطية ستمتد إلى المنطقة بكاملها. وبهذا المعنى، فهم على الصعيد الثقافي ما بعد ألفيين (مملكة الله بدأت تسير في طريق التكون وتسير من أفضل إلى أفضل). وعلى الصعيد نفسه، لا يحتفي المحافظون الجدد بالأزمنة القديمة المزدهرة كما يفعل الإنجيليون. وبينما يهاجم أنصار اليمين المسيحي بشدة الإنسانيين العلمانيين بشكل عام، ينتقد المحافظون الجدد ما يسمونه «الطبقة الجديدة»، أي المثقفين، ونخبة الرءوس المفكرة المدفوع لهم من أجل الخلق وتوظيف وتوزيع الخيرات الرمزية غير المادية، والذين يدعون، في الغالب، إلى أيديولوجية يسارية وليبرالية. وأخيرًا، وعلى خلاف شركائهم الدينيين، لا يرفض المحافظون الجدد دولة الرعاية بصورة كاملة.

وما هو أكثر غرابة أيضًا، هو أن جيري فالويل وبات روبرتسون ورفاقهم يناضلون من أجل أن يصل أكبر عدد من اليهود إلى الأرض الموعودة ليس حبًّا في شعب التوراة، وإنما لأن هذه الدعوة في نظرهم تشكل مرحلة ضرورية على طريق المجيء الثاني لعيسى ـ المسيح. ووفقًا للعهد الإبراهيمي، فإن المسيح لن يعود إلى الأرض، في القدس، مملكته القصوى، طالما أن الإنسانية

كلها لم تقبله كمنقذ. ويشكل أمل عودة المسيح إلى الأرض ـ والمشاركة إذن في تحويل كل اليهود إلى المسيحية أو ذبحهم إذا رفضوا الاهتداء ـ الدافع الأول الذي يحرك مناضلي اليمين المسيحي.

ومن الضروري الإشارة هنا إلى أن بعض الإنجيليين قد تفوهوا بعبارات تكشف عن نزعة عداء عنيفة للسامية. فالداعية بيلي جراهام كان يشكو من «سيطرة اليهود على أجهزة الإعلام الأمريكية» لدى الرئيس نيكسون. ومن سوء الطالع بالنسبة له أن هذه المحادثة التي تمت في المكتب البيضاوي كانت تحت التسجيل، وتم تداولها على نطاق واسع في الصحافة أثناء فضيحة ووترجيت. واستمع المرء أيضًا إلى بيلي سميث، وهو الرئيس الأسبق لمؤتمر المعمدانيين بالجنوب، وهو يؤكد على أن «الله لا يقبل أصوات اليهود» (سميث في جودمان وبرايس، ١٩٨١م، ص ٣). وهذه الأقوال ليست استثنائية، وإنما تكشف عن نزعة عداء لليهودية لدى بعض قادة اليمين المسيحي.

فترة رئاسة بوش الثانية مؤيدة لحلفائه الدينيين؟

تم في ٢ نوفمبر عام (٢٠٠٤م)، ليس فقط إعادة انتخاب بوش وإنما ترسيخ مكانته أيضًا، حيث إنه قد حصل على نتائج أعلى من تلك التي حصل عليها في عام (٢٠٠٠م). وبالتوازي أيضًا، حقق الجمهوريون تسجيلاً عاليًا في الانتخابات النصفية في عام (٢٠٠٢م)، بتعزيز أغلبيتهم في مجلس النواب ومجلس الشيوخ. ويعتبر انتصار بوش، من عدة نواح، تاريخيًّا حيث إنه قد سيطر على معظم مراكز القيادة. وبذلك يمكن أن يتحدث المرء عن «جمهورية إمبريالية» وهو وصف قد صاغه من قبل آرثر شيسلنجر في عام (١٩٧٣م).

كان من الطبيعي أن تندرج فترة رئاسته الثانية في إطار استمرارية فترة رئاسته الأولى. فأثناء مؤتمره الصحفي بعد الانتخابات أعاد الرئيس بوش التأكيد أولاً على قناعاته فيما يتعلق بالسياسة الخارجية. وأن التصدي للإرهاب ظل، وسيظل قضيته الأولى ؛ لأنه يشكل «تحديًا لكل بلد متحضر»، وهي رؤية كان يود، على الأقل، أن يشاركه فيها بعض الدول الأوروبية المتحفظة في منحه تفويضًا شاملاً في هذا المجال. وعلى الصعيد الداخلي، أعلن جورج دبليو بوش أنه ينوي الإعلان عن إصلاحات «صعبة» يعمل على تنفيذها، وتوفير فرص القبول لها. كان يريد بصورة دائمة، وعن طريق قانون، تخفيض الضرائب الفيدرالية على الدخول، الذي تقرر أثناء فترة رئاسته الأولى، والذي ينتهي نظريًّا في عام (٢٠١٠م). وأن يتم أيضًا إصلاح قانون الضرائب.

وعلى الصعيد الاجتماعي، وضع على مائدة البحث إصلاحين كبيرين : إصلاح نظام التقاعد وإصلاح النظام العام للرعاية الصحية (ميدكير). ويتعلق الأمر في الحالة الأولى بإدخال حسابات ادخارية مؤسسة على الرسملة (CAPITALISATION) لتمويل معاش حد أدنى للشيخوخة، وفي الحالة الثانية، إنهاء الحماية الاجتماعية التي تعمل وفق نمط من التوزيع على الطريقة الأوروبية. وعلى الصعيد السياسي، سيحتل تكوين المحكمة العليا وتعيين القضاة في الدوائر الفيدرالية كل اهتمامات هذه الفترة الرئاسية الثانية. وكما سنرى فيما بعد، فقد عين الرئيس قاضيين لشغل منصبين خاليين في مراكز المحكمة العليا، لساندرا داي وكنور(استقالت) ووليام رينكويست (توفي). ونظرًا لتقدم أعمار القضاة ـ ستيفنز ٨٤ عامًا ـ قد يضطر الرئيس إلى تعيين قاضي ثالث. وبالطبع ستكون اختياراته ذات نتائج كبيرة على المحكمة العليا التي تفصل في المقام الأخير في كافة القضايا القانونية. والحال أن الرئيس يتبنى مواقف غلاة المحافظين في قضايا شائكة وذات طبيعة خلافية مثل الحق في الإجهاض وزواج المثليين، تاركًا بذلك خشية ألا يستفيد من رئاسته الثانية في تطبيق قناعاته بصورة عملية. فتعيين قضاة محافظين بالمحكمة العليا يعتبر بالنسبة لليمين المسيحي أفضل وسيلة حتى يغير المجتمع توجهه ويتبع «الطريق القويم».

تعديلات تحت رقابة مشـددة

في صبيحة ٢ نوفمبر عام (٢٠٠٤م)، قام جورج دبليو بوش بإجراء تعديل لحكومته في وظائف مهمة. ليس فقط تم إعادة توزيع المراكز الرئيسية، وإنما إدخال وجوه جديدة في إدارته، معطيًا الانطباع بأن رئاسته الثانية لن تكون مثل الأولى. وكان هذا التشكيل الجديد بمنزلة ضربة شديدة لليمين المسيحي، والذي كان أفضل ممثل له جون إشكروفت من بين الذين خرجوا من الحكومة. ووضع مكانه في منصب وزير العدل أحد المقربين منه وهو ألبيرتو جونزاليس المستشار القانوني للبيت الأبيض. وكان جونزاليس، وهو كاثوليكي، قد عين مستشارًا قانونيًا، في عام (١٩٩٤م)، للحاكم الجديد لولاية تكساس جورج دبليو بوش. وعلى النقيض من جون إشكروفت، فإن الوزير الجديد لوزارة العدل يعتبر من الرموز المعتدلة. فهو مناصر للحق في الإجهاض ومدافع عن سياسة «التمييز الإيجابي». ومع ذلك كان قرار تعيينه في هذا المنصب موضع جدال من قبل الديمقراطيين نظرًا لمواقفه من التعذيب، ومن قبل اليمين المسيحي نظرًا لمواقفه فيما يتعلق بالقضايا الأخلاقية. وهو مؤلف لمذكرة في يناير عام (٢٠٠٢م)، تم انتقادها

لأنها تستثني من تطبيق اتفاقية جنيف إرهابيي القاعدة والطالبان المسجونين في معتقل جوانتانامو بكوبا، وقد تم اتهامه آنذاك بأنه أبقى على مناخ من اللامسئولية أفضى إلى تجاوزات وانتهاكات لحقوق الإنسان في سجن أبو غريب في العراق في عام (٢٠٠٤م). ولم يتردد جونزاليس، مخالفًا قوانين الولايات المتحدة والاتفاقيات الدولية، في رفع الحظر عن ممارسة «ضغوط جسدية» على المعتقلين تحت ادعاء أن «سلطة الرئيس في الحروب تكون شاملة» (رامونيه، ٢٠٠٤م، ص ١).

وحتى يطيب خاطر الإنجيليين من حلفائه عين الرئيس بوش مايك جوناس، وهو مسيحي جدًّا، في منصب وزير الزراعة خلفًا لـ«آن فينمان». غير أن تعيين قاضيين بالمحكمة العليا يبدو أنه أعطى قليلاً من الأمل لليمين المسيحي. في أول يولية عام (٢٠٠٥م) قدمت القاضية ساندرا داي أوكنور استقالتها. وفي الدقائق التي تلت إعلانها الاستقالة أعلن الحزبان الكبيران عن نفسهما بقوة. وقام الديمقراطيون بتحذير بوش من أي غواية بتعيين شخصية من غلاة المحافظين، بينما ارتفعت أصوات من اليمين تشجعه على توجيه اختياره نحو قاض ذي وجهات نظر أرثوذكسية تمامًا. وأكدت مجموعات دينية، على غرار«رؤية أمريكا»، أن لدى بوش«فرصة إلهية» لتغيير التوازن في المحكمة العليا، لأن «القاضية المستقيلة قد مالت نحو كتلة اليسار» لتعزيز «تجارب اجتماعية غريبة». في الواقع، كانت القاضية ساندرا أوكنور تجسد مركز الوسط الأيديولوجي للمحكمة العليا حيث كانت تؤيد الاعتدال، وتصوت مع الرأي العام، فتارة تقف مع معسكر المحافظين، وتارة مع معسكر التقدميين.

اختار بوش مكان ساندرا أوكنور القاضي جون روبرتس، عضو محكمة الاستئناف الفيدرالي بواشنطن. وكان ينظر له كمحافظ، إذ وصف، في عام (١٩٩١م)، قرار المحكمة العليا الصادر في عام (١٩٧٣م) والمشرع للإجهاض بأنه «قرار سيء». وأثناء شغله لمنصبه في محكمة الاستئناف الفيدرالية بواشنطن لمدة عامين، تعرض لانتقادات من قبل جمعيات حقوق الإنسان نظرًا لمواقفه ضد حرية الحمل وحرية الإجهاض وحرية العبادة. وفور إعلان تعيينه بالمحكمة العليا تحركت ضده المنظمات النسائية الكبرى، مثل المنظمة القومية من أجل المرأة، والدفاع عن الحق في الإجهاض، وكذلك أكثر المنظمات أهمية في الدفاع عن حقوق السود (NAACP). وتلقي، على العكس، تهنئات حارة من ممثلي اليمين المسيحي.

وكان القاضي روبرتس قد عمل، في بداية مسيرته، كأحد مساعدي رئيس المحكمة العليا، وليام رينكويست، وخدم داخل وزارة العدل أثناء رئاسة ريجان. وفوق ذلك، شغل وظيفة المستشار القانوني داخل إدارة بوش في فترة رئاسته الأولى. والتحق بمحكمة الاستئناف بمقاطعة كولومبيا في مايو عام (٢٠٠٣)، إثر معركة شرسة بمجلس الشيوخ للتصديق على وجوده في هذا المنصب. وكان آخر قراراته المشهورة هو التصديق، في يولية عام (٢٠٠٥م)، على المحاكم العسكرية الاستئنافية، التي أنشئت لمحاكمة المعتقلين في جوانتانامو بكوبا.

في ٣ سبتمبر عام (٢٠٠٥م)، توفي رئيس المحكمة العليا وليام رينكويست[١٠]، بينما كان ترشيح جون روبرتس ـ المعين بشكل أساسي ليحل محل القاضية ساندرا أوكنور ـ ينبغي أن يناقش في مجلس الشيوخ خلال أيام. وآنذاك قرر البيت الأبيض ترشيحه لمنصب رئيس المحكمة العليا. وفي ٢٩ سبتمبر صدق مجلس الشيوخ بأغلبية كبيرة (ثمانية وسبعون مقابل اثنين وعشرين) على تعيين جون روبرتس رئيسًا للمحكمة العليا مدى الحياة. وصار الرئيس السابع عشر لهذه المحكمة. ويمكنه، وهو يبلغ من العمر ٥١ عامًا أن يرأس أعلى جهاز قضائي أمريكي لمدة عقود قادمة. وتعتبر هذه هي المرة الأولى، منذ جون مارشال، المصدق على تعيينه في عام (١٨٠١م)، وعمره خمسة وأربعون عامًا، التي يكون فيها للمحكمة العليا رئيسًا شابًا أيضًا.

وإذا كان تعيينه في مكان القاضي وليام رينكوويست، من غلاة المحافظين، لن يخل بتوازن هذه المحكمة فإن الأمر ليس كذلك، في حالة من دعيت لتشغل مكان القاضية ساندرا أوكنور، والتي تميزت عن أقرانها بمواقفها حول قضايا مثل الإجهاض والتمييز وعقوبة الإعدام. وكان من نتيجة استبدال قاضية محافظة بها أن ضاعفت من توجه المحكمة العليا نحو اليمين.

لقد اختار الرئيس بوش، في ٣ أكتوبر عام (٢٠٠٥م)، واحدة من أكثر معاونيه بالبيت الأبيض اقترابًا وهي هاريت مايرز، لتشغل المكان الذي تركته القاضية أوكنور. وكانت هاريت، رئيسة الأقسام القانونية بالبيت الأبيض، محامية وصلت للستين من عمرها وعملت من قبل إلى جوار جورج دبليو بوش عندما كان حاكمًا لولاية تكساس. ولم تكن لهاريت مايزر خبرة كقاضية فيدرالية، وأثار تعيينها ضجة شديدة في أوساط الحزب الجمهوري والذي بدا أكثر انقسامًا من أي وقت مضى (بالز، ٢٠٠٥م). وجاءت التحفظات الأكثر قوة من معسكر الرئيس ذاته، والمتهم بإضعاف حلمهم ـ محكمة عليا ذات أغلبية تحت إمرتهم ـ بتعيين امرأة لا تملك خبرة

بالقانون الدستوري، ولا تنتمي إلى تيار قانوني معروف، بدلاً من التنقيب في دائرة القضاة المحنكين.وكانت هاريت عضوة في كنيسة VALLEY VIEW CHRISTIAN بدالاس، غير أنها كانت تتوجه إلى كنيسة سان جونز الأسقفية عندما تكون في واشنطن. وبرغم انتمائها للحركة الإنجيلية إلا أن أغلب قادة اليمين المسيحي يرون أنها لا تملك لا القناعات ولا القدرات الضرورية لكي تستعيد التحكم الأيديولوجي للمحكمة العليا (زول، ٢٠٠٥م). وتحدث البعض عن «خيانة بوش» بينما اتهم آخرون بوش، باختياره هاريت وهي محاميته السابقة، بأنه خضع في هذا التعيين لمنطق علاقته الخاصة بها.

وردًا على هذه الانتقادات أعاد الرئيس تذكير منتقديه بأنه على مدار تاريخ المحكمة لم يكن خمسة وثلاثون من بين القضاة قبل تعيينهم بالمحكمة العليا ومنهم وليام رينكويست. وركز أيضًا على ضرورة «تنوع المشارب المهنية» بين الأعضاء التسعة المعينين مدى الحياة. وأضاف لطمأنة قاعدته الدينية، أن هاريت مايرز قامت بجهود كبيرة في الأعمال الخيرية بما في ذلك جمعية النساء الشابات المسيحيات. وأثناء حفلة بالمكتب البيضاوي وبحضور مرشحته قدمها جورج دبليو بوش بوصفها «رائدة»، فهي أول امرأة قادت مكتبًا كبيرًا للمحامين بولاية تكساس، وهي أول رئيسة لنقابة المحامين في هذه الولاية في عام (١٩٩٢م). ولم يخفف المحافظون من غضبهم حتى قررت هاريت مايرز سحب ترشيحها في ٢٧ أكتوبر عام (٢٠٠٥م). وأسعد هذا الخبر اليمين المسيحي الذي دعا الرئيس بوش للبحث عن مرشح آخر أكثر توافقًا مع متطلباته.

يعود الاستياء المتصاعد في وسط الجمهوريين أيضًا لأسباب أكثر عمقًا. فهناك نفقات ميزانيات ضخمة والفوضى في العراق، مما جعل بعض السياسيين في إدارة بوش يخرجون على الإجماع في صفوف المحافظين. فالشعور ـ بالتخبط والاستياء ـ يهيمن على أوساط اليمين، والتغيرات الأخيرة التي أجراها بوش على حكومته لا تلبي مطلقًا طموحات حلفائه الدينيين. ولأن كوندوليزا رايس وألبرتو جونزاليس من المقربين جدًا من الرئيس بوش. تعززت فكرة أن الفترة الثانية ستكون فترة الرئيس الخاصة، على خلاف إدارته في الفترة الأولى التي كانت فترة يمين متعدد ذي تأثيرات مختلفة. من جهة أخرى، لم تؤخذ بعين الاعتبار، أي من مطالب اليمين المسيحي التي تبناها بوش منذ حملته الانتخابية الرئاسية في عام (٢٠٠٠م).

وتدريجيًا بدا الرئيس غير قادر على الذهاب أبعد من الوعود. ويقول قادة اليمين المسيحي

المحبطون، على غرار القس دونالد ويلدمون مؤسس جمعية «الأسرة الأمريكية»: «كان الرئيس يسير على الطريق القويم عندما حافظ علينا داخل أسرته [السياسية]، لكنه في الوقت نفسه يبدو منزعجًا من الظهور معنا علانية، وهو ما ينعكس في الواقع. والآن يواجه الجمهوريون مشاكل خطيرة» (ويلدمون في كيركباتريك، ٢٠٠٥م).

ويعرف جورج دبليو بوش أنه إذا لم يرض اليمين المسيحي، فإن هذا اليمين سيمارس ضغوطًا على أعضائه في الكونجرس، بغرض منع تمرير إصلاحات سياسية واقتصادية وضريبية يريد بوش تطبيقها من الآن وحتى نهاية عام (٢٠٠٨م).

في اللحظة الراهنة، تتراكم الصعوبات أمام بوش: فإلى جوار عدم شعبية الحرب على العراق، هناك ذكرى الفشل في نجدة الأهالي بعد إعصار كاترينا، التي ما زالت حية. وحتى يرضي الجميع اضطر على مضض وتحت ضغط اليمين المسيحي إلى سحب ترشيح هاريت مايرز من منصب قاضية بالمحكمة العليا. وكشفت استطلاعات الرأي عن انخفاض شعبية بوش وأصبح موضوعًا للنقد من قبل أغلب حلفائه السياسيين والدينيين (بونرو، ٢٠٠٥م).

الفصل الخامس

ما هـــي الحصيـــلة؟

وجد اليمين المسيحي نفسه في قلب الحياة السياسية الأمريكية، بفضل مشاركة أكثر جماعية، وأكثر وضوحًا وفعالية لبروتستانت إنجيليين يظهرون تعطشهم لإبداء رأيهم. وحقق في عام (١٩٨٠م) انتصارًا تاريخيًّا مع صعود رونالد ريجان إلى البيت الأبيض. وصار منذ هذا الوقت خزانًا انتخابيًّا فعليًّا ينبغي على كل المرشحين ـ ومنهم مرشحو اليمين على وجه الخصوص ـ أن يضعوه في الحسبان، فاليمين المسيحي مسئول، بنسبة كبيرة، عن النجاحات الانتخابية الكبيرة التي حققها الحزب الجمهوري منذ عام (٢٠٠٠م). وبوصفه فاعلاً سياسيًّا بالمعنى الكامل للكلمة لا يترك اليمين المسيحي أحدًا غير مكترث، فإذا كان يثير الاهتمام والتعاطف لدى البعض، فإن البعض الآخر ـ وهم الأغلبية ـ يكنون له شعورًا بالارتياب والقلق والعداوة . كيف يمكن تفسير هذا الشعور السائد؟ نجح اليمين المسيحي في التعريف بنفسه ، وأكثر من ذلك، أن يؤخذ بجدية بفضل نزعته النضالية في كل الاتجاهات. فهو حاضر على كل الجبهات، ولم يتوقف عن مد نفوذه وميدان نشاطه. وتظل معرفة ما إذا كان قد توصل إلى طبع المجتمع بكامله بالتوجه المسيحي الذي يدعـو إليه من كل قلب [أم لا؟].

ردود أفعال انفعالية وخلافية

كانت شعبية الإنجيليين، لمدة سنوات طويلة، غير معروفة. وعندما أعلنوا عن دعوتهم على الساحة السياسية في النصف الثاني من سنوات السبعينيات، لم يتحرك أحد. في البداية لم يدرك الليبراليون وأجهزة الإعلام ـ والرأي العام، بصورة عامة ـ مدى سلطة هؤلاء الناخبين المتدينين، ولم يتخيلوا أن يكون لهؤلاء تأثير حقيقي على نتائج الانتخابات. ومع ذلك أقنعتهم نتائج الانتصارات التي حققها الجمهوريون في انتخابات عامي ١٩٨٠ و١٩٨٤م، بالعكس. فالصوت الإنجيلي أنتج حقًّا تأثيره. وتبع ذلك مفاجآت كبرى ليست خالية من تحذير ما. فالليبراليون أصيبوا بالدهشة إلى درجة المبالغة في تقدير نفوذ اليمين المسيحي الذي نظر له، لفترة، بوصفه المفتاح السحري لأي فوز بالانتخابات. وفي مواجهة ما يعتبرونه منذ هذا الوقت خطرًا حقيقيًّا

على حرية الفكر وسيادة الأمة الأمريكية، شرعوا على الفور في تشكيل شبكات، والتعبئة بشكل جماعي. وهكذا تأسست جبهة فعلية، تشمل منظمات قديمة إلى جوار تشكيلات أكثر حداثة. في المجموعة الأولى، نجد المنظمة القومية للدفاع عن المرأة، الاتحاد الأمريكي للدفاع عن الحريات المدنية، الأمريكيين المتحدين للدفاع عن الفصل بين الكنيسة والدولة.

ومن بين المنظمات الأكثر حداثة، يمكن أن نشير إلى التحالف من أجل العدالة عام (١٩٧٩)، شعب من أجل الطريق الأمريكي عام (١٩٨١ م)، التحالف بين العقائد عام (١٩٩٤ م). وينبغي أن نضيف إلى هذه المنظمات القومية مئات الجمعيات التي تعمل على الصعيد المحلي فقط، مثل المؤتمر المسكوني لسان دييجو أو شبكة الحرية بتكساس.

ما الذي يعاب على اليمين المسيحي؟ عدد كبير من المواطنين الأمريكيين يعبرون عن انزعاجهم من مشاهدة اليمين المسيحي وهو يستغل، دون حياء ، موضوعات حساسة جدًّا مثل الإجهاض أو الصلاة في المدارس، التي تنال من خصوصية الشخص والتي ينقسم الأمريكيون بشأنها. ومن جهة أخرى، يرعب خطاب اليمين المسيحي المتحررين والنخب الثقافية والمدافعين عن حقوق الإنسان نظرًا لما يتمتع به من ضيق أفق وعدم تسامح ورفض للتعددية التي تميزه. وفي هذا المعنى يشير تيد جيلين وكلايد ويلكوكس إلى أن الأبحاث تؤكد على «أن الأصوليين والخمسينيين والإنجيليين الذين يشكلون القاعدة الانتخابية لليمين المسيحي يظهرون تسامحًا أقل من المواطنين الآخرين إزاء من يمتلكون أفكارًا سياسية مخالفة لأفكارهم. فهم أقل استعدادًا للسماح للملحدين والمثليين والاشتراكيين والعسكريين والعنصريين بالتعبير عن أنفسهم في شكل جماعات، أوالتدريس في الجامعات، وكذلك وضع كتبهم في المكتبات الكبرى حتى يمكن للجمهور الاطلاع عليها» (ويلكوكس وجيلين، ١٩٩٠م، ص ٢٩).

يؤكد كثيرون على أن استراتيجية اليمين المسيحي وكذلك ممارساته غير متوافقة مع مبدأ التشاور الديمقراطي وما ينتج عنه من تسويات. كما أن الطابع المانوي لرؤيته للعالم تجعل منه أيضًا موضوعًا لخشية دائمة. فهناك استغلال للعواطف وللنصوص الكتابية لأغراض سياسية، وتضليل المؤمنين، وخلق مناخ من الخوف والريبة، وهي قضايا يثيرها بصورة مستمرة خصوم اليمين المسيحي. وكثيرون يرون في هذه الحركة نموذج قوة كارثية في التضليل تريد تأسيس نظام شمولي ثيوقراطي. وكانت الاتهامات عنيفة أحيانًا إلى درجة أن هناك من يقارن بين جيري فالويل وأدولف هتلر.

وقال القس الفيرجيني [من ولاية فيرجينيا] جيري فالويل ردًّ على منتقديه: «لم أؤسس الأغلبية الأخلاقية من أجل تحويل القانون إلى عقيدة أصولية ما» (فالويل، ١٩٨٧م،ص ٣٧٠).

ويرى الان ديرشويتز، أستاذ قانون بهارفارد، أنه ليس هناك شك في أن اليمين المسيحي يسعى إلى تحويل المسيحية إلى دين مؤسسي، وهو ما يشكل مقدمة لتأسيس ثيوقراطية. ويرى في الأمر إستراتيجية على مرحلتين. في المرحلة الأولى يركز اليمين المسيحي على مكانة الدين في التعليم والأخلاق الاجتماعية والحياة السياسية. وفي المرحلة الثانية يركز على القيم المسيحية النوعية الأكثر تجذرًا من القيم الدينية الأخرى، في التاريخ والثقافة الأمريكيين. وربما تكون المرحلة الأولى مغرية للجماعات الدينية المختلفة. غير أن التاريخ يعلمنا، كما يرى ديرشويتز، أن المرحلة الأولى تقود إلى المرحلة الثانية. وكل مجتمع يفضل رسميًّا الدين على اللادين ينتهي إلى منح دين الأغلبية مكانة مهيمنة (دير شويتز،١٩٩١م). ويستشهد دير شويتز بخطاب لوليام كريزول، وهو القس الذي بارك الحزب الجمهوري بالكونجرس في عام (١٩٩٢م)، وفيه يقول: «لا يوجد فصل بين الكنيسة والدولة، إنه من خلق خيال غير المؤمنين» . وهناك تصريح لبات روبرتسون يسير في الاتجاه ذاته :«الفصل بين الكنيسة والدولة ليست سوى كذبة». أما جيري فالويل فيصف هذا الفصل بأنه «انتهاك للدستور» (ص٣٢٤ و٣٢٥).

عدد كبير من السياسيين، من اليسار كما من اليمين، أدانوا الحركة السياسية والاجتماعية لليمين المسيحي، ونظروا إليها على أنها مخالفة للفصل الدستوري بين الكنيسة والدولة. ولكي يهزم فالويل وأغلبيته الأخلاقية أسس السيناتور الديمقراطي جورج ماكجفرن ـ خصم ريتشارد نيكسون في انتخابات عام (١٩٧٢م) ـ جمعية أسماها «أمريكيون من أجل الحس السليم»، والتي اختفت بعد فترة قليلة من إنشائها. والمثير للدهشة أن ردود الأفعال الأكثر عنفًا جاءت من باري جولد ووتر، «الواعي» بتراجع المحافظين، والذي صرح في ١٦ سبتمبر عام (١٩٨١م): «أصبح شبح مجموعات تدافع عن قضية وحيدة ذات طبيعة دينية، يهدد أكثر فأكثر بلدنا [...] ويشكل نمو اليمين المسيحي تهديدًا حقيقيًّا لحريتنا...] أنا أحذرهم اليوم: سأقاومهم بدون توقف إذا حاولوا فرض قناعاتهم الأخلاقية على كل الأمريكيين باسم « نزعة محافظة» (جولد ووتر في يونج،١٩٨٢م، ص ٣٢٤-٣٢٨).

بعد فترة من الضيق والتشتت بدأت في نفس لحظة تشريع الإجهاض في عام (١٩٧٣م)،

عادت الحركة النسائية للظهور من جديد في سنوات الثمانينيات كرد فعل على بزوغ اليمين المسيحي والمجموعات المتحركة ضد حق الإجهاض. فمجموعات مثل: المنظمة القومية للمرأة، الرابطة القومية للعمل من أجل حقوق الإجهاض والإنجاب (NARAL)، تنظيم الأسرة ومنظمات أخرى عملت بصورة مشتركة حتى يتبنى الكونجرس أفكارهم. وحتى إذا كان توقيع بوش مرتين في عامي ٢٠٠٠م و٢٠٠٣م - التوقيع الأول يمنع الإجهاض في فترة متأخرة، والثاني من أجل مزيد من التحجيم للحق في الإجهاض - قد نظر إليها على أنها هزيمة ثقيلة فإنها، على الأقل، حثت الجمعيات النسائية وناشطاتها على مضاعفة جهودهم. وفضلاً عن ذلك، ألغى الرئيس الأمريكي الدعم الفيدرالي لتنظيم الأسرة وكل المنظمات المؤيدة للإجهاض بالخارج. وفي اللحظة الراهنة، فإن تعيين القاضي جون روبرتس على رأس المحكمة العليا هو ما يقلق بشكل خاص الجمعيات النسائية وناشطاتها . ولم يفعل حماس بعض المجموعات المناهضة للإجهاض، مثل رابطة العمل من أجل الحياة وعملية إنقاذ [المناهضة للإجهاض]، سوى أن عزز مخاوفهم. ويطرح خصوم اليمين المسيحي تساؤلات حول مستقبل حقوق النساء الأمريكيات في اللجوء للإجهاض، خصوصًا وأنه بفضل أغلبية حرجة للغاية (صوت أو صوتين) استطاع الحكماء التسعة للمحكمة العليا أن ينحازوا حتى الآن لصالح الإبقاء على الحريات الفردية.

ويلاحظ القلق ذاته داخل جماعة المثليين، حيث نجد جمعيات مثل المنظمة القومية للمثليين ومنظمة حقوق المثليات على أهبة الاستعداد للحرب. وينظر المثليون والمثليات في أمريكا لتعديل الدستور حول تعريف الزواج التقليدي، والذي يدعو له اليمين المسيحي، على أنه يستهدف إلغاء الأحكام المعلنة منذ عامين من قبل محاكم ولايات مختلفة حول شرعية زواج المثليين. وهؤلاء المثليون والناشطات النسائيات على قناعة راسخة بأن المستهدف من قبل برنامج اليمين المسيحي هو حقوق النساء وحقوق المثليين، وهما جماعتان من السكان كانوا في طليعة التحولات الاجتماعية والثقافية بالولايات المتحدة في السنوات العشرين الأخيرة.

يثير اليمين المسيحي قلق طائفة السود مثلما يثير قلق الطائفة اليهودية الأمريكية. وبدون أن يكون عنصريًّا صراحة، فإنه لا يحتوي داخل صفوفه على أي قائد من السود. وأكثر من ذلك، لا يفعل شيئًا لجذب تعاطف الأفروأمريكيين. وبتصريحه أن قرار المحكمة العليا حول إلغاء التمييز العنصري في المدارس ما هو إلا نتيجة لمؤامرة شيطانية، فإن جيري فالويل لا يمكنه إلا أن يسير في طريق عزلهم. وإذا كان الإنجيليون السود يؤيدون بعض المطالب الأخلاقية لليمين المسيحي

فإنهم يرفضون مطالبه الاجتماعية. وموقف فالويل وأتباعه من التمييز الإيجابي ومن الفقر الذي ينظرون إليه على أنه نتيجة عجز أخلاقي وليس نتيجة خلل اقتصادي، لا يؤدي إلا إلى تعاظم ارتياب الناخبين السود. ويشكل تركيز اليمين المسيحي على المشروع الخاص، والموافق تمامًا للطبقات الميسورة، مصدرًا إضافيًّا لقلق وعداوة طائفة السود الأمريكيين، والتي يعرف قطاع كبير منها مشاكل اقتصادية فعلية. ودون أن نغفل كذلك الخطابة العنصرية والأعمال الإجرامية التي ترتكبها شريحة من اليمين المتطرف، والتي لا يوجد شك في تعاطفها مع اليمين المسيحي.

ويسير الأمر على المنوال نفسه بالنسبة للطائفة اليهودية، وإن كانت الأسباب ذات طبيعة مغايرة. في الواقع، شهدت العلاقات بين اليهود الأمريكيين واليمين المسيحي بعض الحوادث التي تعكس الالتباس والنفاق الذي يحيط بهذه العلاقات. وإذا كان أغلب اليهود راضين، على الصعيد السياسي، من الدعم المؤكد من قبل بات روبرتسون للدولة العبرية، فإن هناك مشاكل حقيقية ما زالت قائمة على الصعيد اللاهوتي. يمكن للمرء تفهم قلق الطائفة اليهودية الأمريكية إزاء بعض الأقوال: فالتصريح المشار إليه سابقًا لبيلي سميث الرئيس السابق للمؤتمر المعمداني بالجنوب - «الله العلي القدير لا يستجيب لصلوات يهودي» (سميث في جورمان برايس، ١٩٨٣م، ص٣) ـ أثار غضب الحاخام ألكساندر شيندلر رئيس اتحاد التجمعات العبرية الأمريكية : «في اللحظة التي تطالب فيها الأغلبية الأخلاقية بإعلان حقوق المسيحيين، وفي اللحظة التي يزايد فيها رجل كنيسة مؤثر بتأكيده على أن [الله العلي القدير لا يستجيب لصلوات اليهودي] ليس هناك ما يثير الدهشة إذن عندما نرى معابد يهودية تحرق وعائلات يهودية يتم إرهابها في منازلها [..] مثل هذه الأقوال تترك آثارًا لا مفر منها، إنها تؤدي إلى الحقد على اليهود» (شيندلر في هيل وأوين، ١٩٨٢م، ص ٩٥).

لا يتعرض اليمين المسيحي إلى نقد من قبل منظمات وشخصيات علمانية فقط، وإنما هناك أيضًا العديد من المنظمات الدينية التي تقاومه بصورة نشطة. تعيد الكنائس الكبرى التقليدية (التيار الرئيسي) التذكير بالحق والواجب على كل مسيحي أن يصوِّت وفقًا لضميره. وكل ضغط يمارس بطريقة مباشرة من فوق منبر الوعظ يعتبر، في نظرها، غير مقبول. ومن جانبه، يرفض اتحاد الأمريكيين المتحدين من أجل الفصل بين الكنيسة والدولة ـ تم إنشاؤه في عام (١٩٤٧م) ويرأسه حاليًّا القس باري لاين ـ أن يحتكر الإنجيليون والأصوليون الخطاب الديني.

بالنسبة لعدد من المسئولين الدينيين، تشكل رؤية العالم من خلال ثنائية الأبيض والأسود،

والمساندة بلا كلل لدولة إسرائيل ومفهوم الحرب الوقائية التي يدعو لها اليمين المسيحي تهديدًا خطيرًا. فالقس الإنجيلي جيم واليس الذي يقود منظمة CALL TO RENEWAL، تحالف من كل الكنائس الأمريكية ضد الحرب يقول: «أن يكون جورج بوش قد انفتح على إيمانه وما قدمه له من مساعدة ليتوقف عن تناول الخمور، فهذا أمر لا يزعجني، بل على العكس من ذلك. لكن الأمر يختلف تمامًا إذا ما تناولنا الأمر على صعيد السياسة الدولية. فالقول بأننا الأخيار والآخرين هم الأشرار أراه لاهوتًا سيئًا. كما لو كان يخوض معركة روما ضد البرابرة .. وفضلاً عن ذلك، لا يمكن أن نساند إسرائيل بدون أن نأخذ في حسابنا مصير الفلسطينيين. وفي النهاية ستكون هذه الحرب مكلفة جدًّا، وستخيم بظلها على الأمريكيين الأكثر فقرًا من خلال التقليص الضخم لميزانيات البرامج الاجتماعية (واليس في سينفيل، ٢٠٠٣م). وكان جيم واليس وممثلون آخرون عن كنائس التيار الرئيسي قد طلبوا اللقاء مع جورج بوش لكن دون جدوى. «لا يستمع إلا لنفسه، وما يعتقده أن المناهضين للحرب يلعبون لعبة صدام، كما يقول واليس. وحقيقة الأمر، أننا نريد أيضًا نزع أسلحة صدام حسين لكن ليس من خلال قذف قنابل على أطفال بغداد» (ص٥).

ترتفع أصوات عدد من الإنجيليين والأصوليين بصورة دورية، لإدانة التسييس المفرط لقادة اليمين المسيحي، ففي عام (١٩٨١م) أخذ بيلي جراهام مسافة مع جيري فالويل وأغلبيته الأخلاقية مصرحًا بـ: «اليمين لا يهتم بالدين إلا من أجل توظيفه [...] لقد طلبت منه [من فالويل] أن يبشر بالإنجيل. فهذه هي مهمتنا. أريد الحفاظ على نقاء الإنجيل والحرية الدينية بالولايات المتحدة. لا أريد أن أرى أي شكل من أشكال التعصب الديني» (جراهام في ماكلوغلين، ١٩٨٢م، ص١٣٥). وهناك بعض الأصوليين، ولا سيما المعمدانيين، يعارضون بشدة تدخل الدين في السياسة ولا يترددون في الإعلان عن ذلك. فقد وصف بوب جونز ـ عميد جامعة تحمل اسمه ـ جيري فالويل بأنه «الرجل الأكثر خطورة في أمريكا» (جونز في جورمان وبرايس، ١٩٨١م، ص ٦٢). كما نجد رد الفعل ذاته لدى ابنه بوب جونز الثالث الذي دعا كل المسيحيين إلى إغلاق صفحة الأغلبية الأخلاقية وإعادة البحث عن الرضا الروحي من خلال تشكيل أقلية كتابية» (ص٦٥). ولا يخفي كال توماس وإيد روبسون، وهما قسيسان أصوليان، قلقهما إزاء التوظيف السياسي للدين من قبل اليمين المسيحي. ويقولان في كتابهما «أعمتهم القوة» إنهما يشعران بالانزعاج من رؤية إنجيليين تتلاعب بهم «قوى خارجية»، وسياسيون ومؤسسات

اليمين التي تشجع وتمول الانشقاقات السياسية داخل الطائفة الإنجيلية. ويؤكدان أيضًا أن اليمين المسيحي، وقد أعمته القوة، ضل وتاه في طريق لا مخرج منه. وأن الالتزام السياسي للإنجيليين والأصوليين واستخدامهما الإيمان لأغراض حزبية يضعف، كما يقولان، الرسالة الإنجيلية، بإبعاد القادة الدينيين ورسالتهم ويجلب العار للطائفة الإنجيلية بأسرها. وبالتالي يحثان قادة الحركة على التخلي عن أي نشاط نضالي سياسي مباشر، والاقتصار على الدعوة لكلام الرب، وخلاص روح أتباعهم (توماس ودوبسون، ١٩٩٩م). وفي السياق ذاته، يدعو ريك وارين، في كتابه، الإنجيليين أن يخضعوا لله بدلاً من الجري وراء النجاح [السياسي] (وارين، ٢٠٠٢م).

بعد اندلاع الحرب في العراق بشهور قليلة تدافعت منظمات تبشيرية غير حكومية مثل: THE SAMITARITAN PURSE, WORLD CONCERN , WORLD VISION - وهي الوكالة الخيرية الإنجيلية الأكثر قوة في العالم «لحمل محبة المسيح للعراقيين بالأقوال والأفعال!!». ولم تكن هذه الممارسات تروق لكل الإنجيليين. ويعيب الكثيرون منهم على المبشرين المتحمسين مطابقتهم بين قضية المسيح وقضية أمريكا» (والدمان ٢٠٠٣م). ويدعو آخرون أقرانهم في الدين إلى الابتعاد عن كل ما يمكن أن يظهر في نظر العالم على أنه تنفيذ للسياسة الأمريكية. غير أن الإنجيليين في مجملهم يتوزعون بين الابتعاد عن السياسة على طريقة الاعتكاف والورع وبين الرغبة في الاستئثار مباشرة بالسلطة أو على الأقل التأثير في الحياة السياسية بصورة دائمة ومؤثرة. تم التعامل مع كل هذه الاتهامات بدون أن يكون هناك ما يثير الدهشة، على أنها دون أساس وتم رفضها بالتالي من قبل المدافعين عن اليمين المسيحي، الذين أكدوا على أن حركتهم لم تهدف مطلقًا إلى إقامة ثيوقراطية. وكتب رالف ريد في هذا المعنى: «رجال الإيمان لا يطلبون من الآخرين أن ينضموا إلى لاهوتهم، وإنما إلى وجهات نظرهم في السياسة واحترام حقهم في المشاركة في الحياة السياسية ودون أن يهاجم أحد دينهم»، وليس «الهيمنة على الحوار على المائدة» (رالف ريد، ١٩٩٤م، ص ٤١). وأضاف أن اليمين المسيحي يبحث عن «مكانه عل المائدة»

بالنسبة لهؤلاء المدافعين، فإن اليمين المسيحي ليس له مهمة أخرى سوى مكافحة «الانهيار الأخلاقي والروحي للأمة» والدليل كما يقولون إن برنامج حركتهم يتأسس على تطلعات «الغالبية العظمى» للمواطنين الأمريكيين في الحياة داخل مجتمع أفضل، حيث لا يكون هناك مكان للجريمة، ويكون فيه مزيد من النظام والنجاح في المدارس، ومزيد من السلطة الأبوية داخل العائلات.

حصيلة غير متكافئة بالمقارنة مع نشاط كثيف

منذ عام (١٩٨٠م)، كشف اليمين المسيحي عن نزعة نضالية شديدة أخذت اتجاهات مختلفة، إذ أسس مجموعة ضغط (لوبي) تتظاهر وتعترض على أحكام القضاء فيما يتعلق بالقضايا الأخلاقية التي تظل حجر الأساس في برنامجه. وحتى الآن، فإن جهوده لتمرير قوانين تشرع الصلاة في المدارس وتمنع الإجهاض، أو من أجل تقنين بعض النقاط الخلافية لصالحه، لم تصل بعد إلى نتيجة. لكنه نجح، على العكس، في انتخاب سياسيين يؤمنون بقيمه، مع وصول الجمهوريين إلى التحكم في مجلس الشيوخ ومجلس النواب، ومحكمة عليا تتجه نحو اليمين، ورجل يشاركهم معتقداتهم في البيت الأبيض، ويحيط به مستشارون، ومساندات ملتزمة بأن تترجم المعتقدات إلى قوانين. غير أن انتخاب مرشحين مؤيدين لليمين المسيحي ليس سوى نصف انتصار. إذ ينبغي لهؤلاء المرشحين أن يفرضوا قوانين تستجيب لآمال هذا اليمين وهو أمر لا يحدث بصورة آلية وليس مضمونًا مقدمًا.ومن أجل إدراك تأثيرات الحركة النشطة لليمين المسيحي، من المناسب أن نهتم بمجالين ـ اجتماعي وسياسي ـ حيث بذل فيهما جهودًا كبيرة.

على الصعيد الاجتماعي

التعليم

في المجال الاجتماعي، يعتبر تعليم نظرية الخلق الإلهي في المدارس العامة واحدًا من المعارك الرئيسية لليمين المسيحي. وفي كل مكان تقريبًا في الولايات المتحدة قام بحملة من أجل أن تدرس رواية الخلق الكتابية كما وردت في سفر التكوين في الوقت نفسه مع نظرية التطور الداروني. وقام الإنجيليون بممارسة ضغوط على المدارس العامة، بفضل خصوصية النظام الأمريكي، إذ أن لكل مقاطعة الحق في تحديد مقرراتها الدراسية الخاصة بها. وهكذا، وبموجب قانون أقر في ١ مارس عام (١٩٨١م) جعلت ولاية أركنساس تدريس نظرية الخلق الكتابية إجبارية في المدارس العامة بالطريقة نفسها التي تدرس بها نظرية التطور الداروني.

في البداية، كانت المسألة تتعلق بمشروع قانون أعدته منظمة محافظة صغيرة تدعى «مواطنون من أجل الإنصاف في التعليم»، والتي أسسها بول إيلوانجر، وهو عالم أشعة معروف في الأوساط الأصولية. وكان من بين الموقعين على هذا المشروع، أثناء تمريره في مجلسي النواب

والشيوخ، يبرز اسم حاكم ولاية أركنساس فرانك وايت وهو أصولي ذو شهرة كبيرة. وفي أعقاب الاستئناف الذي قدمه الاتحاد الأمريكي للدفاع عن الحريات المدنية (ACLU) تم إلغاء القانون المسمى مرسوم ٥٩٠، في ٣ يناير عام (١٩٨٢م) من قبل المحكمة العليا ؛ لأنه غير دستوري، وذلك لأسباب ثلاثة : أولها أن القانون يتضمن إشارة إلى الدين وهو ما يناقض التعديل الأول بالدستور، وثانيًا لأنه ينتهك الحق في حرية التعليم وحق الطلاب والأساتذة في حرية الكلام التي ضمنها التعديل ذاته، وثالثًا لأن القانون كان غامضًا إلى درجة لم يسمح بالاستئناف الذي كفله الأربعة عشر تعديلاً بالدستور (إيف وفرانسيس، ١٩٩١م، لاكور ١٩٩٢م، نمبرز ١٩٩٣م، أرنو ١٩٩٦م). وأقرت مشاريع أخرى من النوع نفسه في ولايات أخرى مثل: فلوريدا، وجورجيا، وإيلينوا، وأيوا، وكينتوكي، ولويزيانا، وكارولينا الجنوبية، وولاية تينسي. لكن بعد إقرار هذه القوانين تم إلغاؤها أيضًا لأنها غير دستورية. وفي قرار قضية إيجيبوار/ ترين في عام (١٩٨٧م)، قررت المحكمة العليا عدم شرعية القانون الذي تم إقراره في عام (١٩٨١م) من قبل ولاية لويزيانا، والذي نص على معاملة متوازنة بين تعليم نظرية الخلق كما يرويها يهوا [الله باللغة العبرية] وكما يرويها داروين. بالنسبة للقاضي برينان كان هذا القانون يعزز الرؤية الدينية للخلق التي كانت الولاية تريد إدخالها إلى برامج التربية والتعليم.

وأمام الفراغ القانوني، استمرت مجموعات من آباء التلاميذ، يساندها جمعيات من التيار الإنجيلي، في ممارسة ضغوط على الإدارات المدرسية وعلى اتحادات آباء الطلاب تكللت بنجاح، حيث يقدر اليوم أكثر من ألفي مجلس إدارة بمدارس أمريكية تحت سيطرة أنصار نظرية الخلق الإلهي والمقربين من اليمين المسيحي. وهذا يفسر الانتصار المتحقق في ١١ أغسطس عام (١٩٩٩م) لمجلس تعليم ولاية كنساس الذي قرر إلغاء أي أسئلة من الامتحانات تكون متعلقة بنظرية التطور الداروينية، وكانت الأسباب المقدمة لذلك لا يتوفر بها أي جديد، وكانت تقول بها أنه لا يوجد أحد يمكنه العودة في الزمن ليتابع عملية نشوء خلق الكون، فإن كل التفسيرات حول ظهور الحياة تعود إلى مجرد فرضية موثقة جيدًا على الأكثر. وانطلاقًا من المبدأ ذاته استبعد المجلس من المقررات نظرية الانفجار الكوني الكبير. وعلى الفور أثار قرار سلطات ولاية كنساس ضجة شديدة في الأوساط العلمية وأوساط المعلمين الذين يرون أن التلاميذ الذين لم يتعرفوا على نظرية التطور الداروينية لا يمكن أن يكونوا مستعدين للحياة في العالم المعاصر.

ويجيب الإنجيليون أنه من حق العائلات وليس المدارس اختيار النمط الذي ينبغي أن يتعلمه الأطفال (جرين والت،٢٠٠٥م، بلومينفيلد، ٢٠٠٥م).

في عام (٢٠٠٤م) إقترح نواب وأعضاء مجلس شيوخ محليون بولايات أوهايو، مونتانا، جورجيا وآلاباما مقترحات قوانين حتى يصير تعليم نظرية الخلق الإلهي إجبارية. وفي العام ذاته، فرض المجلس المدرسي بدوفر، في بنسلفانيا، على المعلمين في مادة البيولوجيا أن يقرءوا على تلامذتهم في الصف الثالث مقدمة في مقرراتهم حول التطور، مؤكدين لهم على أن نظرية داروين قد انتقدها بعض البيوكيميائيين، وأن نظرية التصميم الذكي هي ملحق ينبغي معرفته من أجل «فهم مصطلحات المناقشة» (باركر،٢٠٠٤م). وكما قيل، مع نظرية « التصميم الذكي»، فإن الهجوم على داروين كان أكثر ذكاءً وفطنة. فهناك مجموعة من الجامعيين المعترف بهم والبيولوجيين والرياضيين والمحامين أعطوا لها مصداقية ما. فمعهد ديسكوفري، وهو مركز بحثي، بسياتل، وممول بسخاء من اليمين المسيحي (لكن أيضًا من مؤسسات ليست لها انتماءات دينية مثل مؤسسة بيل جيتس) أخذ على عاتقه مهمة تزيين طرق تقديم النظرية لجعلها أكثر علمية وأكثر قبولاً، من خلال تمويل الأبحاث، وإنتاج توثيق جيد ونشر الكتب .

وقام آباء أحد عشر تلميذًا، من المحتجين على قرار المجلس المدرسي بدوفر، برفع دعوى قضائية، بدعم من منظمات مختلفة مثل الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية. وجرت وقائع المحاكمة في نهاية سبتمبر عام (٢٠٠٥م) في هاربسبورج في بنسلفانيا (تولاند،٢٠٠٥م). وأخذت القضية بعدًا قوميًّا بعد عدة أسابيع. وأعلنت الجمعية الأمريكية للتقدم العلمي (AAAS)، وهي أكبر منظمة علمية في العالم، أن الدين ينبغي أن يظل خارج مقرر العلوم الطبيعية، وأنه من الضروري أن تلغي محكمة بنسلفانيا قرار المدرسة العامة بدوفر الخاص بتدريس نظرية التصميم الذكي. وصارت معركة دوفر رمزًا، حيث أكد بوش بمناسبة مائدة مستديرة انعقدت في أول أغسطس مع صحفيين من تكساس على أن نظرية التصميم الذكي ينبغي أن تدرج في المقررات المدرسية بالدرجة نفسها مع نظرية التطور الداروينية. وأن هاتين النظريتين ينبغي أن تدرسا ـ كما يطالب الرئيس ـ بطريقة دقيقة وبصورة تسمح للناس أن تدرك طبيعة النقاش الدائر (باكير وسليفان، ٢٠٠٥م). وكما أوضحنا، في الفصل السابق، ألغت المحكمة الفيدرالية في بنسلفانيا، في ٢٠ ديسمبر عام (٢٠٠٥م)، قرار المدرسة العامة بدوفر الخاص بتدريس نظرية التصميم الذكي.

واشتهر اليمين المسيحي بقضايا تتعلق بالرقابة على المقررات المدرسية. وتكرس جمعيات كثيرة جهودها للرقابة على المقررات والمواد التربوية المستخدمة في المدارس العامة والمكتبات المدرسية. ففي عام (١٩٨١م)، قامت جمعية آباء التلاميذ بولاية تكساس، والمسماة «شئون الآباء»، بانتقاد لجنة المقررات المدرسية بولاية تكساس والمختصة باختيار وشراء الكتب المدرسية من الميزانية العامة. واستفادت هذه الجمعية من دعم ميل ونورما جابلر، وهما مؤسسا المركز التحليلي للبحوث التربوية، واللذان حولا منزلهما في تكساس إلى مركز لنقد الكتب المدرسية والكتب الأخرى التي يتم شراؤها من ميزانيات عامة ومكرسة لتلاميذ المدارس. ويخضع آل جابلر المقررات المدرسية لقواعد الفحص الخاصة بهم، ويذيعون ملاحظاتهم التقييمية في كل أرجاء الولاية. ولم يتوقفوا عن مراكمة الاحتجاجات ضد لجنة المقررات المدرسية، نظرًا «للطابع الإنساني»، التقدمي و«المناهض لأمريكا» للكتب التي تقوم بشرائها. ونتيجة هذه المطاعن التي صاغها آل جابلر والمتعاطفون معهم اضطر بعض الناشرين إلى تعديل كتبهم. وكان تأثير آل جابلر على الناشرين شديدًا إلى درجة أن منظمة «شعب من أجل الطريق الأمريكي (PAW)» رفعت دعوى قضائية ضدهم. وبرغم أن هذه المنظمة الأخيرة ربحت القضية، لم يعد اختيار المقررات المدرسية من شأن لجنة المقررات المدرسية بولاية تكساس، وإنما أصبح من شأن متخصصين في علوم التربية (ستانسي، ١٩٨٤م).

في عام (١٩٨٦م)، في ولاية تينسي، شرعت مجموعة من آباء التلاميذ ذوي انتماءات إنجيلية، في رفع دعوى قضائية ضد السلطات المدرسية وضد ناشر أحد المقررات المدرسية الذي اعتبر مخالفًا للعقيدة المسيحية، وبدعم من منظمة «نساء مهتمات بأمريكا» ربحت فيكي فروست، مقدمة الدعوى، القضية، حيث أمرت المحكمة الفيدرالية في جرين فيل، في أكتوبر عام (١٩٨٦م)، بسحب الكتاب موضوع القضية من المدارس العامة. وبعد شهرين حكمت المحكمة ذاتها بدفع مبلغ خمسين ألف دولار على سبيل التعويض لفيكي بروست التي رفعت القضية. وفي ٤ مارس عام (١٩٨٧م)، حكم قاضي فيدرالي بمدينة موبيل في ولاية الآباما، بمنع استخدام أربعة وأربعين كتابًا مدرسيًا في المدارس العامة، نظرًا لطابعهم «الإنساني». غير أن هذا القرار تم رفضه قضائيًا بعد عدة أسابيع من قبل محكمة الاستئناف بالولاية ذاتها.

الإجهاض

كرس عدد من تنظيمات اليمين المسيحي كل جهودهم لمقاومة الإجهاض. وتمتلك «رابطة العمل المناصر للحياة» و« إنقاذ أمريكا» و«الحق القومي في الحياة» و«عملية إنقاذ» وعشرات المنظمات الأخرى وفروعها، ميزانيات تصل إلى ملايين الدولارات لعمل مجموعات ضغط ونشر دعايتهم . ونشر قادة مثل جوزيف شيدلر كتبًا تضع في متناول أي ناشط وصفات عمل فعالة للغاية بغرض جعل الحق في الإجهاض يتراجع: مجموعة ضغط بشأن بريد القراء، إعلانات في المجلات، إزعاج الأطباء أمام عياداتهم، تنظيم طوق صحي لإغلاق منافذ المرور نحو العيادات التي تمارس الإجهاض. ووصلت هذه النزعة من العمل النشط إلى حد الاغتيالات والاعتداءات باستخدام الحامض والاعتداءات باستخدام القنابل .

وتخوض منظمة «عملية إنقاذ» و«إنقاذ أمريكا» حملة فعلية من الإرهاب ضد العيادات التي تمارس الإجهاض في كل أنحاء البلاد. ووفقًا لفيدرالية الإجهاض القومي، فإن الحركة المناهضة للإجهاض قد ارتكبت، في خلال عشرين سنة، أربعة وأربعين ألف عمل عنيف ضد أنصار الإجهاض، وست عشرة محاولة اغتيال، وألفي وأربعمائة هجوم أو اعتداء بالقنابل، وتم اغتيال ليس أقل من سبعة أطباء. واستمرت عمليات الإعدام للأطباء حتى أغلقت حكومة الرئيس كلينتون موقعًا على الإنترنت مناهضًا للإجهاض تحت اسم «أبناء نورمبرج». وكان هذا الموقع، الذي أنشأه تحالف الناشطين الأمريكيين من أجل الحياة، يحض صراحة على القتل لأنصار الإجهاض. وكان يقدم ليس فقط أسماء وإنما أيضًا عناوين وكل المعلومات عن الأطباء الذين يستحقون، كما يرون، الإعدام لارتكابهم «جريمة ضد الإنسانية». وأكثر من ذلك، أنه كان يقدم مكافأة لأي شخص يناضل «بفعالية» ضد حق الإجهاض. ولم يكن موقع «أبناء نورمبرج» فريدًا من نوعه، فتحريضات من هذا النوع كانت تنتشر على كل المواقع المناهضة لإجهاض.وفي عام (١٩٩٥م)، رفعت الفيدرالية الأمريكية من أجل الإجهاض دعوى قضائية ضد «تحالف الناشطين الأمريكيين من أجل الحياة». وفي فبراير عام (١٩٩٩م)، أدانت هيئة فيدرالية بولاية أريجون هؤلاء الناشطين في مناهضة الإجهاض وتغريمهم مائة وسبعة ملايين دولار.

من جهة أخرى، يوجد في ملبورن، بولاية فلوريدا، مركز للتدريب يدعى «معهد التعبئة والتدريب للنشاط المسيحي» (IMPACT)، حيث تعلم منظمة «عملية إنقاذ» مناضليها كيف

يتعرفون على شخص ما انطلاقًا من بطاقته المعدنية، وكيف يجرون تحقيقًا للعثور على عناوين الأطباء والموظفين العاملين بالعيادات التي تمارس الإجهاض. وعندما يتم التعرف على الهدف تبدأ عملية ملاحقة فعلية. ولا يترك هؤلاء «القتلة» شيئًا إلا ويفعلونه: شتائم، مضايقات، حصار للمنازل، فرق مراقبة أمام العيادات (جراي،١٩٩٣م، ص٤٤). وكان نتيجة هذه الأعمال أن ٨٤٪ من المقاطعات الأمريكية لم تعد تملك أكثر من عيادة واحدة لممارسة الإجهاض.

وبإيعاز من مجموعات مختلفة من أجل الحياة [المناهضة للإجهاض] أقرت ولايات فلوريدا، وآلاباما، وإنديانا، ولويزيانا، وماساشوستس، وداكوتا الشمالية ورود أيلاند، قانونًا يفرض موافقة مسبقة من آباء المراهقات الأقل من ثمانية عشر عامًا ممن يرغبن في الإجهاض. وناضل الناشطون من أجل الحياة، في كل مكان تقريبًا، من أجل أن تفعل ولاياتهم الأمر ذاته. ويزعج مثل هذا القانون خصوم اليمين المسيحي، ولا سيما الاتحاد الأمريكي للحريات المعدنية، الذي ليس فقط ركز على انتهاك الحرية الفردية، وإنما أدان أيضًا بطء الإجراءات الشرعية التي تضع مباشرة حياة المرأة المعنية موضع الخطر. وفوق ذلك، يخشى المعارضون لهذا الإجراء أن تذهب الفتيات للإجهاض في أماكن أخرى، ولا سيما في المكسيك في شروط سيئة.

منذ وصوله للبيت الأبيض أعاد الرئيس بوش منع أي تمويل فيدرالي للجمعيات المدافعة عن حق الإجهاض أو التي تمارس نشاطات نصح أو وقاية في هذا الشأن. وبالتوازي مع تجميد الميزانيات نظمت الحكومة حملات بغرض الدعوة للعفة الجنسية كأولوية صحية يدعو لها الرئيس الأمريكي.

وفي ٧ نوفمبر عام (٢٠٠٣م)، وقع جورج دبليو بوش، الذي كان لا يزال على قناعة راسخة بضرورة حماية الأجنة في طور التخلق، على قانون تم التصويت عليه قبل ذلك في مجلس النواب ثم مجلس الشيوخ يحظر «الإجهاض المتأخر». ويعني هذا التعبير، الذي أصبح جزءًا من المفردات الإنجيلية منذ هذا الوقت، منع ممارسة الإجهاض على جنين يكون عمره أكثر من ثلاثة شهور، مهما كانت الحالة، وحتى لو كانت ستؤدي إلى وفاة المرأة.

وتحت رعاية الرئيس بوش أيضًا سمحت أغلبية الحزب الجمهوري لليمين المسيحي والحركة المناهضة للإجهاض أن يحققا نصرًا كبيرًا ثانيًا، حيث عارض البحث في الخلايا الجذعية المؤدي للاستنساخ وتدمير أجنة إنسانية في إطار البحث العلمي والطب (ميرشانت،٢٠٠٥م).

وحتى يومنا هذا ظل الإجهاض شرعيًا، ولم يتوصل اليمين المسيحي إلى إلغاء قرار المحكمة

العليا لعام (١٩٧٣م). لكن ظلت العقبات تتكاثر أمام ممارسة هذا الحق في الإجهاض. وهكذا سمحت سبع وأربعون ولاية لأي شخص أو كيان (مستشفيات عامة أو خاصة، عيادات) برفض ممارسة الإجهاض لأسباب أخلاقية ودينية، وهناك اثنتان وثلاثون ولاية تملك قوانين تفرض على الأطباء الذين يمارسون الإجهاض أن يوضحوا كل مرحلة من مراحل نمو الجنين للمرأة التي تريد الإجهاض، وهناك سبع عشرة ولاية أصدرت قوانين تمنع شركات التأمين من تمويل عمليات الإجهاض للمؤمن عليهم من العاملات في القطاع العام (ميرشانت، ٢٠٠٥م، ص ١٨-١٩) وإذا كان من غير المحتمل أن يسمح وصول جون روبرتس للأغلبية المحافظة بالمحكمة العليا أن تلغي القرار الصادر في قضية رو/ واد، فإنه يسمح بالاعتقاد بأنها ستفتح الباب أمام تفسيرات مؤيدة لقوانين أكثر فأكثر تقييدًا تجاه المرأة التي ترغب في إسقاط حملها.

المثلية الجنسية

بعد انتخابه بفترة قليلة في عام (١٩٩٢م) تسبب الرئيس كلينتون في اندلاع عاصفة فعلية لأنه تجرأ على التفكير في رفع الحظر عن المثليين بالخدمة في الجيش، وهو منع تم تطبيقه للمرة الأولى في عام (١٩٤٣م)، وتعزز هذا الإجراء في ظل رئاسة ريجان في عام (١٩٨٢م). وصارت القضية موضوعًا مفضلاً لليمين المسيحي، والذي بعد عشرين عامًا من نزعة نضالية مناهضة للإجهاض، وجد في مقاومة المثلية الجنسية معركته الرئيسية الجديدة. واستفاد بات روبرتسون من برنامجه التليفزيوني «نادي السبعمائة» ليكثر من تصريحاته الكارهة للمثليين. وعمل القس لويس شيلدون، رئيس تحالف القيم التقليدية على تمرير إعلانات معادية للمثليين في نشرات خمسة وعشرين ألف إبرشية. ولم يكن جيرى فالويل وبيفرلي لاهاي والآخرون من قادة اليمين المسيحي بعيدين عن ذلك أيضًا. وبينما كان المثليون يضربون حتى الموت في الثكنات كان اليمين المسيحي يطلب من قادة الحزب الجمهوري أن يكونوا أكثر صلابة، في هذا الشأن، من أي وقت مضى. وبرغم أن بعض القيادات الكبيرة، مثل كولن باول وبعض السيناترة [جمع سيناتور] الديمقراطيين الذين يميلون إلى ما هو محافظ، كانوا منزعجين من تقاسم بعض الأفكار مع اليمين المسيحي، إلا أنهم اتخذوا موقف الإبقاء على منع خدمة المثليين بالجيش. وانتهى كلينتون، أمام تزايد ردود الأفعال واتساعها إلى التراجع (كلاغر وبول، ١٩٩٦م). وتنشر «جمعية شعب من أجل الطريق الأمريكي» تقريرًا، كل عام، عن كراهية المثليين في الولايات المتحدة. وتشير الجمعية إلى أكثر من ثلاثمائة

حادث في سبع وأربعين ولاية . وأن عدد الاعتداءات على المثليين تضاعف بين عامي ١٩٩٧م و١٩٩٩م، وهو ما تضعه في علاقة مع استئناف التعبئة المناهضة للمثليين.

قرر الرئيس جورج دبليو بوش، تحت تأثير اليمين المسيحي، في عام (٢٠٠٤م)، تأييد ومساندة التعديل الدستوري الذي يمنع زواج الأشخاص من الجنس نفسه، وفي الوقت نفسه جعل غير شرعي زواج المثليين الذي أقرته بعض الولايات. ومع ذلك رفض مجلس الشيوخ، في ١٤ يولية عام (٢٠٠٤م)، مبدأ مثل هذا التعديل. وبرغم أن اليمين المسيحي شعر بالإحباط من جراء تصويت بعض السيناترة الجمهوريين ضد التعديل باسم الدفاع عن حقوق كل ولاية في التشريع، إلا أن اليمين المسيحي، مع ذلك، لم يشعر بأنه قد هزم، بل على العكس، استعجل، بصورة دائمة، الرئيس على إطلاق عملية التعديل، التي منذ رفض مجلس الشيوخ، لم يتجاسر على إعادة طرح المسألة على جدول الأعمال. ونظرًا لكل المشاكل التي تتراكم مع الرئيس بوش في اللحظة الراهنة فإنه من شبه المؤكد أن مشكلة زواج المثليين لن تطرح قريبًا .

وبفضل المكتب المكلف بالمبادرات ذات الطبيعة الدينية والطائفية، الذي أسسه بوش، اتسع نطاق تمويل المنظمات الدينية التي تعمل كشريك متعاقد مع الحكومة بغرض تأمين تأهيل مهني أو علاج المدمنين أو خدمات صحية للمراهقين، أو إعادة تأهيل المساجين ومجموعة أخرى من الخدمات الاجتماعية. وفوق ذلك، يمكن للجمعيات الإنجيلية الخيرية أن تعلن عن رموزها الدينية وأن تستخدم معالجة روحية في برامجها، وتفضيل التوظيف على أسس دينية. ومع التزامها بشكل أكثر قوة مما مضى في المساعدة الإنسانية، فإنها لم تعد تشعر أنها مرغمة على الامتناع عن أي عمل تبشيري، وهو ما يفرح اليمين المسيحي بالطبع.

ويمكن للمرء بشكل ما، أن يدرك حصيلة النشاطات الاجتماعية لليمين المسيحي على أنها محدودة. فهو لم يحقق النجاحات التي كان يريدها لنفسه. وبدون شك، فإن مجال مقاومة الإجهاض كان المجال الذي حقق فيه مزيدًا من الرضا حتى مع عدم نجاحه في تخفيض عدد النساء اللاتي يمارسن الإجهاض. بينما، على العكس، ظلت الصلاة وقراءة الكتاب المقدس في المدارس العامة ممنوعة. كما أن التعليم الديني في المدارس لا يزال اختياريًّا وليس إجباريًّا. وكذلك منعت المحكمة العليا، جولة إثر جولة، تلاوة «آبانا» أو قراءة مقاطع من الكتاب المقدس، أو تلاوة (اختيارية) لصلاة متعددة الطوائف، أو تلاوة الصلاة في بداية مسابقات

رياضية، أو تقديم لحظة صمت تسمح بصورة اختيارية بصلاة قصيرة أو تأمل ديني، أو تدخل واعظ (أو حاخام) أثناء حفلة تسليم دبلومات مدرسية أو تمويل من أموال عامة راتب كاهن [في كنيسة خاصة] ... وكذلك كانت حقوق المثليين في معظمها، مصانة. وكانت ولايات كثيرة قد أقرت قوانين تحت ضغط اليمين المسيحي لكن سرعان ما تم إلغاؤها من قبل المحاكم. في عام (٢٠٠٣م) ألغت المحاكم الفيدرالية القوانين التي تجرم العلاقات الجنسية بين الرجال، وكانت الحيثيات أنها تخالف الاحترام الواجب للحياة الخاصة. وقبل ذلك بقليل، في ٢٦ يونية، أقرت المحكمة العليا (ستة أصوات مقابل ثلاثة) في قضية لورانس/ تكساس، أن مجامعة الرجل للرجل هي ممارسة يحميها الدستور.

واستمر قضاة المحكمة العليا في عدم استجابتهم لأنصار اليمين المسيحي. في عام (٢٠٠١م) شيد روي مور، رئيس المحكمة العليا في آلاباما، كتلة من الجرانيت تزن عدة أطنان في بهو قصر العدالة تمثل لوحة الوصايا العشر. وطالبت جمعيات الدفاع عن العلمانية من المحكمة إزالة هذا العمل. في ٢٢ أغسطس عام (٢٠٠٣م)، أمرت محكمة آلاباما بإزالة هذا الأثر. وفي ١٤ نوفمبر عام (٢٠٠٣م)، تمت إزالته بالقوة الجبرية. وبعد أن عمل كثيرًا على إبقائه، أقيل روي مور من وظائفه نظرًا لمعارضته الأوامر الفيدرالية، ولم يكن ممكنًا لسحب هذا الرمز اليهودي – المسيحي أن يتعرض لتأخير في التنفيذ، نظرًا لتطبيق مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة. ولكن، القضية الآن أمام المحكمة العليا (جرين هاوس، ٢٠٠٥م).

على الصعيد السياسي

بذل اليمين المسيحي جهودًا كبيرة على جبهة السياسة الداخلية كما على جبهة السياسة الخارجية، وذلك إضافة لما بذله من مقاومة شديدة للإجهاض والمثليين على الصعيد الاجتماعي.

السياسة الداخلية

منذ نهاية سنوات (١٩٧٨– ١٩٧٩م)، عمل اليمين المسيحي على التأثير على المشرعين الفيدراليين، وكذلك على المشرعين بالولايات، وتطبيق إستراتيجية متنوعة بقدر كاف وبطريقة تمكنه من لعب الأدوار الأولى أثناء الاستحقاقات الانتخابية الكبرى . ومع مجيء رونالد ريجان

إلى البيت الأبيض لم يدخر اليمين المسيحي أدنى فرصة ليضع مساهمته في هذا النجاح في المقدمة. «وكما أن الزعماء الدينيين كانوا أساس حركة الحقوق المدنية، [...] كان لليمين المسيحي بصمته على الانتخابات، وليس هناك أدنى شك في هذا الأمر» كما صرح بذلك جيمس روبيسون (مارتن، ١٩٩٧م، ص٢٢٠). فقد أعطى اليمين المسيحي لنفسه مهمة تعبئة هؤلاء الإنجيليون الذين كانوا معارضين حتى هذا الوقت لأي التزام سياسي، وتسجيلهم في مرحلة أولى في كشوف قوائم المنتخبين، ثم حثهم بعد ذلك على الذهاب للتصويت. وكانت منظمة «الأغلبية الأخلاقية» تتباهى بأنها دفعت ما يقرب من أربعة ملايين ناخب جديد للتسجيل في قوائم المنتخبين، وهو أمر عظيم عندما نعرف أن رونالد ريجان لم ينجح إلا بأصوات ٢٧٪ من أصوات الكتلة الانتخابية الأمريكية. ومع ذلك، هناك دراسات علمية مختلفة توضح أنه حتى بدون أصوات الإنجيليين كان يمكن لرونالد ريجان أن ينجح في انتخابات عام (١٩٨٠م)، لأن المجتمع الأمريكي صار محافظًا . على أية حال، مع انتخاب ريجان في عام (١٩٨٠م) وإعادة انتخابه في عام (١٩٨٤م)، وصلت حركة اليمين المسيحي إلى ذروتها. ويرى فالويل والممثلون الآخرون للحركة أن هذه الانتصارات كان لها قيمة التكريس. فبعد عشرين عامًا تظل فترة ريجان العصر الذهبي لليمين المسيحي.

أيضًا في عام (١٩٨٠م)، كانت « الأغلبية الأخلاقية» و«المائدة الدينية المستديرة» تعلنان عن فرحتهما بأنهما عملا على إسقاط عدد من السيناترة الديمقراطيين، لا سيما جورج ماكجفرن في ولاية داكوتا الجنوبية، وفرانك كورش في إيداهو، وجون كوليفر في أيوا، وبيرش باي في إنديانا. وبسبب تحركهم حققوا النصر لممثل الحزب الجمهوري في كاليفورنيا، روبرت دورمان، والسيناتور الجمهوري في آلاباما، جيرميا دونتون. وأثناء نفس الحملة الانتخابية أرسلت منظمة «الصوت المسيحي» آلاف من رسائل البريد الإلكتروني المناهضة للرئيس كارتر. وفي هذا الشأن، لم يتم استثناء أي طريقة للتشكيك في حصيلة عمل الرئيس الديمقراطي، وسيذهب جيري فالويل إلى حد إدانة المثلية الجنسية لبعض مستشاري جيمي كارتر (أوتير واستوري، ٢٠٠١م، ص ١).

في عام (١٩٨٤م)، وبالتوازي مع المؤتمرات القومية للحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري، التي تنعقد على التوالي في سان فرانسيسكو (في يولية) وفي دالاس (في أغسطس)، نظم جيري فالويل تجمعات، وذلك بغرض منع الحزبين الكبيرين من التفكير في أدنى مبادرة تجاه

المثليين جنسيًّا. وعقب المؤتمر الجمهوري بارك فالويل للمرة الثانية ترشيح ريجان وبوش. وفي هذه المناسبة أسس القس تيم لاهاي «التحالف الأمريكي من أجل القيم التقليدية» (ACTV)، وهو تنظيم ممول بصفة أساسية من إنجيليين كان هدفهم مزيدًا من تعبئة الإنجيليين لصالح المرشحين المحافظين. وفي صبيحة اليوم التالي للانتخابات عزا «الصوت المسيحي» لنفسه الانتصار الذي حققه النائب بات سوندال، بينما تبنت «الأغلبية الأخلاقية» انتصار السيناتور جيس هيلمز. ومع ذلك، فإن مساندة اليمين المسيحي للجمهوريين روجر جوبسن سيناتور ولاية أيوا، ودان كران نائب بولاية إيلنوا، وكذلك جورج هانسن بولاية إيداهو، لم تمنع الهزيمة عنهم.

وبرغم أن ريجان في حياته الخاصة كان يظهر نزعة دينية غير محددة المعالم، إلا أنه غازل اليمين المسيحي باستمرار حتى يصل للبيت الأبيض، وهو في الوقت ذاته يبقى على توازن ماهر بين مساندته المعلنة لأطروحات المحافظين الدينيين، وبين ترك الأمور تسير على ما هي عليه في قضايا من شأنها تقسيم المجتمع الأمريكي. وأعطى ريجان للإنجيليين بعض المزايا ثم تناساها.

عندما أعلن بات روبرتسون عن ترشيحه في عام (١٩٨٧م) لانتخابات الرئاسة حصل على الفور على تأييد اليمين المسيحي. وفي فبراير عام (١٩٨٨م)، اختير من قبل اللجنة الانتخابية بولاية أيوا. غير أنه سقط، في شهر مارس أثناء يوم الثلاثاء العظيم في ولايات حزام الكتاب المقدس، بحصوله على ١٥٪ من الأصوات. وبعد انسحاب بات روبرتسون انحاز اليمين المسيحي، بالضرورة، إلى الحزب الجمهوري.

في عام (١٩٩٢م)، سعى الجمهوريون إلى التمايز عن الديمقراطيين، من خلال التركيز، بشكل كبير، على القيم الأخلاقية والعائلية التي لأنهم، في الحقيقة، إلا ١٥٪ من الكتلة الانتخابية. وكرسوا الأساسي من وقتهم في قنوات تذيع خطابات عدوانية للمتحدثين الرسميين للمحافظين، بدءً من بات روبرتسون وحتى مارلين كايل (زوجة نائب الرئيس دان كايل). والذين لا يشيرون إلى القضايا الاقتصادية إلا نادرًا. وكانت هزيمة الجمهوريين متوقعة، ليس فقط لأن جورج بوش ترك مؤتمر هيوستون ينشغل بقضايا هامشية وخلافية، وإنما أيضًا لأنه كان غير قادر على التحكم في حزبه الخاص.

في عامي ١٩٩٣ و١٩٩٤م، وأثناء المناقشات حول إصلاح نظام الرعاية الصحية، قدَّم اليمين المسيحي دعمه إلى غلاة المحافظين من الجمهوريين الذين يسعون إلى إفشال مشروع

إصلاح نظام الرعاية الصحية الذي تقوده هيلاري كلينتون. في بداية عام (١٩٩٥م)، أنفق التحالف مليون دولار على سبيل الدعم لـ«العقد مع أمريكا». وفي شهر مايو من العام ذاته، عندما كشف رالف ريد عن برنامج منظمته المسمى «عقد مع العائلة الأمريكية»، قدم له الجمهوريون المحافظون دعمهم على الفور.

لعب اليمين المسيحي دورًا مهمًا في قضية لوينسكي. ويشهد القرار الذي اتخذه الجمهوريون بالكونجرس وحلفاؤهم من الإنجيليين، بالشروع في إجراء توجيه اتهام ضد الرئيس كلينتون، عن عنف اليمين الجمهوري ضده. ولم يكن ذلك مجرد إجراء قانوني ـ سياسي ـ وإنما كان حملة شخصية، وعملاً من أعمال الانتقام وإعدامًا سياسيًا للرئيس. وكان آل كلينتون هدفًا لانتقادات حادة من قبل اليمين الجمهوري. وكانت نزعة العداء لكلينتون سابقة على وصوله للبيت الأبيض وقضية لوينسكي. وتعزز هذا العداء بمناسبة «مونيكا جيت» التي جاءت لترسخ مواقف خصومه. وبتقديمهم القضية كانهيار أخلاقي وفي إطار حرب ثقافية كان الإنجيليون وغلاة المحافظين على قناعة راسخة بأن بيل كلينتون كان سياسيًا فاسدًا وغير أخلاقي. وكانوا يكرهون طابعه. الكتوم والساعي وراء النساء. وكان إعلان براءة الرئيس كلينتون، في فبراير عام (١٩٩٩م)، قد نظر إليه على أنه رفض لليمين المسيحي وحلفائه الجمهوريين (توبين، ١٩٩٩م، بن بركة، ١٩٩٩م، ص ٢٢١-٢٣٠).

في عام (٢٠٠٠م)، حرص جورج دبليو بوش، وكان في ذهنه دائمًا خطأ والده عندما انتخب وابتعد بعد ذلك عن الجناح اليميني بالحزب الجمهوري - وهو ما كلفه ضياع إعادة انتخابه - على أن يعطي ضمانات للإنجيليين المتعاطفين معه والذين ساندوه بعد انسحاب جاري بوير مرشح اليمين المسيحي. ومنذ لحظة وصوله إلى البيت الأبيض عين الرئيس بوش ثلاث شخصيات مقربة من اليمين المسيحي في مواقع مهمة: جال نورثون في الداخلية، وتومي طومبسون في الصحة، وجون إشكروفت في العدل. ومع ذلك، لم تكن قرارات الرئيس بوش مطابقة دائمًا لمتطلبات اليمين المسيحي. بالتأكيد، كان بوش يبدي صدرًا رحبًا لضغوط حلفائه الإنجيليين لكنه بالقدر نفسه لا يريد إبعاد الجماعات الأخرى من الناخبين الجمهوريين. وبرغم اتخاذ الرئيس مواقف محافظة جدًا إلا أن حلفائه من اليمين ظلوا ينتظرون النتائج الفعلية. ومن هنا نفهم مطالبتهم بما وُعدوا به.

السياسة الخارجية

بذل اليمين المسيحي جهودًا كبيرة في مجال السياسة الخارجية. وعمل بات روبرتسون وجيري فالويل والقادة الإنجيليون الآخرون كجامعي أموال لتمويل عمليات ضخمة لإدارة ريجان. وتم تسهيل دور اليمين المسيحي من خلال قرار بعض قادة الحكومة في اللجوء إلى عمليات سرية لتحقيق ما قد يكون مستحيلاً في إطار نظام الفصل بين السلطات، ولتجنب أيضًا تقديم كشف حساب إلى الكونجرس والرأي العام وحتى إلى الأعضاء الآخرين بالحكومة. وفي إطار مقاومة الشيوعية، وبشكل خاص في أمريكا الوسطى، أقر اليمين المسيحي بالتوافق مع اليمين الجديد إستراتيجية تسمى LOW INTENSITY CONFLICT وتمزج بين التبشير والعمل الإنساني وتوزيع المنشورات بغرض زعزعة النظم القائمة من خلال عمليات تخريب وتجسس واغتيالات.

في هذا المجال، لا يوجد ما يوضح حركة نشاط اليمين المسيحي أفضل من إيران جيت أو إيران ـ كونترا. وهي قضية تهريب أسلحة لإيران، وبحيث تمول عائداتها الحركة المناهضة للثوار الساندينيين في نيكارجوا. وفي تناقض تام مع السياسة الرسمية ومع القانون سمح مدير السي أي إيه ومستشارو الرئيس ريجان للأمن القومي، روبرت ماكفرلين وجون بواندكستر والكولونيل أوليفر نورث، ببيع أسلحة أمريكية لإيران بصورة سرية (بدون أن يعلموا الرئيس بذلك، كما قالوا) وذلك بغرض تحرير الرهائن الأمريكيين المحتجزين في طهران من قبل مجموعات لبنانية متطرفة. وفي عام (١٩٨٦م)، كشف الكونجرس أن قسمًا من عوائد هذه الصفقة السرية تم تحويله لصالح «مكافحي الحرية» في نيكارجوا. واعتبر هذا التحويل للأموال بمنزلة عملية تهريب ؛ لأن القائمين على العملية تجاهلوا إدارة الكونجرس. وبشكل خاص تعديل بلولاند الذي تم إقراره في أكتوبر عام (١٩٨٤م)، والذي يمنع أي دعم للكونترا. وعبر وسيط «شبكة القوة القومية للحفاظ على الحرية»، صرف أعضاء المجلس القومي للأمن، وفي مقدمتهم الكولونيل أوليفر نورثون، عدة ملايين من الدولارات إلى التنظيم الوطني النيكارجواي[1].

في سبتمبر عام (١٩٨٢م)، أسس شارلز موزير ـ أمين صندوق الكونجرس الحر ومؤسسة التربية وهي إحدى مراكز التفكير اليمينية ـ بالتعاون مع مؤسسة ريادة الحرية ـ شبكة خاصة شبه عسكرية هي «القوة القومية للحفاظ على الحرية»، والتي كان هدفها تمويل المناهضين للحكومة الساندينية في نيكارجوا. وظهرت هذه الشبكة في وضح النهار في ١ سبتمبر عام (١٩٨٤م)، عندما قتل اثنان من المرتزقة الأمريكيين، وهما عضوان في هذه الشبكة، في حادث هليوكبتر عندما

كانا يقذفان القنابل على أحد معسكرات الساندينية. ونعرف الآن بخصوص هذه الحادثة أن التمويل الذي تقدمه شبكة القوة القومية للحفاظ على الحرية يأتي بصورة أساسية من شبكة الإذاعة والتليفزيون التي يديرها القس بات روبرتسون، ومن الكنائس الموحدة للقس مون، ومن المساعدة العسكرية المدنية ومن أصدقاء أمريكا وعدد آخر من التنظيمات التي تعلن انتماؤها لليمين الجديد السياسي والديني.

وفي أكتوبر عام (١٩٨٦م)، أسقط جنود نيكارجوا طائرة كانت تقل أوجين هاسينفو عميل السي أي إيه. واستغل الكونجرس الأمريكي هذه الحادثة ليصعد الدعم إلى نيكارجوا والإعلان بوضوح عن العلاقات بين الحكومة الفيدرالية وكل التنظيمات التي كانت تدعم الكونترا. لكن، من جهة أخرى، لم يكشف قط عن الأسرار الكاملة لقضية إيران جيت.

وهناك بلد آخر في أمريكا الوسطى هو جواتيمالا حيث يمزج التبشيريون المنتمون إلى اليمين المسيحي بين كلام الله والإرهاب. ومن بين المجموعات التبشيرية العديدة، سافر أعضاء طائفة خمسينية تعود في أصولها إلى شمال إفريقيا، وتدعى «إنجيل أوتريش»، إلى جواتيمالا لتقديم النجدة إلى السكان هناك في أعقاب الزلزال الذي حدث في عام (١٩٧٦م)، ولم يكن هدفهم تقديم المساعدة فقط للضحايا، وإنما تحويلهم إلى البروتستانتية، وكانت أغلبيتهم من الكاثوليك. وكان الجنرال إفران ريوس مونت من أوائل الذين تم تجنيدهم في جماعة إنجيل أوتريش، وتحول على الفور إلى المذهب الخمسيني وشرع في إنشاء كنيسة كلمة الرب. وفي مارس عام (١٩٨٢م)، حمله انقلاب إلى السلطة وجعل منه أول رئيس غير كاثوليكي. واحتفل اليمين المسيحي بصعوده إلى السلطة بوصفه بركة إلهية على شعب جواتيمالا. وبعد أسبوع من استلامه السلطة قام بات روبرتسون بزيارة له.

أعلن أفران ريوس مونت بلغة صوفية، وبدعم من الولايات المتحدة، عن سياسة «الفاصوليا والبنادق»، بهدف القضاء على حرب العصابات. وفي الوقت نفسه، كان هناك إنجيليون ينتشرون في الغابات مزودين بالكتاب المقدس ومصممين على إبعاد الفلاحين من الهنود الحمر عن العقيدة الكاثوليكية التي كانوا ينظرون لها على أنها عقيدة متمردة. ولم تتوقف إذاعات الطوائف الأصولية عن إدانة الكاثوليك بوصفهم المحرضين الرئيسيين لحرب العصابات. وكان هناك اضطهاد فعلي للكاثوليك في الأرياف. كما كان هناك ملاحقات عنيفة لرجال الدين الكاثوليكي. وتمت إبادة طوائف الهنود الحمر، التي تربَّت روحيًّا على أيدي معلمين كاثوليك، عبر مذابح

دموية كتلك التي حدثت في سان فرانسيسكو نيتتون في ١٧ يولية عام (١٩٨٢م)، حيث تم التعرف على ثلاثمائة واثنين وخمسين من القتلى. وفي هذا الوقت كان عدد القتلى يقدر بعشرة آلاف من ضحايا نظام ايفران ريوس مونت (دياموند، ١٩٩٥م، ص ١٦٦).

وفي اليوم التالي لهذه المأساة، نظمت جماعة «إنجيل أوتريش» عملية مساعدة ممولة من بات روبرتسون. وفي ٨ يناير عام (١٩٨٣م) رفع الرئيس ريجان حظر المساعدة العسكرية عن جواتيمالا، الذي كان الرئيس جيمي كارتر قد شرعه في عام (١٩٧٧م)، نظرًا لانتهاك هذا البلد لحقوق الإنسان . وبعد إبعاده عن السلطة في أعقاب انقلاب، في ١٥ أغسطس عام (١٩٨٣م)، قرر الجنرال إيفران ريوس مونت تكريس جهوده لكنيسة «كلمة الرب». وفي عام (١٩٨٤م) دعاه بن أرمسترونج، رئيس اتحاد شبكة الإذاعات القومية الدينية، للمشاركة في المؤتمر السنوي لهذا الاتحاد الذي يضم الإذاعات الإنجيلية. وشارك إيفران ريوس مونت، في المناسبة ذاتها، في برامج تليفزيونية مع جيمي سواجارت وبات روبرتسون وجيم باكير.

وعبر عمليات مساعدة ومساندة عديدة للأنظمة اليمينية، قامت منظمات: إنجيل أوتريش، وإنجيل كرواساد، وأصدقاء أمريكا، والكرواساد المسيحية المناهضة للشيوعية وفروع أخرى لليمين الجديد السياسي والديني، بمقاومة الشيوعية في كل مكان في أمريكا الوسطى (هندراوس، سلفادور) وفي أمريكا الجنوبية (البرازيل، كولومبيا، بوليفيا). وفي الحقيقة، لم تقتصر نزعة النشاط لدى اليمين الجديد السياسي والديني على هذه المنطقة من العالم. بل كان يلاحق الشيوعية في كل مكان في العالم: في أنجولا، وزيمبابوي، وموزمبيق، وجنوب إفريقيا، والفلبين، ولاوس، وفيتنام. ومن المهم الإشارة إلى أن مبشري اليمين المسيحي في كل مكان كانوا يعملون، تحت غطاء العمل الإنساني، جنبًا إلى جنب مع العسكريين الذين انخرطوا في مذابح للهراطقة والسكان المدنيين. وتنقل سارة دياموند أقوال إنجيلي أمريكي أثناء جولة في قواعد عسكرية في سان سلفادور: «القتل من أجل لذة القتل عمل ظالم، لكن القتل عندما يكون ضروريًّا لمكافحة نظام كافر، أو الشيوعية، لا يعتبر عملاً عادلا فقط، وإنما أيضًا واجبًا على كل مسيحي» (ص ١٧٧). وثبت أخيرًا أن ثمة علاقة وثيقة بين مبشري اليمين الجديد السياسي والديني وأجهزة الجاسوسية الأمريكية. وعلى حد قول سارة دياموند، هناك من ١٠ إلى٢٥٪ من المبشرين قدموا، في عام (١٩٧٥م)، معلومات لأجهزة الاستخبارات الأمريكية(ص١٨٠).

في أمريكا اللاتينية، لم يكتف الإنجيليون بمساندة الحركات المناهضة للشيوعية. قاوموا

لاهوت التحرير بمساعدة السي آي إيه بإنشائهم كنائس خمسينية وكارزمية، في كل مكان، كلما كان ذلك ممكنًا، مع مساندتهم لأدنى حركة متعصبة يمكن أن تشكل قوة مضادة.

وكما أوضحنا سابقًا فإن المساندة السياسية الصريحة التي يحملها اليمين المسيحي لدولة إسرائيل تجد تبريرها في الدور المفترض أن تقوم به إسرائيل في تحقيق النبوءات الكتابية المتعلقة بنهاية الزمان. وهكذا يزور الإنجيليون التليفزيونيون إسرائيل بصورة منتظمة وحيث تذاع برامجهم. وفي الغالب، يستقبلون أيضًا في برامجهم شخصيات سياسية إسرائيلية من الدرجة الأولى، مثل رئيس الوزراء السابق بنيامين نتانياهو. ومؤخرًا عبأ اليمين المسيحي قواه من أجل الدفاع عن حل دولة وحيدة في صراع الشرق الأوسط. ومن العلامات الملموسة على هذا الالتزام تعاظم عدد المسيحيين الإنجيليين الذين قرروا الاستقرار في الأرض المقدسة. كما نظم القس جورج موريسون وزوجته شيريل، وهما يديران كنيسة إيمان الكتاب المقدس بدنفير في كولورادوا، مسيرة نحو واشنطن لمليون من المسيحيين للمطالبة بنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس.

تبنى اليمين المسيحي سياسة عنيفة ضد أي شكل من أشكال الانفراج فيما يتعلق بالعلاقات الأمريكية ـ السوفيتية. وعندما تم توقيع اتفاقية القوى النووية الوسيطة، في ديسمبر عام (١٩٨٧م) في واشنطن، اتهم اليمين المسيحي ريجان بأنه حنث بوعده العلني بألا يضعف في مقاومته للسوفيت في مسألة الرقابة على الأسلحة.

أيضًا أنتجت قناة روبرتسون التليفزيونية (CBN) نسخة دولية من برنامج نادي السبعمائة، مختلفة قليلاً عن النسخة الأمريكية وموجهة لأمريكا الوسطى (جواتيمالا، سلفادور، نيكارجوا) وأمريكا الجنوبية (كولومبيا، الأرجنتين).

ومنذ انهيار الإمبراطورية السوفيتية صارت دول أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي السابق أرضًا جديدة لمهام طوائف أمريكية متنوعة يبرز بين صفوفها كنائس إنجيلية وخمسينية قريبة من اليمين المسيحي. وكان بات روبرتسون وأقرانه من المبشرين النشطين للغاية في هذه المنطقة من العالم: يوزعون الكتاب المقدس، يذيعون برامج مسموعة ومرئية، يقدمون مساعدات إنسانية وينظمون لقاءات كبيرة. وفي عام (١٩٩٠م) بدأ بات روبرتسون جهدًا كبيرًا في بث برامجه داخل روسيا، وكذلك في البلاد ذات التقليد الإسلامي مثل أوزبكستان وكازاكستان. وفتحت شبكة بات روبرتسون (CBN) مكاتب لها أيضًا في كييف وأوكرانيا حيث كانت توزع أدبًا تبشيريًا

مطبوعًا بملايين النسخ. في كيف أيضًا ساهمت شبكة روبرتسون في تمويل بناء مؤسسة تبشيرية. وكان روبرتسون يقود عمليات مساعدة روحية ومادية تحت رعاية «عملية البركة»، وهي مؤسسة تبشيرية أسسها في عام (١٩٧٨م). وشملت، على سبيل المثال، توزيع الكتاب المقدس في رومانيا، وتقديم مساعدات مالية للمهمشين في كينيا. وتحركت «عملية البركة» أيضًا بين من لا مأوى لهم وتدخلت عبر العالم في لحظات الكوارث الطبيعية (أعاصير، فيضانات).

في ٢٣ أغسطس عام (٢٠٠٥م)، دعا بات روبرتسون، على شبكة (CBN)، إلى اغتيال هوجو شافيز. فالتصفية الجسدية للرئيس الفينزويلي شافيز «العدو الخطير» للولايات المتحدة، «قد يكون أقل تكلفة من شن حرب»، كما صرح بذلك. «وبعد أن دمر اقتصاد فينزويلا، يريد شافيز أن يجعل من بلده أداة للتغلغل الشيوعي والتطرف الإسلامي إلى القارة»، وفقًا لتصريحاته. وقد وضعت هذه التصريحات المسئولين السياسيين الأمريكيين في وضع حرج. وصرح متحدث رسمي بأن هذه الأقوال «لا تمثل سياسة الولايات المتحدة» وأنها «غير مناسبة»، كما وصفها ماكورميك (دولاكاس، ٢٠٠٥م) .

وبعد اعتذاره مباشرة، في ٩ أكتوبر عام (٢٠٠٥م)، أطلق بات روبرتسون اتهامات جديدة ضد الرئيس الفينزويلي، على شبكة CNN قائلاً: «الحقيقة أن هذا الرجل في طريقه لتأسيس ديكتاتورية على نمط ماركسي في فنزويلا. ويسعى إلى نشر الماركسية في كل أنحاء أمريكا الجنوبية، ويتفاوض مع الإيرانيين للحصول على مواد نووية. وأرسل أيضًا (١,٢) مليون دولار إلى أسامة بن لادن بعد أحداث ١١ سبتمبر تمامًا» (بوسطن، ٢٠٠٥م).

وردًا على هذه الاتهامات التي نظرت إليها العاصمة كراكاس على أنها «خطيرة للغاية»، قرر هوجو شافيز، في ١٢ أكتوبر، طرد مبشرين إنجيليين أمريكيين ـ أعضاء حركة القبائل الجديدة ـ المقيمين في أماكن مكتظة بالسكان من الهنود الحمر، متهمًا إياهم بإرسال معلومات إستراتيجية للحكومة الأمريكية . وصرح شافيز أنه اكتشف تحركات هؤلاء المبشرين، الذين وصفهم بأنهم توابع الإمبريالية، عبر تقرير عسكري وشريط فيديو. وتوجد علامات صراعية بين الرئيس شافيز وحكومة الرئيس جورج بوش، والذي يتهمه شافيز بأنه يريد الانقلاب عليه بل واغتياله. ويشتبه في أن واشنطن كانت وراء انقلاب إبريل عام (٢٠٠٢م)، والإضراب الكبير من ديسمبر عام (٢٠٠٢م) إلى فبراير عام (٢٠٠٣م)، الذي كان يستهدف تدمير الصناعة البترولية الفينزولية.

الخلاصة

أسفرت انتخابات عام (١٩٨٠م) عن ظهور اليمين المسيحي كقوة انتخابية تفرض على الحزبين الكبيرين وضعها في الحسبان، إذا أرادا أن يحصلا على مقعد في الكونجرس، أو مركز حاكم ولاية أو منصب الرئاسة. وبعد رونالد ريجان استفاد جورج دبليو بوش من دعم الإنجيليين الذين اعتبروه واحدًا منهم، خاصة بسبب اهتدائه الشخصي وتقواه . ومنذ انتخابه في مركز حاكم ولاية تكساس وحتى إعادة انتخابه على رأس السلطة الفيدرالية في عام (٢٠٠٤م)، تعكس عناصر كثيرة من مسيرته على الثقل المتصاعد للإنجيليين على الساحة السياسية الأمريكية.

نجح اليمين المسيحي، في العقدين الأخيرين، في تعديل مسار الحوار العام بصورة ذات دلالة كبيرة، وجعل من القيم الأخلاقية ـ الإجهاض، المثلية الجنسية، الصلاة في المدارس ـ قضايا رئيسية لا يمكن إغفالها. وأطلق الحوار أيضًا حول تعديل الدستور، وذلك بغرض إلغاء قرار المحكمة الصادر في ١٩٧٣م والخاص بالإجهاض، وكذلك لمنع الزواج بين أشخاص من الجنس نفسه .

تكمن أصالة اليمين المسيحي، علاوة على سياسة القيم، في تجذره الديني الراسخ، وبصفة خاصة طابعه الإنجيلي الذي يميزه عن حركات اليمين الأخرى الماضية والحاضرة. فبعد عقود من الصمت والانسحاب من الحياة السياسية تحول البروتستانت المحافظين (إنجيليين، أصوليين، خمسينيين) إلى الانخراط في العمل السياسي داخل اليمين المسيحي، عبر إدارة حملة ضد الإجهاض والمثلية، وعبر تأمين المرشحين من غلاة المحافظين . وبينما كانوا يدينون، في الماضي، الكنائس التي ساندت حركة «الحقوق المدنية»، يدعو قادة التيار الإنجيلي اليوم إلى تعبئة الأفراد والمؤسسات الدينية معًا. وأصبح الالتزام السياسي، في نظرهم، الوسيلة الأكثر ملاءمة للتأثير على هياكل وتوجهات الهيئة الاجتماعية.

تكمن قوة اليمين المسيحي في قدرته على تعبئة الناخبين الإنجيليين. ومن خلال تغيير عملهم

مع وسائل الاتصالات الجماهيرية ـ برامج استعراضية تليفزيونية، جمع الأموال، استخدام المعلوماتية ـ والاستناد إلى شبكات محلية وبني تحتية إعلامية ذات فعالية عالية، يؤثر قادة الحركة مباشرة على شريحة من السكان يمكن أن تصل إلى أربعة ملايين من الناخبين المرتبطين بهم بصورة وثيقة. وعندما لا يكون اليمين المسيحي راضيًا يهدد بأن يطلب من ناخبيه البقاء في منازلهم ليشجع سياسة المقعـد الفارغ. ويشكل إمكانية تغيير المشاركة الانتخابية مرتكزه الرئيسي في العمل. وطالما أن الرئيس ـ والجمهوريين بشكل عام ـ سيظلون مسكونيين بالانتصار الذي تحقق بالكاد في انتخابات عام (٢٠٠٠م)، فإن هذا المرتكز سيظل محتفظًا بكل أهميته.

أظهرت نتائج الانتخابات الرئاسية في عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٤م أن قوة الرئيس، المولود ثانية مسيحيًّا تأتي، في قسم منها، من اليمين المسيحي، وأن مساندة الطائفة الإنجيلية ضرورية له للحفاظ على سلطته. وليس من المهم كثيرًا أن يكون مؤمنًا جيدًا أو مجرد انتهازي، فالرئيس استملك لغة وشعارات اليمين المسيحي، بصورة رئيسية لأنه كان يعرف أن هذا اليمين المسيحي كقوة انتخابية يملك القدرة على إعادة انتخابه لرئاسة ثانية.

ومع انتخاب جورج دبليو بوش، نجد للمرة الأولى شخصيات إنجيلية قريبة من اليمين المسيحي تصعد إلى الأروقة العليا للسلطة. وإذا كان كل مستشاري الرئيس بوش، وكل الذين يحيطون به ليسوا من المسيحيين الإنجيليين، فإن هناك بصمة واضحة من الحماسة المسيانية تطبع رؤيتهم للعالم. من جهة أخرى، اعتبرت مأساة ١١ سبتمبر، من منظور ما، نقطة إيجابية لليمين المسيحي، من زاوية أنها ساهمت في تكثيف هذه الحماسة، وفي التقريب أيضًا بين الرئيس الأمريكي والطائفة الإنجيلية الأكثر تصميمًا من أي وقت مضى.

كان اليمين المسيحي أكثر نجاحًا على الصعيد المحلي في صراعات ذات طبيعة أخلاقية واجتماعية،مما كان عليه الأمر على الصعيد السياسي القومي، حتى إذا كان قد ساهم في انتخاب وإعادة انتخاب رونالد ريجان وجورج دبليو بوش. ومع ذلك، وبالمقارنة مع الجهد المبذول، فإن النتائج التي يصبو إليها اليمين المسيحي ما زال أمامها بعض الوقت. وبتعبير آخر، يظل تأثير اليمين المسيحي أقل من قوته الانتخابية. ومع بعض الاستثناءات تقريبًا، لا يتناسب هذا التأثير مع نزعة النشاط التي عبر عنها اليمين المسيحي.

لم يصل قادة اليمين المسيحي، بشكل عام، إلى تحقيق أهدافهم. ولم يكونوا على درجة من القوة

تسمح لهم بتعديل التشريع الفيدرالي، ولا بالتأثير الكبير على مسار العادات والأخلاق، ويظل «المجتمع المسيحي» الذي يدعون إلى تأسيسه، مجرد أمنية ورعة. وإذا كان من الحقيقي أنه يملك ثقلاً انتخابيًّا لا يمكن التشكيك فيه، في دوائر كثيرة، وأنه عمل على تعزيز جناح اليمين بالحزب الجمهوري، وأنه يتحكم في المنظمات المحلية في عشرين ولاية، فإن اليمين المسيحي، مع ذلك، لم ينجح في خفض نسبة الطلاق ونسبة الإجهاض ونسبة الأطفال المولودين خارج مؤسسة الزواج. ولم تتحول النساء إلى البقاء في منازلهن بصورة كبيرة. ولم يصبح التعليم الديني إجباريًّا في المدارس، ويمكن أن يقال الشيء ذاته عن الصلاة التي ظلت مبعدة عن المدارس العامة. ولم ينجح اليمين المسيحي في تجريم المثلية الجنسية، ولا في تغيير المقررات المدرسية بغرض أن تكون متوافقة مع رواية الكتاب المقدس عن الخلق. كما يظل مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة في الولايات المتحدة حقيقة واقعية لا يمكن إنكارها.

لم ينجح الحضور القوي للإنجيليين في البيت الأبيض، والذي سلطت عليه أضواء الإعلام كثيرًا، ولا الضجة المصاحبة لجهود اليمين المسيحي في إخفاء حدود هذه الحركة. ولا يقبل كل الأمريكيين خطابه، بل على العكس تدينه بعنف الغالبية العظمى من الأمريكيين .

وتعيش رؤيته عن «أمة مسيحية» في حالة توتر مع الواقع المتعدد للمجتمع الأمريكي. فأغلب الأمريكيين يقتربون من موقف أكثر وسطية على الصعيد السياسي. ويؤيدون اقتصاد ليبرالي بشكل واضح، لكنهم لا يرفضون في الوقت نفسه دولة الرعاية بصورة كاملة. ويريدون أن تكون الولايات المتحدة قوية على الصعيد العسكري، لكن بدون أن تكون ذات سلوك حربي. وإذا كان المجتمع الأمريكي يبدو تقليديًّا فإنه ليس مجتمعًا مغلقًا، ويظل الأمريكيون منفتحين بصورة عجيبة للتجديد والابتكار في كثير من المجالات.

لم يستطع اليمين المسيحي أن يفرض مرشحًا دينيًّا من صفوفه مباشرة. ويثير قادته ومنظماته الأكثر ظهورًا حذرًا ومعارضة بين الناخبين. لكنه حقق بعض الانتصارات عندما كان قادرًا على تقديم مرشح مقبول وغير متطابق تمامًا معه.

لا يأمل عدد من الجمهوريين أن يبقوا منغلقين في القضايا الجدالية لليمين المسيحي. ونادرًا ما كانت هناك قرارات سياسية كبيرة لحكومة مستلهمة من قبل اليمين المسيحي. فقرار الحرب الوقائية، وتغيير النظام في العراق والنزعة الأحادية القطب واحتقار المؤسسات الدولية وخفض

الضرائب على الدخول الأكثر ارتفاعًا وتقليص حماية البيئة، هي إجراءات حددها خبراء وإستراتيجيون لم يكن باعثهم على صلة مطلقًا بما هو ديني.

وعلى نقيض من طموحات قادته لم ينجح اليمين المسيحي قط في جمع المواطنين أبعد من دوائر الـ (WASP) أي البروتستانت البيض الأنجلوساكسون. وكي يصير حركة شعبية فعلية في الولايات المتحدة يفترض أن يكسب جمهور السود وجمهور الحركة النسائية والمجموعات الدينية الأخرى مثل الكاثوليك واليهود والمسلمين. والحال أن الأساقفة الكاثوليك على سبيل المثال، يبدون موقفًا حذرًا تجاه فكرة تشجيع مشاركة مؤمنيهم في منظمات دينية تحت زعامة غير كاثوليكية بشكل صريح. وتأتي عقبات أخرى من النزعة المناهضة للكاثوليكية لدى الإنجيليين المحافظين، ومن اختلافات فيما يتعلق بعقوبة الإعدام أو المسئولية الحكومية نحو الفقراء، أو النزعة الأمريكية الأحادية الطرف في المنظمات الدولية، والفجوة بين الخطابات المؤسسة على بلاغة كتابية (إنجيليين) وبين أولئك الذين يستندون إلى القانون الطبيعي (كاثوليك).

توجد اختلافات عميقة، بل ومنافسات، بين مختلف فروع اليمين المسيحي. ويظل الانقسام الإنجيلي/ الأصولي الأكثر بروزًا اليوم : فقادة مثل بات رويرتسون لم يتوصلوا دائمًا إلى ضم الطبقات المتوسطة الإنجيلية الأمريكية.

وإذا كان اليمين المسيحي يثير اهتمام المرشحين الجمهوريين، فإنه لا يزال بعيدًا عن أن يكون الحليف المفضل للرؤساء المنتخبين، الذين ينظرون له على أنه مربك لهم بعد أن يصلوا إلى السلطة.

وفي نهاية المطاف، ربما يكون سار كأنه آلة لجذب الأصوات للحزب الجمهوري، وما حصل عليه اليمين المسيحي، أكثر من مرة، من محكمة محلية أو محكمة ولاية تم رفضه من قبل المحكمة العليا.

وعلى نقيض ما قد يتوقعه المرء فإن العلاقات بين جورج دبليو بوش واليمين المسيحي بعيدة عن أن تكون واضحة ومسالمة. وعند الحاجة، لا يجد الرئيس حرجًا في الابتعاد عن حلفائه الإنجيليين. وهكذا انتقد صراحة البعض منهم لهجومهم على الإسلام . فالاحتجاجات التي صاغها اليمين المسيحي ضد الاضطهاد الديني في الصين لم تمنع حكومته من العمل بصورة وثيقة مع هذا البلد في القضايا النووية والتجارية. ويعرف بوش أنه في حاجة إلى الكتلة الانتخابية

البروتستانتية المحافظة بالجنوب، وهو على وعي أيضًا بانعدام شعبية قادة اليمين المسيحي. ولا يتردد في مغازلة هذا القطاع من كتلته الانتخابية، غير أنه لا يترك نفسه يقاد من قبل قادة اليمين المسيحي. في النهاية، فإن تأثير الإنجيليين على الرئيس بوش أقل من الأضواء الكثيرة التي سلطها الإعلام على حضورهم في أروقة السلطة العليا.

يشعر اليمين المسيحي بإحباط على قدر الآمال التي انعقدت على رئاسة بوش الثانية في نوفمبر عام (٢٠٠٤م) في تحقيق أمانيه. ومع شعوره بالحسرة والجراح إلا أنه لم ييأس، بل على العكس، يكشف عن مثابرة وجلد. وقرر ألا يترك شيئًا. فهل يكون لعزمه نتيجة يومًا ما؟ ليس هناك ما هو مؤكد في هذا الشأن.

هوامش الكتاب

هوامش المقدمة:

- http://www.cs.umb.edu/jfklibrary/j091260.htm

هوامش الفصل الأول:

١- ظهرت عقيدة «الاستثناء الأمريكي»، في سنوات الثلاثينيات، داخل أحد اتجاهات الشيوعية الأمريكية التي كانت تبحث عن تفسير فشل الاشتراكية الماركسية في أمريكا. كان أصحاب «الاستثناء الأمريكي» يقارنون بين الصراعات المحدودة والمصطنعة الخاصة بأمريكا والانقسامات الاجتماعية والسياسية العميقة والدائمة التي ميزت أوروبا، وانتهت إلى الثورة والديكتاتورية. ويوظف الاستثناء الأمريكي كأساس مبطن للتفسير التوافقي للسياسة الأمريكية التي ركز عليها مؤلفون مثل ريشار هو فستادتير ولوي هارتز، والتي كانت تحليلاتهم مهيمنة في الخمسينيات.

٢- *من الضروري الإشارة إلى أن فرضية «الاستثناء الديني» للولايات المتحدة وضعت موضع تساؤل على جانبي الأطلنطي. انظر فروادیفو ٢٠٠٠م، راندكا،٢٠٠٣م.*

٣- في عام (١٩٥٢م) وعبر تشريع من الكونجرس صار « اليوم القومي للصلاة » (NDP) حدثًا سنويًا رسميًا مسجلاً في الأجندة القومية .

٤- أحد الشعارين القوميين الأمريكيين، وهو « بالله نثق » يظهر على كل الأوراق النقدية الأمريكية وكذلك على كل العملات المعدنية، وذلك منذ زمن .

٥- يرى جون وينثروب، حاكم خليج ماساشوستس زهاء عشرين عامًا، أن السلطة لا يمكن أن تكون إلا دينية . وكان يبرر معارضته للديمقراطية بواقع أنه لا يجد لها أي سند في الكتاب المقدس.

٦- في الولايات المتحدة تسمي بالقوانين الزرقاء كل التشريعات المحلية ـ غالبًا على صعيد الولاية أو المقاطعة — التي تمنع بعض النشاطات يوم الأحد، وهي تشريعات ذات طبيعة أخلاقية.

٧- تركز فلسفة الأنوار على الاستقلال الذاتي للفرد، وأولوية العقل على الإجبار في تكوين آرائه ومعتقداته.

٨- بخلاف الحرية الدينية، يكرس التعديل الأول حرية التعبير أيضًا وحرية الصحافة وحرية الاجتماع وكذلك حق المواطنين في مطالبة الحكومة بإصلاح التجاوزات والأخطاء.

٩- الرئيس جيفرسون، من عام (١٨٠١م) إلى عام (١٨٠٩م)، رفض دائمًا أن يفرض على البلد أيام صلاة أو أعمالاً خيرية، وكان يرى أن هذا ليس دور الرئيس.

١٠- في عام (١٩٦٢م)، وفي قضية إنجيل / فيتال أعلنت المحكمة العليا أن قوانين الولايات التي سمحت بالصلوات والاحتفالات الدينية في المدارس العامة غير دستورية.وفي قضية إيبنجتون سكول/ شيمب (١٩٦٣م) أعلنت المحكمة أنه غير دستوري قراءة مقاطع من الكتاب المقدس أو إنشاد "أبانا" كل صباح في مدرسة إيبنجتون بولاية بنسلفانيا.

١١- انظر أيضًا ليبمان وكوهين ١٩٩٠م.

١٢- في هذا المعني كتب مارتن لوثر :« بما أن السلطة الزمنية أنشأها الله لمعاقبة الأشرار وحماية الأخيار، ينبغي أن نترك عملها يمتد بحرية وبدون معوقات داخل العالم المسيحي بأسره، بدون اعتبار لأي شخص سواء كان البابا أو أساقفة أو كهنة أو رهبانًا أو راهبات أو أيًا كان » (مارتن لوثر في بارية، ١٩٨٧م، ص ٢٠) .

١٣- من أجل تعريف مكتمل للإنجيلية والأصولية، انظر الفصل الثاني.

١٤- يعترف جيري فالويل بأن فكرة الأغلبية الأخلاقية أطلقها بول ويريش « أثناء فترة الغذاء، نظر لي ويريش، وهو واحد من أفضل أصدقائي وأمريكي كبير، وقال :«جيري، هناك في أمريكا أغلبية أخلاقية متفقة حول عدد من القيم . إلا أنها أغلبية غير منظمة وليس لها برنامج، ويتجاهلها الإعلام . ينبغي أن يقوم أحد بتجميع هذه الأغلبية الأخلاقية » . وفي الوقت ذاته يؤكد فالويل أنه المؤسس الحقيقي لها. انظر فالويل، ١٩٨٧م، ص ٣٥٩.

١٥- صرح وليام جيننجز تحديدًا أن «كل الأوجاع التي تعاني منها أمريكا يمكن أن تعزى إلى تعليم نظرية التطور، وأنه من الأفضل تدمير كل الكتب المكتوبة في هذا الشأن ولا يتم الإبقاء إلا على الآيات الثلاث الأولى من سفر التكوين» (وليام جيننجز بريان في فورنيس، ١٩٦٣، ص ٦٣).

١٦- في سلميا، الاحتجاجات غير العنيفة ضد التميز العنصري قابلتها وحشية العنصرية الجنوبية . وأفضت المواجهات العنيفة، في الشمال والغرب إلى استياء كان سببا، في جزء كبير، في إقرار مرسوم الحقوق في عام (١٩٦٥).

١٧- بعد إقرار مجلس النواب في أكتوبر ١٩٧١م قانون المساواة بين الجنسين ERA تم إقراره من قبل مجلس الشيوخ في مارس ١٩٧٢م إلا أنه قد تم رفضه نهائيًا في ١٩٨١م نظرًا لعدم تصديق الولايات. وتم هذا، في جزء كبير منه، نتيجة نشاط فليس شافلاي وأقارنها من المحافظين حيث لم يتحصل قانون المساواة ERA على تصديق ثماني وثلاثين ولاية التي ينص عليها الدستور.

١٨- توفيت في ١٩٨٣م، وكانت أختها روث كارتر ستابليتون داعية معروفة. وكتبت كتابين the gift of Inner healing (١٩٧٦م)، Brother Billy (١٩٧٨م).

١٩- ليسوا أعضاء في الكونجرس وليسوا منتخبين محليين، وإنما مناضلون طموحون وعمليون يعرفون كيف يحملون إلى السلطة أو يبقون فيها على رموز الحزب، وهذا بفضل معرفتهم التامة بالأوساط السياسية والإنجيلية وعالم رجال المال.

٢٠- جاري بوير، وهو أحد الرموز المتحمسة للأخلاق الدينية في أمريكا، عمل في إدارة ريجان زهاء ثمانية أعوام بصفته نائب وزير دولة لشئون التعليم، ومارس في العامين الأخيرين من رئاسة ريجان وظائف المستشار الأول للشئون السياسية الداخلية. ويقوم اليوم اثنان من المكونات المهمة لليمين المسيحي: القيم الأمريكية ومجلس أبحاث الأسرة.

٢١- الخطوط الكبرى لهذا البرنامج الذي أعده نيوت جينجريتش والجمهوريون المحافظون، هي: عمل توازن للميزانية، خفض الضرائب، إعادة تشكيل الحكومة، إضفاء الطابع الأخلاقي على الحياة السياسية ومقاومة الجريمة، ونجد وصفًا تفصيليًا لمحتوى «العقد مع أمريكا» في جيلسبي وشيلهاس عام (١٩٩٤م).

٢٢- اختيار فالويل ورفاقه لتسمية الأغلبية الأخلاقية يتأسس حول قناعة أنهم يمثلون أغلبية المواطنين الأمريكيين؛ لأنهم يعتقدون أن الله إلى جانبهم.

٢٣- في عام (٢٠٠١م)، اختار التحالف المسيحي مقره في واشنطن.

٢٤- http://www.Lc.org/libertyalert/2004/ la 1109oy.htm

هوامش الفصل الثاني:

١- عندما ظهرت البروتستانتية، في القرن السادس عشر، كانت في معظمها تقدم نفسها بوصفها «إنجيلية» للتعبير عن رغبتها في الانفصال عن التراث الكاثوليكي الروماني بغرض إعادة اكتشاف الحقيقة الأصلية للإنجيل. وصار المصطلح من بعد مرادفًا للعودة إلى المنبع الأصلي للعقيدة.

٢- يرى ثلثا الأمريكيين السود أنفسهم كمعمدانيين، وهم يتجمعون بصورة رئيسية في المؤتمر القومي المعمداني للولايات المتحدة (يشمل ما يقرب من ٩ ملايين عضو) والمؤتمر القومي المعمداني لأمريكا (يشمل ما يقرب من أربعة ملايين عضو).

٣- يشار إلى «نزعة فردية خلاصية» لوصف هذا البحث للخلاص الفردي.

٤- من أجل فهم أسباب الأفول النسبي للبروتستانتية ذات الاتجاه الليبرالي وصعود البروتستانتية الإنجيلية انظر كيلي ١٩٧٢م - هوج، جونسون ولويديس، ١٩٩٤م.

٥- جابرييل فاكر، من مدرسة نيوتن التكنولوجية، يقدم قائمة تحتوى على ست طوائف إنجيلية: الأصوليون (الجداليون والانفصاليون). الإنجيليون القدامى (الذين يركزون على الاهتداء الشخصي والتبشير الواسع النطاق)، والإنجيليون الجدد (الذين يقبلون المسئولية الاجتماعية والدفاعية)، والإنجيليون المؤيدون للعدالة والسلام، والإنجيليون الكارزميون، والإنجيليون المسكونيون (المهتمون بالوحدة والتعاون) (جابرييل فاكر ١٩٩٣).

٦- في الواقع، هارولد أوكينجا هو الذي ابتكر تسمية «الإنجيليون الجدد»، واستخدمها للمرة الأولى في عام (١٩٤٨م) أثناء خطاب ألقاه في سينمار فوللر اللاهوتي الذي كان رئيسه، ومن أجل دراسة أكثر تفصيلاً وأكثر اكتمالاً للإنجيلية الجديدة، انظر (مارسدن، ١٩٨٨).

٧- (قراءة في ٣٠ إبريل ٢٠٠٤) http://www.wheaton.edu/isae/gallup-bar-graph.html.

٨- http://www.PBS.org/wnet/Religionandethics/week 733/release.html.

٩- انظر الملف المعنون بـ «الإنجيليون» الطائفة التي تريد غزو العالم. النوفيل أوبسرفاتور، ٢٦ فبراير - ٣ مارس ٢٠٠٤م، ص ١٦-٣٠.

١٠- http://www.PBS.org/wnet/Religionandethics/week 733/release.html

١١- المرجع ذاته

١٢- المرجع ذاته

١٣- المرجع ذاته

١٤- المرجع ذاته

هوامش الفصل الثالث:

١- ولا يمنع هذا من أن يرى البعض دور الأم كتهديد للتوازن الجيد للأطفال الذكور. بل ويتم الحديث عن الأم التي تخصي، وعن نزعة أمومية عندما يتغيب الأب بسبب عمله.

٢- بالنسة للزعيمة النسائية الكبيرة كات ميليت، على سبيل المثال، فإن المجتمع بأسره كان آلة ضخمة، حيث يجد طغيان الأسرة البطركية نهايته المنطقية . وحيث تكون النساء المستعبدات ضحايا بصورة لا تتغير.

٣- «لا تقتل» (الخروج ١٣:٢٠).

٤- من بين القرارات الكثيرة التى تحد من الحق في الإجهاض يمكن أن نشير إلى قرار في قضية وبستر ومركز صحة الإنجاب، في عام (١٩٨٩م) . فقد دعيت المحكمة للنظر في قانون ميسوري الذي يقر أن حياة كل كائن إنساني تبدأ منذ بدء الحمل، فاعترفت المحكمة العليا بأن للولاية الحق في تحديد إمكانات الإجهاض في بعض الحالات .

٥- تعبير «خروج من حالة الاختباء» يصف حالة الكشف العام عن توجهه الجنسي والمتوافق مع المطالبة بحق الوصول لكل الوظائف بوصفه مثليًا جنسيًا .

٦- من الأمور المثيرة للغرابة أن بعض كارهي المثلية الجنسية والأكثر عنفًا مثل روي ماركوس كوهين، وهو المستشار القانونى للسيناتور جوزيف مكارثي، الذي كان يفتش في حياة الشخصيات الكبيرة بهوليود، متهمًا إياهم بأنهم من الشيوعيين، تكشفت الأمور عن كونه من المثليين جنسيًا. ومؤخرًا، في عام (٢٠٠٥م)، تزوج أرثر فينكلستاين، وهو مستشار سياسي للسيناتور جيس هيلمز، مع رجل آخر وهو في التاسعة والخمسين من عمره.

٧- الشعار ذاته هو اسم لموقع ويب لكنيسة ويستبورو المعمدانية الواقعة في توبيكا في كنساس www.godhatesfags.com

٨- عن زواج المثليين في أمريكا انظر سوليفان، ١٩٩٧م، مواتس، ٢٠٠٤م .

٩- من الملائم الإشارة إلى أنه في عام ١٩٩٨م، قصر تعديل بالدستور، في هاواي، الزواج على الأزواج من جنس مختلف [أي ذكر مع أنثى] وتم قبوله من ٦٧٪ من المصوتين. وفي أعقاب هذا الاستفتاء صرحت المحكمة العليا في هاواي، في عام (١٩٩٩م)، أن الأشخاص من الجنس نفسه لم تعد هناك أى إمكانية أمامهم للزواج.

١٠- ركزت فلسفة الأنوار على الاستقلال الذاتي للفرد، وعلى أولوية العقل على الإكراهات في تشكيل آرائه ومعتقداته.

١١- كان هذا الإصلاح يهدف إلى السماح لكل الأمريكيين بالاستفادة من ضمان اجتماعي وتأمين صحي على وجه الخصوص.

١٢- ينص التعديل الثانى بالدستور على أن «وجود ميلشيات منظمة جيدًا أمر ضروري لأمن دولة حرة. ولن يكون ذلك تعديًا على حق السكان في إمتلاك وحمل السلاح». أنظر شلهوب، ١٩٨٢م، وسبيتر، ١٩٩٥م .

١٣- لأنه جعل أوساط المال اليهودية الكبرى- ممثلة في ناثان مايرروتشيلد وبول واربورج وجاكوب شيف – مركز الثقل في المؤامرة اليهودية الماسونية الشيوعية . وقد أثار كتاب «النظام العالمي الجديد» ضجة شديدة .

١٤- لم تتعرض الأراضي الأمريكية لإعتداءات خارجية منذ حرب، ١٨١٢ ضد البريطانيين .

١٥- NBC نايتلي نيوز، ١٦ نوفمبر عام (٢٠٠٣م).

١٦- في يولية عام (٢٠٠٣م) تمت دعوة جيري فالويل وبات روبرتسون وبيني هين - وهو إنجيلي آخر من المشهورين - إلى البيت الأبيض لمقابلة كولن باول وكوندوليزا رايس. وكان منظما اللقاء رالف ريد وكارل روف يران أنه من الضروري أن تعبر الشخصيات المدعوة عن وجهات نظرها إلى باول ورايس بهدف تغيير وجهات نظرهما عن أى محاولة للتصالح مع الفلسطينيين .

١٧- في ١٩٩٤م، نشرت رابطة مناهضة التشهير (ADL) تقريرًا عن اليمين المسيحي يتهم روبرتسون والإنجيليين المحافظين بأنهم يعرضون مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة للخطر. انظر رابطة مناهضة التشهير،١٩٩٤م .

١٨- التحالف المسيحي، www.cc.org , 2001 hause score card, senate scorecard 2001 .

١٩- ومنها هذه النماذج: جامعة كولورادو المسيحية، كوليج كونتاكي المسيحي، كوليج أو كلاهوما المسيحي، كوليج بينساكولا المسيحي، كوليج الثالوث المسيحي. ولنلاحظ أن هذه التسميات تشكل مصدرًا للخلط ، نظرًا لأنها تجعل من المتعذر التمييز بين المؤسسات الأصولية والمؤسسات الإنجيلية .

٢٠- في عام (١٩٨٩م)، كان أكثر من نصف المتخرجين الحاصلين على دبلومات جامعة ليبرتي من المتخصصين في التجارة وعلوم التربية، بينما لم يمثل عدد الحاصلين على دبلومات في الدراسات الدينية سوي ١٠٪، انظر مارتي وابيلي، ١٩٩١م، ص٥١٢ .

هوامش الفصل الرابع:

١- سلوك بعيد تمامًا عن هذا الحياء على الطريقة الفرنسية ، الذي يريد من الشخصيات العامة ، ألا تعلن أبدًا علانية عن معتقداتها .

٢- دور القائد أو الصانع هو شحذ المشاهدين ودعم الأكثر تفوقًا في فريقه.

٣- نظرًا للغموض الذي يحيط بها والذي تحافظ عليه بعناية منذ مائة وثلاثة وسبعين عامًا أصبحت جماعة «الجمجمة والعظام» موضوعًا لإشاعات ومخاوف . وقد هيمن على «إرشادية الموت» كما تحب هذه الجمعية أن تسمي نفسها، أسماء لامعة بالمؤسسة الأمريكية وأصحاب الثروات الكبيرة ـ بوش، هاريمان، فليبس روكفلر، تافت، ويتني. وهناك خشية من سلطتها الخفية انظر روبنز ٢٠٠٣، ميلجان، ٢٠٠٣ .

٤- خطب الرئيس بوش عن حالة الاتحاد متوفرة على موقع http://www.whitehouse.gov .

٥- الأمر التنفيذي للرئيس بوش رقم ١٣١٩٩: «مؤسسة البيت الأبيض، مكتب الإيمان وجماعة المبادرات» ٢٩ يناير عام (٢٠٠١م) http://www.whitehouse.gov/new/releases/2001/01/2001o1-2-html.

٦- جيش الخلاص، منظمة إنجيلية إنشئت في لندن في ١٨٦٧م من قبل وليام بوث (تحت اسم رسالة مسيحية) وتم تصديرها إلى الولايات المتحدة في سنوات ١٨٨٠م.

٧- تأسست الإحسانيات الكاثوليكية في ١٩١٠م أثناء المؤتمر القومي للإحسانيات الكاثوليكية.

٨- تعبير «إذا لم تكن معنا فأنت ضدنا» والذي ردده الرئيس بوش مرارًا وآخرون من كبار المسئولين، يعود في الأصل للمسيح، وتم استخدامه عبر القرون من قبل الوعاظ والسياسيين.

٩- في ٢١ يولية عام (٢٠٠٥) وافق مجلس النواب بأغلبية كبيرة على تمديد تطبيق إجراءات قانون الوطنية الأمريكي. وصدق مجلس الشيوخ أيضًا على التمديد في ٢٩ من الشهر ذاته. وهناك أربعة عشر إجراءً من ضمن ستة عشر من هذا القانون أصبحت دائمة.

١٠- عرف عن القاضي رينكويست، الذي عينه ريجان في عام (١٩٨٦م)، مواقفه المغالية في طابعها المحافظ. وفرض نفسه كواحد من رؤساء العدالة الأكثر محافظة. وقد أشرف على إجراء العزل الموجه لبيل كلينتون في عام (١٩٩٩م). وفوق ذلك أضاف صوته إلى أصوات الأغلبية المحافظة عندما اتخذت المحكمة العليا قرارًا بوقف العد في أصوات ولاية فلوريدا أثناء الانتخابات في عام (٢٠٠٠م)، وهو حكم منح جورج دبليو بوش الفوز بالانتخابات.

هوامش الفصل الخامس:

١- تربى أوليفر نورث في وسط كاثوليكي، وصار عضوًا مواظبًا على كنيسة الحواريين وهي كنيسة أسقفية كارزمية في فيرجينيا، كان راعيها عضوًا نشطًا في منظمة تبشيرية هي SHARING MINISTRIES ABROAD.

حوار مع مؤلف الكتاب البروفيسور مختار بن بركة

يواصل البروفيسور مختار بن بركة أستاذ التاريخ والحضارة الأمريكية في جامعة فالانسيين، مسيرته العلمية في تناول الأصولية المسيحية الأمريكية، فقد سبق له أن أصدر كتاب «المُخلِصون الجدد: الأصولية البروتستانتية في الولايات المتحدة» (١٩٩٨م)، ثم أصدر «اليمين الأمريكي الجديد، من البدايات وحتى قضية لوينسكي»(١٩٩٩م). وفي كتابه الجديد عن «اليمين المسيحي الأمريكي: الإنجيليون في البيت الأبيض» (٢٠٠٦م)، يذهب البروفيسور بن بركة مسافة أعمق في فهم وتحليل البروتستانتية الأمريكية بكل تجلياتها وتداعياتها على الساحة الداخلية الأمريكية، وأيضًا على الصعيد الدولي. وهو، في هذا الكتاب، يكرس نفسه كواحد من أبرز المتخصصين العلميين في مجال اليمين المسيحي الأمريكي، والذي لم يسبق لأحد، في فرنسا، أن كرس له كتابًا كاملاً. وهنا حوار معه حول بعض القضايا التي رأينا من المفيد مناقشته بشأنها بحثًا عن مزيد من الفائدة والمعرفة لقراء هذا الكتاب.

• في البداية، دعني أسألك: لماذا الاهتمام بأمريكا، وتحديدًا باليمين المسيحي الأمريكي؟

- أنا، كتونسي، نشأت وتربيت في وسط أسرة مسلمة متفتحة وتعرف معنى التسامح بالفطرة. وكنت أتساءل بيني وبين نفسي: لماذا أنا متسامح وهؤلاء الناس، في أمريكا، غير متسامحين ومتعصبين؟ ودفعني فضولي إلى دراسة دينهم، ولم أكن أعرفه. فأنا كمسلم ليست لدي معرفة بالبروتستانتية. وكانت المسألة بالنسبة لي في غاية الصعوبة. وسنحت لي الفرصة للتعرف على هذه الظاهرة عندما ذهبت إلى أمريكا للقيام بدراسة موضوعية علمية عن التعصب وموقفهم من الإسلام وإسرائيل وقضايا أخرى...

• تتبعت، في الفصل الأول، تاريخ ظاهرة«الاستثناء الأمريكي»، وحضور الدين بقوة في الحياة الأمريكية، هل الوضع في البلاد الأوروبية يختلف عن ذلك بدرجة كبيرة؟ ولماذا لم تدرس اليمين المسيحي الفرنسي أو الألماني أو البلجيكي؟!

- نعم، الوضع في أمريكا مختلف عن فرنسا. في أمريكا الشعب متدين إلى حد بعيد، وفي فرنسا هناك تراث معاد للكهنوت. الفرنسيون متحضرون، ويخشون من حضور الدين بقوة في حياتهم،

ولا تزال في ذاكرتهم الحروب الدينية التي عاشتها أوروبا. وبالتالي هم ينفرون من الدين حتى الآن. بينما علاقة الدين بالمجتمع والسياسة في أمريكا لها تاريخ وليست وليدة رئاسة بوش الحالية. ومن يقول غير ذلك يجهل التاريخ الديني والجذور الأيديولوجية للولايات المتحدة. وليس من المبالغة في شيء القول بأن روايات الكتاب المقدس عملت على خلق الأساطير القومية المؤسسة، وأن الرواد الأوائل الذين أسسوا الولايات المتحدة كانوا يمتلكون شعورًا بأنهم يقومون من جديد بدور السيناريو الوارد في الكتاب المقدس عن شعب مختار يغزو أرضه المقدسة.

• وماذا عن مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة الذي يعود إلى دستور عام١٧٩١م؟

– في الحقيقة، كان هدف هذا الفصل هو تأمين السلام الديني والرفاهية وتجنب ما حدث في أوروبا في القرن السادس عشر والسابع عشر من حروب دينية، لكن ما هو مؤكد أيضًا أن تأثير الدين، ولا سيما تأثير اليمين المسيحي على الرئاسة والمؤسسات الأمريكية الأخرى لم يكن قط بمثل هذه القوة التي نراها اليوم.

• من يقرأ كتابك يلاحظ أنك تحدثت كثيرًا عن قوة اليمين المسيحي الأمريكي، وسياساته على الصعيد الداخلي الأمريكي، لكن لم نلاحظ الاهتمام ذاته فيما يتعلق بدوره على صعيد السياسة الخارجية، ولا سيما ما يتعلق بالعالم العربي والإسلامي.ألا يعتبر هذا نقصًا في الكتاب من وجهة النظر العربية؟

– صحيح، لكنني تحدثت، في أكثر من موضوع، عن موقف اليمين المسيحي الأمريكي من الإسلام، وموقفه الداعم لدولة إسرائيل. ربما كان من الأفضل أن أكرس جهدًا أكبر في هذا الشأن.

• قلت أيضًا في كتابك، إن الحرب الأمريكية على العراق لم تكن من صنع اليمين المسيحي، وإنما هي من عمل خبراء إستراتيجيين ينتمون للمحافظين الجدد الموالين لإسرائيل، وأن اليمين المسيحي كان ضد الحرب على العراق كيف كان ذلك؟

– بعض أعضاء اليمين المسيحي كانوا فعلاً ضد الحرب .

• قلة محدودة !

– لا، كان ٥٥٪ منهم من المعارضين للحرب على العراق كما تشير نتائج استطلاع الرأي.

• أي استطلاع رأي هذا ! والعالم كله يشاهد، في هذه الحرب تحديدًا دورًا أكبر للدين، سواء في خلفية قرار الحرب أو في عمليات التبشير التي أعلنت الصحف بعض تفاصيلها ؟

- صحيح، بعد الحرب كان هناك من يقوم بالتبشير وسط العراقيين، لكنني ما زلت عند رأيي أن عددًا كبيرًا منهم كانوا مناهضين للحرب بالفعل.

• المفارقة، في كتابك، أنك رصدت صعود اليمين المسيحي، وقدمت توثيقًا لتداخل الديني والسياسي في أمريكا، لكنك استخلصت من ذلك نتائج عكسية لهذا الصعود الديني، وكأنه مجرد وهم، وكأن نتائجه لا تذكر، وأن مبدأ الفصل بين الكنيسة والدولة كما هو دون تغيير !!

- من ناحية قانونية هناك فصل بين الكنيسة والدولة. ومن ناحية اجتماعية وسياسية يلعب الدين دورًا مؤكدًا. فهذا الصعود الديني لم يؤثر على قانون البلاد، وإنما كان تأثيره في السياسة اليومية والاجتماعية، لم يؤثر أيضًا على المستوى الفيدرالي، وكان تأثيره واضحًا على مستوى الولايات والمحليات. وأكبر مثال على ذلك أنهم لم يستطيعوا تغيير قانون المحكمة العليا الصادر في عام (١٩٧٣م) والذي يعطي للمرأة حق الإجهاض.

• فيمَ نجح اليمين المسيحي الأمريكي إذن؟ وما هو مستقبله في نظرك ؟ وهل تغير تحليلك له بعد عامين تقريبًا من صدور كتابك ؟

- نجح اليمين المسيحي الأمريكي في جعل السياسيين يتبنون سياسة القيم، ويجعلون منها سياستهم. ونجح كذلك في الضغط على السياسيين كي يعترفوا بمشاكل المجتمع الأخلاقية ويضعونها على أجندتهم ..... ما زلت أعتقد أن اليمين المسيحي قوة مناضلة فرضت على الأحزاب السياسية الكبرى أخذها بعين الاعتبار، وأنها مستمرة في التأثير بصورة واضحة على السياسة الأمريكية داخليًا وخارجيًا، ومع ذلك يمكن القول إن اليمين المسيحي يمر اليوم بفترة من أكثر فترات تاريخه صعوبة. ويعود القلق الذي يشعر به اليمين المسيحي إلى عدة مصادر أهمها: التوترات الناشئة عن عدم الاتفاق بين الإنجيليين الآخرين حول قضايا على درجة كبيرة من الأهمية، مثل قضايا الفقر والحفاظ على البيئة، ناهيك عن الفضائح الأخيرة التي تلقي بمزيد من الشكوك أمام انتخابات عام (٢٠٠٨م).

• **ما هي القضايا التي تقلق اليمين المسيحي اليوم في نظرك؟**

- في الحقيقة، تعرض الإنجيليون المحافظون لمزيد من النقد الشديد من قبل أقرانهم في الدين من المعتدلين واليساريين - الذين يعيبون عليهم أنهم ركزوا كثيرًا على الأخلاق الخاصة على حساب قضايا الفقر والعدالة الاجتماعية . ولم يجد القساوسة ريك وارين وبيل هايبلس وجيم واليس ورونالد سيدر، حرجًا في تذكير قادة اليمين المسيحي أن مشاركتهم في الأعمال الاجتماعية يعتبر فريضة أخلاقية ولاهوتية، بالقدر نفسه مع مقاومة الإجهاض والمثلية الجنسية. ويعيش اليمين المسيحي حالة ذهول بسبب فضيحة تيد هاجارد المؤسس والقسيس الرئيسي للكنيسة الإنجيلية «الحياة الجديدة»، في كولورادو اسبرنج بولاية كولورادو، والتي تضم في تجمعها أربعة عشر ألف مؤمن. وبدأت الفضيحة في نوفمبر عام (٢٠٠٦م) مع تصريحات مؤمن سابق بدنفير أكد على وجود علاقات «خاصة» مدفوعة الأجر كانت تربطه لمدة ثلاث سنوات مع القس هاجارد . وأنه أيضًا قد يكون تناول مخدرًا يحتوي على مادة كيميائية على درجة كبيرة من الإيذاء والضرر. وعلاوة على ذلك، فإن الفضائح الأخلاقية والمالية الأخيرة التي نالت من الجمهوريين لم تفعل سوى أن فاقمت من خيبة أمل اليمين المسيحي. وفي سبتمبر عام (٢٠٠٦م) اضطر مارك فولاي، نائب ولاية فلوريدا وأحد الموقعين على قانون ضد أفلام العري مع الغلمان على الإنترنت، للاستقالة لأنه تبادل رسائل ذات طبيعة جنسية مع موظفين من الشباب بالكونجرس. وفي ١١ يونية عام (٢٠٠٧م)، تم توقيف لاري كريج سيناتور إيداهو ؛ لأنه غازل شرطي في مرحاض خاص بالرجال في مطار مينا بوليس - سان بول. وبعد أن تخلى عنه حزبه اضطر هذا المحافظ الذي يكره المثلية [في العلن] إلى الاستقالة في ١ سبتمبر عام (٢٠٠٧م)

• **كيف تنظر لتأثير ذلك على الانتخابات الرئاسية الحالية؟**

- يبحث اليمين المسيحي عن «منقذ سياسي». ولا يعرف إلى أين يتجه بعد ؟ فالانتخابات الرئاسية التي تستعد لها الولايات المتحدة هي الأكثر انفتاحًا في تاريخها، حيث إنها المرة الأولى منذ عام (١٩٥٢م) لا يكون الرئيس ولا نائب الرئيس من المرشحين. فجورج دبليو بوش لا يمكن أن يصبح رئيسًا مرة ثالثة. وأعرب ديك تشيني أنه لن يسعي لمنصب جديد بالبيت الأبيض. ونتيجة غياب «قائد » تزدهر الطموحات في المعسكر الجمهوري، كما في المعسكر الديمقراطي. وحتى الآن، هناك مجموعة من الديمقراطيين ومثلهم من الجمهوريين على خط الانطلاق. ومع ذلك، لا يزال اليمين المسيحي يبحث عن مرشحه المثالي ويظهر كثيرًا من الحذر

أمام المرشحين في الساحة الآن... وفي المقابل، يمكن التأكيد، بدرجة كبيرة من اليقين، أن اليمين المسيحي سيكون، مرة أخرى، موضع ملاطفة ومغازلة من الجمهوريين..

• ما سر تعاطف الإنجيليين، في نظرك، مع الدولة العبرية ؟

– يعلن اليمين المسيحي منذ بداياته، أي منذ الثمانينيات عن عداوة تجاه الإسلام والعالم العربي . وتعزز هذا العداء بعد أحداث ١١ سبتمبر عام (٢٠٠١م). وتتجلى معارضة اليمين المسيحي للعالم العربي ـ الإسلامي في مساندته غير المشروطه لدولة إسرائيل. ومن خلال طرق مختلفة، بدء من التعاون الوثيق مع اللوبي الموالي لإسرائيل (لجنة الشئون العامة للعلاقات الأمريكية الإسرائيلية)، وحتى المساعدة في إنشاء مستوطنات جديدة، يسعون إلى تغيير فلسطين حتى تشبه ما كانت عليه أيام عاش ومات فيها المسيح. ويعزو الإنجيليون والمولودون ثانية مسيحيًّا، والمتأثرون بلاهوت سفر الرؤيا، دورًا حاسمًا للشعب اليهودي ودولة إسرائيل في المخطط الإلهي لنهاية الزمان. ولقد سمح التزام القادة الإنجيليين إلى جوار الدولة العبرية، بدعم قوى مناضلة ومنظمة للغاية لمئات الآلاف من الأشخاص، ونشر وإذاعة، بفضل شبكات الراديو وقنوات التليفزيون التي يمتلكونها، «صورة عن إسرائيل يرغب الأمريكيون في الدفاع عنها» . ومع ذلك الأمور ليست على هذا النحو من البساطة. فالإنجيليون في أمريكا لديهم مشاعر إزاء اليهود معقدة وغامضة في آن واحد. من جهة، يعتبرون أن وعد الله لإبراهيم في الكتاب المقدس غير قابل للمراجعة والتنازل، وهو وعد يجعل التزامهم إلى جانب إسرائيل غير مشروط، ومن جهة أخرى، يعتقدون أن اليهود يسيرون في الطريق الخطأ. ومن هذا الواقع يعتقدون بضرورة تحولهم النهائي نحو المسيحية. ووفقًا لهذا السيناريو، فإن نهاية الزمان كما يتخيلها الإنجيليون، تفرض على اليهود قبول المسيح، أي التحول للدين المسيحي، عندما يعود إلى إسرائيل.

• كيف ينبغي على البلاد العربية أن تتصرف؟ كيف يواجهون اليمين المسيحي الأمريكي في نظرك؟

– بالتأكيد، ليس من خلال الحقد ولا التعصب. فعدم التسامح لا ينتج إلا عدم التسامح. والعنف لا ينتج إلا العنف. وما يثير الاستياء أن «اللوبي العربي» لا يصل إلى مواجهة الأيباك ؛ لأن العرب الأمريكيين يعانون من التفكك. كما أن الوسائل المالية المتوفرة لدي اللوبي العربي ليست بتلك القوة التي يمتلكها الأيباك الإنجيليين. ينبغي أن تكون الدول العربية أكثر توحدًا هناك عمل كبير ينبغي القيام به ...

المؤلف والمترجم في سطور

• مختار بن بركة

أستاذ التاريخ والحضارة الأمريكية في جامعة فالانسيين بشمال فرنسا، وهو تونسي الأصل، وتخصص في دراسة الأصولية الإنجيلية، وشارك في العديد من المؤتمرات العلمية، وساهم بعدد وفير من الدراسات وأصدر مجموعة من الكتب المهمة باللغة الفرنسية:

- «المخلصون الجدد:الأصولية البروتستانتية في الولايات المتحدة»(١٩٩٨م)، دار أتليه.
- «اليمين المسيحي الجديد، من البدايات وحتى قضية لوينسكي» (١٩٩٩م).
- «إنجيليون في البيت الأبيض ـ اليمين المسيحي الأمريكيى (٢٠٠٦م)، دار بريفا الفرنسية.

• أحمد الشيخ

كاتب ومترجم مصري، ومؤسس ومدير المركز العربي للدراسات الغربية، وسبق له أن عمل وشارك بالكتابة في عدد من الصحف والمجلات العربية.

من مؤلفاته وترجماته

- من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب ـ حوار الاستشراق (١٩٩٩م)،المركز العربي للدراسات الغربية.
- من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب ـ المثقفون العرب والغرب(٢٠٠٠م)، المركز العربي للدراسات الغربية.
- الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية ـ كلود كاهن (١٩٩٥م)، دارسينا
- من يجرؤ على نقد إسرائيل؟ ـ باسكال بونيفاس(٢٠٠٤م)، المركز العربي للدراسات الغربية
- الحرب العالمية الرابعة؟! ـ باسكال بونيفاس(٢٠٠٦م)، المركز العربي للدراسات الغربية، بالإشتراك مع مكتبة الشروق الدولية.
- المسيحية هي الحل ـ إنجيليون في البيت الأبيض (٢٠٠٨م)، المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية.

المحتويات

هذا الكتاب

... ما يميّز «المسألة الأمريكية»، أولاً، أننا أمام قوة مدمِّرة غاشمة لا تستند إلى قيم عالمية متفق بشأنها، بل تضع جانبًا القوانين الدولية والشرعية الدولية، وتنفرد بسياسات وممارسات أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها لا تراعي إلا المصالح الأنانية الضيقة للقائمين على أمر هذه القوة. فالقوة الأمريكية تبيح لنفسها ما تُحرِّمهُ على الآخرين. ومع غياب الشرعية الدولية، تغيب أيضا العقلانية السياسية عن هذه القوة وتصبح حمقاء، أكثر فأكثر، ولا يكون هناك ما تستند إليه إلا ركائز متداعية، ولا ينفع معها تحريك مخزون «القوة الناعمة» لنجدة «القوة الخشنة» وكما يحلم أحد منظريها الكبار. فماذا يمكن أن تفعل القوة الخشنة والناعمة معا عندما تكون هذه القوة فاقدة أصلا للشرعية والعقلانية والضوابط الأخلاقية والإنسانية المتعارف عليها؟!...

... يساهم هذا الكتاب في تقديم ، معرفة أفضل بالمجتمع الأمريكي، وبتيار اليمين المسيحي الأمريكي، ونحن أحوج ما نكون اليوم لمعرفة التيارات المخالفة والمعادية لنا، وأن نقرأها قراءة دقيقة حقيقية ، وكما هي في الواقع ، وقبل أن نحدد موقفنا منها، وهو ما ندعو له منذ سنوات، ونلح دائمًا على ضرورة إنشاء مراكز فكر عربية مكرَّسة لبحث ودراسة ظواهر وقضايا وآفاق العالم الغربي في كافة الميادين. وفي هذا الإطار قمنا بترجمة هذا الكتاب وغيره من الكتب التي أصدرناها في السنوات الماضية...

... وإذا كان من مزايا الكتاب أنه يقدم للقارئ العربي فلسفة اليمين المسيحي الأمريكي وبرنامجه في العمل وإستراتيجياته لتنفيذ هذا البرنامج ، فإنه يسمح لنا في الوقت ذاته بتحصين أنفسنا من تطرف وغلو هذا التيار وحماية أنفسنا ومجتمعاتنا من حملاته التبشيرية، سواء على الصعيد السياسي أو الديني الذي وصل في الفترة الأخيرة إلى مرحلة تبعث على القلق خاصة في بلاد المغرب العربي والأردن والعراق وبلاد إفريقية كثيرة، وحيث ينشط المبشرون الإنجيليون، وحيث تشير الأرقام إلى أن هناك أكثر من عشرة آلاف مسلم تم تنصيرهم في الفترة الأخيرة.



في النهاية ، هذا الكتاب ليس كتابًا في الدين المسيحي وإنما في الفهم الأ
للكتاب المقدس، وبالتالي الكتاب ليس موجهًا للإنجيليين العرب بشكل خاص
العرب بشكل عام، وليس واردًا في ذهن مؤلفه أو مترجمه التحرش بالمس
في مثل هذه الأوضاع المتفجرة التي يمر بها العالم اليوم، وليس واردًا كذلك
المسلمين أو من شعارهم أو من أي فصيل إسلامي آخر. حاولنا فقط أن نقدم للق
الآخر لأمريكا، والتنبيه إلى خطورة الأصولية المسيحية في أمريكا.

الناشر : المركز العربي الإسلامي للدراسات الغربية
E-mail-elsheikhahmed 11@hotmail.com
تليفون وفاكس: 22416769 (+00202)